وَقَفَاتٌ وتَأَمُّلَاتٌ

مَعَ آيَاتٍ مِن كِتَابِ اللّهِ العَزِيز

الجزء الأول

من سورة الفاتحة حتى نهاية سورة الأنفال

عبد المنعم مصطفى حليمة

أبو بصير الطرطوسي

وَقَفَاتٌ وتَأَمُّلَاتٌ مَعَ آيَاتٍ مِن كِتَابِ اللهِ العَزِيز

عبد المنعم مصطفى حليمة

" أبو بصير الطرطوسي "

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

وبعد، هذه مجموعةٌ من الوقفَاتِ والتأمّلات معَ آيَاتٍ مِن كتَابِ اللهِ العَزيز، كُتِبَت في أوقاتٍ متفرِّقَةٍ، رأينا أن تُجمَعَ في كتَابٍ مُستقِلٍّ، ليسهل الوقُوفُ عليها .. أسميناه " وَقفَاتٌ وتَأَمُّلَاتٌ مَعَ آيَاتٍ مِن كِتَابِ اللهِ العَزِيز "، هذه الوقفَاتُ ليسَت تَفسيراً حَرفيَّاً لكلمَاتِ الآيَاتِ على طريقَةِ المفَسِّرين، فهذا الجانبُ من التَّفسيرِ قَد أخَذَ حقَّه مِن قِبَل المفسِّرين، والمكتبةُ الإسلاميَّةُ ـ ولله الحمد ـ مَليئةٌ بعَشرَات إن لم يكُن بمئاتِ التَّفاسِير التي تُلبي حاجَةَ القارِئ للقرآنِ في هذا الجانِب .. وإنما أرَدْتُ من هذه الوقفَات والتَّأمُّلات ثلاثةَ مَعَانٍ: الأوَّل مسَاعدةُ القَارِئ على التَّدبر والتَّأمُّلِ لآياتِ القُرآن الكرِيم .. وأن يتدرَّب على أن يقرأَ القُرآنَ الكريم قِرَاءة تَدبريَّة تأمُّليَّة، فحينئذٍ قد تَظهر له لفتَاتٍ ودَلَالاتٍ وإشارَات لطيفةٍ وجميلَة، لم يهتدِ إليها مِن قَبل .. فالقرآنُ الكريم على قدْرِ مَا تُعطيه مِن نفْسِك، فهو يُعطِيك أكثَر، ومَهمَا أكثَرتَ مِنه فهو أكثَر، وخيرُه دائمُ العطَاءِ، لا يَنضَبُ أبَداً .. والثاني، تَنزيلُ معَاني ودلالات الآيات القُرآنية على واقعنا الذي نُعايشُه، ونُكابِدُه، ومن ثمَّ كيفيَّة الاستفادَةِ مِنه في معالجَةِ الأحداثِ والوقائع التي تُواجهُنا في حيَاتِنا .. فهو كتَابٌ لا يجوزُ أن يبقَى مُعَلَّقاً على الجدرانِ للتَّبرُّك به .. لَا .. بَل يجبُ أن يَعيشَ ويتحرَّكَ معَنا في جميع مجالات حيَاتِنا الاجتماعيَّةِ، والاقتصاديَّةِ، والسياسِيَّةِ، والأخلاقيَّةِ،

والتَّعَبُّدِيَّةِ، وغيرها، ويكون لنا المرشدَ والموجِّهَ ـ على مدَارِ الوَقْتِ ـ فيما نواجِهه، ويُشكل علينا .. والثَّالثُ؛ تَسليطُ الضوءَ على الجانبِ التَّوحِيدِي الذي تُرشدُ إليه الآياتُ الكريمة .. فالتَّوحيدُ هو أصلُ الأصُولِ، وهو الغَايةُ من الوجودِ، ومِن إرسالِ الرُّسُل، وإنزالِ الكتُب .. لَا منجَاةَ إلَّا بِه، وهو بالنسبةِ للمؤمن بمثابةِ جهاز المناعَةِ الذي من خلاله تُعرَف، وتُواجَه الأمراضُ، والأخطاءُ، والأخطارُ .. وعند التأمُّلِ والتدبُّرِ لمعاني ودَلالاتِ الآياتِ القُرآنيَّةِ؛ نجد أن معظمَ آياتِ القُرآن الكريم تُشير لهذا الأصلِ العَظِيم، وتتكلم عنه؛ فهي إمَّا أنها تدعُو إلى التَّوحِيد .. أو تُدعُو إلى شروطِ، ومتَطلباتِ، ومقتَضياتِ التَّوحِيد .. أو أنَّها تنهى عن الشِّركِ الذي يُضادُّ التَّوحيد، وتحذر من عواقبِه .. أو تبيّن ما للموحدِين الذين يَصبرون على التَّوحيدِ مِن وَعْدٍ، ونَعيمٍ، وأجرٍ عَظيم .. وما للمشركين المناهضِين للتَّوحيدِ من وَعِيدٍ وعذابٍ أليمٍ، فالتوحيدُ هو الموضوعُ الأسَاس والمركزي للقرآنِ الكريم .. وهو ما حاولت أن أشير إليه ـ قدر المستطاع ـ في هذه الوقفَاتِ والتَّأملات .. معَ التَّنبيهِ أنَّ الآيةَ الواحِدَة قَد أُعِيدُ النَّظَرَ والتَّأمُّلَ فيها، والوقوفَ عِندها أكثرَ مِن مَرَّة، بحسْبِ ما يَظْهرُ لي من المعَاني والدَّلَالاتِ الإضَافيَّةِ الجديدة عِندَ إعَادَةِ تِلاوَتها .. فنحنُ نتعامَلُ معَ كِتَابٍ عَظِيمٍ؛ هو كِتَابُ اللهِ؛ كَنْزُه مَهْمَا استُخْرِجَتْ مِنْه الفَوائِدُ، والحِكَمُ، والعِبَرُ .. لا يَنْضَبُ أَبَدَاً .. فهو قُرآنٌ يمشي معَ الناسِ في حياتِهِم، ومعَ هُمُومِهم، ومشَاكلِهم، وقضاياهم الخاصَّةِ والعَامَّةِ، يَعيشُ معهم في واقِعِهم، ينيرُ لهم دُرُوبَ الخَيرِ والشَّرِّ، والحَقِّ والبَاطِلِ، ويكشِفُ لهم الغَامِضَ، ومَا أشْكَلَ، وغُمَّ عليهم، ويُلبِّي جميعَ حاجياتِهم وعلى مَرِّ الأزْمِنَةِ والعُصُورِ .. هو الكِتَابُ الوحيدُ في الأرضِ الذي يُحفَظُ في الصُّدُور، سَهَّلَ اللهُ حِفظَهُ وتِلاوتَه .. لَا يملُّه قَارِئُه .. كلَّما قرأتَه تَعلَّقتَ به أكثَر، وازْدَدْتَ له حُبَّاً، وإقبَالاً، ورغبَةً في إعادَةِ قِراءتِه وتِلَاوتِه مِن جَدِيد .. وتَكَشَّفَ لكَ جَديدٌ لم تكُنْ تَعرِفُه مِن قَبل .. والكافرُ تراهُ يَهوَى أن

يُجَرِّبَ كُلَّ شَيءٍ، وكلَّ محجُوبٍ، وممنُوعٍ .. إلَّا قِراءةَ القُرآنِ؛ فإنَّه يَتَهيَّبُ أن يَقتربَ مِنه بخيرٍ، أو أن يَقرأَ بعضَ آياتِه؛ خَشيةَ أن يتعلَّقَ بهِ، ويَنقَادَ إليه، ولحكمِه، وهو لَهُ كَارِه!

ونُشِيرُ إلى أنَّ جميعَ الأحَادِيثِ الوارِدَةِ في هَذا الكتابِ، والتي لَمْ نُشِرْ إلى تخرِيجِها ـ تَفَادياً للإطَالَةِ ـ هي صَحيحَةٌ؛ قَد شَهِدَ لها أهْلُ العِلْمِ والاختصَاصِ بالصِّحَّةِ .. وقد قَسَّمتُ هذا الكتاب إلى ثلاثَةِ أقسَامٍ؛ كُلُّ عَشرَةِ أجزاءٍ مِن القُرآنِ الكريم في قِسْمٍ أو مجلَّدٍ: المجلَّدُ الأوَّلُ يَبدَأُ مِن سُورةِ الفاتحَةِ حتى نهايَةِ سُورَة الأنفَال، والمجلَّدُ الثَّاني من أوَّلِ سُورَةِ التَّوبَةِ حتى نهايَةِ سُورَةِ القَصَص، والمجلَّدُ الثَّالثُ مِن أوَّلِ سُورة العَنكَبُوت إلى نهايةِ سُورَةِ النَّاسِ، متضَمناً قِسمَ المتفَرِّقَات مِن وقفَاتٍ وتَأمُّلاتٍ؛ وهذا قِسم مواضِيعُه متَفرِّقَةٌ لها علاقَة بموضوعِ الكتابِ، لكنَّها لا تخضَعُ لترتِيبِ وتَسلسُلِ السُّوَر والآيَاتِ .. سَائِلاً اللهَ تعالى القُبولَ، وأن يجعَلَ مِن عملي هذا مفتَاحَ خَيرٍ، مِغلاقَ شَرٍّ، إنه تعالى سَميعٌ قَريب .. وصلى اللهُ على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.[1].

" أبو بصير الطرطوسي "

1443/9/27 هـ . 2022/4/28 م

[1] الكتابُ قابل للإضَافَةِ والتَّحْدِيثِ .. والعمَلُ ـ بإذن الله تعالى ومشيئته وتوفيقه ـ جارٍ به إلى أن يَقعَ القَلمُ من يَدِي!

إِيَّاكَ نَعْبُدُ . وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

1- [إِيَّاكَ نَعْبُدُ]؛ نخصُّك وحدَكَ بالعِبادِةِ الظَّاهِرةِ والباطِنة، الخاصّةِ والعَامَّة، فلا نَعبُدُ غَيرَك، [وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ]الفاتحة:5. على [إِيَّاكَ نَعْبُدُ].

* * * * *

اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ

2- [اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ]الفاتحة:6. طلَبٌ جاءَ بعدَ تمجيدٍ، وتَعظيمٍ، وتَوحيدٍ للخالِقِ سُبحانه وتعالى .. وهو أدْعَى للإجابةِ والقُبُولِ من اقتحَامِ الدُّعاءِ مجرَّداً عن التَّعظيمِ، والتمجِيدِ، والتَّوحيدِ، والصَّلاةِ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم .. وخُصَّ الطَّلَبُ والدُّعاءُ بأمرٍ جامعٍ مَانِعٍ؛ جَامعٌ لجميع معَاني الخَيرِ، مانعٌ لجميع معاني الشَّرِّ؛ وهو الهِدايَةُ إلى الصِّراطِ المسْتقِيم؛ لأنَّ مَن هُدِيَ إلى الصِّراطِ المستقيم، فقد تَحَصَّل له خَيرَي الدُّنيا والآخِرَةِ، واندَفَعَ عنه كُلُّ شَرٍّ .. والصِّراطُ المستقيم؛ هو دِينُ اللهِ الإسلام .. مَا كانَ عليه النبيُّ محمد صلى الله عليه وسلم، وصَحْبُه الكِرام رضي اللهُ عنهم أجمعين من اعتِقَادٍ، وقَولٍ، وعَمل.

3- [اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ]الفاتحة:6. بصيغَةِ الجمْعِ لا الإفْرادِ؛ ليتَحقَّقَ الشُّعورُ بالانتماءِ إلى الجماعَةِ، ويتحقَّقَ الشُّعُورُ بالأخوَّةِ الإيمانيَّةِ؛ على اختلافِ الأمْصَارِ، والأجنَاسِ، واللغاتِ، والألوانِ .. فيَشعرُ المسلمُ وهو يَقرأ هذه الآية الكريمةِ أنَّه جزءٌ مِن كُلٍّ، وأنَّهُ لَبِنَةٌ في بناءٍ شامِخٍ ضَخْمٍ لا يَنفَصلُ عنه، وأنَّه بدعائِه، وطَلَبِه [اهدِنَا] يَشملُ جميعَ إخوانِه وأخواتِه من المؤمنين والمؤمِناتِ، في أيِّ مكانٍ، ومن أي قَومٍ أو جِنْسٍ كانوا .. وهو كما يَقلَقُ مِن أجلِ هدايتِهم، ويَهتمُّ لذلك، ويَسألُ اللهَ لهم الهِدايَةَ، فإنه كذلك يَقلقُ ويَألمُ لكلِّ مَا يُؤذِيهم، ويَصدُّهم عن الهِدايَةِ .. أو يَقفُ عقبةً في طريقِ هِدايتِهم ..

هذا الشُّعُور العظيمُ النَّبيلُ يتكرَّرُ ويتجدَّدُ معَ تِكرارِ قِراءةِ الفاتحَةِ في كلِّ ركعَةٍ من الصَّلاةِ؛ كانت فرضَاً أم نافلةً .. أمَّا مَن لا يَقلقُ ولا يهتمُّ لما يُصيبُ المسلمين من أذَى في دِينِهم، وهِدَايَتِهم .. فهو يُناقِضُ قولَهُ ودعاءَهُ في كُلِّ ركعةٍ مِن صَلاتِه [اهدِنَا]، ولم يحقِّقْ المعنَى والمرَادَ مِن دُعائِه [اهدِنَا]!

* * * * *

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ

4- [صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ]؛ مِن النَّبيين، ومَن سَارَ على نَهجِهم، واقتَفَى أثَرَهُم، مِن الصِّدِّيقِين، والشُّهدَاءِ، والصَّالحين، [غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ]؛ اليهودُ الذين عَرَفُوا الحقَّ؛ فتَعَالَوا وتكَبَّرُوا عليه، وعَدَلُوا عنه إلى غَيرِه، ولم يَعْمَلُوا به .. وكلُّ مَن اتصَفَ بِصفتِهم هذه، أيَّاً كانت مِلَّتُه؛ فهو من المغضُوبِ عليهم .. فكان كُفْرُهم مِن جهةِ الكبرِ والتَّعَالي على الحقِّ، وليسَ من جهةِ الجهْلِ بالحقِّ، [وَلاَ الضَّالِّينَ]الفاتحة:7. النَّصَارى الذين ضَلُّوا الحقَّ، فأحْدَثُوا في دينِهم مَا ليسَ فِيه، وعَمِلوا وتَعَبَّدُوا بغيرِ عِلمٍ، وكلُّ مَن اتصفَ بصفَتِهم هذه، أيَّاً كانَت مِلَّتُه؛ فهو من الضَّالِّين .. فكانَ كفرُهم وضَلالهم مِن جهَةِ الجهلِ بالحَقِّ .. ومَن كانَ كفرُه وضَلالُه مِن جهَةِ الجهْلِ بالحقِّ، فهو أقرَبُ للحقِّ، وأهلِه، وأقَل عدَاوةً ممَّن كان كُفرُه من جهةِ الكِبر، والتَّعالِي على الحقِّ .. وتُرجَى له الهِدايَةُ لو بلغَه العِلمُ، أكثر من المتكبِّرِ المتعَالي على الحقِّ .. والواقعُ المُشَاهَد شَاهِدٌ على ذَلك .. وفي الحديث:" اليهودُ مَغضُوبٌ عليهم، والنَّصَارَى ضُلَّالٌ ".

5- [صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ]الفاتحة:7. في الحياةِ الدُّنيَا توجَدُ طوَابير عَدِيدةٍ؛ طَابُور الحُكَّام والأمرَاءِ؛ ولهؤلاءِ أتباعُهم الذين يَصطفُّون في طابورِهم وصَفِّهم .. وللطواغيتِ عبر العصُورِ كلها لهم طوابيرُهم الخاصَّة، ولهم أتباعُهم .. وللسحَرَةِ

والمشعوذِين لهم طابُورهم الخاصّ بهم، ولهم أتباعُهم .. وللفلاسِفَةِ والمتكلمين طابُورِهم الخَاص بهم، ولهم أتباعُهم .. وللفنانِين، والمغنين، والمغنيات .. ولأصحابِ المهن والحرَفِ طوابيرهم الخاصَّة بهم .. ولهم أتباعُهم الذين يَقفُون في طوابِيرِهم .. وللمؤمنين طابُور واحدٌ لا يحيدُون عنه، ولَا يَرتضُون عنه بَديلاً، يَدعون اللهَ في كل صلاةٍ، وعندَ قِراءةِ سُورةِ الفاتحةِ، أن يجعلهم مِن أهلِ هذا الطَّابُور، وهو طابُور الأنبياءِ صلواتُ الله وسَلامُه عليهم أجمعين مِن لدن آدَم عليه السلام، مرُوراً بنوحٍ، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، إلى خاتَمِ الأنبياءِ والمرسلِين محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .. يَدعُو المؤمنُ اللهَ تعالى أن يجعله مِن أتباعِهم وممن يَهتدُون بهديِهم، ويَقتفُون آثارَهم، ومنهجَهم، وطريقَهم المستَقِيم .. فالمؤمنُ عندما يَقولُ في صَلاتِه:[صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ]؛ يَشعرُ بهذا الترابُطِ، والتماسُكِ، والانتماء العَظيمِ، والممتدّ لجميع العصُورِ والأزمِنَةِ .. فتاريخُه الأمجَد لا يَنتمي - كغيرِه! - إلى قَومٍ، أوقَبيلةٍ، أو عَشيرةٍ، ولَا يتوقَّف عِندها، وعِند نشأَتِها؛ يمتدُّ لعقودٍ أو لمئاتٍ من السنين فقَط .. لَا .. بل تاريخُه يمتدُّ ليشمُلَ الجانِبَ المشْرِقَ، المضِيءَ، المتحضّرَ الرَّاقي، والمنير مِن تاريخ البشريَّةِ جمعَاء .. إنه تاريخُ وسيرَةُ جميع الأنبياءِ والرُّسلِ .. فهو يَشعرُ شعُوراً عميقَاً وقويَّاً بأنَّ جميعَ المؤمنين من أتباعِ الأنبياءِ والرُّسلِ مِن قبل هم إخْوانُه، وهو مِنهم، وهُم مِنه .. وأن انجازاتِهم الحضَارِيَّة هي انجازٌ لَه .. بينمَا بقيَّةُ الطَّوابير والمِلَل على ما بينها مِن تفَاوتٍ، وعِوَج عن الصِّراطِ المسْتَقِيم، فحبلُها قَصيرٌ، وضَعيفٌ، يَنقطعُ بانقطاعِ آجَالِ أصحابِها ومؤسِّسِيها .. وفيها مِن العِوَجِ عن الحقِّ، والصِّرَاطِ المستَقِيم، الكثير، الكثير!

* * * * *

ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ

6- [ذَلِكَ الْكِتَابُ]؛ أي هذا القُرآنُ الكَريمُ ـ وليسَ سواه ـ هو الكِتَابُ الحَقُّ؛ الذي لا يَأتِيه البَاطِلُ مِن بَين يَدَيه ولا مِن خَلْفِه .. المحفُوظُ بِحِفْظِ اللهِ .. هو الكِتَابُ الحَقُّ؛ الذي ليسَ كَمِثْلِهِ كِتَابٌ؛ لا مِن قَبلُ ولا مِن بَعْدُ .. هو الكِتَابُ الحَقُّ المُعْجِزُ؛ الذي أعْجَزَ الإنْسَ والجِنَّ ـ على مَدَارِ الأزْمَانِ وإلى قِيَامِ السَّاعَةِ ـ على أن يَأتُوا بسُورَةٍ مِن مِثْلِه .. هو الكِتَابُ الحَقُّ؛ المهيمِنُ على مَا سِوَاهُ مِن الكُتُبِ .. هو الكِتَابُ الحَقِّ؛ الذي مِنْهُ يُلتَمَسُ النُّورُ، والهُدَى، وسَبيلُ الرَّشَادِ .. بِهِ يُعرَفُ الحَقُّ مِن البَاطِلِ .. ويَمِيْزُ الخَبيثُ مِن الطَّيِّب .. هو حَبْلُ اللهِ الممدُود مِن السَّماءِ إلى الأرضِ .. به تَتَّصِلُ الأرْضُ بالسَّماءِ .. هو الكِتَابُ الحَقُّ، وما يُخالِفُه، ويُعارِضُه فهو البَاطِلُ، وهو ليسَ بِكِتَابٍ ذِي بَال، [لاَ رَيْبَ فِيهِ]؛ لا شَكَّ فيهِ أنَّهُ كذلك في جَميعِ ما تَقَدَّم [هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]البقرة:2. لأنَّهم آمَنُوا وعَمِلُوا به، أمَّا مَن لا يُؤمِنُ ولا يَعمَلُ بِه، فَأنَّى يَسْتَفيدُ مِنْه، أو يَكونُ لَهُ هُدَىً ..؟!

7- تأمّلتُ أسماءَ وأنواع الحيواناتِ والدّواب المذكورةِ في القرآنِ الكريم، فوجدتُها معلومةً بعينها لجميع النّاسِ على اختلافِ أمصارِهم، وأجناسِهم، ولغاتِهم، على مدارِ العصورِ والأزمان؛ لأنه كتابٌ أُنزِل للعالمين بشيراً ونَذيراً .. ولأنه الكتاب الخاتَم الذي ليس بعده كتابٌ سماوي .. وحتى لا يقول شعبٌ من الشّعوب، في مصرٍ من الأمصار، وفي زَمنٍ من الأزمنة: مالهذا القرآن يذكر أسماءَ دواب وحيوانات لا نعرفُها في واقعِنا ولا حياتِنا .. صدَق اللهُ العظيم:[ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]البقرة:2. [هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]؛ على اختلافِ أجناسِهم، وألوانِهم، ولغاتِهم، وأمصارِهم، وأزمنتهم ...!

8- [ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]البقرة:2. في هذا الكتاب؛ وهو القُرآن الكريم؛ هُدَىً لجميع المنافعِ الماديَّةِ والمعنويَّةِ .. إلى جميع مَا يَنفعُ الإنسانَ في دينِه

ودُنياه .. وخصَّ المتَّقُون بهذا الانتفاع لإيمانِهم بالكتابِ وامتِثالِهم لأوامِره، وانتهائهم عمَّا نَهى عنه .. أمَّا مَن لا يُؤمنُ بالكتابِ .. ويُعرضُ عمَّا فيه مِن هُدىً ونُورٍ، أنَّى له أن يَنتفعَ مِن هذا الكِتابِ العَظِيم .. وهو مثَلُه كمَثَلِ مَن يُعرَض عليه الدَّواءُ لمرضٍ ألمَّ به، ثم يُعرِضُ عنه ولا يتَناوَله .. فأنَّى له أن ينتَفع من هَذا الدَّواءِ .. وفيه أن المرءَ كلَّما كان أتْقَى .. والتزمَ جادَّةَ التَّقوَى أكثَر .. وأعْطَى القُرآنَ مِن نَفْسِه .. انتفَعَ من هذا الكتابِ العَظيم، وتَكَشَّفَت له مِن معَانِيه وأسرارِه مَا لم تتَكَشَّفْ لغيرِه.

* * * * *

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

9- [الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ]البقرة:3. لا يَكونُ المؤمنُ مؤمناً إلَّا إذا آمنَ وصَدَّق بالغَيبِ، وهو كلُّ ما تَعجَزُ الحواسُّ عن إدراكِه مِن عالَمِ الغيب، كالإيمانِ باللهِ، وملائكتِه، وبالبعْثِ، والنُّشُورِ، والجنَّةِ، والنارِ، وغَيرِها .. أمَّا مَن لا يُؤمنُ إلا بما تُدْرِكُه حواسُّه، ويرَاهُ بعينِه، فهذا لا يكونُ مُؤمناً، فما تُدرِكُه الحواسُّ لا يحتاجُ إلى جهْدِ وجِهادِ الإيمانِ .. ويَستَوي في تَصديقِه جميعُ الخلَقِ الكَافِرُ والمؤمِنُ سَواء .. فَلا يتَمَايزُ حِينئذٍ المؤمنُ عنِ الكافِرِ .. ويغيبُ من الحياةِ الاختبَارُ، والاختِيَارُ، والبَلاءُ .. وتغيب الحكمةُ والغايةُ مِن خَلْقِ الخلْقِ والوجُود .. ومِن جِهةٍ أُخْرَى فهو يُكَذِّبُ نَفْسَه؛ إذْ تَراهُ يُقِرُّ ويُصدِّقُ بوجودِ مخلوقاتٍ عديدَةٍ تَعجزُ حواسُّه عن إدراكِها ومُشاهَدَتِها .. فعَلامَ يُصدِّقُ بِها، ويكفُرُ بالخالِقِ سُبحانَه، وكلاهمَا بالنسبةِ له غَيْبٌ؟!

* * * * *

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

10- [وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ]البقرة:3. الرِّزقُ هو للهِ، ومِن اللهِ .. والمرءُ إذْ يُنفقُ ينفقُ مِمَّا رزقَهُ اللهُ، واستأمنَهُ عليه .. فالفضلُ كله للهِ أن رزَقَه، وأن وفقَه للإنفاقِ مِمَّا رزَقَهُ واستخلَفَه عليه .. والرِّزْقُ أنواعٌ، مِنه المالُ، ومِنه العِلمُ .. فكما يُنفقُون مِمَّا رَزقَهم اللهُ مِن المالِ، يُنفقُون مِمَّا رزَقَهم مِن العِلمِ، فلا يكتمُون عِلماً علَّمهم اللهُ إيَّاه عن عِبَادِ اللهِ .. وصَدَقَةُ العِلمِ أفضَلُ، وأعظَمُ أجْرَاً وأثَرَاً مِن صَدَقَةِ المَالِ، وكانَ أبُو الدَّرْدَاءِ يقُول:" مَا تَصدَّقَ رجلٌ بصدَقَةٍ أفضلُ مِن موعظَةٍ يَعظُ بها جماعَةً فيتفرَّقُون وقَد نفَعَهم اللهُ بِها ".

* * * * *

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً

11- [فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ]؛ مرضُ النِّفاقِ، والشَّكِّ، والتَّكذيب .. فالقلوبُ تمرضُ، ولها أمراضٌ كما للأبدانِ أمرَاضٌ، وهي أشدُّ فَتكاً وأثَراً من أمراضِ الأبدَان، [فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً]البقرة:10. على مرضِهم، وذلك أنَّهم كلَّما عُرِضَ عليهم حقٌّ قابلُوه بالتَّكذيبِ، والشَّكِّ، والتَّشكيكِ، فيزدادُون بذلك مرَضاً على مرضِهم .. فهم في زيادَةٍ مستمرَّة في المرضِ، حتى تُصاب قلوبُهم بالصَّدَأ والموتِ، وتفقدُ وظيفتَها الأساسيَّة في الحياةِ، والقُدْرَةِ على التمييزِ بين الخَيرِ والشرِّ، فيرُون الحقَّ باطِلاً، والباطِلَ حَقاً .. والمنكرَ معرُوفاً، والمعروفَ مُنكراً!

* * * * *

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ

12- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ]البقرة:11. هَذا جَوابُ وإدِّعاءُ كُلِّ مُفْسِدٍ في الأرضِ على مَرِّ العُصُورِ والأزمَانِ .. لَا يَعترفُ بإفسَادِه وفسَادِه .. بَل يَعتقِدُ أنَّه هو المصْلحُ، ومَا يقومُ به هو الإصْلاحُ .. ومَا يخالِفُه هو

الفَسَادُ، وصَاحِبُه هو المفْسِدُ .. والفَيْصَلُ بينَ مَعرفَةِ المُصْلِح مِن المفْسِدِ، ومَا يّدَّعيه كُلٌّ مِنهما، رَدُّ المصْلح ومَا يَصْدُرُ عنه، والمفْسِدِ ومَا يَصدُرُ عنه إلى الميزَانِ الحَقِّ، إلى كتَابِ اللهِ تعالى، وسُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم.

13- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ]البقرة:11. مَا مِن فَسَادٍ في الأرضِ ـ سواء كان فسَاداً ماديَّاً أم فسَادَاً مَعنويَّاً ـ إلَّا ويتم تحتَ عنوان وزَعْمِ الإصْلاح .. ويأخذ مِن الإصلاح ذَريعةً للإمعانِ، والاستمرارِ في التَّخريبِ، والفَسَادِ .. إدِّعَاءُ الإصلاح باللسَّان سَهْلٌ، الكلّ يَدَّعيه، ويَتَشَبَّعُ به .. والأعمَالُ تُكَذِّبُ ادعَاءاتهم أو تُصَدِّقُها!

* * * * *

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ

14- [صُمٌّ]؛ لا يَسمعُون الحقَّ، ولا يُطيقُون، [بُكْمٌ]؛ عن قولِ الحقِّ والخيرِ، مع قدرتِهم على الكلامِ، [عُمْيٌ]؛ عن طريقِ الحقِّ، والهدايَةِ، رَغْم أنَّ لهم أعينٌ يُبصرُون بها .. فبسبَبِ كُفْرِهم، وحِقْدِهم، وكبرِهِم، قد تعطَّلَت لدَيهم جميعَ وسائلِ الفَهم والتَّلَقي، فلم تَعُدْ تُؤدِّي وظيفتَهَا الحقيقيَّةِ التي خُلِقَت لأجْلِها، [فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ]البقرة:18. فهُم ماضُون في غيّهم وضَلالِهم إلى أقصَى حَدٍّ يَقدِرُون عليه .. لا يَرجعُون عن ضلالِهم مهمَا بان لهم الحقُّ، ونزلَت فيهم القوارِعُ والعقُوبَات الإلهيَّة .. والسَّبب أن وسائلَ التَّلَقِّي الآنِفَة الذِّكْرِ عندهم معطُوبةٌ، لم تَعُدْ تُؤدِّي وظيفَتَها المنُوطَة بها!

* * * * *

واللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ

15- [واللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ]البقرة:19. محيطٌ بهم عِلماً، وقدرَةً؛ لا يَخْفَى عليه شيءٌ مِن حالِهم، ومكرِهِم، ولا شيءٌ مِن أعمَالِهم، مَا يُظهرونَه، ومَا يُخفُونَه .. ولَا يُعْجِزُونَه في شَيءٍ إذَا ما أرادَ بِهم شَيئاً.

* * * * *

إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

16- [إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]البقرة:20. على مَا يَشَاءُ قَدِير، وهو ـ مهْمَا تَعاظَمَ أمرُه ـ عليه هَيِّنٌ، لا يَمتَنِعُ عَليهِ شَيءٌ مِن خَلْقِه، أو يُرِيدُهُ في خَلْقِه.

17- [إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]البقرة:20. أعجَبُ لامرِئٍ يُصابُ باليأسِ والقُنُوطِ وهُو يَعلَمُ أنَّ له رَبّاً لا يُعجِزُه شَيء .. ولا يَعْظُمُ عليه شَيء .. ولا يَكْبُرُ عليه شيء .. ولا يَعلُو عليه شيء .. ومَهما كان الأَمْرُ صَعْباً وشَدِيداً وكَبِيراً ومُسْتَحِيلاً، فهو عليه هَيِّنٌ وسَهْلٌ .. وهو على كُلِّ شَيءٍ قَدِير!

* * * * *

فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

18- [فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً]؛ شُرَكاءَ للهِ في صِفَةٍ مِن صِفاتِه، وخاصِيَّةٍ مِن خصُوصيَّاته، تَعبدونَهم مِن دُونِ الله، ليسَ فِيهم مِن الخصائِصِ والصِّفاتِ مَا يؤهِّلُهم لأن يكونُوا أكفَاءً وأندَاداً للهِ، [وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:22. أنَّ هؤلاءِ الذين اتخذتموهُم أندَاداً مخلوقُون مَربُوبُون للهِ، اللهُ خَلقَهم، وأوجَدَهم، وأنْشَأهُم .. وهم لَا يَستطيعون أن يخلُقُوا شَيئاً .. ولَا أن يجلبُوا لكم نفْعَاً، ولا أن يَدفَعُوا عنكم ضرّاً إلَّا مَا شَاءَ اللهُ .. فكَيفَ تجعَلُون الضَّعيفَ العاجِزَ المخلوقَ، مَن لَا يَقْدِرُ على أنْ يخلُقَ شَيئاً، نِدّاً وشَريكاً لمن يخلُق، والوجُودُ كُلّه مِن مُلكِه وخَلْقِه .. وهو على كُلِّ شيءٍ قَدير؟!

19- [فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:22. تأملتُ كلمةَ " ندّ " في القرآنِ الكريم، فلمْ ترِدْ إلا بصيغةِ الجمْعِ " أندَاداً "؛ لأنَّ الأندادَ الذين يزعمُون لأنفُسِهم - أو تُنسَب إليهم - صِفَات، وخصائص الربوبيَّة، والألوهيَّة هم - عبر جميع الأزمنةِ من حيث النَّوعِ والكَم - كُثُر جداً، قد يتعَدَّى عدَدُهم المئات، ولربما الآلاف .. وهذا العدَد يتكاثَرُ ويتَضخَّم معَ فشُو الجهْلِ، والشِّرْكِ بين الناسِ .. وكلما ابتعَدَ الناسُ عن عَقيدَةِ التوحِيدِ!

20- [فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:22. [فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً]؛ شُركاءَ معَ اللهِ؛ تُشركونَهم معَ اللهِ تعالى في المشيئَةِ والإرادَةِ، فتجْعلُون لهم مَشيئةً كمشيئةِ اللهِ، وإرادةً كإرادَةِ اللهِ .. مَشيئتُهم وإرادَتُهم في الكونِ والحياةِ تمضِي مِن دُونِ إرادَةِ وإذْنِ اللهِ. [فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً]؛ في الصِّفَاتِ؛ فتجعلُون لهم مِن الصِّفَاتِ والخصائص مَا هي مِن صَفاتِ وخصَائصِ اللهِ تعالى وحْدَه. [فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً]؛ في العِبادَةِ؛ فتجعلُون له شُركاءَ تَعبدونَهم مِن دُونِ اللهِ، وتَصرِفُون لهم مِن العِبادَةِ مَا هو حَقٌّ خالِصٌ للهِ تعالى وحدَه .. فكلمةُ " الأنْدَاد " تعني وتَشملُ جميعَ المعاني الآنفَةِ الذِّكرِ أعلاه .. وأكثرُ الشِّركِ الحاصِل والمنتَشر بين الناسِ يأتي من جهَةِ تَشبيهِ المخلُوقِ بالخالِقِ، وليسَ من جهةِ تَشبيه الخالِق بالمخلُوق.

* * * * *

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ

21- [وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ]البقرة:23-24. هَذَا تحدٍّ مِن اللهِ .. لَا يَقْدرُ عليه

إلا اللهُ .. لجميع المُكذّبين مِن النَّاسِ، لكلِّ مَن عنده شَكٌّ بأنَّ القرآنَ الكريم ليسَ كلامَ اللهِ .. عبر جميع الأزمنَةِ، منذُ أن بعثَ اللهُ نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم .. وإلى يومِنَا هذا .. وإلى يومِ القِيامَةِ .. فليجتمع البُلَغَاءُ، والمتكلّمون، والشُّعراءُ مِن الكافِرين الشَّاكّين، ويكونُ بعضُهم لبعضٍ ظِهْرِيّاً وأولياءَ .. ثم يَنظرُون، هل يَستطيعُون أن يُؤلّفُوا سورةً واحِدةً فقط مِن مِثلِ سُورِ القُرآنِ الكريم .. فإذا كانُوا لَا، ولَن يَستطيعُوا أن يُؤلّفُوا سورةً واحدة مِن مِثلِ سُورِ القُرآنِ الكريم، ولو كانَت مِن قُصَار السُّور .. عليهم أن يُسَلّمُوا أنَّ القُرآنَ الكريم هو كلامُ اللهِ تعالى، أنزَلَهُ اللهُ على قلبِ نبيِّه محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم .. وأنه ليسَ مِن كَلامِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ولَا مِن كلَامِ غَيرِه .. وأن يتوقَّفُوا عن الشَّكِّ والتَّشكِيكِ .. ويؤمنُوا أنَّ القرآنَ حَقٌّ، وأنَّهُ كلامُ اللهِ، ويتَّقوا النارَ التي وقودُهَا وحطَبُها من الحجارَةِ والنَّاسِ الكافِرين المشْرِكين .. وأن لَا يكونُوا مِن جملَةِ حَطَبِها ووقُودِها!

* * * * *

وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ

22- [وَلَهُمْ]؛ للمؤمنين الذين عَمِلُوا الصَّالحاتِ، [فِيهَا]؛ في الجنَّة، [أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ]البقرة:25. مُطَهَّرة مِن كلِّ عَيْبٍ ونَقْصٍ، في الخَلْقِ والخُلُقِ.

* * * * *

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ

23- [كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]البقرة:28. سؤالٌ يُفيدُ التعجُّبَ، والتوبيخَ، والتَّقريعَ .. إذْ كيفَ للكافِرين أن يَرضَوا لأنفُسِهم الكفرَ باللهِ، وباليومِ الآخِرِ .. ألم يتفكَّروا بطريقةِ وجُودِهم وخَلْقِهم؛ أين كانُوا، وإلى أينَ صَارُوا، ويَصيرُون .. أينَ عقولُهم مِن ذلك .. كانوا أمواتاً؛ لا شَيءَ؛ نُطفاً

لَا حياةَ ولا روحُ فيها .. وقبل ذلك كانُوا تُراباً؛ لا روحَ ولا حياةَ، فأحياهُم اللهُ تعَالى، فكانُوا بعدَ أن لم يكونُوا .. ثم يميتُهم ميتَتهم الثانيةِ .. ثم بعدَ ذلك يُحييهم ويَبعثهم مِن قبُورهم، ويُرجِعُهم إليه، للمثولِ بين يدَيه للحسَابِ .. فإنْ كانُوا يَشكُّون بالميتَةِ الثانيةِ، وإحيائِهم بعدَها .. فهل يَشكُّون بميتَتهم الأولَى، وإحيائِهم بعدَها في الحياةِ الدنيا .. ومَن كان قادراً على إحيائِهم بعدَ ميتَتِهم الأُولى، لَا شَكَّ أنه قادرٌ على إحيائِهم بعد مِيتتهم الثانيةِ .. أفلَا يَعقِلُون؟!

* * * * *

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً

24- [وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً]البقرة:30. يُستَخْلَفُ على أمْرِ اللهِ، ويُنظَرُ هل سَيَعمُرُ الأرضَ وفْقَ أمْرِ اللهِ وشَرْعِه، أمْ لا .. وقَولُ البَعضِ أن " خَلِيفَةً "؛ تعني مَن ينوب عن اللهِ، ويَخلُفُه في الأرض .. قَولٌ بعيدٌ عنِ الصَّوَاب .. أنَّى للمخلُوقِ الضَّعيفِ والجَّاهِلِ، ذي القُدرَات المحدُودَةِ، أن يكونَ نائباً عن الخَالقِ سُبحانه وتَعالى، الذي له الأسْماء الحُسْنَى، والصِّفات العُلْيَا .. ويُقالُ كذلك: أنَّ الخليفةَ الذي يَنوبُ عمَّن استخلَفَهُ، لا يكونُ خَليفةً إلا في حالِ غِيابِ مَن استخلَفَهُ .. وهذا مَعنى لا يجوزُ، ولا يَليقُ أن نصرفَهُ للهِ عزَّ وجَل!

* * * * *

سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

25- [قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ]البقرة:32. أن تعتَرِفَ ـ إذا ما سُئلتَ عن مسألةٍ ـ إذا كنتَ لا تَعْلمُ، بأنَّك لا تَعلَمُ .. خَيرٌ ألفَ مرَّةٍ

مِن أن تُجيبَ عمَّا لا تعلمُ، بما لا تَعْلَمُ .. فتَضِلَّ، وتُضِلَّ .. وتَتَشبَّع بما لم تُعْطَ .. يكفيكَ قدوةً تَقتدي بهم في ذلك مَلائكة الله.

26- [قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ]البقرة:32.

مِن أسماءِ اللهِ الحُسْنَى " الحَكِيم "؛ الذي له الحِكْمَةُ المطْلَقَة، والتي مِن مُقتضَاهَا أن جميعَ مَا يَصدرُ عنه سُبحانه مِن أفعَالٍ وأحكَامٍ يتَّسمُ بكمالِ الإحْكَامِ والإتقَانِ، الذي لا يَعتريه أدنَى خَلَلٍ أو نَقْصٍ .. وهذا مِن لوَازِمِه أن يُسَلِّمَ الإنسانُ لحكمَةِ خالِقِه فِيما لم يُدركْه مِن الحِكَم .. ويَعلم أنَّ حِكمةَ اللهِ فِيما قَدَّرَهُ وشَاءَهُ في خَلْقِه كلها خَيرٌ مَا عَلِمنَا مِنها ومَا لم نَعْلَم .. فإن فاتَك الحِكمَةُ مِن موجُودٍ مِن الموجُودَات، أو حَدَثٍ مِن الأحْدَاثِ ـ ولَا شَكَّ أنَّه سيفُوتُك الكَثير ـ فَسَلِّم لحكمَةِ واجِدِ الوجُود، وخَالِقِ الخلْق.

* * * * *

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ

27- [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ]البقرة:34. لم يكُنْ كفْرُ إبليس مِن جهَةِ الجحودِ، والإنكَارِ .. وإنما كان مِن جهةِ الكِبْرِ، رَدُّ الحقِّ، وعدمُ الانصيَاعِ له، والامتنَاعُ عن تَنفيذِه .. واحْتِقَارُ الخلْقِ، والاستِعْلاءُ عليهم؛ حَيثُ كان يرَى نفسَه خَيراً مِن آدَم .. وأن جِنْسَه النَّارِي خيرٌ مِن جِنسِ آدَم الطِّينِي .. وبالتَّالي كيفَ يَسجدُ الفاضِلُ للمفضُولِ .. فكفَرَ بسببِ ذلك .. وأصبحَ رئيسَ الكافِرين على مدَار الأزمَانِ، وإلى قيامِ السَّاعَةِ .. وفي ذلك تحذيرٌ شَديدٌ مِن الكِبْرِ ـ مهمَا كان ضَئيلاً ـ ومن التَّخَلُّقِ به .. ومِن عواقِبِه ومآلاتِه .. وفي الحديث:" لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ "مسلم. فكيفَ بالذي يمتلئُ قلبُه بالكِبْرِ ...؟!

* * * * *

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

28- [وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ]البقرة:36. من ذلك الوقت الذي أمرَ اللهُ فيه آدمَ عليه السلام، وإبليسَ اللّعين، بالهبُوطِ إلى الأرضِ .. بَدَأت العَداوةُ .. وبَدَأ الصِّراعُ والتَّدافعُ بين قِوَى الخيرِ وقِوى الشَّرِّ .. بين قِوَى الحقِّ وقِوَى الباطِل .. هذا الصِّراعُ مستمرٌّ ـ شئنا أم أبينا ـ استمرارَ الحياةِ على هذهِ الأرض .. واستمرارَ وجود الخيرِ والشَّرِّ .. وإلى أن تقومَ السَّاعَة.

والذين يُحاولُون ـ من خِلال مؤتمراتِهم، ومُؤامَراتِهم ـ أن يُوقِفُوا هذا الصِّراعَ، أو يُلغُوه، تحت عنوانِ وزَعْمِ إبطالِ فِكرَةِ صِراعِ الحضَارَات .. فإنَّهم واهِمون، يُحاولُون عَبَثاً .. ثم أنَّهم يُصادِمُون الواقعَ المُعَايَشَ والمُشَاهَد، الماضِي مِنه، والحاضِرُ الذي يَعيشُه الإنسانُ في هذهِ الأرض!

* * * * *

إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

29- [إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ]البقرة:37. صِيغَةُ مُبالَغة، كثير وعظيمُ التَّوبِ على مَن تَابَ .. مهمَا عَظُمَ الذَّنْبُ .. وكَثُرَت الذُّنُوب .. وكَثُر عدَد المذْنبين .. فاللهُ تعالى أعظَمُ، وأعْلَى، وأكثَرُ تَوبَةً .. ومِن عَظيمِ تَوبَتِه أن بابَها يّظلُّ مفتوحاً على مَدارِ الوَقتِ أمامَ تَوبةِ العَبْدِ .. ولمن يُريدُ أن يَلجَهُ من التَّائبين .. لَا يُحيلُ بينَه وبينَ التَّوبةِ حَائِلٌ إلا الموت!

* * * * *

وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ

30- [وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ]؛ لو جَاءَ الباطِلُ سَائغاً، واضحاً، صَريحاً .. لاستهجَنَتْهُ النفوسُ، ورفضَتهُ .. لِذا يُشابُ، ويُزيّن ببعضِ الحقِّ ليرُوجَ أمرُهُ على النَّاسِ .. وهذا صَنيعُ أهلِ الكُفْرِ، والأهوَاءِ، الذين يُدْخِلُون كلاماً حَقّاً في كلامٍ باطِلٍ، ويكونُ مُرَادُهم الأسَاس الجانِب الباطِل من كلامِهم، ليصْعُبَ على الناسِ رَدُّ كلامِهم وباطلِهم، [وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ]؛ أي ولا تخفُوا الحَقَّ، ولا تَمَايُزَهُ عن البَاطِل، وبَراءتَه منه، ومفاصَلَتَه له، [وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:42. فيكونُ الوزرُ عليكم مُضَاعَفاً، والحجةُ عليكُم قائمةً؛ لأنَّكم ترتكبُون هَذا الوزْرِ العظيم عن سَابقِ عِلمٍ، وإصْرارٍ .. بخلافِ مَن يقَع بشيءٍ من ذلك عن جَهْلٍ، فهذا يُعَلَّم، وقد تكونُ له شُبهةُ عُذرٍ وتَأويلٍ!

* * * * *

وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ

31- [وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ]البقرة:43. صَلُّوا معَ المصَلّين، أُطْلِقَ الجزءُ لبيَانِ أهميَّته، وأُرِيدَ به الكُل.

* * * * *

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ

32- [أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ]؛ يَشملُ كلَّ مَن يَأمرُ بطاعةٍ ثمَّ هو لا يَأتيَها، وكلَّ مَن يَنهى عن مَعْصيةٍ ثم هو يأتِيَها .. وفي هذا السُّؤال التَّقْرِيعي التوبيخي أن أوْلَى الأنْفُسِ بالوعْظِ، والنُّصح، وحُسْنِ المتابعَةِ والمراقبَةِ، والتَّأديبِ، هي نَفْسُك التي بينَ جنبَيْكَ أوَلاً، فإن استقَامَت لك، وخَضَعَت، كانَ ذلك عوناً لكَ على نُصْح ووعْظِ الآخَرين .. فَلا تُعطِ لنفْسِك الأولويَّةَ في الإطْراءِ، وفي الدِّرْهمِ والدينارِ، بينما تُعطِي

الآخَرين الأولويَّةَ في النُّصح، والوعْظِ، والتَّعليمِ؟! [وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ]؛ أي تَفعلونَ ذلك وأنتم تَتلونَ كتابَ اللهِ المنزّل عليكُم الذي ينهاكُم عن هَذا الخُلقِ الشّنيع .. فهل التِّلاوةُ لمجرَّدِ التِّلاوَةِ، أم للتدَبُّرِ، والاتعاظِ، والعمَل؟! [أَفَلاَ تَعْقِلُونَ]البقرة:44. أفلا تَسْتَحُون مِن كتابِ اللهِ، ومِن كلامِ اللهِ الزَّاجِرِ عن هذا الخُلُق الرَّدِيء .. وتعلمون أن ما تفعلُونه لَا يَليقُ بِذَوِي العقُول السَّليمَةِ؟!

وهذه الآيَةُ وإن قِيلَت في اليهودِ الذين كانُوا يأمرُون النَّاسَ بالبرِّ ويَنسونَ أنفُسَهم، إلَا أنَّها تَشملُ كُلَّ مَن يتخلَّقُ بأخلاقِهم مِن المسلمين .. فليسَ لهم كلّ مُرَّةٍ، ولنا كُل حُلوَةٍ!

* * * * *

فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ

33- [وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ]؛ مِن بَنِي إسْرَائيل، [يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ]؛ إلهاً ومَعْبُوداً مِن دُونِ اللهِ، [فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ]؛ إلى خالِقِكُم من عبادةِ العِجْلِ الذي صَنعتمُوه مِن الحلي والذَّهَبِ بأيدِيكم .. ومِن علامَةِ صِدقِ تَوبتِكُم، [فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ]؛ طَهُوراً لكم .. وكَفَّارَةً لذَنْبِكم، وجرْمِ عبادَتِكم للعجْلِ .. فَقَتَلَ الذين لم يَعْبدُوا العِجلَ من الذين عَبَدُوا العِجلَ سَبعينَ ألفاً .. وكانوا قَد عبَدُوا العجلَ أربعينَ يَوماً؛ المدة التي ذهَبَ فيها موسى عليه السلام لمِيقَاتِ ربِّه .. [ذَلِكُمْ]؛ قتلُكُم لأنفُسِكم، [خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ]البقرة:54. لأنه سَببٌ في توبتِهِ عليكم .. عاقَبَهُم اللهُ هذا العِقابِ الشَّديد لِعِبَادَتِهم العِجْلَ أربَعين يوماً .. وفي زَمانِنَا ما أكثَرَ العُجُول التي تُعبَدُ من دُونِ الله .. وما أكثر الذين يَعبدُونَها من دُونِ اللهِ، ثم يَحْسَبُون أنَّهم يُحسِنُون صُنْعَاً .. وأنَّهم على خَيرٍ .. ومِنها مَن ظَلَّ النَّاسُ عَاكِفين على عبادَتِها وتعظِيمِها لأكثرِ مِن أربعينَ سَنَةٍ .. ولا يَزالُون

.. ثمَّ إذا نزَلَ بهم بلاءٌ يُطهرُهم اللهُ به مِن عبادَتِهم للعجلِ، ومما اقْتَرفَت أيديهم .. عسَى أن يَأوبُوا، ويتُوبُوا إلى ربِهم .. أسرَعُوا الشَّكْوى، والامتِعَاضَ، والاعتراضَ .. نَسألُ اللهَ تعالى السلامَةَ، والعفْوَ، والعَافِيَة.

* * * * *

وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

34- [وَمَا ظَلَمُونَا]؛ اللهُ تعالى أجَلُّ وأَعْلَى مِن أن يُنَالَ منهُ بشَيءٍ، [وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ]البقرة:57. ظَلمُوا أنفُسَهم؛ بركُوبِهم الشِّرْكَ، والمعَاصِي.

* * * * *

خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ

35- [خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ]البقرة:63. دِينُ اللهِ كلُّه حَقٌّ، وعِزَّةٌ، وقُوَّة، لَا يَقبلُ الهزلَ، والضَّعفَ، والتَّراخِي .. ولكي يُعطي عطَاءَه المرجُو لَا بُدَّ لمَن يَتلقَّاهُ أن يتلقَّاهُ بحقِّه، وحَقُّه أن يأخذَهُ بصِدقٍ، وقوَّةٍ، وجِدٍّ، وجِهادٍ، واجتهَادٍ، وهِمَّةٍ عاليةٍ، مِن غيرِ خَوفٍ، ولا تَردُّدٍ، ولا نجلٍ .. وأن يَرتفعَ إلى مستواه في العِزَّةِ، والقوَّةِ؛ ليقوَى على حملِه، وتحمُّلِ تَبِعاتِه.

* * * * *

قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ

36- [قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ]البقرة:67. أي مِنَ المسْتَهْزِئِين، وكُلُّ مَن اسْتَهْزَأَ بِالنَّاسِ، أو تَعَاطَى مَعَ مَسَائِلِ الدِّينِ عَلى وَجْهِ التَّنَدُّرِ، والهُزْءِ، فَهُو مِنَ الجَّاهِلِين.

* * * * *

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

37- [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ]البقرة :73. فتَرَوْنَ الحقَّ حَقَّاً فتَتَّبِعُونه، وتَرَوْنَ البَاطِلَ بَاطِلاً، فتَجْتَنِبُونَه.

* * * * *

فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ

38- كلُّ مَن يفتي بِفَتْوَى بخلافِ مُرادِ اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم؛ يَبتغي بها وجهَ النَّاسِ، وعَرَضَاً من الدُّنيا، له نصيبٌ وافِرٌ من قولِه تعالى:[فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ]البقرة:79.

39- [فَوَيْلٌ لهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ]؛ مِن كَذِبٍ، وزُورٍ [وَوَيْلٌ لهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ]البقرة:79. بسببِ مَا يَكتُبُون!

40- [فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ]؛ في زَمانِنَا لَا يَستطيعُ الكفَّارُ، والمنَافِقُون، وأهلُ الأهواءِ، والبِدَعِ الذين يُحْدِّثُون في دِينِ اللهِ ما ليسَ فِيه .. أن يقُولُوا عن كُتُبهم ومؤلفَاتِهم أنَّها مِن عندِ اللهِ؛ فالقُرآنُ الكريمُ لهم بالمرصَادِ، يُكَذِّبُهم، ويُبطِلُ زَعمَهُم .. ولكن يقُولُون عن كتُبهم المليئةِ بالبِدَعِ والخرَافاتِ، والأهوَاءِ، والكَذبِ على دينِ اللهِ: أنَّها تُوافِقُ مُرَادَ اللهِ، ومستَمِدَّةٌ مِن كتَابِ اللهِ، ومِن شَرعِ اللهِ المنزَّلِ، وهي ليسَت كذلك، وهم يَعلمُون أنَّها ليسَت كذلك .. يقولُون ذلك: لتُروجَ كتُبُهم على العوَامِّ مِن الناسِ، ومَن ليسَ له إطلاعٌ وعِلمٌ بكتَابِ اللهِ تعالى وسُنَّةِ رسولِه صلى اللهُ عليه وسلم .. و[لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً]؛ ولكي تُبَاعَ كُتُبهم، وتَنْفَقَ، ويكسَبُوا المالَ ببيعِها .. وبعضُهم يفعَلُ ذلك ليتودَّدَ بمَا يكتبُ إلى الطُّغاةِ الظَّالمين، طمَعَاً

بما عِندَهُم مِن عَطَاءٍ، [فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ]البقرة:79. وهؤلاء تكرَّرَ لهم الوعيدُ الأليمُ بالوَيلِ ثَلاثَ مَرَّات في آيةٍ واحدةٍ لبيانِ عِظَمِ وشنَاعَةِ ذَنبِهم وجُرمِهم .. والويلُ هو العذابُ الأليمُ في نَارِ جَهنَّمَ، وقِيل: هو وادٍ في جهنَّمَ يَهوِي فيهِ الكافِرُ أربعينَ خريفاً قبل أن يبلُغَ قَعْرَه .. مليءٌ بصَدِيدِ وقَيحِ أهلِ جهنَّمَ؛ مِنه يَشربُ هؤلاءِ الذين يَنسِبونَ للهِ كذِباً ما يكتبونَه بأيدِيهم!

* * * * *

وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً

41- [وَقُولُواْ لِلنَّاسِ]؛ كُلُّ النَّاسِ؛ كافِرِهم ومؤمنِهم، [حُسْناً]البقرة:83. أعلى درَجَاتِ الرُّقِي في الخِطابِ؛ الذي يجمعُ بين الحقِّ، والعدْلِ، والصِّدْقِ، والرِّفقِ، والأدَب .. وبخاصَّة في موضِعِ الدَّعوةِ إلى هذا الدِّين.

* * * * *

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ

42- [أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ]؛ هذا سُؤالٌ يُفيدُ الإنْكارَ والتَّقْريعَ، والوَعيدَ لكلِّ مَن يُبَعِّضُ الدِّينَ؛ فيأخُذُ مِن الدِّينِ ما يَهواه، ويَدع مِنه مَا لا يَهوَاه .. يأخُذُ مِنه مَا يُنَاسِبُه، ومَا يَلامِسُ مَصْلحَتَهُ الشَّخْصيَّة، ويَدَعُ مِنه مَا ليسَ له فيهِ مَصْلحَة، ولا يُنَاسِبُه .. يُؤمِنُ بقوانين الأحوَالِ الشَّخْصيَّة التي جاءَ بها الإسلامُ، ويكفرُ بالقوانين الجنائيَّةِ .. يَأخُذُ بالأمرِ بالمعروفِ، ويتركُ النَّهي عن المنْكَرِ .. يَأخذُ مِن الدِّينِ الحُبَّ في اللهِ، ويَترَكَ البُغضَ في اللهِ .. يأخذُ الولاءَ ويتركُ البراءَ .. يُؤمنُ بجهَادِ النَّفْسِ، ويتركُ جهادَ الأعداءِ .. يأخذُ مِن الدِّينِ الطقُوسَ والشَّعائرَ التي تتعلقُ بالسلوكِ الفَرْدِي، ويَترُكُ الدِّينَ ذِي العَلاقَة بالسياسَةِ، والدولَةِ، وسؤونِ الحُكمِ والحياةِ .. هؤلاءِ كلُّهم

مَعنيُّون مِن قولِه تعالى:[أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]؛ في الحيّاةِ الدُّنيا له الذّلُّ، والهوَانُ، والصَّغار، والعَيشُ الضَّنْكُ،[وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ]؛ يُفيدُ أنَّهم بفعلِهم الآنِفِ الذِّكرِ أعلاه كُفَّارٌ؛ إذْ لا يُرَدُّ إلى أشدِّ العَذَابِ إلا كافِرٌ، [وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ]البقرة:85. مِن تَبعيضِهم للدِّينِ؛ وأخذِهم ببعضِه، وتَركِهم لبَعْضِه الآخَر.

* * * * *

وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ

43- [وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ]البقرة:93. أُشْرِبُوا في قلُوبِهم حُبَّ عِبادَةِ العِجلِ، بسببِ كُفْرهم، وطُغيَانهم .. فتَشرَّبَت قُلوبُهم حُبَّ العِجْلِ، وحُبَّ عبادَتِه، حتَّى أصبَحوا لَا فكَاكَ لهم مِن حُبِّه، ومِن سُلطانِه على قلُوبِهم .. فهم مهما باعَدَت الأزمنَةُ والأمكنةُ بينهم وبينَ العِجْل؛ فإنَّهم يحنُّون لعبادَتِه، ولزمَنِ عبادَتهم لَه .. وهذه آيةٌ كما أنَّها تُحمَل على زَمانِها ومَكانِها، وعلى القومِ التي نزَلَت فِيهم .. فإنَّها أيضَاً تُحمَل على كلِّ مَن يحنُّ للشِّركِ، ولعبادَةِ العُجُولِ، والطَّواغِيت .. ومَا أكثَر صُورها في زَمانِنا المعَاصِر!

* * * * *

وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ

44- [وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ]البقرة:96. لسُوءِ طويَّتِهم، وأفعالِهم، وكثرةِ ذنوبِهم، وخشيتِهم مِن سُوءِ العاقِبةِ التي تَنتظرهُم، ولتَعَاطِيهم مع الدُّنيَا على أنَّها دَارُ قَرارٍ، واستقرَارٍ، ومتَاعٍ .. تَراهُم يحرصُون أشَدَّ الحرْصِ على حَيَاةٍ؛ أي حيَاةٍ؛ حيَاةُ ذلٍّ، وشَقاءٍ، وتيهٍ، ومرَض .. ليسَ مهمَّاً، المهم أن يَبقُوا أحياءً، وفي حيَاةٍ، وأن لا يتزحزَحُوا عن الحيَاةِ، ولو أن يعيشَ أحدُهم ألفَ سَنَةٍ مع أمراضِ وعِلَلِ الشيخُوخَةِ، وعذابَاتِها!

* * * * *

وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ

45- [وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ]البقرة:102. فيه أنَّ السِّحْرَ، وتعْلِيمَه، وتَعَلُّمَه كُفْرٌ .. وأنَّ السَّاحِرَ الذي يتَعَاطَى السِّحْرَ كافِرٌ، لاستعانَتِه بالشَّياطِين، وطاعَتِه لهم فِيما يُرِيدُونه من الكُفْرِ .. ولادِّعائِه عِلْمَ الغَيْبِ .. وأنَّه قادِرٌ على التَّأثِير في حَقيقَةِ الأشْياءِ وتَغييرِ صُورَتِها .. وأنَّهُ بالسِّحرِ يَضُرُّ ويَنْفَع!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا

46- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا]؛ حيثُ كان المؤمنُون يَسْتَخْدِمُون هذا المُصْطَلَح " رَاعِنَا "، في مُخاطبتِهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو من الرِّعايةِ والمرَاعاة .. لا حرجَ فيه .. لكن لَمَّا كان في لغةِ اليهودِ، يُمكن صَرفُهُ وتحريفُه إلى معنى خاطِئ " الرُّعونة "، وكانوا يُخاطِبُون النبيَّ صلى الله عليه وسلم بهذا المصطلح، على هذا القَصْدِ .. وفرحوا بأنَّهم كانوا يَشتمون النبيَّ صلى الله عليه وسلم سراً، فأصبحُوا يَشتمونَه عَلانيةً، ولا أحَدَ يَتَنبَّه لهم .. لكنّ الله تعالى لا يَخفى عليه شيءٌ، يَعلم ما في نفوسِهم، وما تُكنُّ صُدُورهم .. فأوحى إلى المؤمنين بأن لا يَستخدِمُوا هذه الكلمة " رَاعِنَا " في مخاطبتِهم للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأن يَحذَرُوا ويُعَاقِبُوا كُلَّ مَن يَسْتَخْدمها .. ثم دلَّهم على البديلِ عنها، وما هو خير منها، على كلمةٍ مُحْكَمَةٍ لا يُمكنُ التَّلاعبُ بها، ولا صَرفُهَا إلى معنى خاطِئ، [وَقُولُواْ انظُرْنَا]البقرة:104. أي انتَظِرْنا، وأمْهِلنَا، حتَّى نفهمَ، ونَحفظَ عنك .. ويُقاسُ على كلمةِ راعِنَا وانْظرْنا كل مُصطلحٍ مُعاصر مُحدَث حمّالُ أوجُهٍ ومَعَانٍ، يُمكنُ حَمله على معنى

صَائب، كما يُمكِنُ حمله على معنى خاطِئ .. أن نَجْتَنبه، ونتخَلَّى عن استخادمِه؛ حتى لا يُفهم خطابنا للناسِ خطأ، وحتى لا يَصِلُهم مُشَوَّشاً .. ونَستبدلُه بالمصطلَح المُحْكَم الذي لا يحتملُ إلا معنَى صَائباً وحَقّاً .. مثال ذلك: مُصطلحُ " الديمقراطية "، فنَسْتبدلُه بمصطلح مُحْكَم - للتَّعبيرِ عن المرادِ، لا يُمكنُ صَرفه إلى معنى خاطِئ - " الشُّورَى ". والأمثلةُ والمصطلحات التي تحتاجُ إلى ضَبْطٍ ومُراجَعَةٍ أكثَرُ مِن أن تُحصَر في هذا الموضع .. فالمؤمنون يَنبغي أن يَتَمَايَزُوا عن الكافرين حتى في مفاهيمِهم، ومُصْطلَحَاتِهم!

* * * * *

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

47- [أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]البقرة:106-107. كل من استكثرَ شيئاً، واستَصْعَبَه، مِمَّا كانَ، ومِمَّا يكونُ، ومِمَّا سيكُون .. يُقالُ له:[أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]؟! وكلُّ مَن غابَت عنه الحِكمةُ مِن شَيء قَدَّرَهُ اللهُ، أو سَألَ عن الحكمةِ مِن شيءٍ قَدَّرهُ اللهِ .. يُقال له:[أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]؟! ومَن كانَ له مُلْكُ السَّماواتِ والأرضِ، له أن يفعلَ في خَلْقِه، وفِيما يملكُ مَا يَشاءُ، سَواءٌ فَهمتَ الحِكمةَ مِن فعلِه، وفِيمَا قَدَّرَه .. أَمْ لَمْ تَفهَمْ .. فليسَ للمملُوكِ أن يسألَ الملِكَ المالِكَ عمَّا يَفعلُ في خَلقِه ومُلْكِه، أو لماذَا فعَلَ، ولماذَا لم يَفعَلْ ...؟!

* * * * *

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً

48- [وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ]؛ اليهودُ، والنَّصارَى، [لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً]؛ إلى أيِّ مِلَّةٍ مِن مِلَلِ الكُفْرِ، سوَاءٌ إلى مِلَّتِهم ودِينِهم، أو أيِّ مِلَّةٍ مِن

مِلَلِ الكُفرِ الأخْرَى .. المهم عندَهم أن تكفرُوا، وأن تَرتَدُّوا عن الإيمانِ باللهِ، وبدينِهِ الإسْلام، وبرسولِهِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم إلى أيِّ مِلَّةٍ أخرَى مِن مِلَلِ الكُفْرِ والإلحادِ .. وتُصبحُون معهم سَواء في الكفْرِ والشِّرْكِ .. هذا التمنِّي، وهذه الرِّغبَةُ الجامحَةُ في أن يَردُّوا المسلمينَ عن دِينِهم إلى الكُفرِ، يُنفِقُون في سَبيلِها الأموالَ الطائلَةِ .. ويُسَخِّرُون لها جميعَ ما يملكُون من الطَّاقاتِ والوسَائلِ .. يجسِّدُون هذا التَّمني أحياناً بالتَّرغيبِ، وبالترويجِ للحداثَةِ، والليبراليَّةِ، وبمطالِبِ التَّحرُّرِ والانفلاتِ مِن قِيودِ الدِّينِ .. وتَقبيحِ كُلِّ ما يتَعَارَضُ معَ هذَا التوجُّه المتميِّعِ المتفلِّتِ من قيودِ القِيَمِ والدِّين .. وأحياناً بالتَّرهيبِ، والبطْشِ، والتَّعذيبِ، والحِصَارَات .. لا يحملُهم هذا التَّمني وهذا الحِرصُ على أن تَرتَدُوا عن دِينِكم رغبةً مِنهم بالخيرِ لكم، لَا؛ بَل [حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم]؛ ما يحملُهم على هذا البَغْي والكَيدِ سوى الحسَد، مِن تِلقَاءِ أنفُسِهم، وما تُضْمرُه مِن حِقدٍ وحسَدٍ وسُوءٍ .. والرِّغْبة الجامحَة في أن تزولَ عنكم نعمةَ الإيمانِ؛ الإيمانُ الذي هداكم اللهُ إليه ـ بينمَا هم ضَلُّوه، وجحدُوه، ونبذُوه ـ ونعمَةَ التَّوحيدِ، وعبادَةِ اللهِ، بينما هم يَعبدُون أهواءَهم، وشَهواتهم، والطاغُوتَ، والشيطانَ، [مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ]البقرة:109. يَفعلُون هذا الحسَدَ، وهذا الكَيدَ، والكفرَ، ليسَ عن جَهْلٍ .. لَا؛ بَل يَفعلُون ذلك عن عِلمٍ، وبعد أن تيقَّنوا وعَلِمُوا أن الإسلامَ حقٌّ .. وأن محمداً رسولُ الله؛ والإيمانَ به حقٌّ وواجِبٌ .. وهو مكتوبٌ عِندهُم في التوراةِ والإنجيلِ!

* * * * *

قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

49- [قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ]البقرة:111. أي هاتُوا دليلَكُم مِن كتَابِ الله تعالى، ومِن سُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، فِيما تُقررونَه مِن مَذَاهِب،

ومَسائل، وأقوَالٍ .. فالحُجَّةُ القَاطِعَةُ للأَعْذَارِ، والحَاسِمَة للخِلافِ: قالَ اللهُ، قالَ رسولُ اللهِ .. وأيُّما دَليل مخَالِف لكتَابِ اللهِ تعالى، ولسنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم؛ فهو ليسَ بُرهَاناً مُعتَبراً .. وهو دليلٌ باطِلٌ ومَرْدُود.

* * * * *

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا

50- [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ...]البقرة:114. مِن صُوَرِ المَنْعِ؛ المنعُ مِن أن تُقام حَلقاتُ الفِقْهِ والعِلمِ في المسَاجِد .. وأن تَقْتَصِرْ فقَطْ على الصَّلاةِ .. يَشترِكُ في هذا الوِزْرِ طُغَاةُ الحُكْمِ والظُّلْمِ .. والمشَايخُ القَائمون على إدَارَةِ تلك المسَاجِدِ؛ الذين يحملُهم التَّعَصُّبُ لانتماءاتِهم الحِزبيَّةِ، والمذْهَبيَّةِ، والقِطْرِيَّةِ على احتِكَارِ المساجِدِ لأنْفُسِهم، ومَنعِ غيرِهم مِن الدُّعاةِ والعُلماءِ مِن أن يَستخْدِمُوا تِلكَ المسَاجِد في الدَّعوةِ إلى اللهِ، أو أن يُقِيمُوا فِيها أيَّ نشَاطٍ دَعَوي وعِلْمِي ...!

وممَّن يَدخلُون في هذا الظُّلمِ الأكبَرِ، اليهودُ في فلسطِين؛ الذين يمنعون المسلمين مِن الصَّلاةِ في المسجِدِ الأقصَى، ويَشتدُّ أذَاهُم ومنعُهم للمسلمين ـ حَسَداً مِن عندِ أنفسِهم ـ في شهرِ رمضان المبارَك مِن كُلِّ سَنَة .. وبخاصَّة في لَيلَةِ القَدْرِ .. يُغيظُهم مَا يَرون مِن إقبَالٍ واسعٍ للمسلمين على العِبادَةِ في هذا الشَّهرِ المبارَك!

ومِن صور الخَرَابِ للمسَاجِدِ، مَا نَشهدُه في زمَانِنا من تدميرٍ متعمَّدٍ لمئاتِ المساجِدِ في سوريا على يَدِ العصابةِ النصيريَّةِ الأسديَّةِ الحاكمةِ .. ظُلمٌ فوقَ ظُلمٍ، يَعلو بعضُه بَعضَاً!

* * * * *

يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ

51- [يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ]البقرة :121. حَقُّ التِّلاوَةِ، هي التِّلاوَةُ التي تَجْمَعُ بينَ حُسْنِ الأدَاءِ، وحُسْنِ الفَهْمِ والتَّدَبُّرِ، وحُسْنِ العَمَلِ.

* * * * *

قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً

52- [وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ]؛ فلمَّا أتمَّهُن، ونفَّذَ جميعَ مَا أُمِرَ به، ونجحَ فِيما اختبَرَهُ بِهِ ربُّه، وكان مِن أشَدِّ ما اختبَرَه به أن يَذبَحَ ولدَه الوحِيد اسماعِيل، لَمَّا بلَغَ من العُمرِ مَبلغاً يَسعى معَهُ في خِدمَتِه .. ويَا لَهُ من اختبَارٍ شَدِيدٍ .. لم يُختبَر به في الأرضِ كلِّها، وإلى يومِ القيامَةِ إلا رَجلٌ واحِدٌ، وهو نبيُّ اللهِ إبراهيم عليه السَّلام، [قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً]البقرة:124. إمَاماً في الدِّينِ والتَّوحِيدِ، وقُدوَةً للناسِ أجمَعِين .. فالمِنَحُ تَأتِي بَعدَ المِحَنِ، والصَّبرِ عليها .. وهي سنَّةٌ مِن سُنَنِ اللهِ تعالى في خَلْقِه؛ أنَّ الإمَامَةَ في الدِّينِ لا تُمنَحُ إلَّا لِمَن كانَت له سَابقَةُ اختبارَاتٍ وبَلاءاتٍ في اللهِ .. فصَبرَ عليها، ونجَحَ فِيمَا قَد اخْتُبِرَ به .. وأيُّما رَجُلٍ تَرونَه يتوسَّدُ مَنْصِبَ الإمَامَةِ في الدِّينِ مِن غَيرِ بَلاءٍ في اللهِ .. ولَا صَبْرٍ على البَلاءِ .. فاعلمُوا أنَّه ليسَ على شَيءٍ!

53- [وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ]؛ فلمَّا نجَحَ في اختِبَارِ البَلاءِ، [قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً]البقرة:124. جَاءَتْهُ المِنَحُ، وتحقَّقَ له الاصطِفَاء!

* * * * *

قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ

54- [قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ]البقرة:124. ابتدَاءً لا يجوزُ أن يُولَّى ولايةً عامَّةً على المسلمين ظالمٌ بَيِّن الظُّلم، مجرُوحُ

العَدَالةِ .. فالكافرُ من بابِ أوْلَى .. لكن إن قَهرَ المسلمُ الظَّالمُ على الولَايةِ والإمَامَةِ العَامَّةِ .. فهذا له تَفصِيلٌ؛ تُقَدَّرُ مصَالحُ عَزلِه ـ ولو بالقوَّةِ ـ ومَصَالحُ بقائِه في الحُكْمِ .. ويُعمَلُ بالرَّاجِحِ مِنهما.

* * * * *

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ

55- [وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ]؛ يَترُكُ مِلَّةَ إبراهِيمَ عليه السلام ويَذهبُ إلى غَيرِها من المِلَلِ الكُفْريَّةِ والشِّرْكيَّةِ .. ومِلَّةُ إبراهِيمَ عليه السلام؛ هي التَّوحِيدُ، والبرَاءَةُ مِن الشِّركِ، والمشركِين، [إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ]البقرة:130. لا يُقْدِمُ على هذا الترك والاستبدَالِ إلَّا السَّفيهُ؛ الذي لَا يَعرفُ مَصْلحتَه، ولا يُحسِنُ تقديرَ عوَاقِب ومآلَات أفعَالِه!

* * * * *

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

56- [إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]البقرة: 133. جميلٌ بالإنسانِ أن يتخذَ مِن نبيِّ اللهِ يَعقُوب عليه السلام مَثَلاً وقُدوةً؛ فيُوصِي بنِيه مِن بعْدِه إذا حضَرَه الموتُ، واشتدَّت علامَاتُه .. بأن يَعبُدُوا اللهَ تعالى وحدَه، ولا يُشرِكُوا به شَيئاً .. وبالتَّقْوَى، وإقَامِ الصَّلاةِ، وبما فيه صَلاحهم وعمَار آخِرَتِهم .. إذْ جرَت العَادَةُ وللأسَفِ عندَ كثيرٍ مِن النَّاسِ إذَا حَضَرَ أحدَهُم الموتُ أن يُوصِي بنِيه من بَعْدِه بأُمُورِ الدُّنْيا وزينَتِها .. هذا لفُلان، وهذا لعِلَّان .. ويفُوتُه أن يأمرَهُم ويُوصِيهم بأمرِ الآخِرَةِ، وبما فيه صَلاحهم ونجاتهم في الآخِرَةِ!

وقوله:[وَإِسْمَاعِيلَ]؛ إسماعيلُ لم يكُنْ مِن آبَاءِ يعقُوب عليه السلام .. وإنَّما كان عمَّهُ .. ولمَّا كانَ العمُ بمقامِ الأبِ، أُدْرِجَ اسمُه في قائمةِ الآبَاءِ، [آبَائِكَ].

* * * * *

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ

57- [تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ]البقرة:134. هذا التوجيهُ الربَّاني يُقَال لجميعِ الأجيالِ عبرَ جميعِ الأزْمنةِ والعصُورِ .. لا ينبغي للجيلِ الحاضِرِ أن يتصَدَّرَ مجالسَ القضَاءِ، ليُصدرَ الأحكامَ على الجيلِ والأجيالِ السَّابقَةِ .. ويتحرَّى دَقائِقَ المواقِفِ، والأحدَاثِ، وينشغِلَ - ويُشْغِلَ غيرَه - في إصدَارِ الأحكامِ عليها، وعلى أصحابِها .. على بُعدِ الشقَّةِ بينَه وبينَهم .. والتي قَد تُؤدّي إلى خِلافَاتٍ، وتفَرقٍ، وصِرَاعَاتٍ .. الجيلُ الحاضِرُ بغنى عَنها .. إذْ يكْفيه أن ينشغِلَ بإصْلاحِ نَفْسِه، وزمَانِه، ومكَانِه، ليكونَ قُدوةً حسنَةً لمن يأتي بعدَه .. وأن يأخذَ مِن ماضِيه لحاضِرِه، ومُستقبَلِه مَا ينفَعُه .. وليُسْلِم الأمانَةَ إلى مَن بعدَه كاملةً غير منقوصَةٍ .. واللهُ تعالى لن يسألَه عمَّا هو ليسَ مَسؤولاً عنه، وليسَ سَبَباً فِيه .. وعمَّا كانَ في الأمَمِ السَّالِفَةِ .. جلُّ الصِّرَاعَاتِ المعَاصِرَةِ بينَ المللِ، والفِرَقِ، والشُّعُوبِ مَرَدُّها إلى الغفْلةِ عَن هذا التَّوجِيهِ الرَّبَّاني الوارِدِ أعْلَاه!

* * * * *

قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا

58- [قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]البقرة:136. لَا يَصحُّ، ولَا يُقبَل إيمانٌ يفرِّقُ بين الإيمانِ اللهِ

وبينَ الإيمانِ برسُلِه .. يُفرِّقُ بينَ اللهِ، وبينَ دينِه، وشرعِه؛ فيؤمنون باللهِ، ويكفرون بشرعِه، ودينِه، وبأنبيائه، ورسُله .. فهذا النوعُ من الإيمانِ النَّاقِص؛ لا يُخرج صاحبَهُ مِن دَائرةِ الكُفْرِ والشركِ .. ولَا يُدخلُه في دائرةِ الإيمانِ الذي يُنجيه يومَ القِيامَة .. ومَا حملهم عليه سوى الرغبَة في التَّفلُّتِ مِن التَّكاليفِ الشرعيَّةِ التي جاءَت بها الرُّسُل مِن عِندِ ربِّهم.

* * * * *

فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ

59- [فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ]. خِطَابٌ لأهلِ المِلَلِ، والأدْيانِ جميعُها .. ولأهلِ البدَعِ والأهواءِ مِن أهلِ القِبلَةِ .. ولكلِّ مَن يَنشدُ الهِدايَةَ واتِّبَاعَ الحقِّ .. ويَنشدُ النَّجاةَ .. هذا هو الطَّريق، وبكلِّ وضُوحٍ .. هو مَا كان عليه النبيّ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم، وصحبُه الكِرَام مِن دِينٍ وإيمانٍ، ونَهْجٍ .. فإن آمَنتُم بمثلِ مَا آمَن بهِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وآمنَ به صَحبُه الكِرام .. فقد اهتديتُم إلى الحقِّ والإيمانِ الصَّحِيح .. وليسَ وراءَ ذلك إلا الضَّلال، والشِّقَاق، [وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ]البقرة:137. وفيه أنَّ الصَّحابةَ رضي اللهُ عنهم هم الأَعْلَمُ، وأنَّ فهمَهَم لنُصُوصِ التَّنزِيلِ هو الأسْلَمُ، والأَحْكَم.

* * * * *

قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ

60- [قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ]البقرة:140. في كلِّ قَضيَّةٍ يُعَارِضُ فيها الإنسانُ حُكمَ اللهِ الكَوْنِي، أو الشَّرعي .. ويخوضُ في الكُلِّيّاتِ وحَقِيقَةِ الوجُودِ، والغَايَةِ منه فِيما لا سُلطَانَ له بِه .. أو يُقَبِّحُ مَا حَسَّنه اللهُ .. أو يحسِّنُ مَا قَبَّحَهُ اللهُ .. أو يَردُّ حُكمَ اللهِ لأيِّ سَبَبٍ مِن الأسبَابِ .. أو يَلْتَمِسُ المصلحَةَ بخلافِ حُكمِ اللهِ .. يُقَال لهم:[أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ]؛ ولَمَّا كانَ الجوابُ معلوماً بالنَّقْلِ، والعَقْلِ، والفِطْرةِ بأنَّ الأعْلَمَ هو اللهُ سُبحانه

وتَعالى .. فإن العقْلَ، والأدَبَ يَقتضيانِ أنْ يَنصَاعَ مَن لا يَعلَمُ إلى حُكْمِ وشَرْعِ مَن يَعْلم، وإلى مَن هو الأعْلَم .. ويُسَلِّمُ له تَسْلِيماً.

* * * * *

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللهِ

61- [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللهِ]البقرة:140. كلُّ مَن شَهِدَ على حَقٍّ بأنَّه باطِلٌ، وعلى باطِلٍ بأنَّه حقٌّ، وعلى حَلالٍ بأنَّه حرَامٌ، وعلى حرامٍ بأنَّه حَلالٌ، وعلى ظالمٍ بأنه مظْلُومٌ، وعلى مَظلومٍ بأنه ظَالمٌ .. وعلى طاغُوتٍ كافرٍ بأنَّه مؤمنٌ، وعلى مُؤمنٍ بأنه كافِرٌ .. وكلُّ مَن وصَفَ شَيئاً بخلافِ وَصْفِ اللهِ لَه، وحكَمَ على شيءٍ بخلافِ حُكمِ اللهِ عليه، عن سَابقِ عِلْمٍ وإصْرَارٍ .. فهو [مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللهِ]، وهو من الظَّالمِين؛ بل لا أحَدَ أشَد منه ظُلماً!

* * * * *

فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا

62- [قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ]البقرة:144. أحياناً قَد تَشعرُ أنَّ اللهَ تَعالى قَد اختارَ لكَ شَيئاً .. وفي نفسِك رِغْبَة في غيرِه .. هو مُباحٌ ليسَ حرَاماً .. فالأدَبُ حِينئذٍ يَقتَضِي مِنكَ أن لا تَرفعَ يدَكَ بالدُّعاءِ تَسألُ اللهَ أن يُبدِّلَ اختيارَه لك، باختيارِكَ الذي تَرغبُه وتُريدُه .. إذْ يَكْفِي أن يَعلمَ اللهُ ذلك من نفْسِك .. عَسَاه سُبحانه أن يبدِّلَه إلى ما تُحب وتَرضَى .. ويُبارِكَ لكَ في اختيارِكَ الذي تُحبّه .. وهذا الذي حصَلَ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ كان يَتوجَّهُ في صَلاتِه، ومعه المسلمون ـ بأمرٍ من اللهِ تعالى ـ نحوَ بيتِ المقْدِس .. وظلَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يصلي نحوَ بيتِ المقدسِ سنَةً وأربعَةَ أشهرٍ .. وكان يحبُّ أن يتوجَّه في صلاتِه

نحو الكعبة بيت اللهِ الحرَامِ، قِبْلة أبي الأنبياءِ إبراهيم عليه السلام .. ومع ذلك تأدُّباً لم يَسأل النبيُّ صلى الله عليه وسلم ربَّهُ ذلك .. وإنما كان يكتفِي أن يُقَلِّبَ وجهَهُ ونظرَهُ في السَّماءِ .. يُكثِرُ مِن النظرِ في اتجاهاتٍ عِدَّةٍ من السَّماءِ .. عسَاهُ يَرَى جبريلَ عليه السلام يتنزلُ ومعَه آيةٌ من ربِّه يأذَنُ له فِيها أن يجعَلَ من بيتِ اللهِ الحرَامِ قِبْلَةً له وللمسلمين .. وهذا مِن جميلِ أدَبِه صلى الله عليه وسلم في دعائِه، ومُناجَاته لربِّه .. والنبيُّ صلى الله عليه وسلم هو خليلُ اللهِ .. واللهُ تعالى يعلمُ ما في نفْسِ خَلِيلِه وحبيبِه وإن لم يتكلّم، ويَسْأَل .. فأنزلَ اللهُ تعالى عليه:[قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ]البقرة:144.

* * * * *

وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ

63- [وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ]البقرة:144. تَنْسَى يَا ابنَ آدم مَا كان مِنك، واللهُ لا يَنسَى .. يُمْهِلُك اللهُ ـ حتَّى تظن أنَّك في مَأمَنٍ مِن انتِقَامِه ـ لكن لَا يُهْمِلُك .. تُخَطِّطُ، وتكِيد، وتتآمَرُ على دِينِ اللهِ في غُرَفٍ مغْلَقَة تحتَ الأرضِ، وفوقَ الأرضِ، بعيداً عن أعيُنِ الخلْقِ .. فتغفَلُ عنِ الرَّقِيبِ الحَسِيب، واللهُ لا يَغفَلُ عنك، وعمَّا كان ويكُونُ مِنك مِن عمَلٍ .. ثم أنَّك مهمَا تمادَيْتَ، وظَلَمتَ، وطَغَيت .. ومَهْمَا تخفَّيت وتوَارَيت .. وأينما ذهَبْتَ، وكُنْتَ .. فاللهُ تَعالى لك بالمرصَادِ، وهو مَعَك، محيطٌ بِك، وقَادِرٌ عَليك، وآتٍ بِك، لَا يَغفَلُ عَنك طَرفَةَ عَين!

* * * * *

وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

64- [الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ]البقرة:146. لا تكفي المعرفةُ لتحقيقِ الإيمانِ .. لا بدَّ معَ المعرفةِ مِن تَصْديقٍ، وانقيادٍ، ومتابَعةٍ، ليَتحقَّق بعد ذلك الإيمانُ .. فالكفارُ ـ وبخاصة أهل الكتاب ـ كانوا يَعلمون ويَعرفُون أن محمَّداً صلى الله عليه وسلم حَقٌّ .. وأنه رسولُ الله .. كما يَعرفون أبناءَهم، وأشَد .. وأنَّه مذكورٌ باسمِه وصفاتِه في التَّوراةِ والإنجيلِ .. لكن صَدَّتهم حُظوظُ النَّفسِ .. وصَدَّهم الكِبْرُ، والتَّعالي، والعنَادُ عن تَصديقِ الحقِّ ومتابَعتِه .. فكانُوا بذلك كافِرين .. ولو كانَت مجرَّد المعرفَةِ تنفعُ لنفَعَت إبليسَ اللَّعين!

65- [الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ]البقرة:146. اليهودُ يَعرفُون محمَّداً صلى الله عليه وسلم باسمِه وصِفَاتِه، وأنَّهُ رسُولُ اللهِ إلى النَّاسِ كافَّةً كما يَعرفُون أبناءَهم الذين من أصْلابِهم وأشَد .. ومعَ ذلك كَذَبُوا، وكَذَّبُوا، وكَتَمُوا المكتُوبَ عِندَهم في التوراةِ، حَسَداً مِن عندِ أنفُسِهم .. هذا الكَذِبُ والتَّكذِيبُ للحقِّ لم يَستطيعُوا أن ينفَكُّوا مِنه، فقَد صاحبَهم إلى يومِنَا هذا؛ فيكذِبُون على النَّاسِ، ويكذِبُون على ـ وعن ـ أهلِ فلسطين، وأهلِ غزّة بخاصَّة في جميع رواياتِهم عنهم، ليبرِّرُوا جرائمَهم، وعدوانَهم، وليَستملِكُوا ما ليسَ لهم بحقٍّ .. وكَذِبُهم هذَا ما هو إلَّا امتدادٌ لكذِبِهم الأوَّلِ على اللهِ، وعلى أنبيائِه ورُسُلِه .. فالذي يَكذِبُ على اللهِ، وعلى أبيائِه ورسُلِه، يَكذبُ على أهلِ غَزَّة، وأبطَالِها!

* * * * *

فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ

66- [فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ]البقرة:148. لَا تَدَعُوا غيرَكُم يَسبقُكُم في المبادَرَةِ إلى فِعْلِ الخَيرَاتِ .. فكُونُوا أنتم الأَسْرَع، والأَسْبَق إلى فِعلِ الخَيرَات .. قَبلَ أن تُوَدِّعَ، وتُغْلَق الأبوَابُ دُونَها .. فكَثيرٌ مِن الخيرَاتِ موسِمِيَّةٌ، وفُرَص ـ ومِنْها مَا قَدْ لا يَتَكَرَّر ـ مُرتَبِطةٌ بزمَانٍ ومَكانٍ سُرعَان ما تُودِّعُ وتَذْهَبُ، ممَّا يَسْتَدْعِي نَوعَ مُسَابَقَةٍ ومُسَارَعَةٍ لاغتنامِها قَبلَ فَواتِها.

67- [فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ]البقرة:148. سَابِقُوا إلى فِعْلِ الطَّاعَاتِ قَبلَ فوَاتِ وَقتِها .. وقَبلَ أن يُحَالَ بينَكم وبينَها بالموتِ أو بِسَبَبٍ قَاهِرٍ .. فمن الطَّاعَاتِ والخيرَاتِ شَرطُها أن تُؤَدَّى في وَقتِها، ولو خَرَجَ وقتُها لم تَعدْ تُقبَل.

* * * * *

أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً

68- [أَيْنَ مَا تَكُونُواْ]، في البرِّ أو البَحرِ .. أو في السَّماءِ .. وفي أيِّ بَلدٍ أو بُقعَةٍ مِن الأرضِ .. وأيِّ مخبأٍ ومَلْجَأ .. ولو كنتم في قُصورٍ مُشَيَّدَة، [يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً]؛ لا مَفرَّ، ولا مَلجأ، ولا مَنْجَا مِن اللهِ .. لا توجدُ بقعَةٌ ـ مهمَا صَغُرَت أو كبُرَت ـ في السَّماواتِ وفي الأرضِ خَارِجةٌ عن سُلطَانِ، وحُكمِ، ومُلكِ اللهِ .. فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجِعُون، فانظُرْ بما ترجعُ به إلى ربِّك، [إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]البقرة:148.

* * * * *

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

69- [فَاذْكُرُونِي]؛ باللسّانِ، والقَلْبِ، وبالجوارِح؛ بامتثالِ مَا أمرَ اللهُ به، وبانتهاءِ عَمَّا نَهى عنه .. اذكروني ذِكْرَ التَّأَمُّلِ، والتَّفَكُّرِ، والتَّدبُّرِ .. والنَّظَرِ في الآياتِ القُرآنيَّةِ

المقروءةِ، وفي الآياتِ الكونيَّةِ المرئيَّةِ في السماواتِ، والأرضِ، [أَذْكُرْكُمْ]؛ فالجزاءُ مِن جِنسِ العمَلِ، فكما تذكرونَ اللهَ، فاللهُ تعالى يُقابلُكم بِذِكْرٍ أحْسَن، وأكمَلٍ، وأجمَلٍ؛ فإن ذَكَرتُموه في أنْفُسِكُم، ذَكَرَكُم اللهُ في نفْسِه، وإن ذَكَرْتُموه في مَلأٍ، ذَكَرَكُم اللهُ في مَلأٍ خيرٍ مِنهم، [وَاشْكُرُواْ لِي]؛ اشكرُوا فضْلي ونِعَمِي السابِغَةِ عليكم؛ اشكرُوهَا باللسَّانِ، والقَلبِ، والعمَلِ، وبجميلِ الثنَاءِ على الله تعالى، يَزِدْكُم اللهُ مِن فَضْلِه ونَعَمِه .. والشُّكرُ كلمَا كانَ من جِنْسِ النِّعمَةِ كان أحْسَن، [وَلاَ تَكْفُرُونِ]البقرة:152. فضْلِي ونِعَمِي عليكم، فتُحْرَمُوهَا، وتَفْتَقِدُوها .. وكُفرَانُ النِّعَم يكونُ بعدَمِ شُكْرِهَا .. ورَدِّهَا للنفسِ مِن دونِ الله!

وفي الحديث القدسي:" يقولُ اللَّهُ تَعالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَأٍ خَيْرٍ منهمْ .."متفق عليه. الوَقْتُ الذي يَمْضِي مِن غَيرِ ذِكْرٍ للهِ؛ يَمْضِي بغَيرِ حَقِّه.

70- [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ]البقرة:152. إذَا وجَدْتَ في نَفْسِكَ نَشَاطاً لِذِكْرِ اللهِ؛ فاعلمْ أنَّ اللهَ تعالى يُريدُ أن يَذْكُرَكَ.

71- [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ]البقرة:152. على قَدْرِ مَا تَذْكُرُ اللهَ، يَذْكُرُكَ اللهُ.

72- [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ]البقرة:152. أَطِيعُونِي، أغْفِر لَكُم.

* * * * *

اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ

73- [اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ]البقرة:153. [اسْتَعِينُواْ]؛ على قضاء حوائجكم، والقيام بواجباتكم، وصرفِ ما أهمّكم وأغمّكم، ومواجهةِ المخاطِرِ والتحديات التي تواجهكم [بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ] . وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم " إذا حزَبَهُ أمرٌ صَلَّى "؛ أي إذا نزل به ما أهمّه وأغمّه فزِعَ إلى الصلاة. ومن ذلك أن فاطمة عليها السّلام، دخلت على رسولِ

اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهي تبكي، فقال: ما يُبكيكِ يا بُنَيَّةِ؟! قالت: يا أبتِ مالي لا أبكي، وهؤلاءِ الملأُ من قريشٍ في الحِجْرِ يتعاقدونَ باللَّاتِ والعُزَّى ومناةَ الثالثةَ الأخرى، لو قد رأوكَ لقاموا إليك فيقتلوكَ، وليس منهم إلا من عَرَفَ نصيبَهُ من دَمِكَ، فقال:" يا بُنَيَّةِ، ائتني بوُضُوءٍ ... "! يقول لها ذلك، وكأنه يقول لها: يا بُنَيَّةِ، ائتني بالسّلاح ...!

وكان صلى الله عليه وسلم يقول:" يا بلالُ، أقِمِ الصَّلاةَ؛ أرِحْنا بها "؛ أرِحْنا بها من نَصَبِ الدنيا، ومشاغِلها، وكدِرِها، وهمومِها. ويقول صلى الله عليه وسلم:" جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيني في الصلاةِ ".

فهل الصَّلاةُ بالنسبة لنا، هي كذلك .. أم هَمٌّ نُلقيهُ عن ظهُورِنا؟!

74- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ]؛ لأنَّ مَا بعدَ هذا الخِطابِ يَعني المؤمنين دُونَ غَيرِهم، ولا يَقدِرُ عليه إلا المؤمنُون، [اسْتَعِينُواْ]؛ على قضاءِ حوائِجِكُم، ودَفْعِ مَا أهَمَّكُم، [بِالصَّبْرِ]؛ الذي يَمدُّ صاحِبَهُ بالطَّاقةِ والقدرَةِ على التَّحمُّلِ، مِن غيرِ استعْجَالٍ، [وَالصَّلاَةِ]؛ التي تَصِلُ العَبدَ بخالِقِه، فتزيدُه إيماناً، ويَقيناً، وثَباتاً .. وقدْرَةً على تَحَمُّلِ الشَّدَائِدِ .. الصَّلاةُ التي من خِلالها يَرفع العَبدُ حاجَتَهُ، وما أهَمَّهُ، وأغَمَّه إلى اللهِ .. فالصَّلاةُ ـ وبخاصَّة مِنها السُّجُود ـ هي الموْعِدُ الأفْضَلُ للقَاءِ العَبدِ بربِّه، وهي اللِّقَاءُ الأمْثَلُ الذي فيه يَرفَعُ العَبدُ شَكْوَاهُ، وحَاجَتَهُ إلى رَبِّه، [إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]البقرة:153. ومَن كان اللهُ معَهُ فَلا خَوْفَ ولا ضَيْعَةَ عَليه.

75- [اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ]البقرة:153. قُدِّم الصبرُ على الصّلاةِ؛ لأنَّ الصّلاةَ، والمحافظَةَ عليها بواجِباتِها وشُروطِها، تحتَاجُ إلى صَبرٍ .. فالصَّبرُ بالنسبةِ للطَّاعاتِ كالوقُودِ بالنّسبَةِ للمحرِّكاتِ؛ لا حَرَكَةَ لها مِن غَيرِ وَقُود .. كذلك الطَّاعَات لا قِيامَ لها ولا وجُودَ مِن غَيرِ الصَّبرِ.

* * * * *

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ

76- البَلاءُ أنواعٌ، أشدُّها وَطْأً وأثَراً على الإنسانِ وحياتِه بلاءُ الخوفِ، لذا خُصَّ بالذِّكر أوّلاً في قولِه تعالى:[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ]البقرة:155. مفهوم المخالفة يقتضي أنّ أفضلَ نعمةٍ بعد نعمةِ الإيمانِ، نعمةُ الأمْنِ والأمَان.

77- [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ]البقرة:155. الخَوفُ من عَدوٍّ داهِمٍ، أو شَرٍّ قَادِمٍ .. هَذا الشَّرُّ قَد يَكُونُ مَصدَرُه كونيّاً؛ كالزَّلازلِ، والبراكينِ، والعَواصِفِ، والخَسْفِ، أو وبَاء، وغَيرها .. وخُصَّ بَلاءُ الخوْفِ بالذِّكْرِ أوّلاً لخطورتِه، وشِدَّتِه، وأثَرِهِ الكبير على حياةِ واستِقرارِ الناسِ، ولأنَّه سَببٌ لبلاءاتٍ أُخْرَى، وأنَّ كثيراً من البلاءاتِ الأخْرَى مُرتبطةٌ بهِ؛ كالجوعِ، والنَّقصِ في الأموالِ، والأنْفُسِ والثمرَاتِ، وغَيرِها .. ولتُعرَف قِيمةُ نِعمَةِ الأمْنِ فتُشْكَر .. فالمرءُ يَغلِبُ عليه ـ للإلفَةِ ـ الغَفْلَةُ عَن قِيمَةِ نِعمَةِ الأمنِ، فَلا يَشكرُهَا .. بَل يَكْفُرُها، ولا يَعُدُّهَا من جملَةِ النِّعَم .. فيَبتليهُ اللهُ بشَيءٍ من الخوفِ؛ ليَعْرفَ قِيمَةَ نِعمَةِ الأمْنِ، وليَشْكُرَ اللهَ على نِعمةِ الأمْنِ.

78- قوله تعالى:[بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ]؛ يُفِيدُ التَّبْعِيضَ؛ أي ببعضِ الخَوفِ، وليسَ كُلُّه، ولو كانَ البَلاءُ بالخوفِ كُلِّهِ؛ لأُصِيبَ الإنسانُ بالشَّلَلِ والعَجْزِ، ولتَعَطَّلَت جَميعُ مَصالحِه الدِّينِيَّةِ، والدنيَويَّةِ .. لِذا كانَ من فَضْلِ اللهِ تَعَالى ونِعَمِه على عِبادِه أن يَبتَلِيَهم بِبَعضِ الخوفِ الذي يتخلَّله ويُشارِكُه بَعضُ الأمْنِ، ليَقْتَاتُوا بِبَعضِ هذا الأمْنِ، ولتَسْتَمرَّ بهم ـ وبهذا البَعضِ من الأمْنِ ـ الحيَاة!

* * * * *

وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

79- [وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ]البقرة:155. بالظَّفْرِ، والأَجْرِ.

* * * * *

إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون

80- [الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ]البقرة:156. عِندَ المصَائِب يُشْرَعُ، ويُسْتَحْسَنُ الاسْتِرْجَاعُ؛ [إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ]، وعِندَ موردِ العُجْب، والانتِشَاءِ بالنِّعَم، ومواجَهَةِ الأعدَاء، يُشْرَعُ، ويُستَحسَنُ الحَوْقَلَة:" لَا حَولَ ولَا قُوَّة إلّا باللهِ "، وعِندَ موردِ الخوفِ، والظُّلمِ، والكَرْبِ، والشَّدَائدِ، وتكالُبِ الأعدَاءِ، يُشرَعُ ويَسْتَحسَنُ الحَسْبَلَة؛ " حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكِيل ".

81- إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .. هُناكَ الموعِدُ، وهناك المُلتَقَى؛ يومَ تَبيَضُّ وجوهٌ، وتَسوَدُّ وجُوهٌ .. يومَ تَتطايرُ القلوبُ مع تَطايرِ الصُّحُف؛ الدَّالّة على فوزِك أو رسُوبِك .. فيُقال لك: [اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً]الإسراء:14. لا يَغيبنَّ ذلك عن ذِهْنِك يا ابنَ آدَم، وأنتَ مُنغمسٌ في دُنياك، ومتَاعِهَا!

82- [إِنَّا لِلّهِ]؛ وَحْدَهُ، وليسَ لأحَدٍ سِوَاه، فنَحْنُ عَبِيدُه، ومِن مُلْكِه، وخَلْقِه، والمالِكُ لهُ الحَقُّ في التَّصَرُّف فِيما يَمْلِكُ ويَخْلِقُ ـ ابتلاءً وإنْعَامَاً ـ مِن دُونِ أدْنَى تَعْقِيبٍ أو اعتِرَاضٍ مِن المَمْلُوك، [وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ]البقرة:156. للوقُوفِ بين يَدَيه سُبحانَه للحِسَابِ؛ على مَا كانَ مِنَّا مِن عَمَلٍ؛ فمن عَمِلَ خيراً يجد خَيراً، وحُسْنَ مَآبٍ، ومَن عَمِلَ شَرّاً يجد شَرَّ مَآبٍ، ولا يَلُومَنَّ إلا نفْسَه.

* * * * *

وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

83- [وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً]؛ كلُّ خَيرٍ زائد عنِ الواجِباتِ؛ سَواءٌ كان هذا الخيرُ المتَطوَّعُ به في العِبادَاتِ، أَمْ في الصّدَقَاتِ، أَمْ في المعَامَلاتِ، أَمْ في الخدَمَاتِ، [فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ]؛ يَشْكُرُ هذَا الخَيرِ المتَطوَّعِ به، ويُكَافِئُ عليه العَطاءَ الكثيرِ في الدُّنيَا، والآخِرَةِ، [عَلِيمٌ]البقرة:158. بهذا الخَيرِ الذي تتطوَّعُون به .. فإن لم يعلمُه النَّاسُ، لا تتوقَّفُوا عن التَّطوعِ بالخيرِ .. يكفي أنَّ اللهَ يَعْلَمُه .. وهَذا يَستدعِي من المتَطوِّعين أن يحافِظُوا على صِدْقِ الإخْلاصِ، وسَلامَةِ النيَّةِ.

* * * * *

أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ

84- [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ]البقرة:159. هذه الآيةُ الكريمةُ وإن نزلَت في أهلِ الكتابِ الذين يكتمُون حقيقَةَ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم في التَّورَاةِ والإنجيلِ، وأنه نبيٌّ مُرسَلٌ يجبُ الإيمانُ به .. إلا أنَّها أيضاً تَشملُ علماءَ السُّوءِ مِن المسلمين الذين يكتمُون تَأويلَ التَّنزِيلِ، ومعانيَه، وأحكامَه ابتغاءَ عَرَضٍ مِن الدُّنْيَا .. أو تَقَرُّباً إلى طاغِيَةٍ متَسَلِّطٍ .. يكتمُون ـ رَهْبَةً أو رَغبةً ـ ما يجبُ بيانُه، والصَّدْعُ بِه، في زَمَانِه ومكانِه المنَاسِبَين .. أولئك الذين يَقعُون في هذا الوزْرِ العَظِيم،[يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ]؛ مِن الملائكةِ، والنَّاسِ، وجميعِ المخلُوقاتِ مِن الدَّوَابِ، والحيواناتِ، والنَّباتاتِ، التي تتأثَّرُ سَلْباً من كتمانِهم لما أنزَلَ اللهُ!

* * * * *

إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ

85- الخَطَأُ الخَاصُّ ـ وهو غَالِباً يكونُ متعلقاً بالشَّهواتِ ـ تُجزئة التوبَةُ الخاصَّةُ، وفي السِّر، بين العَبْدِ وربِّهِ .. بينما الخَطَأ العَامُّ، وعلى الملأ ـ وهو غَالِبَاً يكونُ مُتعَلِّقَاً بالشُّبُهاتِ ـ لا تُجزِئه إلا التوبَةُ العَامّة، وعلى الملأ، كما قال تعالى:[إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]البقرة:160.

86- [إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]البقرة:160. مَن كانَ خطأه عامَّاً ومَعروُضاً على النَّاسِ، ومِن جِهةِ الأهوَاءِ والشُّبُهاتِ .. لا يُؤمَنُ على النَّاسِ الوقُوع في شِباكِه، وشَرِّه .. لتوبتِه ثَلاثَة أركانٍ:

1- النَّدَمُ، والإقْلاعُ عن الذَّنْبِ، والعَزْمُ على عدَمِ العودَةِ إليه .. وهو المرادُ من قولِه تعالى:[تَابُواْ].

2- أن يُصْلحَ ما أفْسَدَ، ومَا تَرتَّبَ على قولِه، وشُبْهتِه مِن ضَرَرٍ وفسَادٍ في دِينِ النَّاسِ، وعقولِهم، ومَعَاشِهم .. وهو المُرادُ مِن قَولِه تَعالى:[وَأَصْلَحُواْ].

3- أن يُبيِّنَ أينَ أخطَأَ، وفِيمَا أخطَأَ، والصَّواب فِيما أخطَأَ فِيه .. وبِقَدْرٍ من التَّفْصِيلِ الذي يُزيلُ به اللبسَ عن النَّاسِ، الذي كان هو سَببُه .. وهو المرادُ مِن قولِه تعالى:[وَبَيَّنُواْ].

[فَأُوْلَئِكَ]، الذينَ تَجتمعُ في تَوبَتِهم الأركانُ الثَّلاثَةِ الآنِفَةِ الذِّكْرِ، [أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ].

أمَّا أنْ يقولَ: أخطَأْتُ .. ثمَّ يمْضِي .. ويَبقَى خطَأه مَنْشُوراً ومَعروُضَاً على النَّاسِ .. ومِن غيرِ إصْلاحٍ، ولا تَحديدٍ، ولا بيَانٍ لِمَا قَد أخْطَأَ فِيه .. فهذه تَوبَةٌ هي أقرَبُ إلى تَوبَةِ الزَّنَادِقَةِ الذين لا يَثْبُتُون على قَرَارٍ!

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ

87- [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ]البقرة:161-162. علَّقَ الوعيدَ الشَّديدَ، واللَّعنَ ـ وهو الطردُ مِن رحمةِ الله ـ على الخاتمةِ، والموَافَاةِ على الكُفْرِ .. أمَّا قبلَ الموافَاةِ على الكُفْرِ، لا يجوزُ لعنُهم ـ إلَّا مَن اشتدَّت أذيَّتُه، على تفصيلٍ مَعلُومٍ ـ ولا الحكمُ عليهم بالخلُودِ في النَّارِ، لاحتمَالِ هِدايتِهم، وإيمانِهم.

لَعْنُ مَن يَستحقُّ اللعنَ من الأَحياءِ، دعاءٌ يُفيدُ الطَّلَب، قَد يُستجَابُ، وقد لا يُستَجَاب .. ولَعْنُ مَن يَستحقُّ اللعنَ من الأموَاتِ، دعاءٌ يُفيدُ التَّحقِيقَ؛ وأن يَزيدَهم اللهُ تعالى من العَذاب .. والمسلمُ ليسَ بطعَّانٍ ولَا لَعَّانٍ.

* * * * *

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

88- [وَإِلَهُكُمْ]؛ معبُودُكم الذي تتألَّهُونَه، وتَعبدُونَه .. ويجبُ أن تَصرفُوا له العبادَةَ وحْدَه، [إِلَهٌ وَاحِدٌ]؛ مَألوهٌ ومَعْبودٌ واحِدٌ لا شريكَ له؛ واحِدٌ في ذاتِه، وواحِدٌ في أسمائِه الحُسْنَى، وصفاتِه العُلْيَا، لا نظيرَ، ولَا مَثيلَ، ولَا شَبيهَ لَه، [لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ]؛ لَا مَألُوهَ ولا مَعبُودَ بحقٍّ في الوجُودِ إلا اللهُ، الذي من أسمائِه الحُسْنَى وصِفَاتِه العُلْيَا، أنَّه [الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ]البقرة:163. بعبَادِه.

* * * * *

وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للهِ

89- [وَمِنَ النَّاسِ]؛ هم المشْرِكُون، [مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً]؛ شُركاءَ؛ يَصرِفُون لهم العِبادَةَ، ويَصِفُونَهم بصفاتٍ هي مِن صِفاتِ وخَصَائصِ اللهِ تَعالى وحْدَه، مِن ذلك أَنَّهم [يُحِبُّونَهُمْ]؛ يُحِبُّون هؤلاءِ الأندادِ لِذَوَاتِهم؛ فيُحِبُّون ويَبغَضُون، ويُوالُون ويُعَادُون، ويُعطُون ويَمنَعُون فِيهم، ولَهم؛ فَمَن وَالَى هَؤلاءِ الشُّركاءِ والأَنْدَادِ والَوْهُ ووصَلُوه، ومَنْ عَادَاهم عَادَوْهُ وقَطَعُوه، بعيداً عن مِعْيارِ الحقِّ والبَاطلِ، والعَدْلِ والظُّلْمِ، وهذهِ محبَّةُ شِرْكٍ، [كَحُبِّ اللهِ]؛ كما يَنبغي ويجِب أنْ يُحَبَّ اللهُ؛ فهذا الحبُّ الذي يَصرفونَهُ للأَنْدَادِ والشُّركَاءِ، يُصرَفُ للهِ تَعالى وحْدَه؛ فاللهُ تعالى وحْدُهُ هو المألُوه المَحْبُوبُ لِذَاتِه؛ الذي يُحَبُّ ويُبْغَضُ فِيه، ويُوالَى ويُعَادَى فِيه، ولَهُ؛ لأَنَّه هُو هو، ولأَنَّه رَبُّ العالمين، وخَالِقُ الخلْق، ولا يَصدرُ عنه إلا حَقّاً، وعَدْلاً، وما سواهُ يُحَبُّ لهُ وفِيه، [وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للهِ]البقرة:165. أما المؤمنون الموحِّدُون المباينُون للشِّركِ والمشرِكين، ولطريقتهم في المَحَبَّة، هم شَديدو التَّمَسُّكِ بهذا المعنَى التَّوحِيدِي لمحَبَّةِ اللهِ سُبحانه وتعالى .. وما سِواهُم، حتى لو كانُوا يُحِبُّون اللهَ، فإنَّهم يُحِبُّونَ معه أَنْداداً وشُركاءِ، يَصرِفُون لهم من المحبَّةِ مَا يَصرِفُونَه للهِ .. وهذه محبَّةُ شِركٍ، تُردِي صَاحِبَها، واللهُ تَعالى بَريءٌ مِنها؛ لا يَقبَلُها، ولا يَصِلُه مِنها شيءٌ سُبحانه؛ لأنَّ اللهَ تعالى أَغْنَى الشُّركاءِ عن الشِّركِ، لا يَقبلُ عَمَلاً ولا مَحبَّةً أُشْرِكَ فِيها مَعَهُ غَيرُه.

90- [وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلهِ]البقرة:165. أَشَدُّ طَاعَة للهِ مِن طاعَةِ المشرِكين لأوثَانِهم وطواغِيتِهم.

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً

91- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ]؛ خطابٌ لكلِّ الناسِ مُؤمنِهم، وكافِرِهم، [كُلُواْ]؛ مِن غيرِ إسْرافٍ، ولا تَبذيرٍ [مِمَّا فِي الأَرْضِ]؛ ممَّا تُنْتجهُ الأرضُ ـ بإذنِ رَبِّها وخَالِقِها ـ مِن طعَامٍ، وشَرابٍ، [حَلاَلاً]؛ ممَّا أحَلَّ اللهُ لكم مِن الأطعمَةِ والأشْرِبَةِ، في كُتُبِه المنزَّلةِ، وعلى لسَانِ أنبيائِه ورسُلِه، [طَيِّباً]؛ وهو كلُّ ما أحلَّه اللهُ، فاللهُ تعالى لا يحلُّ إلا الطَّيبَ من الطَّعامِ، ولا يحرِّمُ إلا الخبيثَ، [وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ]؛ في تحليلِ ما حرَّمَ اللهُ، وتحريمِ مَا أحَلَّ اللهُ من الأطعِمَةِ والأشربةِ، فتَضُلُّوا .. فليسَ للشيطانِ ولا لأتباعِه الحقّ في أن يُشَرِّعُوا فِيما لا يخلقُون، وأن يَقولُوا لكم هذا حَلالٌ، فأحِلُّوه، وهذا حرامٌ، فحرِّمُوه، [إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ]البقرة:168. ظاهِرُ العَداوَةِ، لا تخفَى عداوتُه على أحَدٍ، لا يَهديكُم إلا إلى الشَّرِّ، ومَا فيه ضَرَر لكُم .. ومَن كان عَدوّاً لكم موقِعُه مِنكم أن تُعَادُوه لا أن تُطِيعُوه!

* * * * *

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

92- [وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ]البقرة:168. قد لا يَستطيعُ الشيطانُ ابتداءً أن يَنقلَ المرْءَ إلى الباطِلِ والمُنكَرِ دَفعةً واحِدةً .. فيتَدَرَّجُ معه خُطوَةً خُطوة، فيُزَيِّنُ له أوَّلاً التَّوسُّعَ في المُباحِ، باعتِبَارِ أنَّ الأصْلَ فِيه الإبَاحَةُ والحِل .. فإن تابَعَهُ هَوَّنَ عليه الخُطوَةَ التي تَليها، وهي استِحْسَانُ المكرُوهَاتِ، والمحتَمَلات، واقتِحَامُ المتَشَابِهات، والتَّهوينُ مِن شَأنِها، على اعتِبارِ أنَّها ليسَت حَراماً، قَولاً واحداً .. فإنْ تابَعَهُ سَهُلَ عليه أن يَنقلَهُ إلى الخُطوةِ التَّالية، وهي الوقُوع في المحظُورِ والحَرام .. فإنْ تابَعَهُ سَهُلَ عليه أن يَنقلَهُ إلى الخُطوةِ التَّاليةِ والأخِيرَةِ، الأشَدّ خَطَراً، وهي استِحْسَانُ المنْكَرِ

واسْتِحلاَلُه، واعتِبَارُه حَقَّاً ومَعْرُوفاً .. فَمَا مِن مُنْكَرٍ إلَّا وللشيطانِ فِيه مُقدّماتٍ وخُطواتٍ يُزَيِّنُ فيها المنكرَ، والوقُوعَ في المُنكَرِ .. فَمَن تابَعَه في المُقدّماتِ والخُطواتِ، وقَعَ في المنكَرِ الصَّرِيح .. لِذَا جاءَ النَّهي ابتداءً [وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ]. وفي الآيةِ دَليلٌ على قاعِدةِ " سَدِّ الذَّرائِع "، وأنَّ مَا يُؤدِّي إلى مُنكَرٍ فهو مُنْكَر.

93- [وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ]؛ ليوقِعَ الشَّيطانُ فَريسَتَه في شِباكِهِ .. ويأتِي به إلى صَفِّه .. يَسْلُكُ خُطواتٍ عديدَةٍ يَستدرجُ بها فريسَتَه .. وليس خُطوة واحدة؛ فيتكشَّفُ حينئذٍ أمرُه .. فيأتيه أولاً مِن جِهةِ التَّوسُع في المبَاحات .. ثم يَنقلُه إلى استِحْسَان المكرُوهَات .. ثمَّ إلى استسَاغَةِ المتشَابهَات؛ على اعتبارِ أنَّها ليسَت حرَاماً قَوْلاً واحداً .. فإن طَابَ المقامُ لفريسَتِه في المتشَابِهات .. سَهُلَ على الشيطانِ حينئذٍ حملَه للوقوعِ في المحظُوراتِ والمحرَّمات!

مِثَالٌ آخَر على خطواتِ الشَّيطان: عِندما يَشغل فَريستَه بالمباحَاتِ، والمندوباتِ على حسابِ الواجِباتِ .. فيقَعُ التَّقصيرُ في الواجِباتِ .. ومعَ الزَّمَنِ والاسترسَالِ، والانشغَالِ بالمباحاتِ والمندُوباتِ .. يتركُ الواجبَاتِ .. ويتحقَّقُ للشيطانِ مُناهُ ومطلَبُه!

مِثالٌ آخَر على خُطواتِ الشَّيطان: أولاً يهوّن الشَّيطانُ على فريستِه ارتكابَ صغَائِرِ الذُّنوبِ؛ على اعتبارِ أنَّها مغفُورَةٌ، وتُكفّرُها الحسَنَات .. فإن أدْمَنَت فريسَتُه صغائرَ الذُّنُوبِ، واستَطْعَمتها .. نقلَها إلى الخُطوةِ الثَّانية، وهي ارتكابُ كبائِرِ الذُّنوبِ .. فإن هانت كبائرُ الذُّنوبِ على فريستِه .. هانَ على الشيطانِ أن يَأخُذَ بيدِ فريسَتِه إلى الخطوةِ الثالثةِ؛ وهي الوقوعُ في الكُفْرِ والشِّركِ .. واستحسَانِ الكُفرِ .. ثم إلى ما هو أغْلَظ مِن ذلك؛ عندما تتحوَّلُ الفريسةُ إلى جندٍ من جنُودِ الشَّيطانِ، وداعيةٍ مِن دُعاته .. وإلى عدوٍّ ظَاهرِ العَدَاوةِ للهِ، ولرسولِه، وللمؤمنين .. فيتحقق للشيطانُ مُناهُ ومطلبُه، ويَفْرحُ بفريستِه فرحَاً شَديداً ..

فالصغائرُ ـ مع التّهاون والاسترسَالِ ـ بريدٌ إلى الكبائرِ .. والكبائر ـ مع التّهاونِ والاسترسالِ ـ بريدٌ إلى الكُفْرِ، والشيطانُ يَعرفُ هذا كُلّه، [إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ]البقرة:168. فعدَاوَةُ الشَّيطانِ لكم ظاهِرةٌ بينةٌ .. لا ينَبغي أن تخفَى عليكم، كما لا ينَبغِي أن تخفَى عليكم وسائِلُه وخُطواتُه .. وهذا يَستدعي التنبُّهَ واليقظَةَ .. كما يَستدْعِي التَّفقُّهَ بخطواتِ الشيطانِ القابلةِ للتَّحدِيثِ، والتَّجْدِيد!

* * * * *

قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا

94- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ]؛ للكفَّارِ، ومِن أيِّ مِلةٍ كانوا، [اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ]؛ على محمدٍ صلى الله عليه وسلم مِن التَّوحيدِ، والتَّحليلِ، والتَّحريمِ، [قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا]؛ الركونُ إلى التقاليدِ ومَا ورثُوه مِن الآباءِ، مِن اعتقاداتٍ، ومفاهيم، وتَصورَاتٍ، وطريقةٍ في العيشِ، والحياةِ .. يتَرَّسُون بإرثِ الآباءِ الجَّاهِلي، ويَردُّون به دعوةَ الحقِّ .. يفعلُ ذلك جميعُ الكافرين، وفي جميعِ الأزمِنَةِ، والأمكنَةِ .. الذين يعيشُون منهم في الكهُوفِ والغاباتِ، والذين يَعيشون مِنهم في المدُنِ، وفي المبانِي الشَّاهِقةِ، في ظلِّ الأنظمةِ التي تدعُو إلى الحداثَةِ، والتَّحررِ، والليبراليَّةِ، والديمقراطيةِ .. كلُّهم يردُّون دَعوةَ الحقِّ بقولِهم: هكذا وجدْنَا آباءنا يفعلُون، فنحنُ على إثرِهم نفعلُ ما فَعلَوا .. كيف نردُّ ونستبدِلُ طريقةَ آبائنا في العيشِ والحياةِ، التي أَلِفْنَاها دَهْراً، بطريقةٍ لا تخضعُ لبيئتِنَا ولتقاليدِنا، وثَقافتِنَا، ولا لطريقتِنا في العيشِ والحياةِ؟! [أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً]؛ سؤالٌ يفيدُ التوبيخَ والتَّقريعَ، والإنكارَ .. كيفَ يُرَدُّ الحقُّ بمتابعَةِ وتقليدِ آباءٍ جُهَّالٍ لا يَعرفون شيئاً عن الدِّينِ الحقِّ .. وطريقةُ حياتِهم كلها قائمةٌ على اتباعِ الشَّهواتِ والأهواءِ، ومناكفَةِ ومخالفَةِ الحقِّ، [وَلاَ يَهْتَدُونَ]البقرة:170. سَبيلاً لمعرفةِ الدينِ الحقِّ؟!

* * * * *

وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

95- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ]؛ خِطابٌ للمؤمنين؛ لأنَّ ما بَعدَه يَعني ويخصُّ المؤمنِين، [كُلُواْ]؛ مِن غَيرِ إسْرَافٍ، ولا تَبذيرٍ، [مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ]؛ لا يَكْفِي أن تتحرَّى المبَاحَاتِ مِن الطَّعامِ، وإنما يَنبغي أيضَاً أن تَتحرَّى الطّيبات مِن الطّعامِ؛ الطيباتُ في الطّعْمِ، وفي المحتوى، والأثَرِ على الصّحّة .. لتضمن ـ بإذنِ الله ـ جَسَداً سَليماً من الأمرَاضِ، قَويّاً على أدَاءِ العِبَادَاتِ، ومُمَارَسَةِ الطَّاعَاتِ، [وَاشْكُرُواْ لِلّهِ]؛ واحمدُوا اللهَ على النِّعَم، وعلى مَا رَزَقَكم مِن الطّيباتِ، وهو كلُّ ما أحلَّ اللهُ لكُم من طعام وشراب، ورُدُّوا الفضلَ إليه وحده فِيما أنتم فِيه مِن نِعَمٍ وخَير، [إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ]البقرة:172. تخصُّونَه بالعِبَادَةِ وحدَه دونَ أحَدٍ سِوَاه.

96- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ]؛ وهو كلُّ ما أحلَّ اللهُ من الطَّعامِ، فاللهُ تعالى لا يُحِلُّ إلا الطَّيبَاتِ، ولا يحرِّمُ إلَّا الخبَائثَ، [وَاشْكُرُواْ لِلّهِ]؛ فأمَرَ بالأكلِ والشُّكْرِ، ولأن تأكلَ من الطَّيباتِ وتَشكُرَ، وتردَّ الفضلَ فِيما تأكلُ، وفِيما أنتَ فيه مِن النِّعَم إلى اللهِ، أحَبّ إلى اللهِ من أن لا تأكلُ تَزَهُّدَاً، ولا تَشكُر، وفي الحديث:" إنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا "مسلم. قال ابنُ تيمية:" فأمرَ بالأكْلِ والشُّكرِ، فمن أكَلَ ولم يَشكُرْ كان مَذمُومَاً، ومَن لم يأكُلْ ولمْ يَشكُرْ كانَ مَذمُومَاً ". [إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ]البقرة:172. توحِّدُونَه ولَا تُشركُون بهِ شَيئاً.

* * * * *

أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ

97- يكتمون الحقَّ، ويُجَارُون الباطلَ، خوفاً على مستقبلِهم السّياسِي، والمهني، والوظيفِي، أو خَشيةَ أنْ يُصنّفَهم العدو .. وهؤلاء لهم حظٌّ وافرٌ من قولِه تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]البقرة: 174.

98- [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]البقرة 174. وعيدٌ شَديدٌ مغلَّظٌ مخيفٌ بحقِّ مَن يتجرَّأُ على كتْمَانِ ما أنزلَ اللهُ من الآياتِ في كتابِه العَزيز .. ويَقتَاتُ بهذا الكتْمَان، ويَعْتَاشُ عليه .. والكتمانُ بصورتِه القديمةِ الذي أصابَ التوراةَ والإنجيلَ .. لم يعد موجُوداً، ولا ممْكناً بحقِّ القرآنِ الكريمِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى تكفَّلَ بحفظِه، ولم يترُكْ حِفظَهُ لعبادِه .. ولمَّا علم المنافِقُون ومَرْضَى القلوبِ ذلك تَركُوا التنزيلَ؛ لعلمِهم أن لا سُلطانَ لهم على تحريفِهِ وكتمانِه .. وانصرَفُوا إلى تأويلِه .. فحرَّفُوا وكتَمُوا في تأويلِه .. فكتمُوا مِن معانيه ما يجبُ أن يظهرَ .. وفي الزَّمانِ والمكانِ الذي يجبُ أن يظهَرَ .. وأظهَرُوا من المعَانِي والأقوالِ ما لا يحتمِلُه النَّصُّ المنزَّلُ .. فأدخَلُوا فيهِ من المعَانِي والتأويلاتِ ما ليسَ منه، وممَّا هو منه براء .. اتّباعاً للهَوَى .. وابتغاءَ مَرضَاةِ الناسِ .. وانتصَاراً للباطِلِ .. مُقَابل عَرَضٍ من الدُّنيا .. أو فُتَاتٍ ـ أو راتب شهريٍّ ـ يَرميه إليهم الطُّغاةُ الظَّالمُون .. فهؤلاءِ بنصِّ الكتابِ:[أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]. [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ]البقرة:159.

* * * * *

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

99- في القِصَاصِ الشَّرعي يموتُ القليل؛ ليحيى الكَثير، ويُستأصَل الجزءُ؛ ليبقى الكُلُّ، وهو من هذا الوجه حياةٌ آمنة وعظيمةٌ لو كانوا يَعلمُون، كما قال تعالى:[وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]البقرة:179. وهو حياةٌ مِن جِهَةِ كونِه قُوَّةً رَادِعَةً؛ تَرْدَعُ المجرِمَ مِن مجرَّدِ التَّفكيرِ بالجرِيمَةِ؛ لعِلْمِه أنَّه سيُؤخَذ بجريمتِه، وسيُقَامُ عليه القِصَاص والحَدُّ الشَّرْعِي .. فيُكْتَب له، ولمن كانَ سيعتَدِي عليهم الحيَاة!

* * * * *

وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

100- [وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:184. خَيْرٌ لكُم في الدُّنْيَا؛ لِعَظِيمِ الفَائِدةِ التي تَرْتَدُّ على صَحَّةِ الصَّائِمِ، وخَيرٌ لَكُم في الآخِرَةِ؛ لِعَظِيمِ الأجْرِ الذي يُعطَاه الصَّائِم.

* * * * *

يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ

101- [يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ]البقرة:185. حيثُمَا يوجدُ العسرُ؛ فاعلمْ أنَّه ليسَ مِن دينِ اللهِ، وأنَّ اللهَ تعالى لا يُريدُه ولا يرضَاه لعبادِه .. وحيثما يُوجَدُ اليسرُ ـ ما لم يكُنْ إثماً ـ فاعلمْ أنَّه مِن دينِ اللهِ، وأنَّ اللهَ تعالى يُريدُه ويَرضاهُ لعبادِه.

* * * * *

وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ

102- [وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ]البقرة:185. اللهُ أكبرُ من أن يكونَ له نِدٌّ أو شَرِيك .. اللهُ أكبرُ على كُلِّ مَن طَغَى وتَجبَّر .. اللهُ أكبرُ، ثورةٌ على طُغيانِ وظُلمِ الطُّغَاةِ .. فإن تجرَّأ عليك طَاغيةٌ ظالمٌ فاللهُ تعالى أكبرُ مِنه .. إن حمَلَتك نفسُك على ظُلمِ مَن هم دُونَك، فاللهُ أكبرُ مِنك .. وإن أخافَك شيءٌ، فاللهُ أكبرُ مِنه .. وإن داهمَك همٌّ، أو كَربٌ، فاللهُ أكبرُ مِنه .. وإن نزَلَت بك حاجَةٌ ـ مهمَا عَظُمَت وكَبُرَت ـ فاللهُ أكبرُ مِنها، وهي عليه هَيِّنَة .. لا يَصعبُ عليه شَيءٌ .. ولَا شَيءَ أكبر مِن اللهِ، واللهُ أكبرُ من كلِّ شَيءٍ .. وليكُن لِسَانُك رَطباً بالتَّكبِيرِ، وقلبُك عامِراً بالتَّكْبِير، [وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً]الإسراء:111.

* * * * *

هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ

103- قوله تعالى: [هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ]البقرة:187. يُفيد مَعانٍ عدة:

مِنها: شِدَّةُ العلاقَةِ، والتداخُلِ، والتَّقارُبِ بين الزَّوجَين، فكما أن اللباسَ أقرَبُ وألصَقُ شيءٍ بصاحِبِه، كذلك أحَدُ الزوجَين بالنسبةِ للآخَر.

ومِنها: حاجَةُ أحَدِهما للآخَر، فكما أن الإنسانَ يحتاجُ إلى اللباسِ، لا غِنَى له عنه، كذلك حاجَةُ أحَد الزَّوجَين للآخَر.

ومِنها: السِّتر، فكما أن اللباسَ سِترٌ يَستُرُ عورَات صَاحِبِه، كذلك الزّوجَين، فكلٌّ منهما سِترٌ للآخَر، يَستُرُ عورات صاحِبِه، لا يجوزُ لأحدِهما أن يُظهرَ ما حَقُّه السّتر من عَوراتِ الآخَر، وبخاصَّة بعد أن يُفضِي بعضُهما إلى بَعضٍ.

ومِنها: الزِّينَةُ، فكما أن اللباسَ زِينةٌ لصاحِبِه يتزيَّنُ به للرَّائِين، كذلك الزَّوجَان، فكلٌّ مِنهما يَنبغي أن يتزيَّن للآخَر باللباسِ، وبكلِّ ما هو جَميلٌ، مما يُدخِلُ السُّرورَ على قلبيهمَا معَاً.

* * * * *

وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ

104- [وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ]؛ بالحرَامِ، كالرِّبا، والسَّرقةِ، والغشِّ، والرَّشْوةِ، وبيعِ الخمُورِ والمخدَّراتِ، وغيرها مِن المعامَلاتِ والوسائلِ المحرَّمَةِ .. فالمالُ، هو مالُ اللهِ، وأنتَ مستأمَنٌ ومستخلَفٌ عليه، ومَسؤولٌ عنه؛ فيمَ اكتسبتَه، وفيمَ أنفقتَه؟ [وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ]؛ ولَا أن تُقدِّموا الأموالَ رَشْوة للحكامِ ـ ولو كان بصورةِ إهداءٍ! ـ ليحكمُوا لكُم ظُلماً وعدواناً فِيما لا تَستحقونَه، [لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ]؛ بالحرامِ .. وهؤلاء الناس يُعتدَى على أموالهم وحقِّهم إمَّا لضعفِهم، وفَقْدِهم الإمكانيات والقُدْرَة على مواجهَةِ قوَّةِ الفَريقِ المقابلِ؛ الرَّاشي والحَاكم المرتَشِي، وإمَّا لأنَّ أخلاقَهم تأبى عليهم أن يرشُوا الحكَّامَ كما فعلَ الفريقُ المقَابِلُ لهم، وبما يَزيدُ عنهم .. لأن الحاكمَ الذي يقبلُ الرشوةَ، ويَرتضي لنفْسِه أن يُرتَشَى؛ غالباً حُكمه يُدورُ مع مَن يزيدُه في الرَّشوةِ والعطَاءِ، [وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:188. أنَّ هذه الأموال التي اقتَطعَها لكم الحكّامُ المرتَشُون مِن أموالِ الناسِ، هي حرَامٌ، وظلمٌ، وعُدوانٌ، مَا كنتم ستأخذُونَها، وتأكلونَها، لولا أنكم رشوتم الحكامَ ببعضِ المالِ، فحكموا لكم ظُلماً بما تريدُون، وبما هو ليسَ لكُم!

* * * * *

وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ

105- [وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ]البقرة:190. وحَتَّى يَكونَ القِتالُ قِتَالاً في سَبيلِ اللهِ، يجب أن يتحقَّقَ فيه شَرطان: أولهمَا أن يكونَ القِتالُ خالِصَاً لوجهِ اللهِ تعالى، لا يُبْتَغَى مِنه سُمعة ولَا رِيَاء .. وأن يكونَ القِتالُ والمُقاتَلُ دُوْنَه مَشْروعاً ومَأذُوناً بهِ مِن اللهِ تعالى .. والقِتَالُ دُونَ الحقُوقِ والحرُمَاتِ أحياناً يَتعيَّنُ ويجب، ومَأذُونٌ بهِ مِن الله .. ولا يُقالُ حِينئذٍ نُقاتِلُ في سَبيلِ الحقُوقِ والحرُمَاتِ .. وإنما يُقال: نُقاتِلُ دُونَ الحقُوقِ والحرُمَاتِ، أي نُدَافِعُ ونَذُودُ عَنها، في سَبيلِ اللهِ .. كما جاءَ في الحديثِ:" مَن قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهو شَهِيدٌ " متفق عليه. وفي رواية:" مَن قُتِلَ دُونَ مالِه مظلومًا فله الجنَّةُ ". وفي رواية:" مَن قُتِل دُونَ أهلِه فهو شَهيدٌ، ومن قُتِلَ دُونَ دينه فهو شَهيدٌ، ومن قُتل دُونَ دَمِه فهو شهيدٌ ". فتأمَّل قولَه:" دُونَ .. دُونَ "؛ أي دِفَاعاً وذَوْدَاً .. ولم يقُلْ في سَبيلِ مالِه .. وهذا مَعنَى دَقِيقٌ له عَلاقَةٌ بالتَّوحِيدِ قَلَّ مَن يَتَنَبَّه لَه.

* * * * *

فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ

106- [فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ]البقرة:194. ابتدَاءً لا يجوزُ قَصْدُ أطفالِ، ونساءِ العَدُو بحربٍ، أو قَتْلٍ، أو أَذَى .. لكن إن اعتَدَى العدُو على المدنِ والتَّجمعَاتِ السَّكَنِيَّةِ للمسلمين، فرمَاهُم بمدَافِعِه، ودبَّابَاتِه، وصواريخِه، ولم يميز بينَ أطفالِهم، ونسائِهم، وضُعفائهم، وقويِّهم .. فاستهدَف الجميع .. حِينئذٍ يجبُ على المسلمين أن يُقابِلُوا العدُوَّ بمثْلِ ما اعتدَى به عليهِم، فيستهدِفُون مُدنَه وتجمعاته السَّكَنيَّةِ، مِن قَبيل المقَابَلَةِ والمعَامَلَةِ بالمثْلِ، ولردْعِه عن استهْدَافِ الأبرياءِ مِن

أبنَاءِ المسْلمين .. ومن يُصَابُ حِينئذٍ من أطفَالِهم ونِسائِهم، يُصَابُ تبَعَاً لَا قَصْداً، ويتحمَّل وزْرَه العدُو المعتَدِي.

107- [فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ]البقرة:194. الآيةُ الكريمةُ تُقرِّرُ مَبدَأ المقَابَلَةِ، والمعامَلَةِ بالمثْلِ؛ مُقابلةُ عُدْوانٍ بعدوانٍ مماثِل .. إلَّا أنَّ ذلك ليسَ على إطْلاقِة؛ فهنَاك أشياءُ محرَّمَةٌ لذاتِها وعلى أيِّ وجهٍ جَاءَت، لا تجوزُ فيها المقَابَلةُ بالمثْلِ، مِثَالُ ذلك: الزِّنَى، واللواطَةُ، والغَدرُ، والخيانَةُ، وقتْلُ الأطفَالِ، والنِّساء، ونحوَ ذلك .. فهذه أمورٌ لا تجوزُ فيها المقَابلَة؛ فإنْ فعلَها أو فعَلَ بعضَها العدُو بالمسلمِين، فلا يجوزُ للمسلمين أن يَردُّوا على عُدوانِ العَدُو بعدوانٍ مماثِلٍ، كما في الحديثِ:" أدِّ الأمانَةَ إلى منِ ائتمنَكَ، ولا تخنْ مَن خانَكَ ".

* * * * *

وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ

108- [وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ]البقرة:195. كُلُّ ما خَالفَ أمْرَ اللهِ، وأمْرَ رسولِه صلى الله عليه وسلم، فمآلُه إلى التَّهْلُكَةِ.

109- [وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ]البقرة:195.[التَّهْلُكَةِ]؛ هي تركُ الأمر، وفعلُ المنهي عنه؛ فاللهُ تعالى أمرَ بالصلاةِ، والزكاةِ، والجهادِ، والإعدادِ، والأخذِ بأسباب القوةِ، والعدلِ، والإحسانِ، والرفقِ، والإنفاقِ في سبيلِ الله، والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ .. فمن تركَ شيئاً من ذلك يَستطيعُه، فقد ألقَى بنفسِه إلى التَّهلكة.

ونهى عن الفواحشِ والمنكرات، والشُّحِّ، والظلمِ، والبغي، والغلوِّ، والتشدّدِ، والانتحارِ، وتعريضِ النفْسِ للفتن من غيرِ طائلٍ، كما نهى عن استشرافِ مواطنِ البلاءِ مِن غير فائدةٍ أو مصلحةٍ راجحة .. فمن فعلَ شيئاً من ذلك فقد ألقَى بنفْسِه إلى التَّهلكة، وحُملَت

عليه الآيةُ الكريمة، فالآيةُ يُستدَل بها على المعنيَين معًا؛ تركُ الأمْرِ، وفعلُ المنهي عنه، فكلاهما تَهلكة، ومن التهلكة، ويؤديان إلى التّهلكة.

* * * * *

وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

110- [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]البقرة :195. الإِحْسَانُ؛ هو الفَضْلُ؛ وهو كُلُّ ما زَادَ عن الحَقِّ، والوَاجِبِ، والعَدْل!

111- انظُرُوا ماذا يَقُولُ الرَّبُّ سُبحَانَه وتعالى في الإِحْسَانِ والمُحْسِنِين:[وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]البقرة:195. [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]آل عمران:134. [وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ]البقرة:58. [جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ]المائدة:85. [إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ]الأعراف:56. [مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ]التوبة:91. [إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ]التوبة:120. [وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ]الحج:37. [وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ]العنكبوت:69. أليسَ هَذا كَافٍ لِأَن نكُونَ مِن المُحْسِنِين ...؟!!

* * * * *

وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى

112- [وَتَزَوَّدُواْ] ؛ زَادَ الدُّنْيَا للدُّنْيَا .. وزَادُ التَّقْوَى خَيرٌ، [فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى] البقرة:197. وخَيريَّةُ زَادِ التَّقوى تَشملُ الدُّنيا والآخِرَة.

يُوشِكُ أن تُنَادَى ... وما اتَّخَذْتَ زَادَا

113- [وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى]البقرة:197. وتَزَوَّدُوا ـ مِن زَادِ الدُّنيَا ـ لقضَاءِ حوائجِكُم، وفي أسفَارِكُم .. فهذَا لا يتَنَافَى معَ التوكُّلِ .. ولكن اعلمُوا أنَّ

خيرَ وأفضَلَ مَا تَتزوَّدُون به ـ لجميعِ ما يهمُّكُم مِن أمورِ دُنيَاكُم وآخِرَتِكُم ـ زَادُ التَّقْوَى .. وفي الأثَرِ عنِ ابنِ عبَّاس رضي الله عنه قال:" كان أهلُ اليمن يحجُّون ولا يَتزوَّدُون، يقولُون: نحنُ المتوكِّلُون، فإذَا قَدِمُوا، سَألُوا النَّاسَ "!

114- [وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى]البقرة:197. مَا بعدَ الموت ـ يا عَبدَ الله ـ يَنتظرُكَ سَفَرٌ طَويلٌ، طَويل؛ له بِدَايَة، وليسَ له نِهايَة .. وإنَّه لَآتٍ لَا محَالَة .. فهَلَّا أعدَدْتَ له الزَّادَ الذي يُنَاسِبُه، والذي تَتقوَّى به على طُولِ سَفَرِك؛ ليسَ زَاد الطَّعَامِ، والشَّرَابِ .. ولَا زَاد الدِّرهَم والدِّينَار .. لَا .. وإنما زَادُ التَّقْوَى!

* * * * *

وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ

115- [فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ]البقرة:200. كثيرٌ هم الذين يجعلونَ همَّهم الأكبَر والأسَاس دُنيَاهم، ويَصرفُون أدعيتَهم لما فيه صالِح دُنياهم، ومعَاشِهم، دونَ آخرَتِهم، وليس لهم في الآخرَةِ من نَصيبٍ .. فيُكثرون مِن الدُّعاء: اللهمَّ ارزقني .. ووسِّعْ عليَّ في الرزقِ .. اللهم وفقني في دِراسَتِي وعمَلِي .. وتجارَتِي .. اللهمَّ أسعدنِي في دُنيَاي .. واعطِنِي وزِدْني .. وغيرُها من الأدْعيَةِ ذَاتِ الصِّلةِ بدُنيَاه .. جيد يا عبدَ الله .. هَلَّا جعلتَ جزءاً مِن اهتماماتِك، وأدعيتِك لآخِرتِك، وسألتَ اللهَ العفوَ والعافيةَ، وأن يُصلحَ آخِرَتك كما يُصلح دُنياكَ .. وأن يؤتيك اللهُ في الدُّنيا حسَنةً، وفي الآخرَةِ حَسَنَة؟!

* * * * *

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

116- [وِمِنْهُم]؛ وهو الفريقُ المحمودُ مِن الناسِ، [مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً]؛ وهي الزَّوجَةُ الصَّالحةُ للزوجِ الصَّالحِ، والزوجُ الصَّالحِ للزوجةِ الصالحةِ، [وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً]؛ وهي نعيمُ الجنَّةِ، [وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ]البقرة:201. جنِّبنَا عذابَ النَّارِ، وأبعدْنا عنها.

* * * * *

أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ

117- [وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ]؛ أمْسِكْ عن الذَّنبِ خَوفاً من اللهِ، [أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ]؛ اشتَطَّ غَضَباً، وتمادَى في غَيِّهِ وذَنبِه .. وتَعَالى على الأمْرِ، والآمِرِ .. وعَدَّ ذلك تَدَخُّلاً في خصُوصيَّاتِه، وتَعَدِّياً على حقُوقِه الفَرديَّة، [فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ]البقرة:206. فهذا تكفِيه جهنَّمُ عقُوبَةً له!

* * * * *

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ

118- [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ]؛ هم الذينَ يَبذلُون أنفُسَهم، وأعزَّ ما يملِكُون في سبيلِ اللهِ، وفي طاعةِ اللهِ .. فإذا حصَلَ الاختيَارُ بين الدُّنيا وزينَتِها وبينَ مَرضَاةِ اللهِ، اختارُوا اللهَ، وآثَروا طاعَتَه ورِضَاه .. وعلى رأسِ هذه الشريحةِ من المؤمنين؛ الشهدَاءُ الذين يَبذلُون أنفُسَهم ـ أعزّ ما يملكُون ـ في سبيلِ الله، [ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ]؛ ما حملَهم على البذْلِ، والتضْحيَةِ مَغْنَمٌ أو غرَضٌ من أغرَاضِ الدنيَا .. وإنما الذي حملَهم على البذْلِ، والتضحيَةِ شيءٌ واحِدٌ؛ طلَبُ مَرْضَاةِ اللهِ تعالى، ولا شيءَ غيرَ مرضَاةِ الله، [

وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ]البقرة:207. إذْ هدَاهُم لما يحبُّه ويَرضَاه .. ووفَّقَهم إلى ما يحبُّه ويرضَاه .. وأعانَهم على ما يحبُّه ويَرضَاه.

* * * * *

وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

119- [وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ]؛ مَن يُبَدِّل مِن إسْلامِي - وبَعْدَ أنْ هَدَاه اللّهُ إلى الإسلامِ، وبيَّن له الآيات العَظِيمَةِ الدَّالَّةِ على عَظَمَةِ الإسلامِ - إلى قَوْمِي .. أو إلى عِلمَانِي .. أو حَدَاثِيٍّ لِيبرَالِيٍّ، [فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ]البقرة:211. وكان من أدعية النبي صلى الله عليه وسلم، التي عَلَّمَنا إيَّاهَا:" اللهمَّ إني أعوذُ بِكَ من الْحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ "مسلم. أي مِنَ النُّقْصَانِ بعدَ الزِّيَادَةِ، ومِن الضَّلالِ بعدَ الهُدَى، ومِن النُّكُوسِ والرجوع بعد التَّقدُّم والإقْدَام، أو أن أسْتَبدِلَ الذي هو أدْنَى بالذي هو خَير!

* * * * *

فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ

120- [فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ]البقرة:213. هدَاهُم اللّهُ تعالى بعلمِه ومَشيئتِه إلى التَّوحيدِ عِندَ فشُو الشِّركِ .. وهَداهُم إلى السُّنَّةِ عِندَ فُشُو البِدَعِ، والأهْواءِ.

121- [فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ]البقرة:213. ليسَ كلُّ اختِلافٍ مُسْتَساغاً .. وليسَ كُلُّ اختِلافٍ مُسْتَسَاغٍ يَعني أنَّ الحقَّ فِيما اختُلِفَ فِيهِ مُتَعدِّدٌ، عَدَدَ المختلفين فِيه .. فأيُّما اختِلاف ـ عَدَا اخْتِلافِ التَّنوّعِ ـ مهمَا كانَ مُسْتَسَاغاً فالحقُّ فيهِ واحِدٌ لا يَتَعَدَّد.

المجتهدُ الذي يختَارُ الخَطَأ، والمرجُوحَ، والضَّعيفَ فِيمَا اختُلِفَ فيه .. له أجرٌ على اجتهادِهِ .. لكن لا يجوزُ تَصويبُ وتَرجيحُ اجتهادِه الخَاطِئ، والضَّعيفِ، والمرجُوحِ لكونِه مجتهِداً .. فضْلاً عن تَقليدِه ومُتابَعتِه فِيمَا أَخْطَأَ فيهِ اجْتِهادَاً.

* * * * *

وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ

122- [وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً]؛ في حَاضِرِكُم، مِمَّا لا تَميلُ إليه نفوسُكُم، ولا تَرغَبُه، [وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ]؛ في دِينِكم ودُنْيَاكُم، باعتِبَارِ المآلِ، وأنتم لا تَعلمُون، [وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً]؛ في حاضِرِكُم، مِمَّا تَميلُ إليه نفُوسُكُم وتَرْغَبُه، [وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ]؛ في دِينِكُم ودُنْيَاكُم، باعتِبَارِ المآلِ، وأنتم لا تَعْلَمُون، [وَاللهُ يَعْلَمُ]؛ الغَيْبَ، وكُلَّ ما خَفِيَ عن الأَعْيُنِ، ويَعْلَمُ ما يَنفعُ النَّاسَ وما يَضرُّهُم، وهو وَحْدُه القَادِرُ على أنْ يَجْلِبَ لهم مَا يَنفَعهم، ويَدْفَعَ عنهم ما يَضُرهم، [وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ]البقرة:216. لاَ تَعْلَمُونَ الغَيبَ، ولا تَعْلمونَ أينَ يَكْمُنُ الخيرُ، وأينَ يَكْمنُ الشَّرُّ .. فقد تَميلُون إلى شَيءٍ، ويكونُ عليكم شَرّاً، وقد تَكرهُون شَيئاً، ويكونُ لكم خَيراً .. ومَن لا يَعْلَمُ جَدِيرٌ به أن يَرضَى ويُسَلِّمَ بِحِكْمَةِ وحُكْمِ وخِيْرَةِ مَن يَعْلَمُ .. ويتوكَّلُ على العَلِيمِ القَدِير.

123- [وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً]؛ مِن جِهَةِ الهَوَى، [وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ]؛ مِن جِهَةِ العَقْلِ، والدِّينِ، والمآلِ، [وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً]؛ مِن جِهَةِ الهَوَى، [وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ]البقرة:216. مِن جِهَةِ العَقْلِ، والدِّينِ، والمآلِ.

124- [وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ]البقرة:216. كَثيرٌ مِن الأشياءِ نَنْدَمُ عليها في سَاعَتِها، ونَودّ لو أنَّها لم تَكُنْ في حيَاتِنَا .. ثم بعدَ حِينٍ مِن الزَّمَن يتبيَّنُ لنا أنها كانَت خَيراً، ونحمدُ

اللهَ أن قدَّرَها لَنا، وفي المقابلِ، كَثيرٌ من الأشياءِ نفرَحُ بها في ساعَتِها، ونحرصُ على طَلبها وبقَائِها، ونودُّ لو أنَّها مِن نَصيبنا أبَدَا .. ثم بعدَ حِينٍ من الزّمن يتبيّنُ لنا أنَّها كانَت شَرّاً، ونحمَدُ اللهَ أن صرَفَها عَنَّا .. فمَا خَابَ مَن رَضِيَ وسَلَّمَ بحِكْمَةِ وحُكْمِ الحكِيمِ العَلِيمِ الخَبِير.

* * * * *

وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ

125- [وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ]البقرة:217. الشِّرْكُ أكبرُ إثماً، وجرْمَاً، وظُلْمَاً، وأثَراً، مِن القَتْلِ .. وكَما أنَّك يا ابنَ آدَم لَا تَتَهاوَن في دَفعِ مَن يُريدُ قَتْلَك، فإنَّه حَريٌّ بك، وأَوْلَى بك أن تكونَ أشَدَّ احتِرَازاً، ودَفْعَاً لمن يَستهدِفُك في دِينِك، ويُريدُ أن يأطُرك إلى الشِّرْكِ والكُفْرِ!

* * * * *

وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ

126- الكافرُ يُكذّبُ القرآن بلسانِه، ويُصدّقه بأفعالِه ومواقفِه، فقال تعالى عن الكافرين:[وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ]البقرة:217. وقال تعالى:[وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ] البقرة:120. وقال تعالى:[وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء]النساء:89. وقال تعالى:[إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا]آل عمران:120. وهكذا تجد الكافرين في أفعالهم، ومواقفِهم، وواقعِهم، لا يَتَخَلّفُ لهم وصفٌ عمّا وردَ في كِتابِ اللهِ تعالى .. وهم بذلك ـ أرادُوا أم لم يُريدوا ـ يَشْهدُون أنَّ القُرآنَ حقٌّ.

127- [وَلاَ يَزَالُونَ]؛ تُفيدُ الاستمرَارَ على مَدارِ الوقتِ مِن غيرِ توَقُّفٍ، [يُقَاتِلُونَكُمْ]؛ على جميع الجبهاتِ والمستَوَيات: العَسْكَرِيَّةُ، والاقتصاديَّةُ، والإعلاميَّةُ،

والثَّقافيَّةُ، والأخلاقِيَّةُ .. مَا غرَضُهم مِن هذا القِتالِ، ومِن هذا الضَّغْطِ، وماذا يُريدُون؟ [حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ]؛ يَردُّوكم عن الإسلامِ إلى الكُفْرِ .. أيَّاً كانَ هذا الكُفر، وكانت صِفَتُه، وكان اسمُه .. المهم أن تَتْرُكُوا دِينَكم الإسلام، وتَخرجُوا من دائرةِ الإيمانِ إلى دائِرَةِ الكفْرِ والإلحادِ .. هذا هدَفُهم الأكبَر، والنِّهائي .. وإن جَعَلُوا بين يَدَي هذا الهدَفِ أهدَافاً صوريةً أخرَى، اقتصاديَّة، وسياسِيَّة، وغيرها ليغطُّوا على حقيقَةِ هدَفِهم الأكبر، [إِنِ اسْتَطَاعُواْ]؛ وهم لا يَتردَّدُون أن يَصرفُوا جلَّ طاقَتِهم وقُدْرَتِهم، وما يملِكُون في سَبيلِ هذه المعركةِ .. وهو ما يَستَدعِي مِن المؤمنين مَزيداً من الحذَرِ، والانتباهِ، والوَعي، والإعدَادِ لمواجهةِ هذا العُدْوَان السَّافِرِ والمستمِر، [وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ]؛ فيطاوعُهم إلى ما أرادُوا .. ويَرتَدَّ عن دينِه الإسلام، إلى الكُفْرِ، وهو كُلُّ دِينٍ ومِلَّةٍ غير ملَّةِ ودِينِ الإسلام، [فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ]؛ لأن الوعيدَ مُعلَّقٌ بالموافَاةِ على الكُفرِ، أمَّا مَن تابَ مِن كُفْرِه قَبل موتِه، فالتوبةُ تجبُّ ما قَبْلَها، والوعيدُ لا يطالُه، [فَأُوْلَئِكَ]؛ الذين يموتُون على الكُفْرِ والارتدَادِ عن الدينِ الحَقِّ،[حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ]؛ بطُلَت حسَناتُهم التي فعلُوها قبلَ وقوعِهم في الكُفْرِ والرِّدةِ، [فِي الدُّنْيَا]؛ فلم تعُدْ تعصمُهم من القصَاصِ، والمحاسَبَةِ، والمساءلةِ، [وَالآخِرَةِ]؛ لهم عذابٌ أليمٌ، [وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]البقرة:217. خالدون في النَّارِ لكُفْرِهِم ومَوتِهم على الكُفْرِ، إذْ لا يُخلدُ في النَّارِ إلا مَن يموتُ على الكُفْرِ.

* * * * *

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

128- [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا]البقرة:219. عندما تُخيَّر بين أمرَين لا بدَّ لك من اختيَارِ أحدِهمَا يَتعيَّن

عليك أن تَنظرَ أيُّهما يَرجحُ نفعُه على الآخَر، ويَقلُّ شَرُّهُ عن الآخَرِ .. فتختارُه وتلتزمُه، وإن ترتَّب عليه تفويتُ بعض النَّفعِ والخيرِ، فالعبرةُ بما يَرجحُ من المصَالحِ أو المفَاسِدِ .. وكذلك مَا مِن شَرٍّ إلَّا وفيه قَليلٌ من الخيرِ، فمن نشَدَ هذا القَليل مِن الخيرِ من ذلك الشَّرِّ، لا يسلمُ من شَرِّ الشَّرِّ .. والسَّلامَةُ تَقتضِي التماسَ الخيرِ مِن منَابعِه الصَّافيَةِ الخاليَةِ مِن الشَّرِّ.

* * * * *

وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ

129- [وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ]البقرة:219. الميسُورُ ممَّا زَادَ عَنِ الحَاجَةِ، عن حاجَةِ المنفِقِ، ومَن يَتعيَّن عليه الإنفاقُ عليهم .. وكانَ وسَطَاً مِن غيرِ إسرافٍ مُضِرٍّ، ولا إقطَارٍ مُخِلٍّ .. كان كَثيراً أم قَليلاً!

* * * * *

وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ

130- [وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ]البقرة:220. الكُلُّ يَدَّعِي الإصْلاحَ، والكلُّ يَنفي عن نفْسِه الفَسَادَ، والإفْسَادَ .. ولمعرفَةِ المفْسد مِن المصْلح، لا بُدَّ مِن رَدِّ المفْسد والمصلح إلى ميزانِ الله .. وعَرضهمَا على كتَابِ الله تعالى، وسنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. فمَن آمَنَ، واتَّقَى، وعملَ صَالحاً، فهو المصْلحُ، وخِلافُه فهو المفْسِدُ مهمَا تشَبَّعَ أنَّه مِن الصَّالحِين، والمصْلِحين، وأنَّه لَا يُريدُ إلَّا الإصْلاحَ والخيرَ.

131- [وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ]البقرة:220. في الظَّاهرِ، الجميعُ يَدَّعي الإصْلاحَ، ويَتظَاهرُ بالإصْلاح .. والذي يميزُ المفسِدَ مِن المصْلح، والصَّادِقَ مِن الكاذِبِ في زَعمِ الإصْلاح، النَّوايَا، ومَا وقرَ في القَلْبِ .. وهو مما يَلتَبِسُ على الناسِ ويخفَى عليهم .. إلَّا أنَّ اللهَ تعالى يَعْلَمُه، لَا يخفَى عليه شَيء .. فإن استطَاعَ المفسدُ أن

يُضمرَ نيتَهُ الفَاسِدةِ عن الناسِ، فهل يَستطيعُ أن يُضمرَها ويخفِيَها عنِ اللهِ تَعَالى المطّلِعُ على كلِّ شَيءٍ، والعَالِمُ بكلِّ شَيءٍ، والقَادِرُ على كلِّ شَيءٍ؟!

* * * * *

فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ

132- [فَإِذَا تَطَهَّرْنَ]؛ مِن أذَى المحِيضِ، [فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ]البقرة:222. في القُبُل ـ الفَرْج ـ وليسَ في الدُّبُرِ .. مِن كبائرِ الذُّنوبِ أن يأتيَ الرجلُ زوجتَه في دُبُرِهَا، كما في الحديث، فقد صحَّ عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنَّه قال:" مَلعُونٌ من أتَى امرأتَهُ في دُبُرِها "أخرجه أبو داود، وغيره. وفي صحيح سنن الترمذي، وغيره، جاءَ عمرُ إلى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقالَ:" يا رسولَ اللَّهِ! هلَكْتُ؟ قالَ: وما أَهْلَكَك؟ قالَ: حوَّلتُ رَحْلي اللَّيلةَ، قالَ: فلَم يرُدَّ علَيهِ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ شيئًا، قالَ: فأُنزِلَت على رسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ هذِهِ الآيةُ:[نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ]؛ أقْبِلْ وأدْبِرْ، واتَّقِ الدُّبرَ والحَيضَةَ ". وقوله:" حوَّلتُ رَحْلي "؛ كناية عن إتيانِ أهلِه في القُبُلِ مِن جهةِ الدُّبُرِ .. ومَعَ ذلك انتابَ عمرَ رضي الله عنه شُعورٌ بالهلَكَةِ، إلى أن وضَّحَ له النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن لا حرَجَ في ذلك مَا اجتُنِبَ الدُّبُر .. وعن خزيمة بن ثابت، أنَّ رجلًا سألَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن إتيانِ النساءِ في أدبارِهنَّ أو إتيانِ الرجلِ امرأتَهُ في دُبُرِهَا، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ:" في أيِّ الخُربَتَينِ، أو في أيِّ الخَرَزَتَينِ، أمن دُبرِها في قُبُلِهَا فنعم، أم مِن دُبرِها في دُبرِها فلَا، فإنَّ اللهَ لا يستحيي من الحقِّ، لا تأتوا النساءَ في أدبارِهنَّ ". والحديث أخرجه بسند صحيح ابن ماجه، وأحمد، وأبو داود، وغيرهم. وفي مسند الإمام أحمد بسند صحيح، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، جاء أعرابِيٌّ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: يا رسولَ اللهِ إنَّا

نكونُ بالبادِيَةِ فتَخرُجُ مِن أحَدِنا الرُّوَيحَةُ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم:" إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يَستَحِي منَ الحقِّ إذا فعَلَ أحدُكم فلْيتَوَضَّأْ، ولا تَأتوا النساءَ في أعجازِهِنَّ، وقال مرَّةً: في أدبارِهِنَّ ". وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : استحيوا من الله، فإن اللهَ لا يستحي من الحقِّ، لا تَأتُوا النساءَ في حَشوشِهِن ". وفي الأثَرِ فقد صحَّ أنَّ رَجُلاً قال لابنِ عمرَ:" إنَّا نَشتَري الجواريَ فنُحَمِّضُ لَهُنَّ! قالَ: وما التَّحميضُ؟ قلت: نأتيهنَّ في أدبارِهِنَّ! قالَ أُفٍّ أوَ يَفعل ذلك مسلِمٌ؟!". وما يُروَى عنه أنه قال بالإباحة، فكذبٌ وتَدليس، قال الحسن بن عثمان لنافع: أنتَ رجلٌ أعجمي، إنما قال ابنُ عمر: مِن دُبُرها في قُبُلِها، فصَحَّفْتَ، وقُلتَ: في دُبُرِهَا، فأهْلَكْتَ النساءَ "!!. وسُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عمَّن يَفعل هذه الكبيرة، فقرأَ قولَه تعالى:[أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ]الأعراف:80. وسُئِل ابنُ عباس رضي الله عنه عن ذلك، فقال:" هذا يَسألُني عن الكُفْرِ "! إضافة إلى ما تَقدَّم، فإن إتيَانَ النساءِ في الدُّبُرِ، فيه مِن الأذَى والضَّرَر ما لا يخفَى على عاقِل، ولا على عاقِلَةٍ، والإسلامُ لا يُبيحُ الأذَى والضَّرَر .. كما في الحديث:" لا ضَرَرَ، ولا ضِرَار ". " مَن ضَارَّ ضَارَّ اللهُ به ". وكثيرٌ من أهلِ العِلمِ - مِنهم ابنُ تيمية وغيره - على أن الإصرَارَ على هذهِ الكبيرَةِ، سوَاء كان هَذا الإصْرَار من طرفِ الرجلِ، أم مِن طرَفِ الزَّوجين مَعَاً هو سَببٌ شرعي للتَّفريقِ بينهما.

* * * * *

إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ

133- [إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ]البقرة:222. هم الذينَ تَتَكَرَّرُ مِنهم الذُّنُوبُ، وتَتَكَرَّرُ مِنهم التَّوبَةُ .. وهو مَا يُفهَم مِن صِيغةِ المبَالغَة [التَّوَّابِينَ]. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول:" خِيَارُكُم كُلّ مُذْنِبٍ تَوَّاب ".

* * * * *

وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

134- [وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ]البقرة:225. مِن أسماءِ اللهِ تعالى الحُسْنَى " الحَلِيم "؛ ومِن دَلَالَاتِ ومُقتضياتِ هَذا الاسمِ العَظِيم، أنَّه تعالى لَا يَسْتَعْجِلُ عقوبَةَ المذْنِبين مِن عِبَادِه .. يُمْهِلُ، ولَا يُهْمِل .. يُمْلِي ويَسْتَدْرِجُ .. يُعْطِيهم فُرصةً للتوبَةِ مَرَّاتٍ، وَمَرَّاتٍ .. ثم إذَا أخَذَ فَأَخْذُه أَلِيم .. يَأْخُذُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِر!

* * * * *

وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ

135- [وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ]البقرة:228. الحقُوقُ والواجباتُ مُتبادَلة؛ كما للرجلِ على زوجتِه من الحقُوقِ يجبُ أن تؤديَها إليه بالمعرُوف، كذلك للمرأةِ على زوجِها من الحقُوقِ يجبُ أن يؤديَها إليها بالمعرُوف .. أسَاسُ مشاكلِ الحياةِ الزَّوجيَّة غَفْلةُ أحَد الطرَفَين عمَّا للطرَفِ الآخَر مِن الحقُوق .. فكلُّ طرَفٍ ـ سواء كان الزَّوج أم الزَّوجة ـ تراه يتَترَّس بأنانيَّةٍ مُلفتةٍ، خَلْفَ حقُوقِه، لا يتزَحْزَح عن شيءٍ منها، يُريدُها كاملةً غير منقوصَةٍ، مِن دُونِ أن يَنظرَ ما للطرَفِ المقابلِ مِن حقُوق عليه .. فتَقَع المشاكِلُ .. ويَقعُ التفريقُ، والطَّلاقُ .. ولو التَفَتَ كلُّ طَرَفٍ مَا للطرَفِ الآخَر عليه مِن الحقِّ، لما وقَعَ شَيءٌ مِن ذلك.

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ

136- [وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ]البقرة:228. هذه الدَرجَةُ هامَّةٌ جدَّاً، وهي مِن نِعَم الله تعالى على عِبادِه؛ فهي ليسَت من أجلِ الظُّلمِ، أو الاستعلاءِ، والتَّباهي، والأذَى .. لا .. وإنما لكي يتمكَّن الرجلُ من ممارسَةِ القوَامَةِ، وأدَاءِ واجِبَات القَوامَةِ على الوجْهِ الصَّحِيح .. فالبيتُ لا بدَّ له مِن قَيِّمٍ تَعُودُ إليه رِئاسَةُ إدارَةِ ورعايَةِ شُؤونِ العَائلَةِ .. ولو استوَيَا ـ الرجلُ والمرأةُ ـ مِن كلِّ وجهٍ، فمن مِنهما سيكُون قَيّماً في البيتِ .. فالبيتُ الواحِدُ ـ كغيرِه مِن المؤسَّسَاتِ الاجتماعيَّةِ، والتربويَّةِ، والحكوميَّةِ ـ لَا يَقبلُ أكثرَ مِن قَيِّمٍ، ومُديرٍ، ورئيسٍ واحِدٍ، يُطاعُ في الحقِّ والمعرُوفِ!

* * * * *

فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

137- [وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء]؛ الطَّلاقُ للرجالِ، والخُلع للنساءِ، [فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ]؛ أجَل الطلاقِ، وقارَبت عِدَةُ الطَّلاقِ على الانتهاءِ؛ وهي ثَلاثةُ قُرُوء، أو ثَلاثَةُ أشْهرٍ لمن يئِسْنَ مِن المحيضِ، [فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ]؛ فأعيدُوهُن إلى ذِمَّتِكم، مِن غيرِ ضَررٍ، ولا أذَى، وعلى نيةِ إصلاحِ مَا فَسَد، [أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ]؛ أو فارقُوهُنَّ بإحسانٍ، مِن غَيرِ ضَررٍ، وَلَا أذَى .. فالرجلُ بين هذين الخيارَين؛ لا ثالِثَ لهمَا: إمَّا الإمسَاكُ بمعرُوفٍ، أو التَّسريحُ والفراقُ بمعرُوفٍ، [وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً]؛ ولا تُرجعوهُنَّ إلى ذمَّتكم، وإلى بيتِ الزوجيّةِ، على نيةِ الأذَى والإضْرَارِ، [لِّتَعْتَدُواْ]؛ عليهنَّ بأنواعٍ مِن الأذَى، والضَّرَرِ، والهجْرِ، والتَّعنيفِ، حتى تضطروهُنَّ لأن يتنازَلْنَ عن حقُوقِهنَّ، وعن المهرِ، ويفدِينَ أنفسَهنَّ، ويطلبْنَ الخُلع، [وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ]البقرة:231. فقد تعرَّضَ لغضبِ اللهِ تعالى وعذابِه .. وهو بظلمِهِ لزوجتِه يُسيء لنفْسِه قبل أن يُسيءَ لها .. وظلمهُ لها يرتَدُّ عليه وعلى عَيشِه وحياتِه في دُنيَاه .. قبلَ آخِرتِه .. ويجعلُ

للمحاكِمِ الشرعيةِ سُلطاناً عليه، يأخذُون على يدَيه، ويمنعونَه ـ وأمثالَه ـ عن هذا الظُّلمِ، الذي أصبحَ ظاهرةً متفشيةً عند كثيرٍ مِن رجَالاتِ هَذا العَصْرِ، وللأسف .. وقد أُثِرَ عن بعضِ السَّلفِ، قوله:" لَا يكبرن عليك ظلمُ مَن ظَلمَك، فإنَّه يَسعَى إلى مضَرَّتِه، ويَنفَعُك "!

* * * * *

وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ

138- [وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ]البقرة:231. ذِكْرُ نِعَمِ اللهِ الكَثِيرَةِ، أدْعَى لشُكْرِهَا، ودوَامِها، وزِيَادَتِها .. وأَدْعَى للصَّبْرِ عِندَ فَقْدِ بعْضِها.

* * * * *

وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ

139- [وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ]البقرة:237. لأنَّهُ يُوجَدُ ـ على مَدَارِ الأزْمَانِ ـ مَن يَنْسَى الفَضْلَ، ولأنَّ صِفَةَ نسيَانِ الفَضْلِ غَائِرَةٌ في النُّفُوسِ، جَاءَ هَذا التَّذْكِيرُ الرَّبَّانِي!

لا يُوجَدُ في القُرآنِ أو السُّنَّةِ نَهْيٌ مُجرَّدٌ، مِن دُونِ أن يُوجَدَ مُقْتَضَاهُ في الواقِعِ.

140- [وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ]البقرة:237. لَا يحملنَّكُم الحرصُ على الانتصافِ للحُقُوقِ، أن تَنسوا سَنواتِ الودِّ بينَكُم ...!

* * * * *

وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ

141- [وَقُومُواْ]؛ في صلاتِكم، [لِلّهِ قَانِتِينَ]البقرة:238. خَاشِعين، ساكِنين، خاضِعين، تتدبَّرون التلاوةَ، والأدْعيةَ، والأذكَارَ، وتَستَشعرون عظمةَ الموقفِ وأنتم واقفين بينَ يدَي اللهِ سُبحانه، تناجُونَه .. فَلا تَناجُوه باللسانِ، بينمَا في قلُوبِكم

تَنصرفُون عنه إلى مشَاغِل الدُّنيا وعَوَالقِها .. فاللهُ تعالى ينظرُ إلى قلوبِكم .. ويَصلُه مِن صَلاتِكم الإخلاصُ، والخشُوعُ، والتدبرُ، ومَا عقلتم مِنها .. وليس للمرءِ مِن صَلاتِه إلا ما عَقِلَ مِنها.

* * * * *

مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً

142- [مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً]البقرة:245. اللهُ خالِقُ الخلْقِ، ومَالِكُ الملْكِ، والمالُ مَالُه .. الغَني عن خَلْقِه .. والعِبادُ كُلهم مِن خَلْقِه، ومَا يملكُون مِن مُلْكِه .. وهم فُقراءُ إليه .. لَا غِنَى لهم عنه ثانيَةً واحِدَة .. ومعَ ذلك يقولُ لعبادِه ـ تَرغيباً لهم وحثّاً على النفَقَةِ في سَبيلِ اللهِ، وفي أوجُهِ الخَيرِ ـ: مَن ذَا الذي يُقرِضُني .. مَن ذَا الذي يُسلِفُني .. وأنَا أردُّ له قرضَهُ أضعَافاً مُضاعَفَة .. الدِّرهمُ بعشْرَةِ دراهِم، إلى سبعمائةِ دِرْهَم، واللهُ يُضاعِفُ العطَاءَ لمن يَشاءُ .. رِبَا حَلالٌ ومُبَارَك .. فأين المرَابُون الذين يُرابُون معَ اللهِ .. وليسَ معَ عِبادِ اللهِ .. حَقّاً إنه طلَبٌ وتَرغيبٌ مِن خَالِقِ الخلْقِ، ومَالِك الملْكِ .. يَبعثُ عند التأمُّلِ والتَّدبُّرِ على الخجلِ والحياءِ من اللهِ سُبحانه؛ إذ كيفَ يَطلبُ المالِكُ، الملِكُ، الغنيُّ مِن عَبدِه الفقيرِ إليه أن يُقرِضَهُ، ثم يتردَّدُ العَبدُ في الإقراضِ ويمتنعُ .. وفي الحديث:" يقولُ اللهُ استقرَضْتُ عبدي فلم يُقرِضْني "؟!. ويُنادِي الربُّ سُبحانه وتَعَالى في الثُّلْثِ الآخِرِ من اللَّيلِ، كما في الحديثِ القُدْسِي الصَّحِيح:" مَن يُقْرِضُ غَيرَ عَدِيمٍ، ولا ظَلُومٍ ؟!"مسلم. اللهمَّ غُفْرَانَك .. غُفْرانَك .. غُفْرَانَك!

* * * * *

وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ

143- [وَاللّهُ يَقْبِضُ]؛ الرِّزْقَ عَمَّن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ، ابتِلاَءً لهم؛ هَلْ يَصْبِرُون، [وَيَبْسُطُ]؛ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ، ابتِلاَءً لهم؛ هَل يَشكُرُون، [وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]البقرة:245. فيُجَازِي الصَّابِرِينَ على صَبرِهم، والشَّاكِرِينَ على شُكْرِهم.

* * * * *

رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً

144- [رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً]؛ صُبَّ علينَا الصَّبرَ صَبّاً غزيراً؛ هو دُعاءٌ يَلُوذُ به المجاهدُون في سَبيلِ اللهِ عندَ اصطفَافِ الصُّفُوفِ لمواجَهَةِ العَدُو، وعند نزُولِ الشَّدَائِدِ، والمحَن، وهو معنَى أشمَلُ وأوسعُ مِن طلَبِ المدَدِ بالصَّبرِ، [وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا]؛ عندَ لقاءِ العدُو، فلَا نُدْبِرُ، ولَا نَفِر، [وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ]البقرة:250. لأنَّ النصرَ كُلَّهُ مِن عندِ اللهِ، يُطلَبُ مِنهُ لَا مِن سِوَاه.

* * * * *

وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ

145- [وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ]البقرة:254. مِن جهاتٍ ثَلاثٍ: مِن جهةِ ظُلْمِهِم لحقِّ اللهِ عليهم؛ فجحَدُوا أمْرَه، وعبَدُوا غيرَه .. ومِن جهةِ ظُلمهم لأنْفُسِهم؛ فالنَّفْسُ لا تَتأذَّى ولا تتضرَّر بشيءٍ كما عِندما تحملها على الكُفرِ والشِّركِ .. ومن جهةِ ظُلْمِهم لغيرِهم؛ فالكافِرُ لا يَرضَى، ولا تَهدأ نفْسُه حتى يحملَ غيرَهُ على ما هو عليه من الكُفْرِ والشِّركِ، ويتَّبعُوا مِلَّتَه!

* * * * *

لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ

146- [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ]البقرة:256. لا إكْرَاهَ الكافِر على الإيمانِ، ولا إكرَاهَ المسلم على اخْتِيَارٍ فِقْهِي يحتَمِلُ الخَطَأ والصَّواب، يَحتَمِلُ أن يكونَ رَاجِحَاً أو مَرجُوحَاً، أو أن يكونَ من قَبِيلِ خِلافِ التنوُّع؛ يجوزُ ويجوزُ غيره.

147- [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ]البقرة:256. يُرادُ به معنيان: لا إكراه لغيرِ المسلمِ على أن يكون مسلماً. والثاني: خاصٌّ بالمسلمين؛ فلا يُكرَه مسلمٌ على اختيارٍ فقهي محدّد من جملة الخيارات المسْتَسَاغة والمعتبرَة.

فإن قيل: لماذا ...؟

أقول: لأنّ مِن مُقتضيات أسماءِ الله الحسنى، وصفاتِه العُليا أن لا يقبَل من العبادة إلا ما كان على وجهِ المحبّةِ، والرّضا، والاقتناع، وأيما عِبادة لا تَصدرُ عن محبّةٍ ورضا، واقتناع لا يريدُها اللهُ تعالى، ولا يقبلُها .. فاللهُ تعالى يُحِبُّ ويُريدُ مِن عِبادِه أن يَعْبدُوه اخْتِيَارَاً، لا كَرْهاً .. ويُقال أيضاً: لأنّ الإكراهَ يولّدُ النّفاق، واللهُ تعالى لا يُحبُّ المنافقِين، ولا عِبادَةَ المنافقِين.

* * * * *

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى

148- [فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى]البقرة:256. الكُفْرُ بالطَّاغُوتِ مُقَدَّمٌ على الإيمانِ باللهِ؛ لأنَّه لو وافَقَ الإيمانُ باللهِ إيماناً بالطَّاغُوتِ، لا يَنفَعُ صَاحِبَهُ شَيئاً .. لا يجتمع إيمان بالله وإيمان بالطاغوت أبداً؛ لذا كان لزاماً إخراجُ الإيمان بالطاغوت من القلب أولاً؛ ليحل محله الإيمان بالله .. فَمَن فعَل ذلك يكونُ حَقَّاً وحَصْراً قد استمسَكَ بالعُروةِ الوثْقَى، التي لا انفصامَ لها، والتي هي شَهادَة التَّوحيدِ أن " لا إله إلا الله ".

149- [فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ]؛ بالاعْتِقَادِ، والقَوْلِ، والعَمَلِ، [وَيُؤْمِن بِاللهِ]؛ بالاعْتِقَادِ، والقَوْلِ، والعَمَلِ، [فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى]البقرة:256. بلا إله إلَّا الله .. وقُدِّم الكُفْرُ بالطَّاغُوتِ على الإيمانِ بالله؛ لأنَّ الإيمانَ لا يجتمعُ ولا يَصَحُّ مَعَ الكُفْرِ، ولا يُقبَلُ قَبْلَ أن يَتَقَدَّمَهُ الكُفْرُ والبَرَاءُ مِن الطَّاغُوت، ومِن عِبادَتِه.

150- [فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ]؛ التَّخْلِيَةُ عنِ الشِّرْكِ، قَبْلَ التَّحْلِيَةِ بالإيمَانِ .. ومَن أتَى بالتَّخْلِيَةِ قبلَ التَّحْلِيَةِ، [فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى]البقرة:256. فقَد استمسَكَ بشَهادَةِ التَّوحِيد " لا إله إلا الله ". وفي الحديث، قال رجلٌ يا رسولَ الله: وما آياتُ الإسْلامِ؟ قالَ:" أن تقولَ أسلَمتُ وجهي إلى اللهِ عزَّ وجلَّ وتخَلَّيتُ .."؛ أي وتبَرَّأتُ مِن الشِّرْكِ والمشْرِكين، ومِن كُلِّ عَادَةٍ جاهِليَّةٍ تخَالِفُ تَعَاليمَ الإسْلَامِ.

* * * * *

يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

151- البَاطِلُ ظُلُمات متعَدِّدة، لتَعدّدِ الآلهة المزعومةِ والأهواءِ والمشَارِب، والمسَالِك، بعضُها يَعلُو بَعض، وبعضُها أغلَظُ من بَعضٍ: ظُلْمَةُ الكفرِ والشِّركِ، وظُلمةُ الإلحَادِ، وظُلمةُ الظُّلْمِ، وظُلمةُ الجَّهلِ، وظُلمةُ البِدَعِ والأهواءِ، وظُلمةُ الشّكِّ والضَّياعِ، وظُلمةُ الفُسُوقِ والعِصْيان، لِذا جاء التعبيرُ عنها في القرآنِ الكريم بصيغةِ الجَّمع [الظُّلُمَات] ، بينما نورُ الحقِّ واحدٌ لا يَتَعدَّد؛ فمنهجُه واحدٌ، وصِراطُه واحدٌ، وهو صادرٌ عن واحدٍ أحَدٍ، عن عَليمٍ قَدير، لا يَقبلُ الشَّريك في مُلْكِه، ولا في حُكْمِه، وشَرْعِه، ولا في شيءٍ من خَصَائِصِه، لذا جاءَ التعبيرُ عنه في القُرآنِ الكريم بصيغةِ المفرَد [النُّور] ، وهو يستهدفُ بنورِه جميعَ الظُّلماتِ، كما قال تعالى:[اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ

]البقرة:257. [رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ] الطلاق:11. [أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ]الرعد:16.

152- [اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ]؛ ظُلمات الشِّركِ، والمعَاصِي [إِلَى النُّورِ]؛ نُور الإيمانِ والتَّوحيدِ، والطَّاعَةِ، [وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ] ؛ نور الإيمانِ والطَّاعَة [إِلَى الظُّلُمَاتِ]؛ ظُلمات الشِّركِ والعصْيَان، [أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]البقرة:157.

والذين يُخرجُونَهُم مِن نُورِ الإيمانِ إلى ظُلماتِ الشِّرْكِ، أربعةُ أصنَاف:

1- فريقٌ يُولدُون على الفِطْرةِ والملَّةِ والتَّوحِيدِ، فيحملُونَهم على الشِّركِ والتَّنْدِيد.

2- وفريقٌ قد آمَنَ وتابَع، ثم يَفتنونَهُم عن دِينِهم بعدَ إيمانِهم، ويُغرُونَهُم بالارتِدادِ عن الإيمانِ والتَّوحيد، والدخول في ظُلماتِ الكُفرِ والشِّركِ.

3- وفريقٌ مِن أهلِ الكِتَابِ قد آمَنَ بالنبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم قبل بعثتِه، وتعاهَدُوا على مُتابَعتِه، ونُصرتِه، فلما بُعِثَ حملهم الطواغِيتُ على الكُفرِ به.

4- وفريقٌ كلما اقتربَ من الإيمانِ والحَقِّ، أو حَاوَلَ، يَصدونَهم عن الإيمانِ، بالتَّرغيبِ تَارةً، وبالتَّرهيبِ والإغْوَاءِ تَارَةً أُخْرَى .. فيَكُونُ صَدُّهم وإبعادُهُم عن الإيمانِ بمثَابَةِ إخْراجِهم مِن نُورِ الإيمان!

153- [اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ]؛ مِنَ الشِّرْكِ إلى التَّوحِيدِ، [وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ]البقرة:257. مِنَ التَّوحِيدِ إلى الشِّرْكِ.

* * * * *

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى

154- [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي]البقرة:260. لَمْ يكُنْ سؤالُ إبراهيم عليه السلام رَبَّه كيف يُحيي الموتى عن شَكٍّ أو جهلٍ بقدرتِه ـ حاشاه! ـ بل كان مؤمناً عالماً بأنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قدير .. وإنما سألَه هذا السؤال لينتقِلَ ويَرقَى مِن علمِ اليَقِين إلى عينِ اليقِين، فيزداد يَقيناً .. فليسَ الخبرُ كالمعاينةِ .. قال الطبري في التفسير:" قال بعضُهم ـ أي بعضُ أهلِ العِلم ـ: كانت مسألته ذلك ربَّه، أنه رَأى دابَّةً قد تقَسَّمَتْها السباعُ والطيرُ، فسألَ ربَّه أن يُريَه كيفيَّة إحيائِه إيَّاهَا مع تفرّقِ لحومِها في بطونِ طَيرِ الهواءِ، وسِباعِ الأرضِ ليرَى ذلك عيَاناً، فيزدَاد يَقيناً برؤيته ذلك عيَاناً إلى علمِه به خَبراً، فأراهُ اللهُ ذلك مَثلاً بما أخبرَ أنه أمرَه به ... مسألةُ إبراهيم ربّه أن يريَه كيفَ يُحيي الموتَى، كانت ليرَى عيَاناً ما كان عندَه من علمِ ذلك خَبراً ". وقوله:[وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي]؛ عن سعيد بن حبير، قال: ليزْدَادَ يَقِيني. ومثله عن الضَّحَّاك، وقَتَادة، والرَّبيع .. قال قتَادَة: أرادَ نبيُّ الله إبراهيم ليزدَادَ يَقيناً إلى يَقِينه.

* * * * *

مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ

155- [مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ]؛ في طاعةِ اللهِ ومرضاتِه، فكلُّ نفقةٍ تُبذَلُ في طاعةِ اللهِ، يُبتغَى بها وجهُ اللهِ، فهي في سَبيلِ اللهِ .. وهذا مثَله مِن حيث الأجْرِ،[كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ]؛ فيُعطى على الحسنَةِ الواحِدَةِ سبعمائة حسَنَة .. إنَّه ترغيبٌ وتشويقٌ لمن يمسكُ يدَه عن النَّفقةِ في سبيلِ اللهِ أن يُرخِي يدَه قَليلاً، ليتمتعَ بهذا الخيرِ المضاعَفِ، والذي سيلقَاهُ أمَامَه .. إنها تجارَةٌ رابحةٌ مضمونَةُ الرِّبح، لا خسَارَةَ فِيها، فعلامَ الإمسَاك، والتَّردُّد، والتَّجبُّن؟! [وَاللهُ

يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ]؛ هذه المضاعَفَة هي ما بعدَ وفوقَ سبعمائةِ ضِعف .. كم هي، وكم تَزيد؟ تُرِكَت مُبهمةً ـ غَير محدَّدة ـ لكرمِ وجُودِ الخالقِ سُبحانه، لا يَعلمُ عدَدَها وحجمَها وثِقلَها في الميزانِ إلا اللهِ، [وَاللّهُ وَاسِعٌ]؛ غِناهُ، وعطَاؤه، مهْمَا أنفَقَ على عِبادِه، وخَلْقِه لا ينقصُ مِن مُلكِهِ شَيء، [عَلِيمٌ]البقرة:261. مَن يستحقُّ المضاعَفَة، ومَن يستحقُّ المضاعَفَة على المضاعَفَةِ!

* * * * *

قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى

156- [قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ]؛ قَوْلٌ رَفِيقٌ، وجميلٌ، وحَسَنٌ .. يَعقبُه دُعاءٌ لمن تجوزُ عليه الصَّدقَةُ، أو يُسدَلُ إليه المعرُوف، [وَمَغْفِرَةٌ]؛ وعَفْوٌ، وصَفْحٌ عن الفَقيرِ الضَّعِيفِ، في حالِ أخطَأَ في المراجَعَةِ، والتَّعبيرِ عن حاجَتِه، وفَقْرِه، [خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ]؛ سواءٌ كانت هذه الصَّدقَةُ ماديَّةً أو مَعنويَّةً، [يَتْبَعُهَا أَذًى]؛ للفَقيرِ السَّائلِ؛ سَواءٌ كان هذا الأذَى مَادِيّاً أو مَعنويّاً، أو قَولاً باللّسانِ .. ولأَن تُمسِك صدَقَتَك لنفْسِك، خيرٌ مِن أن تُنفقَها، ثم تُتبعُ نفقتَك بالمنِّ، والأذَى، والضَّرَر، [وَاللّهُ غَنِيٌّ]؛ عَنك، وعَن صَدَقَتِك، [حَلِيمٌ]البقرة:263. بك، وبجهلِك؛ فلَا يُسارِعُك العقُوبَةَ لو أخطَأت!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى

157- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى]البقرة:264. المراد بالصَّدقات؛ كل معروفٍ يُبذَل، بما في ذلك تعليمُ الناسِ الخيرَ .. وبذلُ السّلامِ .. وإطعامُ الطعام .. وصِلةُ الأرحام .. وإغاثةُ اللهفان .. والسّعي في تفريجِ كربة المكروب .. ونصرةُ

المظلوم .. وإماطةُ الأذى عن الطريق .. فهذه وغيرها من الطاعات التي تدخل في معنى المعروف، تَبطل بالمنِّ والأذى، حتى لو تحقَّق فيها شَرطُ الإخلاص!

158- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى]البقرة:264. هذا النَّهي كما يَشملُ الأفرادَ، يَشْملُ الجماعات والدُّولَ التي لها مواقف إنسانيَّة تجاه قضَايا شُعوبٍ مُجاورَةٍ مُضطهدَةٍ، ومَظْلُومَةٍ .. فلا يَنبغي لها، ولا يجوزُ أن تُبطِلَ مَعروفَها، ومواقفَها الإنسانيَّة مع هذه الشُّعوبِ المستضعَفَةِ والمظلومَةِ بالمنِّ، والأذَى، والضَّرَرِ .. أو أن تَسْتَغِلَّ مَعروفَها هذا فِيما فيه أذَى وضَرَرٌ لتلكَ الشُّعُوب المستضْعَفَةِ .. فتُبْطِلُ مَعروفَها، وتُبْطِلُ الأجْرَ عليه من الله!

* * * * *

وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ

159- [وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ]؛ لا تَعمدُوا إلى أردَإِ أموالِكم، وإلى الحرامِ مِنها؛ فتنفقُونها في سبيلِ اللهِ .. كزكاةٍ أو صَدَقَةٍ .. فترَى أحدَهم إذا أرادَ أن يتصدَّقَ ثَمَراً أو تَمْراً؛ قَصَدَ إلى أرْدَإِ وأرخصِ الأنواعِ، فتَصَدَّقَ بها .. وعند صدَقةِ الفِطْرِ تراهم يبحثُون عن أردَإِ وأرخَصِ أنواعِ التَّمُور .. وبعضُهم يتصَدَّقُ ويخرجُ زكاةَ مالِه مِن الفوائدِ الربويَّةِ التي يجنيها من البنُوك، أو مِن الأموالِ المنهوبةِ، والمسرُوقَةِ .. ومِن الصُّورِ المخجلَةِ في بذْلِ الصَّدَقاتِ، حيثُ ترَى أحدَهم في جيبِه من الأوراقِ الماليَّةِ فئةِ العَشَراتِ، والخمسيناتِ، والمئاتِ .. ثمَّ تراهُ يَعمدُ إلى ما معه مِن " فَكَّة " قرُوش حمراء .. وأنصافِ القُرُوشِ .. فينتقيها ليتَصَدَّقَ بها، وليُريحَ جيبَه مِن ثقْلِها .. وهَذا النَّوعِ مِن الصَّدَقاتِ مَردُودَةٌ على صاحبِها، لا يقبلُها اللهُ .. ما هكذا يكونُ شُكرُ اللهِ على نِعَمِهِ .. فاللهُ طيِّبٌ لا يَقبلُ إلا طيباً، وكان مِن كَسْبٍ حَلالٍ .. [وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ]؛ هذا المالُ

الرَّديء، لو عُرِضَ عليكم لمَا أخذتمُوه، ولما قَبلتُم به، ولاستقللتمُوه، [إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ]؛ فلَا تَقْبلُونَه لأنفسِكُم إلَّا بعد أن تُنقِصُوا مِن قِيمتِه، ويَرخُصُ لكم في ثمنِه .. وإذَا كنتُم أنتم لا تَقبلونَه لأنفسِكم، فكيفَ تقبلونَهُ للهِ؟! [وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ]البقرة:267. واعلموا أنَّ اللهَ تعالى غنيٌّ عنكم وعن صَدَقَاتِكم، وعن الخلْقِ أجمعين .. لا يصِلُه مِن صدَقاتِكم شيءٌ .. إنما يصلُه منكم التَّقْوَى، والطاعَةُ، والإخلاصُ .. وما أوجبَه عليكم من زكاةٍ وصَدَقاتٍ، فنفْعُه مَردُودٌ عليكم؛ فهو طهورٌ، ومثوبَةٌ، واختبارٌ، للأغنياءِ مِنكم .. ورحمةٌ للفقراء!

* * * * *

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ

160- [الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ]؛ إذا همَّ الإنسانُ بالصَّدَقةِ، وبذلِ الفضلِ مِن مالِه، تَصدَّى له الشيطانُ موسوسَاً؛ يخوفُه الفَقرَ إن فعلَ، ويُزينُ له الإمسَاكَ، وعدمَ النَّفقةِ في سبيلِ الله، ويقولُ له نفسك أولَى، وأولادك أولى، وبيتك أولى .. إلى أن يُقعدَه عن الإنفَاقِ والتصَدُّقِ، وهو بذلك يتسبَّبُ له بالفَقرِ؛ فالإمساكُ يَعقبُه التَّلفُ في الرزقِ، [وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء]؛ بمعصيةِ اللهِ، ورسولِه صلى الله عليه وسلم، [وَاللّهُ يَعِدُكُم]؛ إن أطعتم اللهَ ورسولَه صلى الله عليه وسلم، وتَصدَّقتم، وبذلتم الفضْلَ من مالِكم في أوْجهِ الخيرِ، [مَّغْفِرَةً مِّنْهُ]؛ لذنوبِكم ومعاصِيكم، وسترها عليكم في الدنيا والآخِرة، [وَفَضْلاً]؛ ويزيدُكم من فضلِه ورزقِه، ويعطيكم أضعافَ ما تُنفقُون في سبيلِ الله، فما نقصَ مالٌ من صَدقةٍ، [وَاللّهُ وَاسِعٌ]؛ واسعُ الفضلِ، والرزقِ، والمغفرةِ، والرحمةِ .. خزائنُ رحمتِه وفضلِه مَلأى تسعُ الجميعَ، لا ينقصُ منها شيء، [عَلِيمٌ]البقرة:268. بكم

وبصنائعِكم؛ بالمُمْسِكِ والمنفِقِ سواء .. فيُجازِي كلَّ واحدٍ ما كانَ مِنه من عملٍ يومَ القيامَةِ.

161- يخطّطُون لوأد النَّاسِ، والتَّقْلِيلِ مِن عَددِ سُكَّانِ الأرْض، خَشْيَةَ الفَقْرِ، وخَشْيَةَ نَفَادِ خزائِنِ الأرضِ .. والله تعالى يقول:[وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً]الإسراء:31.

يخطِّطُون للتَّقْلِيلِ مِن عَدَدِ سُكَّانِ الأرْضِ، خَشْيَةَ الفَقْرِ، وخَشْيَةَ الإنْفَاقِ، وكأنَّ خَزَائنَ الأرضِ والسَّماءِ بأيديهم .. صدق الله العظيم:[قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً]الإسراء:100.

صَدَّقُوا وعْدَ الشيطان لهم:[الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ]. وكذَّبُوا وعْدَ اللهِ لهم:[وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً]البقرة:268. [وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ]الذاريات:22.

* * * * *

وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً

162- [يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً]البقرة:269. الحِكْمَةُ هي التي تَضَعُ الأشْياءَ في مواضِعِها؛ غَير مُسْتَبَقَةٍ لِزَمَانِها، ولَا لِمَكانِها .. وهي تُستَفادُ مِن النَّقْلِ الصَّحِيحِ، والعَقْلِ السَّلِيمِ، وفِقهِ الوَاقِعِ .. ومَن يُؤتَ الحِكمَةَ بهذا المعنَى، وهذا البُعد، [فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً].

163- [يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً]البقرة:269. هذه الآيةُ الكريمةُ خاصَّةٌ بالمؤمنين المسلمين؛ الذين يَستمِدُّون حكمتَهم مِن فِقهِهم بكتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، دُون غَيرِهم مِن الكافِرين المشركين .. فأيُّ حكمةٍ، وأي خَيرٍ كثير يُرجى معَ مَن يُقيم على الكُفرِ والشِّركِ .. ومعَ مَن يَصفهم

القُرآن الكريم بأنَّهم صُمٌّ بكمٌ، لَا يَعقلُون، ولَا يَسمعُون، ولا يُبصرُون، ولا يَفقَهون .. فإن قِيل: هل للكافِرِ المشرِكِ أن يقولَ حكمةً؟ أقول: نَعَم؛ يمكن للكافِرِ المشرِكِ أن يقولَ حكمةً، وتُنسَب الحكمةُ إليه .. لكن لا يُقال عنه حَكِيم مُطلَقاً مِن غير إضافةٍ تُعرِّفُ به؛ فالحكيمُ مَن تَقودُه حكمتُه إلى الإيمانِ والإسلامِ، والفِقهِ عن اللهِ، وعن رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. وإن كان ولَا بُد يُنسَب إلى قومِه الكافِرين المشرِكين، وتُضافُ حكمتُه إليهم، فيُقال: حُكماءُ الصِّين .. وحكماءُ اليونان .. وحُكماءُ الرومان .. والفُرس .. ونحو ذلك؛ فيكون حَكِيماً قيَاساً لقومِه الكافِرين، وليس حَكيمَاً مطلقاً .. فهذا النَّوعُ مِن الاطلاقِ، قد أطلقَه بعضُ أهلِ العِلم، وأرجو أن لا يَكونَ فيه حرَج.

* * * * *

إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

164- [إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ]؛ وكان إظهَارُها لا بُدَّ منه، ولا سَبيلَ لتَفَادِيه، [فَنِعِمَّا هِيَ]؛ فحَسَنٌ هيَ، وصَدَقةٌ مَشْكُورَةٌ مُتَقَبَّلَةٌ، [وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ]؛ عِندَ اللهِ .. فإخفَاءُ الصَّدَقَةِ خَيرٌ مِن إظهَارِها، والإعْلانِ عنْهَا؛ لسَببَين: لأنَّها أدْعَى للإخْلاصِ، وأدْفَعُ لمظنَّةِ الرِّياءِ .. ولأنَّها أقَلُّ حرَجَاً للفقَراءِ المتصَدَّقِ عليهم، وأدْفَعُ لمظنَّةِ الأذَى، [وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ]؛ بسَبَبِ صَدقَاتِكم، وبخاصَّة منها صدَقَةُ السِّر؛ فالصَّدقَاتُ تُحِطُّ وتُذْهِبُ مِن السَّيئاتِ مَا شَاءَ اللهُ، [وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ]البقرة:271. سواءٌ أظهَرْتُم الصَّدقَاتِ وأعلنْتُم عَنْها أو أخفَيتُمُوهَا، فاللهُ تعالى يَعْلَمُهَا، ويَعلمُ المخلِصَ مِنكُم مِن المرَائِي.

* * * * *

يَمْحَقُ اللهُ الْرِّبَا

165- [يَمْحَقُ اللهُ الْرِّبَا]البقرة:276. مَهْمَا انتَفَشَ الرِّبَا وتَضَخَّمَ، وتَزَيَّنَ .. فنهايتهُ إلى مَحْقٍ، وقِلٍّ، وزَوَالٍ، وخُسْرَانٍ .. زِينةُ الرِّبَا وفِتنَتُه وحَلاوتُه آنِيَّةٌ، ولَحْظِيَّةٌ .. لَكِن مآلاته مُخِيفَةٌ؛ إلى زَوالٍ، وخُسْرانٍ، ودَمَارٍ .. هذا في الدُّنيا .. غير الوعيدِ الشَّديدِ الذي يَنتظِرُ صاحِبَه يومَ القِيامَةِ .. ولكي يَتَّضِحَ المعنى أكثر، نأخُذُ مِثالاً من واقِعنا المعَاصِر .. تَأمَّلُوا جائحَةَ " كُورُونَا " ومَا نَتَجَ عَنْها، وهذه جائحةٌ بطلتُها جرثُومَةٌ ضَئيلةٌ لا تُرَى بالعَينِ المجَرَّدةِ .. كم استهْلَكَت مِن الأُمَمِ والدُّولِ التي تَرعَى الرِّبَا .. لو قُلنَا مِئاتِ المليَارَات من الدُّولاراتِ؛ فهي أكثر .. ثم أَعْقَبَها حَربُ " أوكرانيا "، بينَ الأُمَم والدُّولِ الربويَّةِ .. التي استهلَكَت مِئات المليَارَات من الدُّولارات، ولا تَزال .. ثم الجَّفافُ القَاتِلُ الذي ضربَ الأُممَ والدولَ الربويَّةَ، والخسَارات النَّاجِمَة عنه، وتُقَدَّر بمئاتِ المليَارَات مِن الدُّولارَات .. هذا غير الخَسَارَات النَّاجمةِ عن الإعصَارَات، والفيَضَانَاتِ التي تحصَل هنا وهُنَاك .. وتُقَدَّر بمئَاتِ المليارَات مِن الدُّولارَات .. هذا كُله، وغيرُه تُرجُمانٌ عمليٌّ وواقعِي لقولِه تعالى:[يَمْحَقُ اللهُ الْرِّبَا]، لو كانوا يَعلَمُون ..!

* * * * *

وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ

166- [وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ]البقرة: 276. في الدُّنيَا يُنْمُو المَالُ ويَزِيدُ، وتَدُبُّ فِيه البرَكَةُ .. وفي الآخِرَةِ يَتَضَاعَفُ الأجْرُ والعَطَاءُ .. فَمَا كَانَت الصَّدَقَاتُ سَبَباً لنُقْصَانِ المَالِ قَط .. مَثَلُ الصَّدَقَاتِ كالنَّبْعِ؛ كُلَّمَا نَضَحَ، زَادَ مَاؤُه وعَطَاؤُه، كذلك الصَّدَقَةُ في المالِ؛ فإنَّها تزيدهُ ولا تُنْقِصُه.

167- [يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا]؛ وهو الرِّبَا الحرَامُ الذي يكونُ بينَ العِبادِ بَعضُهم معَ بَعضٍ، [وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ]البقرة:276. وهو الرِّبَا الحَلالُ المُبَارَكُ الذي يَكونُ بينَ الربِّ وبينَ عِبَادِه الذين يتَصَدَّقُون .. فيَردُّ الربُّ سُبحَانَه لهم العَطَاءَ والصَّدَقَات أضعَافاً مُضَاعَفَةً.

* * * * *

فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ

168- [فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ]البقرة:279. الحربُ مِن اللهِ قد تكونُ بأسبابٍ كونيَّةٍ، وقَد تكونُ على يدِ عبادِه المؤمنين، وقَد تكونُ بتَسليطِ الظَّالمين على الظَّالمين .. وضَربِ الظَّالمين بالظَّالمِين.

فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ

169- [فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ]البقرة:279. العُمَلاتُ الورَقِيَّة المتداوَلَة بينَ الناسِ ليسَ لها قِيمَةٌ ذاتِيَّةٌ، قيمَتُها تُقَدَّر برَصِيدِها، وقِيمَتِها الشِّرائِيَّةِ، وبما له قِيمةٌ ذَاتِيَّةٌ ثابتَةٌ، كالذَّهَبِ، والمعَادِنِ، وغَيرِها مِن السِّلَعِ ممَّا يَدخلُ في مَعنَى المالِ .. وهي معَ الزَّمَن يَقعُ التضَخُّمُ، وتَضعفُ قِيمةُ العُمَلاتِ الورَقِيَّةِ الشِّرائِيَّةِ .. والظُّلمُ غَالِبَاً يَقَعُ عندما يتمُّ الاقتراضُ بهذه العُمُلاتِ الورَقِيَّةِ، وبخاصَّة العُمَلاتِ الورَقِيَّةِ التي تَشهدُ تَضَخُّمَاً سَرِيعَاً، وتَذبذُباً كبيراً في قِيمَتِها الشِّرائِيَّةِ .. فعَلَى سَبيلِ المثَالِ الذي يَقترِضُ مَائةَ دينَارٍ التي تُسَاوي مائةَ غِرَام من الذهبِ لحظَةَ الاقتِرَاضِ إلى أجَلٍ وقَدْرُه عشْر سنَوَات .. ثمَّ بعد عَشرِ سَنواتٍ تَضعفُ قِيمَتُها الشِّرائِيَّة، وتُصبحُ المائةُ دِينار تَشتَرِي عشْرَ غرَاماتٍ مِن الذَّهَبِ فقَط .. في هذه الحالَةِ يجبُ على الدَّائِنِ أن يردَّ إلى المدِينِ المبلَغَ الذي يَشتري مائةَ غِرامٍ من الذَّهَبِ، قيمَتُه ساعَةَ الاقتِرَاضِ، وهو المرَاد مِن قولِه تَعَالى:[لاَ تَظْلِمُونَ

وَلاَ تُظْلَمُونَ]؛ أي لكم أصُولُ أموالِكُم مِن غَيرِ زيادَةٍ ولا نُقصَانٍ، فَلا الدَّائنُ يَظلمُ المدِينَ، ولا المدِينُ يَظلمُ الدَّائنَ.

* * * * *

وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ

170- [وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ]البقرة:281. مِن النَّاسِ مَن يملأ حياتَه بالصَّخَبِ، واللَّهوِ، واللَّعبِ .. ساهِياً عن حقيقةٍ تنتظرُه، وتتربَّصُ به، ولا تُخطِئه، وهو أنه سَيرجعُ إلى اللهِ، إلى خالقِه، ومالِكِه؛ ليَجَازيه ويُحاسِبه على ما كان منه من عمَلٍ في دُنياه؛ فالدُّنيَا دَارُ عمَلٍ، واختِبَارٍ، والآخِرةُ دَارُ حِسابٍ وجزَاءٍ .. وهذَا يَومٌ شَدِيدٌ، جَديرٌ بالعَاقِلِ أن يحذَرَه، ويحذَرَ أهوَالَه؛ فيتجَهَّز له بفِعلِ الطَّاعَاتِ، واجتِنَابِ المعَاصِي، والموبِقَات .. ومِن عَدْلِ اللهِ تعالى، وسِعَةِ رحمتِه أنه تعالى لَا يَظلمُ عبادَه عملاً عملُوه مَهمَا كان صَغيراً؛ فتُكتَب السيئةُ سَيئة مِثلُها، والحسَنَةُ عَشرُ أمثَالها، واللهُ تعالى يُضاعِفُ الأجرَ أضعافاً مُضَاعفَةً لمن يَشاء .. فالعِبادُ يومَ القِيامَةِ إمَّا أن يُؤخَذُوا بعدلِ اللهِ مِن غَيرِ ظُلمٍ، وإما أن يُؤخَذُوا بعَفْوِه وإحسَانِه .. نَسألُ الله تعالى أن يأخذَنَا ويُعاملنا بعفوِه وإحسَانِه.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ

171- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ]البقرة:282. أكبرُ آيةٍ في القُرآنِ الكريم آيَةُ الدَّيْن هذه .. يُبين اللهُ فِيها ما يجبُ على طرَفَي الدَّين فِعْلُه مِن تَوثيقٍ للدَّين، ومِن ثَمَّ الاشْهاد عليه، وإن قَلَّ .. لاحتمالِ موتِ طرَفَي الدَّيْن، أو أحدِهما .. وحِفْظاً للحقُوقِ مِن الضياعِ .. ودَفْعَاً للتنازُعِ والاختلافِ بين طرَفَي

الدَّين: الدَّائِنُ، والمَدِين .. ولَا ينبغي أن يُؤخَذَ أحَدُ طرفَي الدَّين بالحياءِ، تحتَ عنوان الثِّقَةِ موجُودة .. ويكونُ ذلك سَبباً مانِعاً مِن التوثِيق .. فالثِّقَةُ بين طرفَي الدَّيْن مَهمَا كانت عاليةً، لَا تُسْقِط واجِبَ تَوثيقِ الدَّيْن .. للأسبابِ الآنِفَةِ الذِّكْر أعلاه، ولأنَّه واجبٌ شَرعيٌّ، وفي الحديثِ فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" ثَلاثةٌ يَدعونَ اللهَ عزَّ وجلَّ فلَا يُستجابُ لهُمْ ـ منهم ـ : ورجلٌ كان لهُ على رجُلٍ مالٌ فَلَمْ يُشهِدْ عليْهِ ".

* * * * *

وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ

172- [وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ]البقرة:282. على قَدْرِ التَّقوى يكونُ العِلمُ، وعلى قَدْرِ العلمِ يكونُ التَّقوى، فإن زِيدَ في أحدِهما زِيدَ في الآخَر، وإن حصلَ النُّقْصانُ في أحَدِهما، حصَل النَّقْصُ في الآخَرِ، فكُلٌّ منهما لازمٌ ومَلْزُومٌ للآخَر.

173- [وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ]البقرة:282. من لوازم التقوى ومقتضاه، تعليم اللهُ لك .. فعلى قدر التقوى، يكون التعليم، وعلى قدر التعليم، والعلم يكون التقوى .. فكل منهما يقتضي الآخر، ولازم وملزوم له، ولما كان التقوى درجات كان العلم درجات، ومن حقق درجات عالية في التقوى، مَنّ الله تعالى عليه بدرجات عالية في العلم تتناسب مع درجات التقوى .. ولما كان التقوى ليس له سقفاً ينتهي إليه اجتهاد المرء، كذلك العِلم ليس له سقفاً ينتهي إليه اجتهاده، فهو يقبل الزيادة أبَدَاً، [وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً]طه:114. [وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ]يوسف:76. وكما أن التقوى يزيد وينقص، يزيد بالطاعات، وينقص ويضعف بالمعاصي .. كذلك العلم يزيد وينقص، تبعاً لزيادة التَّقوى ونقصانه.

ولو بلغ المرء درجة عالية من العلم، وأصبح من العلماء الكبار .. ثم لم يتق الله في علمه .. ولم يصدق علمه بالعمل، ولم ينتبه لخواتيم عمله .. انتقص علمه .. وربما ينسلخ من علمه كلياً بحسب درجة ونوعية معاصيه المنافية للتقوى، كما حصلَ مع العالِم بلعام، كان من كبارِ علماءِ بني إسرائيل؛ فقد آتاهُ اللهُ الآياتِ، ومن العِلمِ الكثير .. وكان دعاؤه مستجاباً .. فأحدث حدثاً يناقض التقوى كليّاً فانسلخ من آيات الله، وما مَنَّ الله عليه من العِلم والكرامات، وأنزل الله فيه قوله:[وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:175-176.

وكان كثير من السَّلف من يرد نسيانه لما يحفظ من العلم، ومن كتاب الله، إلى معاص كان قد اقترفها من قبل، فوجد غِبَّها وأثرها على حفظه وعِلمه فيما بعد .. ورحم الله الشَّافِعي إذ يقول:

شَكَوتُ إِلى وَكيعٍ سوءَ حِفظي ... فَأَرشَدَني إِلى تَركِ المَعاصي
وَأَخبَرَني بِأَنَّ العِلمَ نورٌ ... وَنورُ اللهِ لا يُهدى لِعاصي

* * * * *

وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ

174- [وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ]البقرة:283. الشَّهادةُ التي لا يجوزُ كتمانُها، نوعان: خَاصَّةٌ؛ كالشَّهادَةِ على حالاتٍ شخصيَّةٍ، تَتعلَّقُ بحقوقِ الأفرادِ؛ كالدِّيونِ ونحوها .. وعَامَّة؛ تتعلَّقُ بحقُوقِ الدِّين، والأُمَّةِ، والمجتمع المسلم، كالشَّهادَةِ على طاغيةٍ مُتسلِّطٍ بالقَهرِ والجبَرُوت بأنه طاغيةٌ .. وعلى الطاغوتِ بأنَّه

طاغُوتٌ، وظالم .. وبيانُ ذلك للنَّاسِ .. فبيانُ هذا النوعِ من الشَّهادَاتِ أوكَدُ وأهَم من النوعِ الأوَّل، وكتمَانُها أخطَرُ، وأشَدُّ إثماً!

* * * * *

لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا

175- قوله تعالى: [لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا]البقرة:286. يُحمَل على معنيين: أن جميعَ الأحكامِ والتكاليفِ الشَّرعيةِ ابتداءً قد جاءت وفقَ طاقةِ الإنسانِ وقُدرتِه. ثانيهما: أنَّ التَّكليفَ يُرفَع لعَجْزٍ طارِئٍ، إلى حِينِ رفعِ العَجْزِ، وإزالةِ أسبابِه.

176- [لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا]البقرة:286. تُفيدُ معنيان: أولهما، أنَّ جميعَ التَّكَاليفِ الشَّرْعيَّةِ تَدخلُ في حُدُودِ الاستطاعَةِ .. ثانيهما، أنَّ العَجْزَ الطارئ يَرفَعُ التَّكليفَ فِيما تَمَّ فيه العَجْزُ، إلى حِينِ تحققِ القُدْرَةِ على دَفْعِه .. والعَجْزُ الدَّائمُ - الذي لا يمكنُ دَفْعُه - يَرفَعُ التَّكليفَ مُطْلَقاً!

177- [لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا]البقرة:286. لَمْ يُكلِّفْنَا اللهُ شَيئاً لا نُطيقُه، فجميعُ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ هي ضِمْنُ الطَّاقَةِ والاستَطَاعَةِ، فإذا حصَلَ العَجْزُ لِعلَّةٍ، يَسْقُط التَّكليفُ فِيما تَمَّ فيهِ العَجْزُ، إلى حِينِ انتِفَاءِ العِلَّةِ، وارْتِفَاعِ العَجْزِ.

* * * * *

لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ

178- [لَهَا مَا كَسَبَتْ]؛ مِن الحَسَنَاتِ، [وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ]البقرة:286. مِن السَّيئَاتِ .. لَا يُشَارِكُه أحَدٌ - مهمَا كانَ قَريباً منه - في حَسَنَاتِهِ، ولَا في سَيئاتِه .. كما أنه لا يُشَارِكُ غَيرَهُ في حسَنَاتِه، ولَا في سَيئاتِه.

* * * * *

رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ

179- [رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ]البقرة:286. أي مِنَ البَلَاءِ .. أمَّا التَّكالِيفُ الشَّرعيَّةُ، فاللهُ تعالى لم يُكلِّفْنَا شَيئاً لَا نُطِيقُهُ، ولا نَقْدِرُ عليه .. والحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين.

* * * * *

وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ

180- [وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ]آل عمران:4. وهو القُرآنُ الكريم؛ الذي يَفْرُقُ بين الحقِّ والباطِلِ، وبينَ الخيرِ والشَّرِّ، وبينَ الحَلالِ والحرامِ، وبينَ التَّوحِيدِ والشِّركِ، وبينَ أولياءِ الرحمنِ وأولياءِ الشَّيطانِ .. والمرءُ على قَدْرِ مَا يَعتَصِمُ بكتابِ اللهِ، وبسنَّةِ نبيهِ صلى الله عليه وسلم على قَدْرِ ما يهتدي للفُرْقانِ بين الحقِّ والباطل .. ويقدر على التمييزِ وأن يَفْرُقَ بين الخيرِ والشَّرِّ، وبين السُّنَّةِ والبدعَةِ، وبينَ أولياءِ الرحمنِ وأولياءِ الشَّيطَانِ .. وبينَ حِزبِ اللهِ وحِزبِ الشَّيطَان.

* * * * *

هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ

181- [هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ]آل عمران:7. المتشَابَه في دِينِ اللهِ لَمْ يردْ فقطْ من أجلِ أن نؤمنَ ونصدقَ به، من دونِ أن نفهمَ المرادَ منه، ولا أن نستفيدَ منه شيئاً في ديننا، ودُنيانا .. لَا .. بل هو يَرِدُ لتَعضِيدِ، وتَوضيح معناً محكماً هامّاً .. فيزيدُه إيضَاحاً، وتفصيلاً، وإحْكَامَاً.

مثال توضيحي: قوله تعالى:[وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]الحديد:4.

المعنى المُحْكَم فِيما يخصُّ المثَال التَّوضِيحي أعلَاه: أن اللهَ تعالى مُسْتَوٍ على عرشه استواءً يليقُ بجلالِه، مِن غيرِ تكييفٍ، ولَا تَعطيلٍ .. بَائنٌ عن خَلْقِه، غيرُ مُتَّحدٍ به .. ومعْنَى مُحْكَم آخَر: أنَّ اللهَ تعالى عالمٌ بكلِّ شيءٍ، قادرٌ على كلِّ شيءٍ .. لا يَخفَى عليه شيءٌ، ولا يُعْجِزُه شيءٌ .. يَنصرُ مَن يَنصُره .. وأنَّ مشيئتَهُ نافِذَةٌ؛ لا يكونُ شيءٌ في الوجودِ إلا وفقَ مشيئتِهِ وإرادتِه.

المعنى المتَشابه: هو قولُه تعالى:[وَهُوَ مَعَكُمْ]؛ وهو مُتَشابَه؛ لأنَّه يحتملُ لغةً أكثرَ مِن مِعنى وتَفْسير: هل المعيَّةُ الواردَةُ يُرادُ مِنها مَعيَّةُ الذَّاتِ .. أمْ معيَّةُ العِلمِ، والقُدْرَةِ، والمشيئةِ، والإرادَةِ .. أم هي معيَّةٌ مجهولةٌ، لا دلالةَ لها .. نؤمنُ بها من دونِ أن نعرفَ مدلولاتِها، أو أن نستفيدَ مِنها في دِيننا ودُنيانا ...؟!

فالمعنى الشَّرعي المُتَشَابه الموافقُ للمحْكَم، الذي يزيدُ المحكمَ إحْكامَاً، وإيضَاحاً وتَفصيلاً، هو القولُ بأنَّ المرادَ بالمعيَّةِ في قوله تعالى:[وَهُوَ مَعَكُمْ]؛ هي معيَّةُ العِلمِ، والقُدرَةِ، والإرادَةِ، والتَّوفيقِ، والنُّصرةِ، والتَّأييدِ .. وعلاقةُ هذا المعنى بالنسبةِ للمحكَمِ الأوَّلِ المشَار إليه أعلاه .. أنَّ علوَّ الخالقِ سُبحانه على خلْقِه، واستواءَه على عرْشِه .. وبينونَتَه عن خلْقِه .. لا يَنبغي أن يُفْهَم منه انتفاء معيَّتِه لعبادِه .. ولا يمنعُ مِن أن يكون اللهَ تعالى ـ وهو مستوٍ على عَرشِهِ بائنٌ عن خَلقِه ـ معكم بعلمِه، وقدرتِه، وقوتِه، وإرادتِه، ونَصْرِه، وتَوفيقِه، وتأييدِه .. وأينما تكونُون .. فازدَادَ المعنى المحكَم بهذا التوضِيح المستَفَاد مِن النَّصِّ المتشابَهِ إيضَاحاً، وتَفصيلاً، وإحْكَاماً .. ما كنا سنَسْتَفيدُه مِن دونِ هذا النصِّ المتَشَابَه.

أما فِيما يتعلَّقُ بالمحكمِ الآخَر، وهو أن اللهَ تعالى عالمٌ بكلِّ شيءٍ، وقادرٌ على كلِّ شيءٍ، لا يعجزُه، ولا يخفَى عليه شيءٌ .. أرادَ الله تعالى أن يزيدَه إيضَاحاً، وتفصِيلاً، وإحْكَاماً بقولِه [وَهُوَ مَعَكُمْ]؛ أي أن اللهَ معكُم بعلمِه، وقُدرتِه، وقوتِه، وإرادتِه، وتوفيقِه، ونَصْرِه معيَّةً خاصَّة؛ على التعيين .. كلُّ شَخصٍ بعينِه واسمِه .. وأينما يكونُ .. فأنتَ يا عبدَ اللهِ في مواجهَتِك للبلاءِ، وللشَدائدِ، ولِصعَابِ الأمورِ لستَ بمفردِك؛ أنتَ معَكَ اللهُ .. ولا شَكَّ أن هذا المعنى المضَاف والمستفَاد من النصِّ المتَشَابَه له أثر بليغٌ وعظيمٌ على إيمانِ ويَقِينِ وثباتِ المرْءِ .. وعلى سلوكِه واستقامَتِه .. وعلى تَعلُّقِه بخالقِه، وتوكلِه عليه .. وعلى فَهمِه الصحِيح لِصفاتِ الخالقِ سُبحانه وتعالى، وكما في قولِه تعالى لموسى وأخيهِ هارُون

عليهما السلام:[لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى]طه:46. فموسى عليه السلام كان يَعلمُ أن اللهَ تعالى عالمٌ بكلِّ شيءٍ، وقادرٌ عليه، ولا يخفَى عليه شيءٌ .. ومعَ ذلك أرادَ اللهُ تعالى أن يزيدَه يَقيناً، وثَباتاً، وقوَّةً في مواجهةِ طُغيانِ الطاغُوتِ فرعون .. وأن يُزيلَ مِن نَفْسِه أدْنَى درجاتِ الخَوفِ، والتردُّدِ .. فقالَ لهما:[لَا تَخَافَا]؛ لماذا لا يَخافا؟ [إِنَّنِي مَعَكُمَا]؛ على التَّعيين والتَّخْصِيص، [أَسْمَعُ وَأَرَى] ما يدورُ بينكما وبين الطاغية فرعون .. ومَن كان اللهُ معه أنَّى للخوفِ أن يتسلَّل إليه .. فإنْ تَسَلَّلَ إليهِ منه شيءٌ، فهو لنقصٍ في اليقينِ بمعيَّةِ اللهِ.

هذا مثالٌ توضِيحِي يُبين أهميَّةَ النصِّ المتشَابَه في دينِ اللهِ، وفي فَهم وتَفسيرِ المحكمِ مِن دينِ اللهِ .. والأمثلةُ كثيرةٌ .. نكتَفِي بما تقدَّمَ ذِكْرُه، والحمدُ لله رب العالمين.

* * * * *

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ

182- [فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ]؛ مَيْلٌ عن الحَقِّ إلى الباطِلِ .. يَنتصرُون لزيغِهم وباطلِهم:[فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ]؛ فيتَّبعون المتشَابَه من كتابِ اللهِ تعالى، ويَترُكون المُحْكَمَ منه، بل ويَضربُون ويُعارضُون المُحْكَمَ بالمتَشَابَه .. ويجعلون من المتَشَابه دلياً حَاكِماً على المُحْكَمِ، ومُفَسِّراً له .. حتى النَّص المُحْكَم فإنَّهم يتَّبعونَ الفهمَ المُتشَابَه له .. وحيثُما تَجِدُ هَفَوَات وزَلَّات وسَقَطَات أهلِ العِلْمِ فَثَمَّ هُمْ .. ومَا حَمَلَهُم على فِعلِ ذلك إلا الرّغبةُ في:[ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ]؛ إرادَة وقَصْد فتنةِ النَّاس عن دِينِهم، وقصْد التَّشْويشِ على ثوابتِ الدِّين في نُفُوسِ النَّاسِ .. فهم يَطلبون العِلْمَ لتتَحصَّل لديهم القدرَةُ على التَّشْويشِ، والتَّضْليل، وتَزيين الباطِل، [وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ]آل عمران:7. إرادة تحريفِ كلامِ اللهِ عن مُرادِ اللهِ تعالى من كلامِه .. فيُسمُّون تحريفَهم لكَلامِ اللهِ تَأويلاً؛ ليروجَ تحريفُهم وباطِلُهم على النَّاس!

وأكادُ أجْزِمُ أنَّ كُلَّ مَن عَارَضَ الإسلامَ واعترَضَ عليه، مِن الكافرين، والمنَافِقين هم مِن الذين يَتَّبِعُون مَا تَشَابَه مِنه ابتِغَاءَ الفِتْنَةِ، وصَدِّ النَّاسِ عَن دِينِ اللهِ!

* * * * *

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ

183- [وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ]آل عمران:7. العلماءُ العامِلُون .. المتمكِّنُون مِن علومِ الآلَةِ .. الجامِعون بين الفِقْهَين: فِقهُ التَّنزيلِ، وفِقْهُ واقِعِ التَّنزِيلِ .. المقتَدُون المتَّبعُون للكتَابِ والسُّنَّةِ، على فهمِ السَّلَفِ الصَّالح .. المنَافِحُون عن السُّنَّةِ، الرَّادُّونَ للبدَعِ، والمحدَثاتِ في الدِّين.

184- [وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ]آل عمران:7. الذين يَعْقِلُونَ عنِ اللهِ تعالى، وعَن رسُولِه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئاً

185- [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ]آل عمران:10. أكثرُ مَا يَنشغِلُ بهم الكافرُ عن حقِّ اللهِ عليه، ويحملُه على الطُّغيان والكِبر، الأموَالُ والأَولَادُ .. فيُعاقَب يومَ القِيامَةِ مِن جِنْسِ ما كانَ يَنشغلُ به عن عِبادَةِ اللهِ، وتَوحِيدِه، فينقلبون عليه يومَ القِيامَةِ حَسْرةً ونَدَامَةً .. ثم لا يمنعُون عنه من عذَابِ اللهِ شيئاً، ولا يَقْدِرُون ...!

* * * * *

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ

186- [زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ]آل عمران:14. لتعمُرَ وتستمرَّ الحياةُ .. ولولا هذا التزْيين لمَا استمرَّت الحياةُ، ولَا وُجِدَ على الأرضِ إنسانٌ .. فالشهواتُ تُحَمَدُ ما ضُبِطَت بمنهجِ اللهِ، ولُجِمَت بلِجَامِ الشَّرْعِ .. واستُعينَ بها على استمرارِ الحياةِ وإعمارِها وفقَ منهجِ اللهِ .. ولها حُدُود حَدَّها اللهُ لا تتعدَّاها .. فإذا مَا خرَجَت عن منهجِ اللهِ، وتعدَّت حدودَ اللهِ .. وفُكَّ عنها عقالُ الشرْعِ، وشَذَّت .. وأُطْلِقَ لها العنَانُ .. لَا تُذَم حينئذٍ الشَّهوات، أو أصلُ الشهواتِ، وإنما يُذم مِنها ما تجاوزَ حدُودَ اللهِ، ومَا زَادَ عن الحدِّ الذي شَرَعَهُ اللهُ .. والشيطانُ لا يُزينُ الحلالَ مِن الشهواتِ، وإنما يُزينُ الشُّذُوذَ، والزائدَ عن المشروعِ من الشَّهواتِ!

* * * * *

شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ

187- [شَهِدَ اللّهُ]؛ مِن خِلالِ آياتِه المقروءَةِ والمسْمُوعَةِ، وآياتِه الكونيَّةِ المرئيَّةِ .. فاجتمعَت في هذهِ الشهادةِ جميعُ الآياتِ الدَّالَّةِ على وحدانيَّتِه سُبحانه .. وكفَى به شَاهِدَاً، [أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ]؛ لَا مَأْلُوهَ، ولا مَعبُودَ بحقٍّ في الوجُودِ إلا اللهُ، [وَالْمَلآئِكَةُ]؛ وزيادَةً في التَّأكيدِ على هذهِ الشَّهادَةِ العظيمةِ؛ فالملائكةُ كلُّهم؛ المقرَّبُون مِنهم، وغيرُ المقرَّبِين، شَهِدُوا بِشَهَادَةِ التَّوحِيدِ .. وأيضَاً، [وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ]؛ جميعُ أهْلِ العِلمِ مِن لَدُن آدَم عليه السلام، وإلى قِيامِ السَّاعَةِ، يَشْهَدُون ويَقرُّون بالاعتقَادِ، والقوْلِ، والعَمَلِ أنَّه لَا إله إلا اللهُ، [قَآئِمَاً] على شُؤونِ خَلْقِه؛ إذْ لا وجُودَ، ولا حرَكَةَ، ولا حَياةَ للخَلْقِ مِن دونِه سُبحانَه، [بِالْقِسْطِ]؛ بالعَدْلِ؛ الميزانُ الذي به يَنضَبطُ ويَستقِيمُ كُلُّ شَيءٍ، ومِن دُونِه يَضطَّربُ كُلُّ شَيءٍ، [لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ]؛ تكرارٌ يُفيدُ التَّأكيدَ على شَهادَةِ التَّوْحِيدِ، وأهميَّتِها

.. وهذه شَهادَةٌ اجتمعَ فيها مَا لم يجتمَعْ في غيرِها مِن الشَّهَادَاتِ؛ اجتمَعَ فيها أعظَمُ شَاهِدٍ، معَ أعظَمِ شَهَادَةٍ، على أعْظَمِ مَشْهُودٍ، [الْعَزِيزُ]؛ في مُلْكِهِ وخَلْقِه، ليسَ له وليٌّ مِن الذُّلِّ، [الْحَكِيمُ]آل عمران:18. الذي خَلَقَ، ثم هَدَى كُلَّ مخلُوقٍ إلى ما يَنفَعُهُ، ويَضُرُّه.

والآيةُ أفادَت أنَّ جميعَ العُلماءِ، مِن لَدُن آدم عليه السلام وإلى قِيامِ السَّاعَةِ، يَشهَدُون بالوحدانِيَّةِ للهِ تعالى، وأن لا إله إلا الله، مَفهومُ المُخَالَفَةِ أنَّ مَن لا يَشهد شَهادَةَ التَّوحِيدِ، أو يأتي بما يُناقِضُ ويُضَادُّ شَهادَةَ التَّوحيدِ، يخرجُ مُباشرةً مِن اسمِ وصِفَةِ وزِمْرَةِ العُلَماءِ، مَهما اتَّسَعَ صِيتُه، وكَثُرَت ألقَابُه!

* * * * *

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ

188- [إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ]؛ إن الدِّينَ الحقَّ، الذي ارتضَاه اللهُ تعالى لعبادِه، وأوحاهُ إلى جميع أنبيائه ورسُلِه .. الذي لَا دِينَ غيره إلا البَاطِل .. هو دِينُ [الإِسْلَامُ]آل عمران:19. دِينُ الاستِسْلامِ، والطَّاعَةِ، والانقِيادِ، والخضُوعِ، للهِ عزَّ وجل، ولحُكمِه وشَرْعِه .. ولِشَهادَةِ التَّوحِيدِ " لا إله إلا الله "، الشهادَةُ التي بَعثَ اللهُ بها جميعَ الأنبياءِ والرسُلِ؛ والتي من معَانِيها ولوازِمِها، البرَاءَةُ مِن الشِّرْكِ، وعِبادَةِ غيرِ اللهِ، والإقرارِ ظَاهِراً وباطِناً، وبالقولِ والعَمَلِ، أن المعبودَ بحقٍّ ـ في الوجودِ كُلِّ الوجُودِ ـ هو اللهُ تعالى وحده.

189- [إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ]آل عمران:19. لَا يُوجَدُ دينٌ سماوِي غَير دِينِ الإسلامِ .. فدِينُ إبراهيم .. وموسَى .. وعيسَى عليهم السلام هو دينُ الإسلام .. وهو يَقُوم على ركنَين أسَاسِيين: تَوحيدُ اللهِ تعالى في العِبادَةِ، والبرَاء مِن الشرْكِ، والمشرِكين .. وتوحيدُ الأنبياءِ والرسُلِ في المتَابَعَةِ .. ومَا مِن نبيٍّ مِن أنبياءِ اللهِ تعالى إلَّا وقَد بُعثَ بهذَين

الركنَين: عِبادَةُ اللهِ تعالى وتَوحِيدُه .. وطاعَةُ ومتابَعَةُ الأنبياءِ والرسُلِ فِيمَا يُبَلِّغُون عنِ اللهِ عزَّ وجل.

* * * * *

وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء

190- [وَتُعِزُّ مَن تَشَاء]؛ مَن ألهمْتَه ووفَّقْتَه لطاعَتِك، [وَتُذِلُّ مَن تَشَاء]آل عمران:26. مَن آثَرَ مَعصِيتَك على طاعَتِك .. نسألُ اللهَ تعالى أن يُعزَّنَا ويُكرِمَنَا بطاعَتِه، وتَوحِيدِه.

191- [وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء]آل عمران:26. كم مِن عَزيزٍ؛ حملتهُ العِزَّةُ على الطُّغيانِ، والظُّلمِ، والكِبرِ، والتَّعالِي على الخلْقِ .. فأذَلَّه اللهُ، واستبدَلَ عِزَّتَه بالذُّلِّ، والهوانِ، وجَعَل الدَّولةَ عليه بعدَ أن كانَت لَه .. وكم مِن ذَليلٍ ضَعيفٍ؛ يُعَانِي الظلمَ مِن الفَريقِ السَّابقِ الذِّكْرِ .. يُعزُّه اللهُ بعدَ ذُلٍّ، ويُعْلِي مِن شَأنِه، ويجعلُ الدولةَ له، بعد أن كانَت عليه .. ليعلمَ الفريقَان أن الذي يُعزُّ، ويُذلُّ هو اللهُ .. يُعزُّ مَن يَشاء، ويُذلُّ مَن يَشَاء.

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء

192- [قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء]آل عمران:26. الوجُودُ كله مُلكٌ للهِ وحدَه، يَتصرَّفُ بمُلكِه كيفَمَا يَشَاء، يُعطِي مَن يَشَاءُ، ويمنَعُ الملكَ عمَّن يَشاء، وينزعُه ممَّن يَشاء، لَا يُسْأَل عمَّا يَفعَل، ولَا يوجَدُ مَن يَشاركُه ويُقاسِمُه المُلْكَ، ليَسألَه عمَّا يَفعَل .. ومَن يَزعُم أنَّه يملكُ شَيئاً ـ مَهمَا كانَ حَقيراً وصَغيراً ـ مِن دُونِ اللهِ، ومُستَقِلّاً عن اللهِ .. فهو أوَّلاً كاذِبٌ؛ الوقعُ يُكَذِّبُه، ويُبطلُ زَعمَه .. وثانياً؛ فهو مُشركٌ؛ قَد أشركَ باللهِ بزعمِهِ البَاطِلِ هَذا!

* * * * *

إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً

193- [إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً]؛ أي إلَّا أن تكونَ في ظِلِّهِم ـ العَدُو ـ لا تَستطيعُ الخروجَ من سُلطانِهم .. وتَخشَاهُم على دِينِك، ونَفْسِكِ، وعِرْضِكَ، ومَالِك .. في هذه الحالةِ يجوزُ لك أن تُظهِرَ لهم الموالاةَ باللسانِ بالقَدْرِ الذي يَدْفَعُ عنك أذَاهم وشَرَّهم، من غيرِ تَوسُّعٍ ولا زِيادَةٍ، بشرطين: أن تُضمِرَ لهم العَدَاوَةَ في القَلبِ ـ لأن القلبَ لا سُلطان للعدوِّ عليه ـ وأن لا تُعِينَهم على مسلمٍ؛ لأنَّك وأخِيكَ المسلم سَواء في الحُرمَةِ، فلا يجوزُ أن تَفْدِي نَفْسَك، بأخِيك .. [وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ]آل عمران:28. مِن أن تَلتجِئوا للتَّقِيَّةِ من غيرِ ضَرورَةٍ، أو أن تَتوسَّعُوا في استخدَامِها في غَيرِ مَوضِعِها، وأكثَرَ ممَّا هو مُباحٌ لكم.

194- [إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً]، نتَفَهَّم العِبَارات التي تُقال للضرُورَةِ مِن قَبِيلِ التَّقيَّةِ السياسيَّةِ للتخذِيلِ عن المسلمِين، ودفع الشرِّ والأذَى عنهم .. أو التي تُقال مِن قَبِيل مُقَابلَةِ المعرُوفِ بمعرُوف .. لكن الشيء الذي لا نَقبلُه ـ وهو مَردودٌ شَرعاً ـ أن تُستخدَم التقيَّةُ السياسيَّةُ في غيرِ موضِعِها، وبالقَدْرِ الزائدِ عن المسمُوح به شَرعَاً، وأن تَأتي القَرائنُ العَديدَةُ التي تُعبِّرُ بقوةٍ عن صِدْقِ الولاءِ والانتماءِ للشَرِّ والأشْرَارِ .. لذلك قالَ تعالى:[وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ]؛ يحذّركم اللهُ انتقَامَه مِن أن تتوسَّعُوا في استخدامِ التقيَّةِ أكثر مِن القَدْر المسمُوح به، وفي غَيرِ مَوضِعِها .. ولغيرِ ضَرورَةٍ مُلجئةٍ .. أو أن تكونَ ذريعةً للتعبيرِ عن صِدْقِ الولاءِ والانتماءِ للشرِّ والأشْرَارِ، [وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ]آل عمران:28. المرجعُ والمآبُ، يومَ الحِسَاب، واللهُ تعالى يَعلمُ الصادِقَ الذي استخدَمَ التقيَّةَ للضرورَةِ، مِن غيرِ توسُّعٍ، وبضوابطِها الشَّرعيَّةِ .. ومَن استغلَّها لمآربِه الخاصَّةِ والحزبيَّةِ مِن غيرِ ضَرورةٍ؛

ليُغطِّي على صِدقِ ولائِه وانتمائِه للشرِّ والأشرَارِ .. فيُحاسِبُ ويجازِي كلَّ طرَفٍ بما يَستَحِق.

وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ

195- [وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ]آل عمران:28. يا ابنَ آدم .. يا ابنَ الأمواتِ .. مَهْمَا عِشْتَ .. وعَمِلْتَ .. ومَلَكْتَ .. وتَرَبَّعْتَ .. وكَيْفَمَا، وأينما ذَهَبْتَ .. ومَهمَا تَشَعَّبْت بكَ المذَاهِبُ، والدُّرُوبُ، والأسفَارُ .. إنَّكَ مَيِّتٌ، وإنَّك صَائرٌ إلى ما صَارُوا إليه .. وإنَّ مرجِعكَ المحتُومُ الذي لا حَيْدَةَ عنه؛ إلى اللهِ .. إلى خالِقِكَ، ومالِكِك .. وإنَّه تعالى لسائِلُكَ عمَّا كان مِنْكَ مِن عمَلٍ .. فانظُرْ مَلِيّاً بما تَرجعُ به إلى رَبِّك!

* * * * *

قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ

196- [قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ]آل عمران:29. قد تُخْفِي مَا في صَدْرِك عن المخلوقِ؛ فتُبْدِي له خِلافَ ما في صَدْرِك .. أمَّا الخالِقُ عِلمُه بباطِنِك وسَرِيرتِك كعِلمِه بظَاهِرِك .. أخْفَيْتَ أمْ أبدَيتَ فهو يَعلَمُه .. وهو عليه هيِّنٌ .. لا يُمكنُ أن تُخْفِي عنه شَيئاً .. وهذا يَستدعِي مِنك أن تُراقِبَ سَرِيرَتَك، ومَا وقَرَ في صَدْرِك؛ فَلا تُضمِر إلَّا خَيراً .. ولا تُرِي اللهَ مِنكَ إلا خَيْراً.

* * * * *

فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ

197- [فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ]آل عمران:32. وبالتالي لا يمكنُ للمؤمنين ـ إن أرادُوا أن يحافِظُوا على صِفَةِ الإيمانِ والمؤمنين ـ أن يحبُّوا الكافِرِين المشركين .. أن يحبُّوا ما يَبغضُ اللهُ .. إذْ لا بدَّ للمؤمنين أن يُتابِعُوا اللهَ فِيمَا يُحبُّ، وفِيما يَكرَه؛ فيُحبُّونَ ما

يحبُّ، ويَبغضُون ما يَبغضُ .. وفي الحديث:" من أحبَّ للهِ، وأبغض للهِ، وأعطَى للهِ، ومنع للهِ، فقد استكمل الإيمانَ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يكونَ هواه تَبَعاً لما جِئتُ به ". لِما جاءَ به مِن عِندِ ربِّه .. ومَا تقدَّم لا يمنعُ مِن مُعامَلتِهم ـ كما وردَ في الكتابِ والسُّنَّةِ ـ بالرِّفقِ، والصِّدْقِ، والعَدْلِ، والإحْسَانِ .. وبخاصَّة في مواطِنِ الدَّعْوةِ إلى اللهِ.

* * * * *

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ

198- [قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ]آل عمران:31. للآية دلالتين: الأولى؛ أن المحبَّةَ على قدْرِ المتابعةِ للنبيّ صلى الله عليه وسلم، والمتابعةُ على قدرِ المحبَّة، فكلٌّ منهما لازمٌ وملزومٌ للآخر، زيادةً ونُقصاناً، وجُوداً وعَدَماً. الثانية؛ أن الغايةَ من المتَابعةِ ـ والتي تعني الانقيادَ والطاعةَ، والعبادَةَ العامَّة والخاصّة، الظاهرة والباطنَة ـ تحقيقُ المحبَّةِ؛ محبةُ العَبدِ لخالِقِه، ومحبّةُ الخالقِ لِعبدِه، فتحقيقُ المحبَّةِ ثمرَةُ الثَّمرات، وغَايةُ الغاياتِ، ليس بعدها غاية، وما قَبلها، وما دونها من غايات هي وسيلةٌ لتحقيقِ غايَةِ المحبّة.

* * * * *

فَاتَّقُواْ اللّهَ

199- [فَاتَّقُواْ اللّهَ]آل عمران:50. الاتِّقَاءُ؛ الاحْتِمَاءُ بشيءٍ مِن شَيءٍ .. أي احتَمُوا من اللهِ .. وأنَّى للعَبدِ أن يحتَمِيَ مِن خالِقِه؟! فيكونُ المرادُ: احتموا باللهِ من اللهِ .. احتَمُوا بطاعَتِه مِن مَعْصيتِه .. واحتَمُوا برضاه مِن غَضَبِه .. واحتمُوا بعفوِه ورحمتِه مِن عقوبَتِه، وشَدِيدِ عَذَابِه.

* * * * *

وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

200- [وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ]آل عمران:57. قد تكونُ للظلمِ نشوَة أو مصلَحَة مُستعجلة، تحملُ صاحِبَها على الظُّلمِ .. لكن حَسْب الظَّالمِ عقُوبةً أنه بظلمِه يخرجُ مِن ولايةِ اللهِ تَعالى، ومن جملةِ أوليائِه وأحبَّائِه .. ومَن لا يحبُّه اللهُ يُوضَعُ له البُغضُ والنُّفُور في القُلُوبِ؛ فيَبغضُه مَن في السَّماءِ، ومَن في الأرضِ.

* * * * *

فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

201- [قُلْ]؛ الأمْرُ لمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، ولجميعِ أتباعِه، وإلى قيامِ السَّاعةِ .. والآمِرُ هو اللهُ سُبحانه وتعالى:[يَا أَهْلَ الْكِتَابِ]؛ وهم اليهودُ والنَّصارَى .. وهم كفَّار .. ولكن الموضِع موضع حِوارٍ .. ودَعوة إلى الحوارِ .. وهذا يَستدعِي تلطيفَ الخِطابِ عند مخاطبتِهم؛ فهو أدعى للإصغاءِ والفهم والقبول .. لذا جاء الأمرُ من اللهِ بأن نقول:[يَا أَهْلَ الْكِتَابِ]؛ وهو خطابُ محبَّبٌ لقلوبِ اليهودِ والنَّصارى، يُذكِّرهم بأصلِ ومنبت دعوتِهم ودينِهم، وأن الدِّينَ الذي أُنزِلَ على أنبيائِهم والإسلامَ الذي أنزِلَ على محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم هو دِينٌ واحدٌ، وقد خرَجا من مِشْكاةٍ واحِدةٍ، وهو أدْعَى للاتفاقِ وعدَمِ الاختلافِ، [تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ]؛ لا يتمايزُ أحدُنا عن الآخَرِ، ولا يَتفاضَلُ ولا يتَعَالى أحدُنا على الآخَرِ، فكِلَانا سَواءٌ أمامَ هذهِ الكلمَةِ .. لا فَرْقَ بيننَا وبينَكُم في قبُولِها، والالتزامِ بها، والخضُوعِ لها .. فما هي هذه الكلمة؟ [أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ]؛ لا نَصرفَ العِبادةَ الظاهِرةَ والباطِنةَ إلا لمن يَستَحِقُّها؛ وهو اللهُ تعالى وحده، [وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً]؛ فتكونُ العبادَةُ خالِصةً لوجهِ اللهِ تعالى، لا يُصرَف شيءٌ منها أو ممَّا يَدخُل في مَعنى ومَسمَّى العِبادَة لغيرِ اللهِ تعالى، [وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً]؛ مُشَرِّعين؛ نُشَرِّعُ

لِبعْضِنا البَعْض التشريعَ الذي نشاءُ ونهواه، فنُحِلُّ ما نَشاءُ، ونحرِّمُ مَا نَشَاء .. لا نحنُ نشرِّعُ لكم، ولا أنتم تُشَرِّعُون لنا، [مِّن دُونِ اللهِ]؛ بغير إذنٍ ولا سُلطانٍ مِن اللهِ تعالى الذي له الحُكْم وحدَه، وله وحْدَهُ الحَقُّ في أن يُشرعَ ما يَشاءُ؛ فيُحلُّ ما يَشاءُ، ويحرِّمُ ما يَشاءُ، وليسَ على العبادِ إلا طاعَتهُ، وتَحليلُ حلالِه، وتحريمُ حرامِه، [فَإِن تَوَلَّوْاْ]؛ أعرَضُوا، ونَأوا، وأبَوا أن يَستجيبُوا لهذا الكلمَةِ السَّواء، [فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ]آل عمران:64. لا تَبحثُوا معَهم عن التقاءِ وتقارب في جوانب ومواضيع أخْرَى غيرَ هذه الكلمَةِ .. كما يَفعلُ دُعاةِ حِوارِ الأدْيانِ في هذا الزَّمانِ، فإنَّهم يَتحاورُون حولَ كلِّ شَيء، ويتَنادونَ للحوارِ حولَ كلِّ شَيءٍ إلَّا هذه الكلمةِ التي أمرَنا اللهُ تعالى أن ندعوَهم إليها، ونحاورَهم حَوْلها، " مَن المعْبُود بحقٍّ في الوجُود ؟"، فلا يَقتربُون منها، ولا تكونُ مادَّةً مقرَّرَةً ومعروضةً للنِّقَاش .. وإنّما قُولُوا لهم: اشهَدُوا بأنَّا مُسلِمُون .. مُستسلمُون لأمرِ اللهِ تعالى وحُكْمِه .. لكمْ دِينُكم، ولنَا دِين .. لا تَقَارُبَ ولا التقاءَ ولا تحاورَ بيننا وبينكُم على غيرِ كلمةِ الإسْلامِ والتَّوحيدِ:" لا إله إلا الله "، من المألُوه والمعبُود بحقٍّ في الوجُود ...؟

* * * * *

وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً

202- [وَمِنْهُم]؛ أي مِن اليهود [مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً]؛ مثالُهم في يومِنَا الصهاينَةُ اليهود؛ لا يُمكن أن تنتزعَ مِنهم حَقّاً للشعبِ الفلسطيني ـ مهمَا كان ضَئيلاً! ـ إلا بشقِّ الأنفُسِ، ومعَ المراقبَةِ، والمتابَعَةِ، والإلحاحِ في المطالبَةِ، [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ]؛ أي في العرَبِ، [سَبِيلٌ]؛ أي مِن حَرَجٍ يمنعُ مِن السَّطْوِ على حقُوقِهم، وممتلكاتِهم، ويَنسبون ذلك زُوراً إلى اللهِ، وأنَّ اللهَ

تعالى قد أذِنَ لهم بذلك .. وقَد كَذَبُوا على اللهِ، وهم يَعلمون أنَّهم يَكذِبُون، [وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ]آل عمران:75.

* * * * *

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ

203- [وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ]؛ يَقْرَؤُونَ المحرَّفَ من كلامِهم ويُرتِّلُونَه كما يَقرؤون كلامَ اللهِ، ليحْسَبُه السَّامعُ أنَّه من كَلامِ اللهِ المنزَّل، [وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ]آل عمران:78. وهذه آيةٌ نزلت في أهلِ الكِتاب، الذين حَرَّفُوا كِتابَ اللهِ .. والذين يُرتِّلُون ويَقرَؤُون الأدْعيَةَ والأذْكارَ التي هي ليسَت من القُرآنِ الكريم، كما يَقْرَؤون ويُرَتِّلُون ويجوِّدُون القُرآن ـ فتُشْكِلُ على السَّامع، وبخاصّة إن كان من العَجَمِ هَلْ هي من كِتَابِ اللهِ أمْ لا ـ لهم حَظٌّ مِن هذهِ الآيةِ، وما تَتَضمَّنه مِن وعِيدٍ!

* * * * *

أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ

204- [أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ]؛ يقصدُونَه، ويريدونَه .. وله يخضعُون، ويتَّبعون، ويُطيعُون .. ويُطالبون غيرَهم أن يدخلُوا في دينِهم وطاعَتِهم، مِن دونِ دينِ اللهِ؛ الإسلام .. فالكافرُ مِن أيِّ ملَّةٍ كانَت، وعلى أيِّ اعتقادٍ كان له دِينٌ يَعتقدُه، ويُطيعُه، ويتبعُ تعاليمُه، ويَدعُو إليه، يُوالي ويُعادِي فيه، [وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً]؛ كيفَ تَقْدِمُون على فعلِ ذلك، واللهُ تعالى قد انقادَ له، وخَضَعَ، واستَسْلَمَ، رَاغِباً مُطيعاً، ومحبَّاً، جميعُ مَن في الوجودِ مِن مخلوقاتٍ؛ استسلموا لحكمِه الكوني والشَّرعي، ووحَّدُوا اللهَ تعالى في ربوبيتِه وألوهيَّتِه، [وَكَرْهاً]؛ باستثناءِ الكافرِ الذي اختارَ الكفرَ؛ فإنه استسلمَ كَرْهاً لحكمِهِ الكوني، دونَ حكمِه الشَّرْعي .. استَسْلَمَ وخضعَ كرهاً ورغماً عن أنفِه

لربوبيَّةِ الله تعالى، فهو مخلوقٌ مربوبٌ، ومملوكٌ للهِ، لا يخرجُ عن مشيئةِ وإرادَةِ اللهِ تَعَالى؛ وجُودُه، وحياتُه، وموتُه، ورزقُه، ومرضُه، وغير ذلك مِمَّا لا إرادَةَ له ولا اختيارَ في تحديدِه، ولا في دَفْعِه .. وعصَاهُ في الألوهيةِ والعِبادَةِ، مما له فيه اختيارٌ، وهو مع عصيانِه هذا ـ كنَفْسٍ ـ فإنَّ جميعَ خلَايَا وأعضاءِ وذَرَّاتِ جَسَدِه ـ سواءٌ كان مِن الجنِّ أم مِن الإنْسِ ـ داخلةٌ في معنى الطَّاعةِ، والعبادَةِ، والخضُوعِ، والانقيادِ العام للهِ تعالى، وتوحيدِه في الربوبيَّةِ، والألوهيَّةِ، تخالفُ صاحبَها في عصيانِه، واختيارِهِ للكفْرِ، وتلعنُه؛ لأنَّ مَا من شيءٍ إلا ويعبدُ اللهَ تعالى، ويُسبحُ بحمدِه، ومُستَسْلِمٌ لربوبيتِه وألوهيتِه طوْعَاً، [وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ]آل عمران:83. وإلى اللهِ تعالى يعودُ الجميعُ، ليُجازِيهم على ما كان مِنهم مِن اعتقادٍ وعملٍ، فيُجازِي المؤمنين على إيمانِهم بالجنَّةِ، خالدين فيها أَبَدَاً، والكافرين على كُفْرِهم بنارِ جهنَّم، خالدين فيها أبَداً.

* * * * *

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً

205- [وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً]؛ ومَن يَطلُبُ ويلتَمسُ دِيناً غيرَ دِينِ الإسْلامِ؛ القائمِ على تَوحيدِ اللهِ عزَّ وجَل، وإفرَادِه بالعِبادَةِ، وطاعَةِ ومتَابعَة رسُولِه محمَّد صلى الله عليه وسلم .. أيَّاً كان مَصدرُ هذا الدينِ .. أو كانَت أصُولُه .. سواءٌ كانت أصُولُه سماويَّةً ثم طَرأَ عليها التَّحْرِيفُ، كاليهوديَّةِ، والنَّصرانيَّة، أم أرْضيَّةٌ وضْعيَّةٌ .. ويَدخلُ فِيها جميعُ المذَاهِبِ الفكريَّةِ الوضْعيَّة التي وضَعها الإنْسانُ مِن عِندِ نفْسِه .. وكلُّ مَن يَرفضُ الإسلامَ دِيناً، لَا محالَةَ فهو يَطلبُ دِيناً غيرَه، ويتديَّنُ بدينٍ غيرِه، حتَّى لو سمَّى نفْسَه مُلْحِداً، واعتبرَ نفسَه مِن غيرِ دِينٍ، وفي عداد اللَّادِينيين؛ فدينه حينئذٍ يكونُ الإلحادُ، وعقَائدُ ومبَادِئُ الإلحادِ، [فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ]؛ مهمَا أتَى من الطَاعَاتِ، والأعمَالِ الخيريَّة

الصَّالحةِ؛ لأنه فاقدٌ للإيمانِ، وللتوحِيدِ، وللمتابَعةِ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وهو شرطٌ لقَبُولِ العمَلِ؛ سواءٌ كان ظَاهِراً، أمْ باطِناً، [وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ]آل عمران:85. الذين خَسِرُوا أنفُسَهم .. وخَسِرُوا أعمالَهم .. وأَوْبَقُوا أنفُسَهم في نارِ جهنَّم خالِدين فِيها أَبَدَاً.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ

206- [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ]آل عمران:91. فِيهِ أنَّ العِبْرَةَ بالخَواتِيمِ، وبِمَا يُختَمُ بِهِ على المرْءِ، وأنَّ الوَعِيدَ بالعذَابِ الأليمِ، والخُلُودِ في النَّارِ مُعَلَّقٌ بالموتِ والموَافَاةِ على الكُفْرِ .. نسألُ اللهَ تعالى السَّلَامَةَ، والثَّبَاتَ، وحُسْنَ الخِتَام.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

207- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ]؛ مِن اليَهودِ والنَّصارَى .. تُطِيعُوهم في تحليلِ الحَرَامِ .. وتَحرِيمِ الحَلَالِ .. وتَحسِينِ القبيحِ والشُّذُوذِ .. وتَقبيحِ الحسَنِ والفِطرَةِ، [يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ]؛ يَردُّوكُم بعد إيمانِكُم باللهِ وبرسولِه صلى الله عليه وسلم، وبما أنزلَ اللهُ إليكُم مِن الحَقِّ، [كَافِرِينَ]آل عمران:100. فتنقَلِبُوا كافِرين جَاحِدين باللهِ، وبرسولِه، ومَا أنزلَ اللهُ إليكم مِن الحَقِّ .. وقولُه تعالى:[فَرِيقاً]؛ هَذا مِن الإنْصافِ الذي يجبُ أن نَلتزمَه؛ لأن ليسَ جميعُ أهلِ الكتابِ يَصْدُقُ فِيهم ما ذُكِر عَنهم أعْلَاه.

* * * * *

وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

208- [وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ]آل عمران:101. قد كَثُرَت الفِتَنُ، وتَزَاحَمَت .. وتَكالَبَت على الإنْسانِ فِتَنُ الشَّهواتِ، والشُّبهاتِ .. وكثُرَ دُعاةُ الضَّلَالَةِ .. ولا عَاصم له مِن ذلك كُلِّه إلا اللهُ؛ أن يَعتَصِمَ ويَستمْسِك بدينه، وحَبْلِه المتين .. ومَن اعتَصَم باللهِ، والتَجأ إليه، وتوكَّلَ عليه، فَلا خَوف عليه .. لَا تَضرُّه الفِتَنُ شَيئاً .. وقُد هُدِي إلى صِراطٍ مُستقيمٍ؛ الصِّراطُ المباينُ لجميعِ السُّبلِ البَاطِلةِ المنحرفةِ عنِ الحقِّ.

209- [وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ]؛ وَمَن يَعْتَصِم بكتَابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، على مُرادِ الله، ومُرادِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، [فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ]آل عمران:101. فَقَد هُدِيَ إلى الدِّينِ الحقِّ؛ الذي فيه نجاتُه وسَعادَتُه في الدُّنيَا والآخِرَة.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ

210- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ]؛ هي حدُودُ الاستطاعَةِ ونهايتُها، [وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ]آل عمران:102. أي احرصُوا واجتهدُوا أن لا تموتُوا إلَّا وأنتُم مُسلمُون، واسألُوا اللهَ تعالى حُسنَ الخاتمَةِ، وأن يَختمَ حياتَكُم وأنتم مُسلِمون.

* * * * *

وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ

211- [وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً]؛ لم يَقُلْ الرَّبُ سُبحانه:" وَاعْتَصِمُواْ جَمِيعاً "، وإنَّما أضَافَ، وحَدَّدَ، وقيَّدَ بما نَعْتصِمُ:[بِحَبْلِ اللهِ]؛ لأنَّ أيَّ اعتصَامٍ بغيرِ حَبلِ اللهِ سرعان مَا يَنْفَضُّ، ويتفرَّقُ في فِرَقٍ أشَدُّ ممَّا كان عليه الحَالُ قَبلَ الاعتِصَام .. وحَبْلُ اللهِ تَعالى هو القُرآنُ الكَريم، كما في الحديث:" إنَّ هذا القُرآنَ سَبَبٌ طرفُه بيدِ

اللهِ، وطرفُه بأيديكم، فتمسَّكوا به؛ فإنكم لن تضلُّوا ولن تَهلِكُوا بَعدَه أبَداً ". وفي الأثَر عن ابنِ مسعودٍ رضي اللهُ عنه في قَولِ اللَّهِ:[وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ]، قالَ:" حَبلُ اللَّهِ القُرآنُ ". والقرآنُ أمَرَ في آياتٍ عَديدةٍ تجاوزَت الثَّلاثِين آيةٍ بطاعَةِ الرسُولِ صلى الله عليه وسلم، واتِّباعِ سُنَّتِه، فيكونُ بذلك حَبلُ اللهِ الذي يجبُ أن نَعتصِمَ به هو القُرآنُ، والسُّنَّةُ، [وَلاَ تَفَرَّقُواْ]آل عمران:103. عن الاعتِصَامِ بالكِتابِ والسُّنَّةِ .. فإن فعَلْتُم تَفرقْتُم، ولَا بُد!

212- [وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ]آل عمران:103. الخِطَابُ الذي يُوَحِّدُ، ويجمَعُ، ويُؤَالِفُ بينَ القُلُوبِ، ولَا يُفَرِّقُ .. أكثرُ رُشْدَاً، وأَهدَى سَبيلاً، وأقرَبُ لمنْطُوقِ، ومَفْهُوم، ودَلَالَات الآيَاتِ القُرآنيَّةِ، ومَقَاصِدِ السِّيَاسَةِ الشَّرعِيَّةِ .. مِن الخِطَابِ الذي يُوغِرُ الصُّدُورِ، ويُفَرِّقُ، ولَا يجمَعُ، ويُفَرِّقُ المفَرَّقِ!

* * * * *

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

213- [وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]آل عمران:104. تَصوَّرُوا حياةَ الناسِ تخلُو مِن الطبِّ والأطبَّاءِ .. كم سيكثرُ المرَضُ، والعجزُ، والموتُ بين الناسِ، وكم سيضْعُف عطَاؤهم .. ولربما تَوقَّفَت عجلةُ الحياةِ مِن على الأرضِ .. كذلك تأمّلوا خُلُو الحياةِ مِن " المكانيكيين "؛ الذين يُصلحُون السيَّارات، والشَّاحِانَات إذا مَا عطبَت .. لربما توقفَت السيَّارات والشَّاحِنَات ـ لأدنى عطَبٍ ـ عن السيرِ والعمَل .. بل لو خَلَت مدينةٌ من عمَّالِ القمامَةِ؛ لامتلأتِ المدينَةُ بالقُمامَةِ، والأوسَاخِ، وفشَت الأمراضُ، وأصبَحت السُّكْنَةُ في المدينة لا تُطَاق .. وقِس على ذلك كثيراً من المهَام والأشياءِ .. من أهمِّها بل وأعظمها خَطَراً خُلُو المجتمعاتِ مِن المصْلحين الذين يأمرُون بالمعرُوفِ، وينهون عن المنْكرِ، الذين يُصْلِحُون

مَا يُفسدُه النّاسُ، ويُصلِحُون الناسَ إذا ما فَسدُوا .. فيتراكمُ الفسَادُ، والخرابُ، يَعلُو بعضُه بعضَاً إلى أن تُصابَ المجتمعَات بالهلاكِ والدَّمارِ .. لذلك أمرَ اللهُ تعالى في كلِّ مجتمعٍ من المجتمعاتِ، وكلِّ دولةٍ، ومدينَةٍ، وقريةٍ بوجودِ نفَرٍ متفرّغين ومتخَصّصين يقومُون بواجبِ تعليمِ الناسِ الخيرَ، وواجبِ الأمرِ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكرِ، كما قال تعالى:[وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ]؛ أمرٌ يُفيدُ ابتدَاءً الوجوبَ على جميع المسلمين بأن ينفرَ منهم نَفرٌ يقومُون بواجبِ الأمْرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ .. فإن تحققَت في هذا النَّفر الكفايَةُ قياساً للمجتمع الذي يَعيشُون فيه، سقَطَ الواجبُ عن الآخَرين، وأصبحَ بحقّهم مندُوباً .. وإن لم تتحقَّق الكفايَةُ يبقَى حُكمُ الوجوبِ على جميع مَن هو مؤهَّلٌ من المسلمين لهذه المهمَّةِ العظيمةِ إلى أن تتحقَّقَ الكِفايةُ .. وممَّا يجبُ أن يتحقق في هذه الفئةِ التي تنفرُ للأمرِ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكرِ؛ العِلمُ بما يَأمرونَ به، وبما ينهونَ عنه .. وإلا فإنَّ جاهلَ الشيءِ كفاقِدِه، لا يمكنُ أن يُعطيَه .. [يَدْعُونَ]؛ بالرِّفقِ، والحكمَةِ والموعظَةِ الحسنَةِ، [إِلَى الْخَيْرِ]؛ الخيرُ الجامعُ لخيرَي الدُّنيا والآخرَةُ، ولا يجتمعُ هذا الخيرُ الجامع لخيرَي الدِّين والدُّنيا إلا في الإسْلامِ، [وَيَأْمُرُونَ]؛ عندما لا تَفي مجرَّد الدَّعوةِ والتَّذكيرِ، والتَّعليمِ، بالغرَضِ، تأتي مرحلةُ الأمْرِ [بِالْمَعْرُوفِ]؛ وهو كلُّ ما تَعارَفَ عليه النَّقلُ والعَقْلُ بأنه معروفٌ، وحَقٌّ، وخيرٌ، وأعظمُ المعروفِ، وأعلاه، التَّوحِيدُ، [وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ]؛ وهو كلُّ ما تَعارَف عليه النَّقْلُ والعقْلُ بأنه منكرٌ، وشَرٌّ، وأعظمُ هذا المنكرِ الذي ينهونَ عنه؛ الشِّركُ، [وَأُوْلَئِكَ]؛ الذين يَدعُون إلى الخيرِ، ويَأمرُون بالمعرُوفِ، وينَهونَ عن المنكَرِ، [هُمُ الْمُفْلِحُونَ]؛ الفائزون بخيرَي الدُّنيا والآخِرة.

* * * * *

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ

214- [يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ]؛ وجُوهُ الموحِّدِين، [وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ]آل عمران:106. وجُوهُ المشْرِكين.

* * * * *

وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

215- [وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ]؛ بسببِ إيمانِهم، وتوحِيدِهم، وأعمالِهم الصَّالحَةِ .. فهناك الأعمالُ هي التي تُبَيِّضُ الوجُوهَ، أو تُسَوِّدُها .. [فَفِي رَحْمَةِ اللهِ]؛ في جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاواتُ والأرْضُ .. والتي فِيها من النَّعِيمِ المقِيمِ مَالَا عَينٌ رَأَت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ، [هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]آل عمران:107. خُلُوداً دائماً أبَداً لا يَنْقَطِعُ، ولا يَعْقُبُه مَوت.

* * * * *

وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ

216- [وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ]آل عمران:108. أيُّ أمْرٍ فيه ظُلمٌ .. أو يَدْعُو إلى ظُلمٍ .. أو يُقِرُّ ظُلماً ـ ومِن أيِّ طرَفٍ جاءَ الظُّلمُ، وتحتَ أيِّ عنوانٍ أو زَعْمٍ أو ذَرِيعَةٍ ـ فهو باطِلٌ، ومَردُودٌ .. ودِينُ اللهِ تعالى بريءٌ منه .. والظلمُ مِنهُ مَا يُعْرَفُ بالنَّقْلِ، ومِنْهُ مَا يُعْرَفُ بالعُرْفِ، والعَقْلِ.

* * * * *

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

217- [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...]آل عمران:110. خَيريَّةُ أمّةِ الإسلامِ على سَائِرِ الأمَمِ، لا لِنَسَبٍ، ولا لِعِرْقٍ، أو لونٍ،

أو لغَةٍ، أو جَاهٍ أو مُلْكٍ .. أو لمجرَّدِ الانتماءِ لقوميَّةٍ أو أرضٍ، أو تاريخ .. لا .. وإنما جُعِلت خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت للناسِ لجملَةٍ مِن القِيَمِ والمبادِئ والمفاهِيم، والمهَام، تَلتزِمُ بها، وتعمَلُ لها، وتجاهِدُ من أجْلِها .. من أهمِّها وأعظَمِهَا " الأمرُ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ "؛ فإن تخلَّت عن الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ .. فقَدَت تمايزَهَا، وخيريَّتها على سائرِ الأمَمِ، واستوَت معَها ـ وربما زادَت ـ في دَرَجاتِ الهبُوطِ والانحطاطِ، والتَّحلُّلِ .. وعلى قَدْرِ تخليها عن الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، على قَدْرِ ما تَفقِدُ مِن قوَّتِها، وتمايُزِهَا وخيرِيَّتِهَا على سَائرِ الأمَمِ .. وتَفقدُ مِن مناعَتِها!

الأمرُ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ بمثَابةِ جهازِ المنَاعَةِ في جسَدِ الأمَّةِ؛ ومثَابَةِ الحارسِ الذي يحرسُ ما ورَاءه مِن كلِّ شَرٍّ، وضَرَرٍ .. فإن تعطَّلَ جهازُ المناعَةِ أو مَاتَ، ماتَ معه الجسَدُ، واستوَت عندَهُ السيئاتِ والحسَنَات .. وصَعُبَ عليه التَّمييز بين الخيرِ والشَّرِّ .. وبين الحقِّ والبَاطِلِ .. وبين ما هو نَافِعٌ، وما هو ضَار!

* * * * *

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ

218- [ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ]؛ على اليهودِ بسببِ كُفرِهم، وبغيهم، وقَتلِهم الأنبياء، [الذِّلَّةُ]؛ الذلُّ، والصَّغارُ، والمسْكَنَةُ، [أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ]؛ أينما وجِدُوا، ومهما انتفَشُوا، وتكبَّروا، فالذُّلُّ لا يُفارقهم، وهو يعْلُو وجوهَهم، بما كسبَت أيدِيهم، [إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ]؛ إلا بعهدٍ من اللهِ لهم بالأمانِ، إن دخلَوا في السِّلمِ، والذمَّةِ، ودفعُوا الجزيَةَ، [وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ]آل عمران:112. وعهدٍ لهم من الناسِ بالنِّصرةِ، والدعمِ، والتَّأييدِ .. فكانُوا، ولا يَزالُون ـ مهْمَا أُوتُوا مِن قُوَّةٍ ـ يَحتُون عمَّن يحميهم مِن النَّاسِ، ويُقاتِلُ دُونَهم ومعَهم .. ويمدُّهم بأسْبابِ القوَّةِ والظُّهور .. وهو ما يُفسرُ وقوفَ أمريكا، وغيرِها من الدول، معهم

في الظلمِ والباطِلِ، ومدِّهم بأسبابِ القوةِ والمنَعَةِ، والحياةِ .. واستخدامهم " للفيتو "، الذي يمنعُ من مساءلَةِ ومحاسَبةِ اليهودِ في فلسطين مهمَا بغَو، وظلَمُوا، وقتَلوا .. فجميعُ ما نراهُ من اصطفافٍ مع اليهودِ وظلمِهم، لا يخرجُ عَن معنَى قولِه تعالى:[وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ].

* * * * *

هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ

219- [هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ]آل عمران:119. المؤمنُ غِرٌّ كَريم، على الفِطرَةِ، قلبُه طيّب، سَليمُ السَّرِيرَةِ؛ لو قابلُه الكَافِرُ أو المنَافِقُ بابتسَامَةٍ صَفرَاء، قَابَلَهُ المسلمُ بضحكةٍ صَادِقَةٍ تخرجُ مِن قَلبِه، تَظلُّ مرتسمةً على وجهِهِ دقَائِقَ، لَا يَستطيعُ إخفاءَهَا .. ولو قابلُوه بمعرُوفٍ، لقَابلَهم بمعروفٍ أحسَن مِنه، معَ ثناءٍ وشُكْرٍ، ومحبَّةٍ صَادقةٍ مِن قَلبِه .. فأنزلَ اللهُ قولَه يُرشِّدُ سُلوكَ المؤمنين:[هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ]؛ يحذِّرهُم من المبالغَةِ في مُقابلَةِ المعرُوف .. لَا بَأسَ بأن تُقابِلَ المعرُوفَ بمعرُوفٍ، وأن تَشكرَ المعرُوفَ مِن أيِّ طرَفٍ جاءَ .. وأن تحفظَ للقرابَةِ، والصَّداقَةِ حقُوقَهَا .. وأن تحبَّ لهم الخيرَ، وبخاصَّة خَير الهِدايَةِ .. لكن مِن غَيرِ توسُّعٍ يَشمَلُ المحبَّةَ القلبيَّةَ لذوَاتِهم؛ إذ لَا مُبرِّر لها؛ لأنَّهم لَا يُحبُّون المسلمين المؤمنين .. فتكُون حِينئذٍ محبَّةً مِن طرَفٍ واحِدٍ وحَسْب، مِن دُونِ مُقابَلَةٍ مِن الطَّرفِ الآخَر المقَابِل!

* * * * *

وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا

220- قال تعالى: [وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا]آل عمران:120. ومع ذلك يوجدُ منّا من يَرتضيهم حَكَماً وقُضاةً لحلّ مشاكلِنا ومآسينا ...؟!

221- [إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا]آل عمران:120. فمن سَاءَتْهُ الحسَنَةُ ـ نَصْرٌ أو نِعْمَة ـ التي تُصِيب المؤمنِين، ويفرَح للسيئةِ ـ شِدَّةٌ وبَلاء ـ التي تُصيبهم .. فهو ـ بنصِّ كتابِ اللهِ ـ ليسَ مِن المؤمنِين.

222- [إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ]آل عمران:120. مجرَّدُ المَسِّ، والاقترابِ، ومَهمَا كان الخيرُ الذي يُصيبُ المؤمنِين قَلِيلاً .. فإنَّه يُسيءُ الكافِرين ويُغيظُهم!

223- [إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ]؛ نِعمةٌ، وخَيرٌ، ونَصْرٌ، [تَسُؤْهُمْ]؛ تُغيظُ قلوبَ الكافِرين والمنافقِين .. لِذَا ينبغي ويُستَحْسَنُ إظهَار النِّعم والحسنَات التي تُصيبُ المؤمنِين .. [وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ]؛ بَلاءٌ، وشِدَّةٌ، [يَفْرَحُواْ بِهَا]آل عمران:120. وحتَّى لا يَفرَحُوا بها، وتَطْرَب لها قلوبُهم؛ ينبغي ويُسْتَحْسَنُ كتمَان الشَّدَائِد والمصَائِبِ مَا أَمْكَن لذلك سَبِيلاً .. وأن لا يَروا مِن المؤمنين إلَّا صَبْراً، وتجلُّداً، واستِبْشَاراً.

* * * * *

فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

224- [فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ]آل عمران:123. مِن غَايَاتِ وثِمَارِ التَّقْوَى تَحقِيقُ الشُّكْرِ للهِ .. ولَمَّا سُئِلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن اجتهَادِهِ في العِبادَةِ، قال:" أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوْراً ".

225- [فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ]آل عمران:123. لكي تتمكَّنَ مِن شُكْرِ الله على نعَمِهِ، ولكي تكُونَ مِن الشَّاكِرين .. تحتَاجُ إلى زَادٍ كَبيرٍ مِن التَّقْوَى يُعِينُك على ذلِك .. فالشُّكْرُ ليسَ مقصُوراً على حركَةِ اللسانِ وحَسْب، وإنما يكونُ بالعمَلِ أيضَاً .. وعلى قَدْر التَّقْوَى يكونُ الشُّكْرُ.

* * * * *

وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

226- [وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ]آل عمران:126. العِدَّةُ، والعَدَدُ، والإعْدَادُ .. مِن مُتَطلَّباتِ الحرْبِ، وهي ضَروريَّةٌ، لا ينبغي الغَفْلَةُ عَنها .. لكن مَا كانَ، ولن يكونَ النَّصْرُ بسبَبِها .. كما لا يجوزُ للقَلبِ أن يَتعلَّقَ بها من دُونِ اللهِ .. فكم مِن فئةٍ قَليلةِ العَدَدَ، والعِدَّةِ، غَلبَت فئةً كثيرةَ العَدَدِ والعدَّةِ .. لتَعْلَم يا عبدَ اللهِ أنَّ النَّصرَ مِن عندِ اللهِ تَعالى وحْدَه.

227- [وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ]؛ وهو الإمْدَادُ بالملائكةِ .. فالنفُوسُ البشريَّة لضعْفِ يَقِينها تميلُ لهذَا النَّوع مِن الوسَائِل، وهذا النُّوعُ من التأييدِ المادِّي المحسُوس .. واللهُ تعالى يمدُّ عبادَه المؤمنين بهذَا النَّوع مِن الإمْدَادِ، والتَّأييدِ بالملائكةِ؛ لتطمئنَّ وتَسكنَ قلوبُهم، [وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ]آل عمران:126. لكن على الحقيقَةِ فإنَّ النصرَ كله مِن عندِ اللهِ.

* * * * *

لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ

228- لمن يَستبطئ ثمارَ ونتائجَ دَعوتِه:[لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ]؛ أمر هِدَايةِ النَّاسِ [شَيْءٌ]؛ غير الدَّعوةِ والبيَانِ بالحكمةِ والموعِظَةِ الحسَنَةِ، ثم الصَّبر والثَّبات على ذلك، أما هِدايةُ التَّوفيقِ فمَردُّها إلى اللهِ تعالى وحدَه؛ فهو سُبحانه يَهدِي مَن يَشاءُ، ويُضِلُّ مَن يَشاء، [أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ]؛ فيهديهم إلى الإسلامِ قبلَ موتِهم، [أَوْ يُعَذِّبَهُمْ]؛ بموتِهم على الكُفْرِ، فيَستحقُّونَ بذلك العذَابَ، [فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ]آل عمران:128. لإيثارِهم الكُفْرَ والشِّرْكَ على الإيمان.

229- [لَيْسَ لَكَ]؛ يا مُحَمَّد، على علو مَقَامِك الرَّفِيع [مِنَ الأَمْرِ]؛ مِن أَمْرِ الوَعْدِ، والوَعِيدِ .. وأَمْرِ هِدَايَةِ النَّاسِ؛ هِدَايَة تَوفِيقٍ، [شَيْءٌ]؛ فهذا ليسَ لَكَ، ولا لِغَيرِك .. وإنَّما الأمرُ كله للهِ تعالى وحدَه، [أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ]؛ فيتُوبُ على مَن يَشاءُ مِن عِبادِه؛ بهدايتِهم إلى الإسلامِ، ومُوافاتِهم عَليه، مَهْمَا كانَ مِنْهم قَبْلَ ذَلِكَ مِن عَمَلٍ، [أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ]آل عمران:128. لإيثارِهِم الكُفْرَ، ومُوافَاتِهم عليه.

230- [لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ]؛ فأنتَ أيُّها الدَّاعيَةُ إلى اللهِ تعالى عليكَ المُضِي إلى ما أمرَكَ اللهُ بِه، والصَّبر على أمْرِ اللهِ .. وعلى ما يُصيبك بسببِ ذلك .. وليسَ لك أن تَستعجلَ الهَلاكَ على مَن تَدعُوهم إن نالَكَ مِنهم أذَى .. أو رأيتَ مِنهم إعرَاضاً .. فتقديرُ ذلك ليسَ لَكَ، ولا لغَيرِك، وإنما هو للهِ تعالى وحدَه، [أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ]؛ فاللهُ تعالى قَد يَهديهم إلى الإسلامِ، فيتُوبُ عليهم، فالإسلامُ يجبُّ مَا قَبلَه مِن السَّيئاتِ .. فيتحوَّلُون مِن جندٍ في سبيلِ الطَّاغُوتِ، إلى جُنْدٍ في سَبيلِ اللهِ، [أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ]آل عمران: 128. أو يُعَذِّبَهم لبقَائِهم على الكُفرِ والظُّلمِ.

* * * * *

وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

231- [وَسَارِعُواْ]؛ بفِعْلِ الطَّاعاتِ، والإقْلاعِ عنِ المنْكَرَاتِ .. والأَمْرُ بالمسَارَعَةِ؛ يُفيدُ الحركَةَ، والانطِلاقَ، والسِّبَاقَ، والمنَافَسَةَ، واغتِنَامَ الوَقْتِ قبلَ فوَاتِه .. هذه المُسَارَعَة مُستمِرَّةٌ في انطلاقَتِها [إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ]آل عمران:133. وهو الحدُّ النِّهائِي الذي عِندَه يَتوقَّفُ السِّباقُ، وتَتوقَّفُ الحركَةُ والمُسَارَعَةُ .. فتُعْرَضُ وتُعرَفُ نتائجُ المتَسابِقين والمتَسَارِعين .. نَسألُ اللهَ تَعالى أن يَجعَلَنا مِن المسَارِعين السَّابِقين .. وأن لا يَجعَل الدُّنْيَا أكبرَ هَمِّنَا، ومَبْلَغَ عِلْمِنَا!

* * * * *

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ

232- [وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ]آل عمران:133. الجَنَّةُ مَقَامَاتٌ، ودَرَجَاتٌ، بَعضُها يَعلُو ويَفضُلُ بَعْضٍ؛ أُعِدَّتْ للمؤمنين المتقين؛ كُلٌّ بِحَسَبِ مَا أَعَدَّ وَقَدَّمَ مِن عَمَلٍ!

* * * * *

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ

233- [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ]؛ الذين يكتمُون غضَبَهم في نُفوسِهم، ويجعلونَه حبيسَ صُدُورِهم، معَ القدرةِ على إنفَاذِه، ووجودِ دواعِي إنفاذِه .. والغيظُ؛ هو الغضَبُ الشَّديدُ، يَغلِي في الصُّدورِ، غلي القُدُورِ .. [وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ]؛ عن أخطائِهم، وظُلمِهم، معَ قُدرتِهم على الانتصافِ مِنهم .. فالانتصافُ عَدلٌ .. والعَفْو إحسَانٌ .. والإحسانُ أكملُ وأعلى درَجةً مِن العدْلِ، لذلك قال الله:[وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]آل عمران:134. وفي الحديثِ:" من كَظَمَ غَيْظَاً وهو قادرٌ على أن يُنفِذَهُ دَعاهُ اللهُ ﷻ على رُؤوسِ الخلَائقِ يومَ القِيامَةِ حتى يُخيِّرَهُ اللهُ مِن الحُورِ مَا شَاءَ ".

* * * * *

وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ

234- [أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ]آل عمران:136. لم يقُلْ:" نِعْمَ أَجْرُ المُصَدِّقين "؛ كما هو مذهَبُ الجَهْمِيَّةِ، وغُلاة المرجئةِ الذين يُعلِّقُونَ الوَعْدَ والوَعِيدَ على التَّصدِيقِ والتَّكذِيبِ، فمن أَتَى بالتَّصدِيقِ وحَسْب مِن غيرِ عمَلٍ؛ فهو مِن أهلِ النجاةِ والجَنَّةِ .. فالآيةُ الكريمةُ ترُدُّ

هذا الفَهْم الخَاطِئَ، والمدمِّرَ لمعاني الدِّين، وتُبيِّنُ أنَّ الجزَاءَ، والأجرَ يومَ القِيامَةِ يكونُ على العمَلِ، وعلى انقيادِ الظَّاهِرِ والباطِنِ للشَّرْعِ المنزَّلِ، وليسَ على مجرَّدِ التَّصْديقِ .. فإبليسُ اللعينُ كان من المصَدِّقين، ولم يَكْنْ كُفرهُ مِن جهةِ التَّكذيب!

235- [أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ]آل عمران:136. بطاعَةِ اللهِ، وطاعَةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. فعلَّقَ الأجرَ على العمَلِ، والانقيادِ، والمتابعَةِ، وليسَ على مجرَّدِ التَّصْدِيقِ أو االإقْرَارِ مِن غيرِ عمَلٍ، كما ينصُّ على ذلك المرجئةُ!

* * * * *

وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

236- [وَلاَ تَهِنُوا]؛ لا تَضْعُفُوا في طَلَبِ وجِهَادِ العَدُو، [وَلاَ تَحْزَنُوا]؛ عَلى مَا فَاتَكُم مِن ظَفْرٍ، ومَا أَصَابَكُم مِن جِرَاحَات وآلامٍ، [وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ]؛ الغَالِبُون باعْتِبارِ النَّتَائِجِ والمآلَاتِ، [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]آل عمران:139. حَقًّا، وأتيْتُم بالإيمانِ اعْتِقَادًا، وقَوْلًا، وعَمَلًا.

237- [وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]آل عمران:139. اللهُ تعالى غَيورٌ؛ لَا أحدَ أغيرَ منه سُبحانه وتعالى .. رَفيقٌ بعباده .. يغَارُ عليهم .. لا يُرْضِيه أن يَرى قلُوبَ عِبادِه المؤمنين مُنْكسرَةً حَزِينةً لمَا أصابَهم مِن جِراحَاتٍ وآلامٍ مِن قِبَلِ الأعدَاءِ .. فيتعَطَّفُ عليهم، ويَتودَّدُ لهم، ويُرَضِّيهم، ويُطيِّبُ خَاطِرَهم، وقلُوبَهم، " لَا تَحْزَنُوا "؛ لا يَنبغِي لكم أن تحزَنُوا .. فأنَا لا أريدُ لكم أن تحزَنُوا، ولَا أرضَه لكُم .. ويعِدُهم ـ ووَعْدُه الحقُّ ـ بأنَّ النصرَ، والغلَبَةَ، والدولةُ ستكونُ لهم إن كانُوا مُؤمنين، وحَقَّقُوا في أنفسِهم الإيمانَ والتَّوحِيدَ حقًّا.

* * * * *

وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء

238- [وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء]آل عمران:140. إذا أرادَ اللهُ تعالى أن يَصطفي مِن عِبادِه شُهداءَ، وأن يُكرِمَهُم بمنازلِ الشُّهداء .. يُهيِّء لهم الأسبَابَ؛ التي تُعينهم على أن يَكونُوا مِن الشُّهدَاءِ .. وفي الحديث، عن سعد بن أبي وقاص، قال: أنَّ رَجُلًا جاءَ إلى الصَّلاةِ ورَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُصَلِّي بِنا، فقالَ حينَ انْتَهى إلى الصَّفِّ: اللَّهُمَّ آتِني أَفضَلَ ما آتَيْتَ عِبادَكَ الصَّالِحينَ، فلمَّا قَضى رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ صَلاتَه، قالَ:" مَن المُتكلِّمُ آنِفًا؟ ". قالَ: أنا يَا رَسولَ اللهِ، قالَ:" إذًا يُعقَرُ جَوادُك، وتُسْتَشْهَدُ في سَبيلِ اللهِ ". وقال رجلٌ: يا رسُولَ اللهِ أيُّ الجهادِ أفضلُ؟ قال:" أن يُعقَرَ جوادُك، ويُهرَاقَ دَمُكَ ". وقوله " يُعقَرُ جَوادُك "؛ كنايةٌ على الانغِمَاسِ في الصُّفُوفِ الأَمَاميَّةِ للقِتَال.

* * * * *

وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ

239- [وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ]آل عمران:141. بَلاءٌ واحِدٌ ينزلُ يكونُ للمؤمنين اختبَاراً، وتمحيصَاً، وتَطْهيراً لقلُوبِهم مِن الآثَامِ والذُّنُوبِ، وحتى يتمايَزَ، ويُعرفَ المؤمنُ الصابرُ المحتَسِب مِن غَيره .. وفي نفسِ الوقتِ يكونُ للكافِرين، والمنافقِين انتقامَاً، وعذَاباً!

* * * * *

وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ

240- [وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ]آل عمران:142. يُظهِرُ اللهُ علمَه بالصَّابِرين مِن خلالِ ابتلائِهم بالتَّكاليف، وبأنواعٍ من الشَّدَائدِ .. فمن مقتضَى الصَّبرِ وجُود البَلاءِ .. لَا يُوجَدُ صَبرٌ مِن غَيرِ بَلاءٍ .. ولَا يوجدُ صابرٌ مِن دونِ أن يُبتلَى بالشَّدائدِ .. فمن غَايَاتِ البلاءِ إظهَارُ الصَّابِرين .. والتَّعريفُ بالصَّابِرين .. واصطفاءُ الصَّابِرين.

* * * * *

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

241- [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ]آل عمران:144. الإسْلامُ؛ بناءٌ شامخٌ أَصْلُه ثابِتٌ، وفَرعُه في السَّماءِ .. له رَبٌّ حيٌّ قيُّومٌ لَا يموت، يَرعَاهُ، ويحفَظه .. مَاتَ أبُو البَشرِ آدَم عليه السَّلام، وبَقِي الإسْلامُ .. ومَاتَ الأنبياءُ والرُّسلُ، وبَقِي الإسلامُ .. ومَاتَ سيدُ ولَدِ آدَم محمدٌ صلى الله عليه وسلم، وبَقي الإسلامُ شَامخاً .. ومَاتَ العلماءُ، والمجاهِدُون، والعُظمَاءُ، وبَقِي الإسلامُ في شموخِه، وتَوسُّعِه، وتمدُّدِه، يَزدَادُ انتشَاراً .. ولَا يَزالُ اللهُ يَغرسُ في هذا الدِّينِ غَرساً يَستعملُهم في طَاعَتِه، والجهَادِ في سَبيلِه .. كُلَّما تَرجَّلَ فارسٌ مِن فوَارِسِ الإسلامِ، عَلا جِيادَ المجدِ، والشَّرَفِ، والجهَادِ، والاستِشْهادِ فوَارِسٌ، وأبطَال .. وإلى أن يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها.

وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ

242- [وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً]؛ مِن ضِعافِ العَقْلِ والإيمانِ مَن تَراهُ يمنُّ على اللهِ، وعلى الإسلامِ، والمسلمين إسلامَهُ وإيمانَه .. وتَراهُ عندَ

أَدْنَى بَلاءٍ ينزلُ بساحَتِه، يُهَدِّدُ، ويتوَعَّدُ بالارتِدَادِ عنِ الدِّينِ، ظَانّاً أنه بذلك يَضرُّ اللهَ شَيئاً، أو أن السَّماءَ ستَبكي حزَناً عليه .. أو أنَّ عجلةَ الحياةِ ستَتوقَّفُ مِن أجْلِه .. وهو في الحقيقَةِ لا يَضرُّ إلا نفْسَهُ، فيَعيشُ في الدُّنيا حياةَ الضَّنْكِ، والكآبَةِ، وضيقِ الصَّدْرِ، وفي الآخِرةِ عذَابَ جَهَنم وبئسَ المصِير، [وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ]آل عمران:144. الذين يلتزمُون الرِّضَا والشُّكْرَ عند نزُولِ البَلاءِ والمحَنِ بهم .. فهؤلاء سيَجزيهُم اللهُ تعالى في الدُّنيا حياةً طيبةً مُباركَةً .. ويَزيدُهم ثباتاً على الحقِّ .. وفي الآخِرَةِ يُدخِلهم جَنَّتَه.

* * * * *

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

243- [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ]آل عمران:144. لم يُعرَفْ أن اللهَ تعالى حذَّرَ أمَّةً من الارتدادِ عن الدِّين والإيمان بسببِ وفاةِ نبيٍّ من الأنبياءِ، إلَّا أمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ اسمَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وسيرتَه العطرةِ، وأخلاقَه العظيمة ملأت القلُوبَ قبل أن تملأَ الآفاقَ .. لَا تُوجد مصيبةٌ على المؤمنين ـ وإلى قيامِ السَّاعةِ ـ أعظم من مصيبةِ وفَاةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم .. فكلُّ مصيبةٍ تهونُ أمامَ مصيبة وفاةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .. فخبرُ وفاته ليسَ أمرَاً هيناً على نفوسِ المؤمنين .. ولشدَّة حُبِّ المؤمنين لنبيِّهم محمد صلى الله عليه وسلم ـ في زمانِه وعلى مرِّ الأزمانِ ـ وتوقيرِهم له، وتعلُّقهم به، خُشِي عليهم أن يُفتَنوا في دينهم بعد مَوتِه، فَلا يُصدِّقون أنه قد مَاتَ، وأنه قد رجعَ إلى ربِّه .. وحتى لا يَظنُّ ظانٌّ أن دعوةَ الإسلامِ مرهونةٌ بحياةِ إنسانٍ أو قائدٍ مهمَا عظم وعَلا قدْرُه، فإذا ماتَ ماتَت معه دعوةُ

الحقِّ والإسلام .. فدعوةُ اللهِ حيةٌ تتوارثها الأجيالُ جيلاً بعدَ جيلٍ إلى يومِ القيامةِ لا تموتُ بموتِ أحدٍ من الناسِ .. وحتى لا يظنُّ ظانٌّ أن الالتزامَ بتعاليمِ الإسلامِ مرتهن بوجودِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على قيدِ الحياةِ .. فإذا ماتَ لم يعدْ يلزمهم شيءٌ من تعاليمِ الإسلام .. فيرتدُّوا على أعقابهم كافرِين .. لأجلِ هذا وذاك .. ولكي لا يحصلُ شيءٌ من ذلك أوحى الله تعالى إلى نبيه:[وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ]. ومع ذلك لمَّا ماتَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم .. لهولِ وشدَّةِ الموقفِ، لم يكن يجرؤ أحدٌ من المسلمين ابتداءً أن يقولَ: أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قد مَاتَ .. وكان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ـ وهو هو ـ يقول: واللَّهِ ما مَاتَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ .. وتوعَّد كل من يقول أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات .. وسكَتَ الناس .. لم يجرؤ أحدٌ أن يقولَ أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قد ماتَ .. إلى أن وقفَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، سيدُ الرجالِ والشَّاكرين بعدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فصعدَ المنبر، وقد أشارَ إلى عمر بن الخطاب قائلاً، وبكل ثبات ويقين:" أيُّها الحَالِفُ، علَى رِسْلِكَ ـ أي توقف واسكُتْ ـ فَلَمَّا تَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ أبو بَكْرٍ وأَثْنَى عليه، وقَالَ: ألا مَن كانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فإنَّ مُحَمَّدًا قدْ مَاتَ، ومَن كانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ "، ثم تلَى قوله تعالى:[وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ]. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فلكأَنِّي لم أقرأها إلا يومئذٍ .. ورجعَ عن مقالَتِه.

* * * * *

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً

244- [وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً]آل عمران:145.

أنتَ يا ابنَ آدم عبدٌ مملوكٌ لله، حياتُك وموتُك بيدِ الله .. وليس بيدِ أحدٍ غير الله .. لو اجتمعَت عليك أسبابُ الموتِ كلها؛ فلن تموتَ إلا بإذنِ اللهِ، وفي الوقتِ والمكانِ المحدَّدَين، والمكتوبَين، لَا يتقدَّمُ أجلُك ولا يتأخَّر عن المكتُوبِ في الكتَابِ دقيقةً واحدَةً .. وفي المقابلِ أيضاً لو اجتمعَت جميعُ أسبَابِ الأمْنِ والأمَانِ، والرَّخَاءِ، وكنتَ في بروجٍ مشيَّدَةٍ، ثم جاءَ أجلُك المكتُوب، فلن يتأَخَّر أجلُك ولن يتقدَّم دقيقةً واحدة .. وذلك أن الموتَ والحياةَ كلاهمَا بإذنِ الله .. وبيدِ اللهِ .. لن يكونَ منهما شيءٌ إلا بإذنِ الله .. وإذا كانَ الأمرُ كذلك عِشْ حياتَك كما يريدك اللهُ أن تعيشَ، لا تخشَ في اللهِ لومَة لائمٍ ...!

245- [وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً]آل عمران:145.

لَا يجوزُ لك أن تقتلَ نفْسَكَ بنفْسِكَ، أو أن تُعرِّضها للضرَرِ والهلَكَةِ، مهمَا كانَت بواعثُك، مِن دُونِ أن تَستأذنَ اللهَ؛ فأنتَ لَا تملكُ نفسكَ لكي تتصرَّف بها كيفَمَا تَشَاء .. وإذَا ما أرَدْتَ أن تقدمَ على عملٍ قد يترتَّبُ عليه وفاتك، أو بعض الضرَرِ، لا بدَّ لك أولاً من أن تَستأذنَ اللهَ المالكَ الحقِيقي لنفسِك، ولروحِك .. هل يأذن لك أن تُقدم على هذا العملِ الذي قد يتسبَّب لك بالخطَرِ أو الموتِ، أو بعض الجراحَات؛ كالجهادِ في سبيلِ اللهِ دِفَاعاً عن الدِّينِ، وعن العِرْضِ، والأرضِ، والمالِ، والحقُوقِ، والمظالِمِ .. ودَفْعِ البَغي والعُدْوان .. فالجهادُ لا يكونُ مَشروعاً إلا بشرطَين: أن يكون مأذُوناً به من قِبَل اللهِ .. وأن يكونَ خالِصاً لله.

* * * * *

وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ

246- [وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ]آل عمران:146. الصَّابرون على الأمْرِ، والصَّابرون عَنِ النَّهي، والصَّابرون عَلى البَلاءِ.

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ

247- [وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ]؛ كَم مِن نَبِيٍّ، [قَاتَلَ]؛ وفي قراءةٍ: قُتِلَ، [مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ]؛ علماء، وفقهاء؛ نَشَأوا وتَربُّوا على طاعةِ اللهِ .. فلم يَكُن قَتلُهم سَبَباً يحملُ المؤمنين على النُّكُوصِ، وتَركِ واجِبِ الجهَادِ، فالقَادَةُ يُقتَلُون ويموتُون، ويَصطفي اللهُ مِنهم شهداء .. واللهَ حيٌّ لا يموت، [فَمَا وَهَنُواْ]؛ فما جَبنُوا، ولا عجزُوا، ولا ركُنَت قلوبُهم إلى حُبِّ الدُّنيا، وكراهيةِ الموتِ في سَبيلِ اللهِ، [لِمَا أَصَابَهُمْ]؛ مِن قَتْلٍ، وجراحَات، وآلامٍ، وفَقدٍ لقادَاتِهم، وأمرائِهم، وعلمائِهم الربَّانيين، [فِي سَبِيلِ اللّهِ]؛ ولا يَكونُ الجهادُ في سبيلِ اللهِ إلا إذَا توفَّر فيه شَرطَان: شَرطٌ ظَاهِرٌ، وهو أن يكونَ الجهادُ والقِتالُ دُونَ أمُورٍ قد أَذِنَ اللهُ، ورسولُه صلى الله عليه وسلم بالقِتَالِ دُونها، ودِفاعاً عنها؛ كالقتالِ دُونَ الدِّينِ، والعِرضِ، والأرضِ، والمالِ، وغير ذلك .. وشَرطٌ باطِنٌ محلُّه القَلب والنيَّة؛ وهو أن يكونَ الجهادُ خالِصاً لوجهِ اللهِ تعالى، لا يُرادُ منه السمعةُ والرِّياء، [وَمَا ضَعُفُواْ]؛ ولَا ضَعُفَت أبدانُهم وهممُهم عن النهوضِ للجهَادِ في سَبيلِ الله بسَببِ ما أصَابَهم، [وَمَا اسْتَكَانُواْ]؛ ولم يَرضوا بالذُّلِّ، والخضُوعِ، والاستسلامِ لعدوِّهم، [وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ]آل عمران:146. الذين يَصبرُون على طاعةِ الجهَادِ .. وعلى ما أصَابَهم بسببِ الجهَادِ .. ومَن أحبَّه اللهُ، كان اللهُ معَهُ .. ومَن كان اللهُ معَه؛ فإنه مَنصورٌ بحولِ اللهِ وقوَّتِه.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

248- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ]آل عمران:149. محاولاتُ الكفَّارِ الأمْس، واليوم، وغداً، وإلى يومِ القيامَةِ .. في أطْرِ، وحمْلِ المسلمين على الارتدَادِ والكُفْرِ .. لَا، ولم، ولَن نَتوقَّف .. فهي مستمرَّةٌ استمرارَ الصِّراعِ والتَّدَافُعِ بين الحقِّ والباطِلِ على هذهِ الأرض .. وبأَساليب ـ وتحت عناوين ـ شتَّى؛ بعضُها يخضعُ للتَّرهِيبِ، وبعضُها الآخَر يخضعُ للترغِيب .. ومَن لا يأتي معَهُم إلى دينِهم دَفعةً واحدةً ـ قد يكونُ هذا الدِّينُ هي العلمانيَّةُ ذاتها ـ يَرضَون منه أن يأتي معَهم إلى دينِهم الباطِلِ خُطوةً، خُطوةً .. وأن يرَوا منه طاعَةً وخضُوعاً لما يملُونه عليه، ولو بشَكلٍ تدْرِيجي .. إلى أن يَسْلخُوه من دِينِه الإسلام، ويَنقَلِبَ على أعقَابِه كافِراً مثلهم، فيَخسَر دِينَه، وآخِرَته .. فحِينئذٍ وحَسْب .. يُرحِّبُون به، ويثنُون عليه المدائحَ، ويُصبحَ من المقرَّبين لهم .. ويُقدِّمُونه في المحافِل، والوظَائف!

* * * * *

مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا

249- [مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا]؛ تَقتَصِرُ همَّتُه وإرادَتُه على طلَبِ الدُّنيا، والتَّكَثُّرِ من متَاعِها، وزِينَتِها .. وهؤلاء هم الخاسِرُون، [وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ]آل عمران:152. يُريدُ اللهَ، ورِضَاه، وجَنَّتَه .. ويَسْعَى لذلك سَعياً حَثِيثاً .. وهؤلاءِ هم الفَائِزُون.

250- [مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ]آل عمران:152. مِنكُم مَّن يُرِيدُ، ويَتحرَّى المجَالِسَ التي لا يُذكَرُ فِيها إلَّا الدُّنيا، وزِينَتها، وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ويَتحرَّى المجَالِسَ التي تُذكَرُ فِيها الآخِرَة، ومَا ينفعُه في الآخِرَة .. ومِنكُم مَّن يُرِيدُ الصَّاحِبَ الذي يُذَكِّرُهُ بالدُّنْيَا، وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الصَّاحِبَ الذي يُذَكِّرُهُ بالآخِرَة!

251- [مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا]؛ كُلُّ إرَادَةٍ تَشَدُّك للدُّنيَا، [وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ]آل عمران:152. كُلُّ إرادَةٍ تَشُدُّك للآخِرَة!

* * * * *

وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ

252- [وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ] ؛ ما في قُلُوبِكُم مِن نِيَّةٍ. [وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ]آل عمران:154. لِيَمِيزَ المؤمنُ مِن المنَافِقِ، ويُعْرَف الصَّادِقُ مِن الكَاذِبِ.

* * * * *

لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

253- [لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ]آل عمران:157. لمن شغَلَه التكاثُرُ، وتجميعُ الأموالِ وتخزينُها .. عن ذِكْرِ اللهِ، وعَن عبادَتِه .. قَد شُغِلْتَ بالأدْنَى عن الأعْلَى .. وبالقليلِ عن الكثيرِ .. وبالمفضولِ عن الفاضِلِ .. وبالمرجُوح عن الرَّاجح .. وبالزائلِ عن الدَّائمِ .. وبالوسيلةِ عن الغايَةِ .. وبالدُّنيا ومتاعِها عن الجنَّةِ ونعيمِها.

* * * * *

وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ

254- [وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ]آل عمران:159. فيه تَوجيهٌ وتَنبيهٌ لدُعاةِ الحَقِّ، أن لا يُراهِنُوا على قوَّةِ الحَقِّ الذي هم عليه مِن دُونِ أن يُحافِظُوا على حُسنِ الخُلُق .. ومِن دُونِ أن يَتحلَّوا بحسْنِ الخُلُق .. فيقُولُون: نحنُ على حَقٍّ .. ومَعَنا الدَّليل .. وعلى الناسِ اتِّباعُنَا، لأنَّنا على حَقٍّ .. مهمَا كُنَّا غِلاظاً فظَاظاً سَيِّئِ الأخْلاقِ .. لَا .. لا يكفِي في الدَّعَواتِ الجادَّةِ أن تكون على حقٍّ مِن دونِ المحافظَةِ على

حُسْنِ الخُلُق .. ومن دون أن تَتَزينَ بحُسْنِ الخُلُقِ .. فما يَأتي به الحَقُّ، يُنفِّره ويُبعِده سُوءُ الخُلُق .. ومَا يَبنيه الحَقُّ، يُبطِلُه ويُفْسِدُه سُوءُ الخُلُق!

مِن أهمِّ عوامِلِ نجاحِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ في عهدِ النُّبوَّةِ، وما بَعْدَه .. ودُخُول النَّاسِ في دينِ اللهِ أفواجاً .. أنَّ النبيَّ محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم كانَ أعظَمَ النَّاسِ وأحسَنَهم خُلُقاً .. يكفيه مَجْدَاً وشَرفاً وسُمواً ثَناءُ رَبِّ العَالمين على أخْلاقِه العَظِيمَة:[وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ]القلم:4. وأخلاقُ النَّبي صلى الله عليه وسلم المجيدَةِ العَظِيمَةِ، كانَت، ولَا تَزَالُ ـ وإلى قيَامِ السَّاعَةِ ـ سَبباً رَئيسيَّاً في دُخُولِ النَّاسِ في الإسْلامِ.

* * * * *

وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ

255- [وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ]آل عمران:159. هذا أمرُ اللهِ لنبيِّهِ صلى الله عليه وسلم المسدَّدِ بالوَحْي، بأن يشاورَ أصحَابَه؛ ليسنَّ لهم، وللمسلمين مِن بعدِهم، مبدأَ الشُّورَى، لما في الشورَةِ من استخْلاصٍ لأفضلِ وأصْوَبِ الآرَاءِ .. بها تَطِيبُ النفوسُ والخواطِرُ، وتتخلَّصُ مِن طُغيانِ الاستبدادِ، وحُبِّ التفرُّدِ، والتَّسلُّطِ بالجَّبرُوت .. وتَتحقَّقُ المشاركَةِ في المسؤوليَّةِ واتخاذِ القرَاراتِ الهامَّةِ .. فَمَن دُون النبيِّ صلى الله عليه وسلم أوْلَى بأن يأخذَ بمبدأ الشُّورى، ويُشاورَ أهلَ المشورَةِ مِن ذَوي العِلمِ، والدِّرايَةِ، والاختصاصِ .. ثم أن الأمرَ الإلهي لم يحدِّدْ الأمرَ الذي يَنبغي أن يخضعَ للشورَةِ؛ ليُفهمَ منه مُطلق الأمْرِ، وفي أيِّ أمرٍ ومجَالٍ من مجالاتِ الحياةِ، وعلى جميعِ المستوياتِ الخَاصَّةِ والعامَّةِ ـ إلَّا الأمر الذي فيه نصٌّ من الكتَابِ والسُّنَّةِ ـ لتُصبحَ الشورَى ثقافَةَ الجميع .. وعقيدةَ الجميع .. ونظامَ حياةٍ للجميع؛ يَشملُ جميعَ أنشِطَتِهم الاجتمَاعيَّةِ، والاقتصَادِيَّةِ، والسياسِيَّة.

256- [وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ]آل عمران:159. فيه أن المرءَ مَهمَا أُوتي مِن العِلمِ، والفَهمِ، ورجاحَةِ العَقْلِ .. لا ينبغي له أن يَستَعْلي على المشُورَةِ، وينفَرِدَ في اتخاذِ القَراراتِ في كلِّ شيءٍ .. فهو بحاجةٍ إلى المشُورَةِ، وإلى أن يَستشيرَ غيرَه مِن ذَوي الاختِصاصِ، والفَهم، والعِلْم .. وإلى أن يُصغي إلى مشورَتِهم.

* * * * *

إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ

257- [إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ]؛ لو اجتمعَت قوَى الأرضِ كُلِّها على أن يهزمُوكم ويغلبوكُم ـ ما دامَ اللهُ معكم، وناصِراً لكُم ـ لَن يَقدرُوا على ذلك، [وَإِن يَخْذُلْكُمْ]؛ يتخلَّى عنكم، ويتركُكم، لسَببٍ مِن عندِ أنفُسِكم، [فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ]؛ أي مِن بعدِ أن خذلَكم اللهُ مَن هَذا الذي يَستطيعُ أن ينصرَكُم، مِن دونِه؟! الجواب: لا أحَدَ يَستطيعُ نَصرَكم، ولو اجتمعَت قوى الأرضِ كلها على أن ينصروكُم لما استَطَاعُوا، [وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ]آل عمران:160. وهذا يَستدعِي مِنكم ـ أيها المؤمنون ـ أن تَثقُوا باللهِ وبنَصرِه، ووعدِه، وتعتمدُوا عليه، وأن لا تعلِّقُوا قلوبُكم بغيرِه.

* * * * *

لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً

258- [لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً]؛ مِن أعظمِ مِنَنِ ونِعَمِ اللهِ تعالى ـ التي تستوجبُ جزيلَ وعظيمَ الشُّكرِ ـ أن بعثَ اللهُ محمَّداً صلى الله عليه وسلم رحمةً للعالَمين .. تَصوَّروا الدُّنيا من غيرِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم كم سيكونُ حجمُ الظَّلامِ، والظُّلمِ، والضَّياعِ، والضَّلالِ ..؟! الحمدُ لله حمداً كَثيراً طيباً مُباركاً فيه أن أرسَلَ إلينا محمَّداً صلى الله عليه وسلم مُعلِّماً، وهَادِياً، وبَشيراً، ونَذيراً، [مِّنْ أَنفُسِهِمْ]؛ لم يكُن أعجمياً عليهم،

بل كان مِنهم؛ قُرشياً عربيّاً يَفهمُون عنه، ويَفْهم عنهم .. وهذه نعمةٌ عظيمَةٌ؛ إذ لو كان أعجميّاً لوجب عليهم أن يتعلَّموا لغتَه، ويَفهمُوا عنه، [يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ]؛ آياتِ القُرآنِ الكريم، ليتأمَّلُوها، ويتدبَّرُوها، ويتَفكَّرُوا بالإعجازِ فِيها، ويعملُوا بها، [وَيُزَكِّيهِمْ]؛ يُطهرهُم مِن الشِّركِ، والذُّنُوبِ، والآثَام .. ويخرجُهم مِن ظُلماتِ الشركِ والجهلِ إلى نُورِ التَّوحِيدِ والعِلمِ .. ومن الرقِّ والعبوديَّةِ للعبيدِ، إلى الانعتاقِ وعبادَةِ ربِّ العالمِين .. ومِن جَوْرِ الأديانِ إلى عَدْلِ ورحمةِ الإسلامِ، [وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ]؛ الأحكامَ والتَّعاليمَ الوارِدَة في القُرآنِ الكريم، [وَالْحِكْمَةَ]؛ والأحكامَ والتَّعاليمَ الوارِدة في السُّنَّةِ؛ وهي كلُّ قولٍ أو فِعلٍ، أو تقريرٍ صَادِرٍ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولا يَصدرُ عنه إلا حَقّاً، [وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ]؛ قبلَ بعثةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، [لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ]آل عمران:164. ومن ضَلالِهم أنَّهم كانُوا يَصْنَعُون آلهتَهم بأيدِيهم، فإذَا جَاعُوا أكلُوهَا ...!!

* * * * *

قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ

259- [قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا]؛ مِن أينَ جاءَنا هذا البَلاءُ، وهذا المُصَابُ، وهذا الشَّقَاءُ، والضَّنكُ في العَيْشِ .. وحَيثُما تلتَفِتُ تجدُ الفسَادَ، والظلمَ، والخرَابَ .. وجوابُ كُلِّ هذا؟ [قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ]آل عمران:165. بسبَبٍ مِن عِندِ أنفُسِكُم الأمَّارَةِ بالسُّوءِ .. بسَبَبِ مَا كسَبَت أيديكُم مِن الظُّلمِ، والبَغْيِ، والفَسَادِ في الأرضِ .. ولا تَلُومُوا إلا أنفُسَكُم!

* * * * *

الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا

260- [الَّذِينَ قَالُواْ]؛ القَائلُ هم المنافقُون المرجفُون .. وهم عند كلِّ معركةٍ بين الحقِّ والباطلِ - وفي كلِّ زَمانٍ - يقولُون هذا القول:[لإِخْوَانِهِمْ]؛ من عوائلِهم، وقبائلِهم، وأحزابِهم، [وَقَعَدُواْ]؛ ومن صفاتِ هؤلاء المنافقين المرجفين القائلين هذا القول أنهم يَقعدُون ويتخلَّفُون عن الجهادِ في سبيلِ اللهِ، [لَوْ أَطَاعُونَا]؛ في تركِ الجهادِ في سبيلِ الله، وقعدُوا مثلنا معَ عوائلِهم، وفي بيوتِهم، ولم يخرجُوا معَ الخارجِين في سبيلِ اللهِ، [مَا قُتِلُوا]؛ ما ماتُوا في سَاحاتِ القِتالِ والجهاد، [قُلْ]؛ لهؤلاء المنافِقِين المرجفِين، [فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ]آل عمران:168. فالموتُ سيصيبُكم أينما كنتم، ولو كُنتم في بيوتِكم، وفي بروجٍ مُشيَّدة .. فادفَعوه عن أنفسِكم إن كنتم قادِرين، وصَادقِين فِيما تقُولُون .. ثم شتَّان بينَ مَن يموتُ في ساحاتِ العِزَّةِ مُقبلاً غير مُدْبرٍ في سَبيلِ اللهِ، وبينَ مَن يموتُ مُدبراً، قاعِداً، ومتخلِّفاً عن واجبِ الجهادِ في سبيلِ الله.

261- [الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا]؛ مَا مِن مَعركةٍ بين الحقِّ والباطِلِ، وفي كلِّ زمَانٍ، ومَكَانٍ .. إلَّا ويوجَدُ فريقٌ مِن المنافقِين، والمرجِفين؛ يقُولُون لمن خرَجُوا للجهَادِ في سَبيلِ اللهِ - يَذودُون عن الأوطانِ، والحقُوقِ، والحرُمَات، فأكرمَهُم اللهُ تعالى بالشهادَةِ - لو أطاعُونا في تَركِ الجِهَادِ والقِتَال، وقَعَدُوا في البيوتِ معَ القاعِدين لمَا قُتِلُوا، ولمَا أُصِيبُوا، ولكانُوا أحيَاءً بيننَا، وبينَ أبنَائِهم، وعوَائِلِهم، ولا تَعرَّضْنَا بسَبَبِهم للضَّرَرِ، [قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ]آل عمران:168. فالموتُ الذي تَفرُّونَ وتُحَذِّرُونَ منه، سيُصِيبُ الجميعَ؛ لَا يَستثني أحَدَاً، وكلٌّ في أجَلِهِ المحَدَّدِ؛ مَن خرجَ للقتَالِ في سَبيلِ اللهِ؛ يَذُودُ عن الحقُوقِ، والحرُمَاتِ، ويَردُّ عُدوانَ المعتَدِين .. ومَن كان قد قعَد في البيوتِ معَ القَاعِدِين، ولو كان في بُروجٍ مُشيَّدَةٍ .. لكن

شَتَّانَ بين الميتَتَين؛ بينَ مَن يموتُ شهيداً في سبيلِ اللهِ، وبين مَن يموتُ في مِيتَاتٍ أُخْرَى، ولأسبَابٍ أُخْرَى؟!

* * * * *

حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

262- [حَسْبُنَا اللهُ]؛ كافِينَا اللهُ كُلَّ شَرٍّ، وخَطَرٍ .. وكُلَّ ضِيقٍ، وعُسْرٍ .. وكَلَّ كَرْبٍ، وهَمٍّ .. وظُلمَ الظَّالمين .. كِفَايَةً تَامَّةً لا تحوجُنَا إلى غَيرِه، [وَنِعْمَ الْوَكِيلُ]آل عمران:173فهو أحسن وخَيرُ مَن نفوِّضُ إليه أمْرَنَا، ونَرفَعُ إليه شَكْوَانا، ونتوَكَّلُ عليه.

263- [حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ]آل عمران:173. في دَفْعِ كُلِّ شَرٍّ، وجَلْبِ كُلِّ خَيْرٍ.

264- [حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ]؛ تَعْنِي أنَّ قَضِيَّتَكَ قَد رُفِعَت إلى خالِقِ الخلْقِ، ومالِكِ المُلْكِ، لِمَن إذا قالَ لشيءٍ كُنْ فيكُون.

* * * * *

وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ

265- [وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]آل عمران:176. كما نُسَر ـ تبَعاً لنبينا صلى الله عليه وسلم الذي بُعِثَ رحمةً للعالمين ـ لهدايةِ الناسِ، وإنقاذِهم مِن النارِ .. لا ينبَغي أن نحزنَ إن رأينا منافقاً يُسارِعُ في اختيارِ الكُفرِ، والولوجِ فِيه، ويُصرُّ عليه، وبخاصَّة بعد أن قمنا بواجبِ البيانِ والنُّصح له .. وقامت عليه الحجَّةُ البالِغَةُ .. وقوله:[يُسَارِعُونَ]؛ فيه دلالةٌ على الخفَّةِ وعدمِ التريثِ والتأملِ والتَّفكرِ بالعواقِبِ، والمآلاتِ، وأنَّهم لا يأبَهون لنداءِ الحقِّ، ولا يُبالون .. فالإسراعُ يُحيلُ بينهم وبين ذلك .. وهؤلاء

يُعاقَبون مِن جِنسِ فعلِهم؛ كذلك أنتَ يا محمد صلى الله عليه وسلم ومَن معَك من المؤمنِين لا تَأبَهوا لإسراعِهم في الكفرِ، ولا تحزَنُوا، [إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً]؛ نكرة بعدَ نفيٍ تفيدُ العُموم؛ أيُّ شيءٍ مهما كان ضَئيلاً فلن يَضرُّوه، كذلك لو آمنُوا وكانوا على أتقَى قلبِ رَجُلٍ؛ فلن ينفعوا اللهَ شيئاً .. فاللهُ تعالى غنيٌّ عن خلقِه أجمعين .. كما في الحديث القُدسي:" إنكم لن تبلُغوا ضرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغُوا نفْعِي فتنفعُوني "مسلم. وإنما الضَّررُ يرتدُّ عليهم وحسْب، [يُرِيدُ اللّهُ]؛ لاختيارِهم الكفرَ، وإسراعِهم فِيه، [أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ]؛ نصيباً من الخيرِ والإيمانِ ينتفعون به في الآخِرةِ، [وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]؛ عذابٌ أليمٌ في نارِ جهنم، وبئسَ المصِير.

266- [وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ]؛ كُلَّمَا سمعُوا صَيحةً للكُفْرِ أَسْرعُوا إليها، ودَخَلُوا فِيها، وكثَّرُوا سوَادَها، ونَصرُوا أهلَهَا، وفَرِحُوا بها، [إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً]؛ وهم لجهْلِهم يَظنُّون أنَّهم في صَنيعِهم هذا يَضرُّون اللهَ شَيئاً .. فلَا يَعلمُون أنَّ أهلَ الأرضِ قاطِبَة؛ أوَّلهم وآخِرهم لو كانُوا على أكفَرِ وأفجرِ قَلبِ رجُلٍ، لَا، ولَن يَضرُّوا اللهَ شيئاً، ولو كانُوا على أتقَى قَلْبِ رَجُلٍ، لَا، ولَن يَنفعُوا اللهَ شَيئاً، فاللهُ تعالى غنيٌّ عن كلِّ ما سِوَاه، ومَا سِواه فَقيرٌ إليه، [يُرِيدُ اللّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]آل عمران:176. يريدُ اللهِ تعَالى ـ لسوءِ صنِيعِهم هذا ـ أن يموتُوا على الكُفْرِ والشِّرْكِ، مِن غيرِ تَوبةٍ، لكي لَا تُدركهم الرحمةُ يومَ القِيامَةِ، ويكُونُ لهم عذابٌ أليم في نارِ جهنم.

* * * * *

إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً

267- [وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ]؛ نؤخِّرُ في أعمارِهم وآجالِهم، [خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ]؛ لا يَظنَنَّ أن هذا التأخيرَ خيرٌ لهم، أو هو علامَةٌ على رِضا الرحمن عنهم .. لَا؛ [إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً]؛ إنما يُطيلُ اللهُ أعمارَهم استدراجاً، وليزدادُوا إثماً وكُفراً، وحَسماً لأعذارِهم، وحتى لا يقولُوا يومَ القيامةِ لم نَأخُذ وقتنا الكافي للتفكيرِ ونحنُ في حياتِنا الدُّنيا .. وقد وُجدَ من الكافرين مَن يُزيدُ اللهُ بعمرِه عن المائةِ سَنةٍ؛ حتى إذا جاء أجَلُه ـ الذي لا يتأخّرُ ولا يتقدَّمُ دقيقةً واحدةً ـ طلبَ أن يُؤخَّر يوماً أو ساعاتٍ، ليستدْرِكَ ما قد فاتَ، وأنَّى .. وقَد أعطاهُ اللهُ قبلَ ذلك أكثرَ مِن مائةِ سَنَةٍ، [وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ]آل عمران:178. وهؤلاء لهم عَذابٌ أليمٌ ومُذِل.

في بعضِ الإحصائيات لإحدَى الدول الغربيَّةِ، تقول: يُوجد عشرةُ ملايين نَسَمَة ممن زادَت أعمارُهم عن المائةِ سنةٍ .. فأدِلَّةُ الواقعِ تصدِّقُ أدلَّةَ التَّنزيل!

* * * * *

حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

268- [مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ]؛ لو كان أمرُ الإيمانِ يَقتصرُ على مجرَّدِ الزَّعمِ والإدِّعاءِ، لهانَ الأمرُ على المنافقين، ولادَّعَى مَن شَاءَ الإيمانَ، وزعَمَ أنه مِن المؤمنين .. ولاندَسَّ المنافقُون في صفُوفِ المؤمنين .. واختلَطَ الصَّالحُ بالطَّالحِ، والحقُّ بالباطِلِ .. لكن تأبَى مَشيئةُ اللهِ تعالى وحكمتُهُ إلا أن تمايزَ الصفُوفُ، والنُّفُوس؛ فيَميزَ المؤمنين عن المنافقين .. والصَّادقين عن الكاذِبين .. والصالحين عن الطَّالحين .. وهذا لا يتمُّ إلا بالاختبَارَاتِ والابتلاءَات .. والتي مِنها الجهادُ في سبيلِ اللهِ .. التي تُمايزُ بينَ الصُّفُوفِ .. وبها يُعرفُ المؤمنُ من المنافقِ .. والصابرُ

المحتسِبُ مِن المتسخّطِ المعترِض .. والصادقُ من الكاذِبِ في دعوَى وزَعْمِ الإيمان، [وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ]آل عمران:179. فيجعَلكُم تَعرفُون ما في نفُوسِ وقلوبِ المنافقِين .. فهذا غيبٌ .. ليسَ لكم .. ولَا لأحَدٍ من خَلْقِ اللهِ .. وإنما علمُه للهِ تَعالى وحدَه .. لِذا كان لا بدَّ من الاختباراتِ والابتلاءات التي تكشفُ المنافقِينَ للمؤمنين، وتَفضحُ نفاقَهم .. وهذه غايةٌ من جملةِ الغايَاتِ العَديدَةِ للابتلاءِ، ولتَقديرِ البَلاءِ.

* * * * *

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ

269- [كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ]؛ قانونٌ عامٌّ لا يَستثني أحداً من الخلْقِ .. يتَساوَى فيه الجميعُ؛ الشريفُ والوضِيعُ، والغنيُّ والفقيرُ، والحاكمُ والمحكوم .. قانونٌ يتربَّص بالجميعِ، عنده تُقبضُ الأرواحُ، وتُهدَمُ اللَّذَّاتُ، وتتوقفُ الأعمالُ والمشاريعُ، ويُرفعُ التَّكليفُ .. ويُتركُ كلُّ ما في اليدِ للآخَرين .. لا فرصةَ للعَملِ بعدَ اليوم .. فمن عملَ عَملاً صالحاً هانَ عليه الموتُ، وما بعدَ الموتِ، ووجَدَ للموتِ طعماً حُلواً، ومَن عملَ عملاً طالحاً سيئاً، وغَلبَت سيئاتُه حسناتِه، صَعُبَ عليه الموتُ، وما بعدَه كان أصعب عليه، ووجَد للموتِ طَعماً مُرَّاً علقَماً، وهو ما يُفيدُه معنى " التَّذوّق "، [وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ]؛ كامِلَ [أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]؛ على ما قدمتم في حياتِكم الدُّنيا مِن عملٍ؛ إن كان خَيراً فخير، وإن كان شَرَّاً، فشر، [فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ]؛ نُحِّي وأُبعِدَ عن نارِ جهنمَ بسببِ ما قدَّم مِن طاعاتٍ وعملٍ صالحٍ .. حيثُ يأذنُ اللهُ تعالى للطَّاعاتِ يومئذٍ أن تَستشرفَ، وأن تَتشفَّعَ، وتعملَ على دفعِ وزَحزحةِ صاحبِها عن النارِ، وإبعادِه عنها، كما في الحديث:" مَن صَامَ يَوْماً في سَبيلِ اللهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً "متفق عليه. أي سبعينَ سنَةً، وقال صلى الله عليه وسلم:" فَمَن أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ،

فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهو يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى النَّاسِ الَّذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ "مسلم. [وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ]؛ فازَ فوزاً عظيماً بالجنَّةِ ونعيمِها الدائمِ أبَداً، جنَّةٌ فيها ما تَلَذُّ الأعينُ وتَشتهي الأنفسُ .. فيها مالا عينٌ رَأت، ولا أذُنٌ سمعَت، ولا خَطرَ على قلبِ بشرٍ .. مفهومُ المخالفةِ والمقَابَلةِ أن من يُبعَد عن الجنَّةِ، ويدخل نارَ جهنمَ فقد خسرَ خُسراناً عظيماً، [وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ]آل عمران:185. متاعٌ منقطعٌ غَرَّارٌ، يُغري ويَغشُّ، كأيِّ متاعٍ؛ سريعُ الذُّبولِ، والأفُول، والزَّوالِ، والانتقالِ إلى الغيرِ .. لا يغترُّ به إلا جاهلٌ؛ لا يَنظرُ إلى ما هو أبعد من أنفِه، ويومِه .. وما كان كذلك كيفَ يصدك ويشغلُك يا ابنَ آدَم عن الحقائقِ الكُبرَى الخالِدَةِ التي تتربَّصُ بك بعدَ الموتِ؟!

270- [فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ]آل عمران:185. ولَا يَتزَحزَحُ عن النارِ، ويَدخلُ الجنَّةَ، إلَّا مَن ماتَ على التَّوحِيدِ، لا يُشرِك باللهِ شيئاً .. بَلاغٌ مِن اللهِ، ورسولِه صلى الله عليه وسلم للناسِ جميعاً.

* * * * *

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ

271- [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ]؛ في جميعِ أحوالِهم، وجميعِ أوقاتِهم، وعلى أيِّ وضْعيَّةٍ كانوا .. فهم في ذِكْرٍ، وطاعةٍ، وعِبادةٍ لله .. لَا يُوجدُ حائِلٌ أو مانعٌ يمنعهم مِن ذِكْرِ اللهِ، والتواصُلِ مع اللهِ .. فهم في ذِكْرٍ دائمٍ للهِ؛ وهذه صفَةُ المؤمنين العارِفين بالله، [وَيَتَفَكَّرُونَ]؛ يُعمِلُون عقُولَهم، في التفكّرِ والتدبُّرِ [فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]؛ ومَا فِيهِمَا مِن آياتٍ باهِراتٍ، تَدلُّ على عظَمةِ الخالِقِ، وعلى قدرَتِه، وأنه تعالى هو المعبودُ بحقٍّ .. فيستدلُّون بعظمَةِ المخلُوقِ وجمالِه على عظَمَةِ الخالقِ، وجمالِه، ووحدانيَّتِه، [رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً]؛ هذه نتيجةُ التَّأمُّل والتفكُّرِ .. فلمْ يكَنْ

تفكيرُهم ـ على طريقةِ الكافِرين ـ باهتاً سلبيّاً ينتهي ويَقفُ عند الصورةِ وجمالها وحَسْب .. بل هم يَتعَدُّون في النَّظَرِ، فيستدلُّونَ بعظمةِ الصُّورةِ على عظَمَةِ، وحكمَةِ المصوّر، وعلى قدرتِه، وأنَّه تعَالى مَا خَلقَ السماواتِ والأرضَ ومَا فِيهما عَبَثاً، ولغيرِ غايَةٍ، [سُبْحَانَكَ]؛ تَنزيهٌ للخالِقِ عن العَبثِ، وعن كلِّ صِفةِ نَقْصٍ، [فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ]آل عمران:191. أجِرْنَا مِن عذَابِ جهنم يومَ نَؤُولُ إليك يومَ الحِسَاب.

* * * * *

وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ

272- [وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ]؛ السَّفيهُ هنا؛ هو المبذّرُ والمسرفُ؛ الذي لا يُحسنُ التدبيرَ، ولا التَّقديرَ، ولا يكترِثُ لمآلاتِ سلوكِه وإسرافِه، وتَبذيرِه .. ومهمَا أُوتِي من المالِ سرعان مَا يُهلِكُه في سبيلِ نزواتِه، وشَهواتِه .. وعلى المحرَّمات .. وفي دروبٍ يَقلُّ نفعُها .. لا يَعرفُ قَدْراً لقيمةِ نِعمَةِ المالِ .. فهذا ينَبغي أن يُحْجَرَ عنه المالُ؛ إلى أن يُلتمَسَ منه الرشدُ والاستقامَةُ، وحسنُ تقديرِه لنعمةِ المالِ، [الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً]؛ المالُ الذي ملَّككُم اللهُ إيَّاه، واستأمنَكُم عليه، وجعلَ معاشَكُم مُرتبطاً وقائماً به .. فالمالُ على الحقيقةِ هو للهِ، ومِن اللهِ .. فكما لا يجوزُ أن تكتسبُوه مِن المواضعِ المحرَّمَةِ التي نَهى اللهُ عنها .. كذلك لا يجوزُ أن تَضعُوه في غيرِ المواضعِ التي شرَعَها اللهُ لكم، وأذِن لكم فِيها .. والله تعالى لا يَأذنُ لكم أن تُعطُوا السفهاءَ أموالكم التي ملَّككم اللهُ إيَّاها، [وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ]؛ فالحَجْرُ ليسَ على إطْلاقِه .. مَا تَقدَّم لا يمنعُ أن تُنفِقُوا على السُّفهاءِ الضُّعفاءِ بالمعرُوفِ، وبالقَدْرِ الذي تَستمرُّ به حياتُهم بطريقةٍ عزيزةٍ كريمةٍ مِن غيرِ تَقْتيرٍ ولا إسْرَافٍ، [وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً]النساء:5. وهو الجانبُ الأهمُّ في عمليةِ الإمساكِ والإنفَاقِ؛ القولُ الحَسنُ، والرفيقُ، والجميلُ، الذي يُطيِّبُ النفوسَ والخواطِرَ، مِن غيرِ مَنٍّ ولا أذَى .. فمعروفُ الإنفاقِ مهما كان عَظيماً إن لم يُتابَع بمعرُوفِ القولِ .. يبطُلُ أجرُه عِندَ الله.

* * * * *

لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً

273- [آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً]النساء:11. مِن الناسِ من يتجاوزُ أحكامَ الإرثِ .. فيُوصِي لورثتِه وهو حيٌّ يُرزَق .. ويَحيفُ في الوصيَّةِ،

فيَميلُ لشخْصٍ من الورثةِ أكثرَ مِن شخصٍ .. ظناً مِنه أنَّ هذا الشخص يَستحقُّ مِن إرثِه مَالا يَستحقُّه الآخَر .. وأنَّه سينفعُه أكثرَ مِن الآخَر .. أو خوفاً على حقِّهِ من أن يَضيعَ .. وفي الحديث الصحيح:" لا وصيَّة لوارثٍ ". لأن الوارِثَ حقهُ محفوظٌ، ومعلومٌ بنصِّ الكتابِ والسنَّةِ، لا يمكنُ تجاوزُه زيادَةً ولا نُقصَاناً .. والوصيَّةُ له تَعدٍّ على حدودِ اللهِ تعالى في الإرْثِ، وتَقسيم للمقسَّم شَرعاً .. وتدخُّلٌ في عملِ الله!

* * * * *

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ

274- [وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ]النساء:27. لو قِيلَ لك عن أحبِّ الناسِ إليك، وأعظَمِهم قَدْرَاً، وتَوقِيراً في نفْسِك .. هذا الإنسانُ يريدُ منك شَيئاً .. كم تُسْرِع، وتَهفُو لتُلَبِّي طَلَبَهُ وإرادَتَه .. وللهِ المثلُ الأعْلى .. فكيفَ بخالِقِ الخلْقِ، ومَالِكِ المُلْك .. رَبّ العَالَمين .. يقولُ لك: اقترِب مِنّي يَا عبدِي .. عُدْ إليَّ .. أريدُ أن أتوبَ عَليك .. أريدُ أن أغْفرَ لكَ ذَنْبَك .. تُبْ؛ لأتُوبَ عليك .. كيفَ يَنبغِي أن يكونَ إقْبالُك على ما يُريدُه اللهُ مِنك .. اللهمَّ تُبْ علينَا لنتُوب!

* * * * *

وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً

275- [وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً]النساء:27. عَنِ الفَضِيلَةِ إلى الرَّذِيلَةِ .. وعن الطُّهْر إلى الرِّجْسِ والنجَاسَةِ .. وعَنِ الفِطْرَةِ إلى الشُّذُوذِ، والمرَضِ!

276- [وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً]النساء:27. لا يَرضون أن يميلُوا عن الفَضِيلَةِ إلى الرَّذِيلةِ، وعنِ الفِطْرَةِ إلى الشُّذُوذِ والفُسُوقِ .. ويَقتَصرُ

الميلُ والانحرَافُ على أنفُسِهم .. لا يَرضَون بذلك، ولا يَهدَأ لهم بالٌ حتى يَميلَ معهم المؤمنُون فِيما قَد مَالُوا فِيه .. ويُشارِكُوهم الشُّذُوذَ، والانحرَافَ، والمرَض .. ويكونُ ميلُهم عن الفضيلةِ إلى الرذيلةِ والشُّذوذِ شَديداً!

* * * * *

وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ

277- [وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ]النساء:29. كلُّ من طَاوعَ نفسَه على ضَرَرٍ؛ فهو يَسعى في قَتْلِها، وله سَهمٌ في قَتْلِها، بحسب نوعِ وكمِ الضَّررِ الذي يَقترفُه.

278- [وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً]النساء:29. الإنسانُ ـ كما في عَقيدَةِ الإسْلامِ ـ مخلُوقٌ مملوكٌ للهِ تعالى .. وهو مُستَخْلَفٌ على رعَايةِ نفْسِه وفقَ شَرعِ اللهِ وأمْرِه، ومُستأمَنٌ عليها .. ومَسؤولٌ عنها، وعن حمايَتِها مِن الضَّرَرِ .. فالله تعالى هو الخالِقُ، وهو المالِكُ الحقيقي لما يخلقُ .. وهو الذي يُحيي، وهو الذي يُميت، وقتَمَا، وكيفَمَا يَشاء .. وبالتالي لا يجوزُ للإنسانِ أن يقدمَ على الانتحارِ فيُنهي حياتَه بنفْسِه، أيَّاً كانت الذَّريعةُ التي تحملُه على فعْلِ ذلك؛ فهذا ليسَ له، وهو مِن التصرُّفِ فِيما لا يملِكُ، ولَا يحقُّ له .. بخلافِ ما عليه الأنظمَةُ الديمقراطيَّةُ في الدول الأوربيَّة؛ فالإنسانُ إلهُ نفْسِه، وحاكمُ نفْسِه؛ يحكمُ نَفْسَه بشَرعِ نَفْسِه، فهو على الحقيقَةِ يملكُ نفْسَه، لَا تُوجَدُ سُلطَةٌ عُليَا تَعلُوه؛ تَأمرُه وتَنهَاه، أو تقولُ له: هذا حَرامٌ، وهذا حَلالٌ .. هذا حَقٌّ، وهذا باطِلٌ .. وبالتَّالي مِن حَقِّه ـ وفق قانونِهم ونظامِهم الديمقراطِي ـ أن يَقتلَ نَفْسَه، ويُنهي حياتَه بنفْسِه، وقتَمَا، وكيفَمَا يَشَاء .. تحتَ عنوان مَا بَاتَ يُعرَف عِندَهم بقانُون " القَتْل الرَّحِيم "، فيستعجلُ القدُومَ على اللهِ بغيرِ إذنٍ مِن الله .. ويجمعُ على نفْسِه عَذابَ الكُفْرِ، وعذَابَ الانتحار!

* * * * *

وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ

279- [وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ]النساء:32. اللّهُ تعالى غَيورٌ، لَا أَحَدَ أغيرُ مِن اللهِ .. يَغارُ على عبدِه أن يَنصرفَ عنه، ويتوجَّه بالسؤالِ إلى غَيرِه .. أن يتعلَّقَ قلبُه بغيرِ اللهِ .. وهو ربُّه وخَالِقُه، يَراهُ، ويَسمعُه، والقادِرُ على أن يُغيثَه، ويجيبَهُ .. وفي الحديثِ الصحيح:" مَا أَحَدٌ أغيرُ من اللهِ "متفق عليه. ومِن غيرَتِه على عَبدِه أن يراهُ يَتوجَّه بالسؤالِ إلى غَيرِه .. أن يَشكُو حاجَته إلى غَيرِ اللهِ .. أن يَشكُوه إلى المخلُوقِ .. لأجْلِ ذلك كله جاءَ الأمرُ بأن نَسأَلَ اللّهَ تعالى من فَضلِه الواسع، الذي لا يَنضبُ، ولَا يَنقصُ أَبَدَاً .. فالله تعالى يحبُّ مِنَّا أن نَسأَلَه .. وأن نلحَّ عليه بالسؤالِ والدُّعاءِ، ومَهمَا أكثَرْنَا فاللّهُ تعالى أكثَر .. وفي الحديثِ:" إذَا سَألتَ فاسألِ اللّهَ، وإذا استَعَنْتَ فاستَعِن بالله ".

* * * * *

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء

280- [الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء]النساء:34. " قَوَّامُونَ "؛ صيغَةُ مُبالَغَةٍ وتَكْثِيرٍ، أي الرجالُ كثيرُو القِيامِ على خِدمَةِ، ورِعَايَةِ، ونُصح مَن تحتهم مِن النسَاءِ، ومسَاعَدَتِهِنَّ على طاعَةِ اللهِ تعالى، وطاعةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، بِرِفْقٍ بعيدٍ عن العُنْفِ والشدَّةِ .. فهي قوَامَةُ رِعايَةٍ، وخِدمَةٍ، وقِيادَةٍ، ومسؤوليَّةٍ .. وليسَت قَوَامَة تَسَلُّطٍ، وجَبرُوتٍ، وعنفٍ، وظُلمٍ .. كما يَفهم البعضُ .. لَا .. مَا كان الرفقُ في شَيءٍ إلا زَانَه، ومَا نُزِعَ مِن شَيءٍ إلا شَانَه .. واللّهُ تعالى رفيقٌ يحبُّ الرفقَ، ويَجزِي على الرِّفقِ مَا لَا يجزِي على العُنفِ والشدَّةِ .. هذه القَوَامَةُ لا بُدَّ مِنها لسَلامَةِ البيوتِ مِن التَّفَكُّكِ، والتفَسُّخ، والضيَاعِ .. فما مِن شركَةٍ أو مؤسَّسةٍ إلَّا وعليها مُدير " قَيِّمٌ " واحِدٌ، يُدِيرُ شؤُونِها، ويَرعَاها ..

والموظَّفُون فيها ـ من الرجالِ والنِّساءِ ـ يُطيعُونه فِيما يَأمرُهم به، وفِيمَا يرَى فيه مصلحَةً للشركةِ والمؤسسَةِ .. ويَرجعُون إليه فِيما يُشْكِلُ عليهم .. وجميعُ الناسِ يتفهَّمون مثلَ هذا النِّظامِ ويرتَضُونَه، ولَا يَرونَ فيه انتقاصاً لأحَدٍ .. فإذا جاؤوا إلى بيوتِ الناسِ .. إلى الأُسَرِ .. أعظمُ وأخطرُ مؤسسَةٍ وشركةٍ في المجتمع الإنساني .. أرادُوها بيوتاً متَفَسِّخَةً .. ومُتَحَلِّلَةً .. ومُتفرِقَةً .. خَرِبَةً .. تَعْمُرها الفَوضَى، لَا تخضعُ لنظامٍ ولا لِقَرَارٍ، ولَا لِقَيِّمٍ، ولا مُدِيرٍ، ولا لقَائِدٍ .. فالرجلُ في اتجَاهٍ .. والمرأةُ في اتجاهٍ آخَر .. والأبناءُ في اتجاهٍ .. ليعمَّ الفسَادُ في الأرضِ .. وهذا ما يَرفضُهُ الإسلامُ، ولَا يرتَضِيهُ .. ولأجلِ دَفعِ هذا المحظُور .. وحتَّى تَستَقِيم الحيَاةُ بطريقةٍ سَليمَةٍ بعيدَةٍ عن الانتكَاسَاتِ، والإخفَاقَاتِ، حسَمَ اللهُ تعالى ـ ربُّ العالمين، خَالِقُ الرجَالِ والنسَاءِ، والأعلمُ بما يصلحُ للرجالِ وللنِّساءِ سَواء ـ مسألَةَ القَوَامَةِ في البيتِ، فقال:[الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء]؛ والمسلمُون والمسْلِمَات لَا يَسعُهم سوى أن يقُولُوا سمِعْنا وأطَعْنَا.

فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ

281- [فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ]النساء:34. مُطِيعَاتٌ للهِ، ولرسُولِه صلى الله عليه وسلم، ولأزوَاجِهِنَّ في الحقِّ والمعرُوفِ، وفِيمَا ليسَ فيهِ مَعصِيَةَ لله .. فالبيتُ كالسَّفِينَةِ؛ إن تُرِكَت في البحرِ مِن غَيرِ قائِدٍ يَقُودُها، أو كان لها قائدٌ غير مُطَاعٍ .. تآكَلَتْها الأمواجُ، وتَاهَت في البحَارِ، وغَرِقَت .. وهكذا بيوتُ النَّاس.

* * * * *

وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً

282- [وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً]النساء:36. ركَّان لا يكتمِلُ الدِّينُ إلا بهما مَعاً .. ودَعوةٌ لا يكتملُ عملُ الدُّعاةِ إلا ببيانِهمَا مَعاً: أن تَعبدُوا اللهَ وحدَه، وتخصُّوه

وحدَه بالعبادِة العَامَّةِ والخَاصَّةِ .. وأن تجتنبُوا الشِّركَ، وتتبرَّأوا مِنه، مَا ظَهَرَ منه ومَا بَطَنَ .. الشركُ الأكبر والأصغر سواء، وهو المستَفَادُ مِن كلمةِ [شَيْئاً]. أي مهمَا كان هذا الشَّيءُ من الشِّركِ دقيقاً وصَغيراً، يجبُ اجتنابُه .. ومَن أتى بأحدِهما دُونَ الآخَر، لا يَصحُّ إيمانُه، ولا يُقبَلُ منه دِينٌ ولا عملٌ .. وهذا يَستدعي التَّفقه بالشِّرْكِ وضرُوبِه، ومذاهِبِه، فالشيطانُ يقومُ بتحديثِ الشِّركِ، والإضافةِ عليه باستمرارٍ .. ثم أن جاهلَ الشِّركِ لا يُؤْمَنُ عليه أن يقعَ فيه، وهو يحسبُ أنه يُحسنُ صُنعاً!

283- على خطورَةِ الشِّركِ، وأهميةِ اجتنابِه .. نجدُ كثيراً مِن الدُّعاةِ المعَاصِرين تَقتصرُ دَعوتُهم على " اعبدُوا اللهَ "، مِن دونِ " واجتنبُوا الشِّرْكَ " .. لأنَّ الجانبَ الأصعبَ من الدَّعوةِ الذي يترتَّبُ عليه تَبِعاتٌ، ومواجهةٌ معَ الباطلِ وأهلِه هو " اجتنبُوا الشركَ "، وهو مَا لا يُريدونَه، ويَهربُون مِنه .. وهم بذلك قد أعْطُوا الشيطانَ إجازَةً طويلة!

* * * * *

إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً

284- [إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً]النساء:36. إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ متكَبِّراً مُعجَباً بنفْسِه، مُصَعِّراً لخدِّه، مختَالاً في مشْيَتِه .. يَسْتَعلي على عبادِ الله، يُباهيهم، ويفتخرُ عليهم بما أُوْتِي مِن نِعَم .. وأنه يملكُ مَالَا يملِكُون .. وفيه مِن الخصائصِ ما ليسَ في غَيرِه .. إذا دخَلَ مجلساً للمسْلِمين نظَرَ لنفْسِه على أنَّه خَيرُهُم، وأفضلُهُم .. فلَا يَشكرُ اللهَ .. ولَا يَردُّ الفَضلَ فِيمَا هو فيه من خَيرٍ إلى اللهِ .. وإنما يَردُّه إلى نفْسِه، وعزَمَاتِه، وعَضَلاتِه، مِن دُونِ اللهِ .. وكم مِن طاغِيَةٍ متكبِّرٍ مُتجَبِّرٍ مُعْجَبٍ بنفْسِه، وبما

يملك .. حَقِيرٌ عِندَ الله .. وفي الحديث:" إنَّ اللَّهَ أَوْحَى إلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ علَى أَحَدٍ "مسلم.

* * * * *

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ

285- [الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ]النساء:37. لَا هم يَتصدَّقُون بما يجبُ عليهم، ولا هُم يَدَعُون غيرَهُم يتصَدَّقُون .. فيَبْخَلُون عن أنفُسِهم، وعَن غَيرِهِم!

* * * * *

إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

286- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ]النساء:40. لَا مِن جِهَةِ الوَعْدِ، ولَا مِن جهةِ الوَعِيدِ، والعَذَابِ، ولَا مِن جِهَةِ التَّشريعِ والتَّنزِيلِ .. فإن عملت مِن الخيرِ مَا يَزِن مِثقَالَ ذَرَّةٍ، وهو أصغرُ حجمٍ، وأخفُّ وزنٍ، فاللهُ تعالى يُكافِئك عليه، ويَشكُرُه لَك، ويُضَاعِفُك في الأجرِ .. كذلك فإنَّ اللهَ تعالى لا يُعذِّبُ أحَداً مِثقالَ ذَرَّةٍ زَائِدةٍ عمَّا يَستحقُّه من العَذابِ، ويَعفُو اللهُ عن كَثيرٍ .. فدِينُ اللهِ تعالى كُله قَائمٌ على العَدلِ المطلَقِ، لَا يمكنُ أن يتخلَّله ظلمٌ أبَداً .. فدِينُ اللهِ والظُّلمُ لا يجتمِعَان أبَداً .. وأيُّما ظُلم ـ أيَّاً كان صاحبُه ـ ولو كان مِثقالَ ذرَّةٍ، فدينُ اللهِ تعالى بريءٌ مِنه .. وأيُّما عَدْل ـ أيَّاً كان صاحبُه ـ ولو كان مِثقالَ ذرَّةٍ، فهو مِن دينِ اللهِ، وشَرْعِه.

* * * * *

لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى

287- [لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى]النساء:43. تشملُ جميعَ الطّاعاتِ، لأن جميعَ الطاعات تحتاج إلى العقلِ، ويُشترَط لها العقل، وحُضُور العَقْلِ.

* * * * *

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ

288- [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ]؛ حظَّاً من الكتابِ، والعِلمِ، والحقِّ .. والخوفِ مِن هؤلاءِ - الذين يُؤتون جزءاً من العِلم والحقيقةِ - أكثرُ مِن غيرِهم؛ لأنَّ هذا القليل مِن الحقِّ والعِلمِ الذي معَهم، يُغرِيهم، ويحملُهم على الطُّغيانِ، والظلمِ، وهو لا يُغني من الحقِّ شَيئاً، [يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ]؛ بالهدَى، ودينِ الحقِّ .. ومنهم من يَشتري الضَّلالةِ بالمالِ أيضاً؛ فينفقون أموالَهم في استيرَادِ وشِراءِ الباطِلِ، والضَّلالِ، والفُسُوق، [وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ]النساء:44. وهم لا يكتفُون أن يَشتروا الضَّلالَة لأنفسِهم، وأن تَقتصرَ الضلالةُ على أنفسِهم .. لا يَرضون بذلك، ولا تَقرَّ لهم عينٌ، حتى يُصدِّروها للمسلمين، ولأبنائِهم، حتى يُضلوا طريقَ الحقِّ، كما ضَلُّوا .. فيكونُون سواء في الضَّلالِ!

* * * * *

إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ

289- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ]؛ لأنَّ الشِّركَ ظُلمٌ عَظيمٌ، لا يُوَازِيه ولا يَعلُوه ذَنْبٌ ولا ظُلمٌ .. وهو يَعني أن تُلْغِي الغَايَةَ مِن وُجُودِك، وأنْ تَصرفَ حَقَّ الخالِقِ عليك، الذي خَلَقَكَ وأوْجَدَك، وتَفضَّلَ عليك بالنِّعَمِ التي لا تُحْصَى، إلى المخْلُوقِ؛ فتَعْبُدُه، وتتوجَّهُ إليه بالعِبادةِ من دُونِ اللهِ .. فهذا هو الذَّنْبُ العَظيمُ والوحِيدُ الذي لا يَغفرُهُ اللهُ، [وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ]؛ ما دُونَ الشِّرْكِ؛ مَهمَا كان الذَّنْبُ [لِمَن يَشَاءُ]النساء:48. من عِبادِه؛ لِسعَةِ رَحمتِه وعَفْوِه ومَغْفرتِه سُبحانه.

290- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ]النساء:48. الذَّنْبُ الوحيدُ الذي لا يغفرُهُ اللهُ تعالى، ولا تُدرِكُ صاحِبَه الرَّحْمَةُ، ويخلِّدُه في النَّارِ أَبَدَاً؛

هو الذي يموتُ على الشِّركِ والكُفْرِ .. لِذا فهو في يَأسٍ وقنُوطٍ مِن رحمةِ الله .. وما سوى الشِّرك مِن الذُّنُوب والخَطَايا مهْمَا عظُمَت، تخضَعُ لمشيئةِ اللهِ تعالى؛ إن شاءَ غَفَرَ لصَاحِبِها مِن غيرِ عذابٍ .. وإن شَاءَ عذَّبَه بها .. ولو عَذَّبَه بِها، تُدركُه الرحمةُ، ويُخرجُه اللهُ مِن النَّارِ بعدَ أن يتطهَّر من ذنُوبِه؛ لوجودِ أصلِ الإيمانِ والتَّوحيدِ عِندَه .. هذا الذي دَلَّت عليه نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ، والذي عليه أهلُ السُّنَّةِ والجماعَة.

291- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ]؛ لِمَن ماتَ على الكُفْرِ والشِّرْكِ، [وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ]؛ لمن يموتُ على الإيمانِ والتَّوحِيدِ، مَهمَا كان منه مِن عمَلٍ، [لِمَن يَشَاءُ]النساء:48. إن شَاءَ سُبحانه عفَا عنه، وإن شاءَ حاسَبَهُ وعاقبَه .. وبالتَّالي لا يُجزَم لمن يموتُ على التَّوحِيدِ مِن أهلِ القِبلةِ بجنَّةٍ، ولا نَارٍ .. والجزْمُ له بالجنَّةِ أو النَّارِ .. هو مِن التَّأَلِّي على اللهِ تعالى بغيرِ علم.

292- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ]النساء:48. لأَن تَلْقَى اللهَ سبحانه بكلِّ ذَنْبٍ خَلَا الشِّركِ، وتَرْكِ الصَّلاةِ .. أهونُ وخَيرٌ مِن أنْ تلقَى اللهَ تعالى بكلِّ حسنَةٍ، معَ الشِّرْكِ، وتَرْكِ الصَّلاة!

293- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ]النساء:48. إلَّا مَن أَسْلَمَ، أوْ تَابَ؛ فالإسلامُ يَهدمُ مَا كانَ قَبْلَه، وكذلك التَّوبَة.

* * * * *

وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً

294- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً]النساء:48. الظلمُ أنواعٌ ودرجاتٌ .. بعضها يعلو بعضاً .. أعظمُها، وأشدها ضرراً على صاحِبها، الشِّرك:[إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ]لقمان:13.

* * * * *

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ

295- [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ]؛ يطرُون أنفسَهم، ويَثْنُون عليها بالخيرِ والمدائحِ، من دونِ أن يردُّوا الفضلَ إلى اللهِ .. وأخطرُ أنواعِ التَّزكيةِ؛ أن يتشبَّعَ المرءُ بما لم يُعطَ، وبما ليسَ فِيه، وأن يتألَّى على الله؛ فيشهدُ على نفْسِه وعلى من يُريد من الناسِ بأنهم مِن أهلِ الجنَّةِ، والنَّجاةِ والفَلاحِ يومَ القِيامة، [بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ]؛ يُزكيه بالإيمانِ، والإخلاصِ، والعملِ الصَّالحِ .. ويضَعُ لمن يشاءُ من عِبادِه القبُولَ، ويجعلُ لهم ودّاً في الأرضِ، وفي السماءِ، [وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً]النساء:49. ثم يومَ القيامة لا يَنقصُهم اللهُ من أعمالهم شيئاً مهمَا كان ضَئيلاً؛ حتى لو كان مقدارَ قشر نواةٍ، فما دون ذلك، فالله تعالى يجزيهم عليه خَيراً مُضاعفاً.

* * * * *

إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا

296- [إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا]النساء:58. ومِن أعظَمِ الأَمَانَاتِ التي أُمِرْنَا أن نُؤدِّيَها إلى أهْلِها كامِلَةً من غيرِ زيادةٍ ولا نُقْصَان؛ أَمَانَةُ الدِّين.

تَعِبَ الأجدادُ حتى وصلَ الدينُ إلينا نقيّاً كامِلاً .. وحتى يَصلَ هذا الدِّينُ إلى أبنائِنَا، وإلى الأجيالِ التَّاليةِ، كما وصَلَ إلينا، لا بد من أن نتعَبَ كما تَعِبُوا.

297- [إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ]؛ أمْرَ وجُوبٍ، [أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ]؛ الحقُوق؛ سواءٌ كانَت هذه الحقُوقُ مَادِيَّة أم مَعْنَوِيَّة، ومِن الأَمَانَاتِ: الحُكْمُ، والإمَارَةُ، والوظَائِفُ الحكُوميَّةُ، [إِلَى أَهْلِهَا]؛ إلى أَصْحَابِها الذين يَستَحِقُّونَها، وكانُوا الأكْفَأَ لها، والأجْدَرَ بها، مِن غَيرِ مُحَاباةٍ لأَحَدٍ؛ لِقَرَابةٍ، أو جَاهٍ، أو رَشْوةٍ، أو لانتماءٍ حِزبي، أو غَير ذلك، [وَإِذَا

حكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ]؛ كلَّ النَّاسِ؛ مُؤْمنهم وكافِرهم، [أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ]؛ فَلا تُفَرِّقُوا في الحُكمِ والقضَاءِ بينَ المسلمِ وغَير المسلم، وبينَ الغَنِي والفَقِير، وبينَ الضَّعِيفِ والقَوِي، وبينَ الرَّئِيسِ والمرْؤوسِ، بل تَحكُمون للمظلُومِ المُحِقِّ، على الظَّالِمِ المحقُوقِ، وتُنْصِفُونَ حَقَّهُ منه؛ ولو كان الأَوَّلُ كافِراً، والآخَر مؤمِناً مُسلماً .. ولو كان الأَوَّلُ مَرْؤُوساً والآخَرُ رَئِيساً، [إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ]؛ أي نِعِمَّ، وعَظُمَ، وجَمُلَ، وكَمُلَ هذا الشيءِ الذي يَعِظُكم اللهُ ويأمركُم به؛ وهو أَدَاءُ الأَمَاناتِ إلى أصحَابِها، والحَكْمُ بينَ النَّاسِ بالعَدْلِ، [إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً]؛ بما تَقُولُون وتَحْكُمُون، [بَصِيراً]النساء:58. بمَا تَفْعَلُون.

298- [إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا]النساء:58. مِن الأَمَانَاتِ خُطْبَةُ الجُمُعَة.

299- [إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ]النساء:58. بِهاتَين الصِّفَتَين العَظِيمَتَين: أَدَاءُ الأَمَانَاتِ والحقُوقِ إلى أَصْحَابِها، ومُسْتَحِقِّيها .. والحُكمُ بينَ الناسِ بالعَدْلِ .. تَعْمُرُ الأُمَمُ والدُّوَلُ، وتَنْهَضُ .. ومِن دُونِهمَا، وبالتَّخَلِّي عنْهُمَا، تَنهَارُ الأُمَمُ والدُّولُ، وتُصابُ بالدَّمَارِ والخَرَابِ .. ووَجْهُ التَّرابُطِ بينَ هَاتَين الصِّفَتَين: أَدَاءُ الأَمَانَاتِ والحقُوقِ إلى أهلِها، وبينَ الحُكْمِ بينَ النَّاسِ بالعَدْلِ .. وتَقَدُّم ذِكْرِ أَدَاءِ الأَمَاناتِ والحقُوقِ إلى أهلِها على الحَكْمِ بينَ النَّاسِ بالعَدْلِ .. أن الحُكمَ بينَ الناسِ بالعَدْلِ لا يمكِنُ أن يتحقَّقَ أو يَسُودَ إلَّا إذا تَقَدَّمَهُ أولاً أَدَاءُ الأَمَاناتِ والحقُوقِ إلى أَهْلِها، وبعد أن تُوَسَّدَ الأُمُور إلى مُسْتَحِقِّيها!

انظرُوا إلى أيِّ دَولَةٍ تَشْكُو مِن الفَسَادِ، والتَّخَلُّفِ، والخَرَابِ .. ستَجِدُون مَرَدَّ ذلك كُلِّه إلى تَنَكُّبِ هذه الدَّولةِ والقَائمِينَ عليها عَن هَاتَين الصِّفَتَين العَظِيمَتَين .. مَا أَعْظَمَ كَلَامَ اللهِ، ومَا أَعْظَمَ وأَجْمَلَ تَوجِيهاتِه وأَوَامِرَه لِعِبَادِه!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ

300- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ]؛ واجبٌ وفرضٌ من غير قيدٍ ولا شرط؛ وهو وحدهُ سُبحانه المطاعُ لذاتِه، وما سواه مُطاعٌ له، وفيه، [وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ]؛ واجبٌ وفرضٌ من غير قيدٍ ولا شرط؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يبلّغُ عن ربّه، ولا ينطقُ عن الهوى، [وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ] ؛ وهم العلماءُ والأمراء، وطاعتهم واجبة بقيدٍ وشرط؛ شرطها أن تكون في المعروف، وأن لا تكون في معصيةِ الله؛ إذْ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق، [فَإِن تَنَازَعْتُمْ] ؛ أولي الأمر بعضُهم مع بعضٍ، أو أولي الأمر من الحكام مع مَن يحكمونَهم من الشعوبِ والناس، [فِي شَيْءٍ] ؛ أي شيءٍ يتعلق بشؤون الحكمِ والسياسةِ، وطريقةِ الحُكمِ، وما للحاكمِ مِن حقُوقٍ، وما عليه مِن واجباتٍ، وغير ذلك، [فَرُدُّوهُ] واجبٌ وفرض، [إِلَى اللهِ] إلى كتابه؛ القرآن الكريم، [وَالرَّسُولِ] إلى شخصه في حياته، وبعد وفاته يكون الرد إلى سنّته، وهذا دليل على أن في الكتابِ والسنَّة حلٌّ حاسم وشاملٌ لأي شيءٍ يتمُّ التنازع فيه بين الحاكمِ والمحكومِ، أو بين أولي الأمرِ بعضهم مع بعض، إذ يستحيل أن يردنا الله إلى مرجعٍ نرجع إليه في حلِّ نزاعاتنا، وما نختلف فيه، ثم لا نجد في هذا المرجع حلّاً لها، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ]؛ إن كنتم صادقين حقّاً في دَعْوى الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخِر، فإن لم تردُّوا النزاعات إلى الله، وإلى الرسولِ، كان ذلك دليلاً على عدم صدقِكم في دعواكم الإيمان بالله واليومِ الآخِر، وكان دليلاً على عَدمِ إيمانكم، [ذَلِكَ خَيْرٌ]؛ أي في ردكم إلى الله وإلى الرسولِ صلى الله عليه وسلم خيرٌ لكم من أن تلتَمِسُوا الحلولَ

لنزاعاتكم من عندِ أهوائِكم، أو مِن الشّرقِ أو الغَربِ، أو من عندِ أعدائكم، [وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً]النساء:59. عاقبة ومآلاً.

301- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ]؛ طاعةَ امتثالٍ وعِبادة، [وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ] ؛ طاعة امتثال واستسلام من غير تعقيب ولا جِدَال، [وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ]؛ طاعة امتثالٍ في المعروف، على بينةٍ وبصيرةٍ؛ إذ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالِق، [فَإِن تَنَازَعْتُمْ]؛ مع أولي الأمرِ منكم، أو أولي الأمر بعضهم مع بعض [فِي شَيْءٍ]؛ من أمورِ الدِّين والدُّنيا [فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ]؛ إلى القرآنِ الكريم؛ كلام الله [وَالرَّسُولِ]؛ إلى شخصِه الشريف في حياته، وبعد مماته إلى سنَّتِه المُطهَّرةِ صلى الله عليه سلم، [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ]؛ إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان، والتَّصديق [بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ]؛ وما فيه مِن وعْدٍ ووعِيدٍ، [ذَلِكَ خَيْرٌ]؛ لكم مِن ردِّ ما تتنازعون فيه إلى أهوائكم، وإلى الشرائع والقوانين الوضْعيَّة، [وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً]النساء:59. عاقبةً ومآلاً في الدُّنيا والآخرة.

302- قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ]؛ واجبٌ وفرضٌ من غير قيدٍ ولا شرط؛ وهو وحدهُ سُبحانه المطاعُ لذاتِه، وما سواه مُطاعٌ له، وفيه، [وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ]؛ واجبٌ وفرضٌ من غير قيدٍ ولا شرط؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يبلغُ عن ربّه، ولا ينطقُ عن الهوى، [وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ]؛ وهم العلماءُ والأمراء، وطاعتهم واجبة بقيدٍ وشرط؛ شرطها أن تكون في المعروف، وأن لا تكون في معصيةِ الله؛ إذْ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق، [فَإِن تَنَازَعْتُمْ] ؛ أولي الأمر بعضُهم مع بعضٍ، أو أولي الأمر من الحكام مع مَن يحكمونَهم من الشعوبِ والناس، [فِي شَيْءٍ]؛ أي شيئ يتعلق بشؤون الحكمِ والسياسةِ، وطريقةِ الحُكمِ، وما للحاكِمِ من حقوقٍ، وما عليه من واجبات، وغير ذلك، [فَرُدُّوهُ] واجبٌ وفرض، [إِلَى اللّهِ] إلى كتابه؛ القرآن الكريم، [وَالرَّسُولِ] إلى

شخصه في حياته، وبعد وفاته يكون الرد إلى سنته، وهذا دليل على أن في الكتابِ والسنَّة حلٌّ حاسم وشاملٌ لأي شيءٍ يتمُّ التنازع فيه بين الحاكِمِ والمحكومِ، أو بين أولي الأمرِ بعضهم مع بعض، إذ يستحيل أن يردنا الله إلى مرجعٍ نرجع إليه في حلِّ نزاعاتنا، وما نختلف فيه، ثم لا نجد في هذا المرجع حلّاً لها، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ] ؛ إن كنتم صادقين حقا في دعوى الإيمان بالله واليوم الآخِر، فإن لم تردُّوا النزاعات إلى الله، وإلى الرسول، كان ذلك دليلاً على عدم صدقِكم في دعواكم الإيمان بالله واليوم الآخر، وكان دليلاً على عدمِ إيمانكم، [ذَلِكَ خَيْرٌ] ؛ أي في ردكم إلى الله وإلى الرسولِ صلى الله عليه وسلم خيرٌ لكم من أن تلتمسوا الحلول لنزاعاتكم من عند أهوائكم، أو من الشّرقِ أو الغربِ، أو من عند أعدائكم، [وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً]النساء:59. عاقبة ومآلاً.

* * * * *

فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ

303- [فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ]النساء:59. [إِلَى اللهِ] ؛ أي إلى الكِتَاب .. [وَالرَّسُولِ] ؛ في حياته، وبعد مماته صلى الله عليه وسلم، يُرد النزاع إلى سنته. [شَيْءٍ]؛ يفيد العموم؛ أي شيء يتنازع فيه من أمور الدين والدنيا؛ السياسية منها وغير السياسية، يجب أن يُرَد [إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ]. وهذا من لوازم الإيمان وشرط لصحته [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ].

والله تعالى إذ يأمرنا بأن نرد النزاع، أي نزاع إلى الكتاب والسنة، فهو يأمرنا لأننا سنجد فيهما الحل لكل نزاع ومشكل .. تعالى الله أن يردنا وما نتنازع فيه إلى مرجعٍ، ثم لا نجد في هذا المرجع حلاً شافياً وافياً وكاملاً، لما نتنازع فيه!

304- [فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ]؛ إلى كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسولِهِ صلى الله عليه وسلم، وإلى مَن يحكم لكُم بكتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. أمَّا مَن عَرَفْتُم عنه أنَّه سيَحكُم لكم بهَواه، وبقَوانينَ وضْعيَّة ما أنزَلَ اللهُ بها مِن سُلطانٍ، فاجتَنِبُوه، ولا تحتكِموا إليه .. هذا [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ]النساء:59. حَقَّاً وصِدْقاً .. فإن لم تَفْعَلُوا ذلك، وأبيتُم إلَّا أن تَحْتكِموا إلى مَن يحكم لكُم بغيرِ كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، معَ وجُودِ مَن يَحكُم لكُم بكتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. فأنتم حِينئذٍ لَسْتُم ممَّن يُؤمنُون باللهِ واليومِ الآخِرِ حَقَّاً وصِدْقاً، حتَّى لو زَعَمْتُم بلسانِكم خِلافَ ذلك؛ فعمَلكُم يُكذِّبُ زَعْمَكُم، ويُناقِضُه، وهو أصْدَقُ لهجةً ونَبأً مِن مجرَّدِ زَعْمِ اللسَانِ!

* * * * *

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ

305- [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ]؛ زَعْمُ الإيمانِ باللسانِ لا يكفِي، إذا لم يُصدِّقْهُ الاعتقادُ، والعملُ .. والدليلُ على كذبِ زَعمِهم الإيمان أنهم يَعدِلُون عن الحكمِ بما أنزلَ اللهُ، وعن التحاكُمِ إلى مَن يحكم لهم بما أنزلَ الله، مع وجودِه، ووجُود القوَّةِ والسلطةِ التي تمثلُه، و [يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ]؛ والمرادُ بالطاغوتِ هنا الحاكمُ الكافرُ الذي لا يحكمُ بما أنزلَ اللهُ، وسُمي طاغُوتاً لأنه يُعبَد مِن جهةِ التَّحاكم إليه، ومِن جهةِ طاعتِه ومتابعَتِه فيما يحكمُ فيه،

ويَصدرُ عنه من أحكامٍ مُضاهِيَّةٍ لشرعِ اللهِ تعالى المنزَّلِ .. وقوله:[يُرِيدُونَ]؛ يفيدُ انتفاءَ مظنَّةِ الإكراهِ أو الاضطرارِ عنهم .. وأنَّهم أقدَموا على التَّحاكُمِ إلى الطاغوتِ بمحضِ إرادتِهم، واختيارِهم، ورَغْبتِهم، [وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ]؛ أن يتبرَّأوا منه، وأن لا يتحاكَموا إليه، [وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ]؛ بعدُولِهم عن شرعِ اللهِ المنزَّلِ، وإعراضِهم عنه، وحمْلِهم على التحاكُمِ إلى الطاغوتِ، [أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً]النساء:60. عن الحقِّ، والإيمانِ .. وأن يوقعَهم في الكفرِ!

* * * * *

رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً

306- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً]النساء:61. من علاماتِ النفاقِ والمنافقين؛ أنَّهم إذا دُعوا إلى التَّحاكُمِ إلى ما أنزَلَ اللهِ، تراهم يُعرِضون، ويُعارِضُون، ويتبرَّمُون، ويلُوون برؤوسِهم، ويعتذرون بأعذارٍ واهِيةٍ؛ ليعْدِلُوا عن التحاكُمِ إلى كتابِ اللهِ تعالى، وإلى سُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم إلى التَّحاكُمِ إلى الطاغوتِ وشرائعِه المضاهيةِ لشرعِ اللهِ!

* * * * *

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ

307- [وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ]النساء:64. لِيُطَاعَ بأمرٍ مِن اللهِ، في جميعِ مَا يأمرُ به، ويَستَحسنُه، وجميعِ مَا يَنهى عنه، ويَستقبِحُه، ويَسْتَكْرِهُه، مِن غيرِ تَعقيبٍ، ولا اعتراضٍ، ولا مُعارضَةٍ، لا لِيُعْصَى، وتُرَدّ سُنَّتَه .. فاللهُ تَعَالى يُعَرِّفُ عن ذاتِه، وأسمائِه، وصفاتِه، وعن حقِّه، وأحكَامِه وشَرعِه عَن طَريقِ رُسُلِه صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين .. فمن أطاعَ رُسُلَ اللهِ فقد أطَاعَ اللهَ، وهُدِي إلى صراطٍ مُستقيم،

ومَن عصَاهُم، فقد عصَاه، وضلَّ سَواءَ السَّبيل .. فهُم البابُ الآمِنُ والوحيدُ في الوجودِ الذي يُؤدِّي بوالجِهِ إلى الحقِّ، والسَّلامَةِ، والنَّجاةِ، ومَعرفةِ اللهِ .. فمَن ولجَه فقَد نجَا، ومَن أعرَضَ عنه، والتمسَ لنفسِه أبواباً أخرَى، هَلَك!

* * * * *

حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

308- [فَلاَ وَرَبِّكَ]؛ يُقْسِمُ الربُّ سُبحانه بذاتِه المقدَّسَةِ؛ لجلالةِ وعظمَةِ وأهميَّةِ الأمْرِ، [لاَ يُؤْمِنُونَ]؛ نَفْيٌ لمُطلَقِ الإيمان، [حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ]؛ يا محمد صلى الله عليه وسلم .. والتَّحاكُم إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم في حياتِه يكونُ إلى شَخْصِه، وبعدَ موتِه يكونُ التَّحاكُم إلى سُنَّتِه، [فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ]؛ فِيما أشْكَلَ واختَلَطَ عليهم، وفِيما اختلفوا وتنَازَعُوا فيه؛ سواءٌ اختلفُوا وتنازَعُوا في أمُورِ الدِّينِ أَمْ في أمورِ الدُّنيا .. لا يَكْفِي هذا لِتَحقيقِ الإيمانِ، [ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً]؛ لاَ يَجِدُوا ضِيقاً ولا تَرَدُّداً في صُدُورِهم، [مِّمَّا قَضَيْتَ]؛ ممَّا حكَمْتَ به .. أيضاً لا يَكْفِي ذلك لتَحقيقِ الإيمانِ، [وَيُسَلِّمُواْ]؛ ويَنْقَادُوا ظاهِراً وباطِناً لحكْمِكَ .. لا يكفِي ذلك لتَحقيقِ الإيمانِ، [تَسْلِيماً]النساء:65. مِن دُونِ مُعارَضَةٍ أو اعتراضٍ .. فإن تحقَّقَت فيهم هذه الصِّفاتِ مُجتمعَةً؛ فأولئك هُم المؤمنُون حَقّاً.

* * * * *

وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ

309- [وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ]النساء:72. إذَا انطلَقَت قوافِلُ الجهَادِ تشَاغَلَ، وتَباطَأ إلى أن تمضِي القَوافِلُ إلى الجهَادِ، ويَبقَى هو معَ الخوالِفِ والقَاعِدِين .. فإذا أصَابَ المجاهِدِين مُصيبةٌ فرِحَ أنه لم يكُنْ معَهم، ولم يخرُجْ معَهم للجهَادِ .. واستَحْسَن موقِفَه

وتباطُأَه .. وإذا أصابَ المجاهدِين نِعْمَةٌ وخَير .. كَرِه لهم تَفرُّدَهم بالنِّعمَةِ، والنصْرِ، والغنِيمةِ .. وتمنَّى لو أنَّه كان مَعَهم .. ليسَ من أجلِ الجهَادِ، واستدرَاكِ مَا قَد فاتَه مِن خَيرِ وبرَكَاتِ الجهَادِ .. وإنَّما مِن أجْلِ أن يُقاسِمهم الخيرَ والغنَائمَ .. هؤلاء هم المبَطِّئون .. وهؤلاءِ ليسُوا على خَيرٍ، بَل على شَرٍّ كَبِير!

* * * * *

الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ..

310- [الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ]؛ وهو كُلُّ قِتَالٍ يَتحقَّقُ فيه شَرْطَان: أوَّلهمَا؛ أن يكونَ القِتالُ لإعلاءِ كَلمَةِ اللهِ؛ وهو كُلُّ قِتَالٍ قَد شَرَعَهُ اللهُ، وأذِنَ بِه .. وكُلُّ مَعْنَى قد أَذِنَ اللهُ القِتالَ دُونَه. ثانِيهمَا؛ أن يكونَ القِتالُ خالِصَاً لله؛ لا تَشُوبُه شَائِبَةُ سُمعَةٍ ورِياءٍ، [وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ]النساء:76. وهو كُلُّ قِتَالٍ يُخالِفُ ويُضَادُّ القِتالَ في سَبيلِ الله؛ ويَنتَفِي عنه الشَّرْطَانِ الآنِفَا الذِّكْرِ أعْلَاه.

* * * * *

أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ

311- [أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ]النساء:78. لا داعي للهروبِ والاختباءِ من الأجَلِ .. لا تجعلْ الخوفَ من الأجَلِ يمنعُك من القيامِ بالواجبِ .. فإذا جاءَ الأجل أدركَك ولو كنْتَ على فراشِك، في حُصونٍ ذاتِ أسوارٍ مرتفعَةٍ .. أو كنت مختبئاً في الخنادِق تحتَ الأرض .. وإن لم يأتِ أجلُك مهمَا تكالبَتْ عليك أسبابُ الموتِ، فلن تموتَ إلا في أجَلِك المحدَّدِ والمكتُوب .. وكاتُبُ هذه الكلماتِ قَد رَأى الموتَ عِدَّةَ مرَّاتٍ، حتَّى لا يكونُ بيني وبينَه إلا شِبرَاً، فيصرفُه اللهُ عني، ويَصرفَنِي عنه .. وقد صدَقَ مَن قال: أن الأجَلَ يحمي صاحِبَه!

312- [أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ]النساء:78. يَفرُّ المترَفُون من الموت ببناءِ المخابِئِ والملاجِئِ عشرات الأمتَارِ تحتَ الأرضِ .. يُزوِّدُونها بأسبَابِ الحياةِ .. ويُنفقُون عليها عشراتِ الملايين مِن الدُّولاراتِ .. يحسبُون أنَّها مانعتهم مِن الموت .. وهذه ضحكةٌ كبيرةٌ مِن ضحكَات إبليس عليهم .. وتَلبيسَةٌ مِن تَلبيساته .. وفَاتَ هؤلاء الجهَلَةِ أنَّ الأجَلَ إذَا جاءَ لَا تَردُّهُ تِلكَ المخابِئ والمَلَاجِئ، ولا تِلكَ الحصُون، والقُصُور .. ولا يتَأَخَّرُ ولا يتقدَّمُ دقيقةً واحدةً .. ومَلَكُ الموتِ الموكَّلِ بقبضِ الأَرْوَاحِ لَا تُعجزُهُ تِلكَ المَخابِئ والملاجِئُ، ولو كانَت في الأرضِ السَّابعَةِ .. ولا تِلكَ القُصُور الشَّاهِقَةِ المحصَّنَةِ، ولو بَلَغَت عنَانَ السَّماءِ .. يَفتَحُ الأبوابَ المؤصَدَة مِن غَيرِ قَرْعٍ لها ولَا اسْتِئذَان!

* * * * *

قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ

313- [وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ]؛ في أنفسِهم، وأموالِهم، فرحُوا بها .. و [يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ]؛ أي أنَّ اللهَ قد كتبَها وقدَّرَها لنا، [وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ]؛ شدَّةٌ وبلاءٌ في أنفُسِهم، وأموالِهم .. تشاءمُوا بالمسلمين، و [يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ]؛ أي بسببكَ يا محمد، ومَن آمَن معَك، [قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ]؛ الحسنَةُ والسيئةُ، الخيرُ والشدَّةُ، والشرُّ، كلها بقضاءٍ وقدَرٍ مِن اللهِ، [فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً]النساء:78. لا يَفهمُون حديثاً رغم بياننا وتفصيلنا له؛ بما لا يَدعُ للجاهلِ عُذراً .. والسؤالُ هنا يُفيدُ التعجُّبَ والإنكارَ!

* * * * *

مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ

314- [مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ]؛ من خيرٍ في نفْسِك، وأهلِك، ومالِك، [فَمِنَ اللهِ]؛ هو بتوفيقٍ مِن الله تعالى، [وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ]؛ مِن شدَّةٍ، وشَرٍّ في نفسِك، ومالِك، [فَمِن نَّفْسِكَ]النساء:79. فسببُه من نفسِك الأمَّارةِ بالسُّوءِ، وما تقترفُه من سيئاتٍ .. فيقدّرُ اللهُ لك شِدةً يُطهرُكَ بها من ذُنوبِك .. ويعفُو اللهُ عن كثيرٍ .. وكلاهما الحسنَةُ والسيئةُ بقضاءٍ وقدَرٍ مِن اللهِ، لا يخرجُ شيءٌ في الوجودِ سواءٌ كانَ خَيراً، أم كان شرّاً عن قضاءِ اللهِ وقدَرِه.

* * * * *

وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً

315- [وَأَرْسَلْنَاكَ]؛ يا محمد صلى الله عليه وسلم، [لِلنَّاسِ]؛ تفيدُ العمُوم؛ أي لكلِّ النّاسِ عُرْبهم، وعَجمهم، أبيضُهم وأسودُهم، ذكُوراً وإناثاً .. وإلى قِيامِ الساعةِ .. لا يُعذَرُ أحَدٌ ـ أيّاً كان جنسه، ودِينُه، ولونُه، وموطِنُه، وكانت لغَتُه ـ يَسمعُ بكَ ثم لا يؤمنُ بك، وبما أُرسِلَ إليك من اللهِ .. [رَسُولاً]؛ بشيراً ونذيراً، تبلِّغ آياتِ اللهِ ورسالاتِه للنَّاسِ كافَّة .. فإن كذَّبكَ الكُفارُ، [وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً]النساء:79. أنَّك يا محمد صلى الله عليه وسلم رسولُ اللهِ.

* * * * *

مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ

316- [مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ]النساء:80. لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لَا يَأمرُ إلَّا بما أمرَ اللهُ به، ولا يَنهى عن شيءٍ إلا ما نَهى اللهُ عنه .. ولا يُشرِّعُ شَيئاً إلَّا ما ارتضَاه اللهُ .. لَا يَنطقُ عن الهوَى، فكلُّ مَا يَنطقُ به فهو بوَحي مِن اللهِ تعالى

.. فطاعتُه من طاعَةِ اللهِ .. وفيه أنَّ مُتابعَةَ السُّنَّة واجبةٌ كمتابعَةِ القُرآنِ الكرِيم .. وأنَّ الذي يُفرِّقُ في الطَّاعَةِ والمتابعَةِ بين القُرآنِ والسُّنَّةِ؛ فيتَّبعُ القُرآنَ دُونَ السُّنَّة .. فهذَا لا يكونُ مُسلِماً، وهو عَاص للهِ، ورَادٌّ لكتَابِهِ وآياتِه، قبلَ أن يكونَ رَادّاً لسنَّةِ نبيِّه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ

317- [أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ]النساء:82. يَتأَمَّلُون ويَتفَكَّرُونَ معَانِيَ القُرآنِ الكَرِيم؛ البَلِيغَة الزَّاجِرة، الجَّامِعَة، المانِعَة .. يَتدَبَّرُون أوَامرَه ونوَاهِيَه .. وعْدَه، ووعِيدَه .. تَرغيبَهُ، وتَشويقَه، وتَرهِيبَه .. فالغايَةُ من التِّلاوةِ التَّدبُّر، والتَّأمُّل، والتَّفكُّر، والاتِّعَاظ .. وليسَ مجرَّدَ حركَةِ اللسَانِ، والفَمِ .. وكانَ عليٌّ بنُ الفُضَيل بنُ عِيَاض؛ لِشِدَّةِ اسْتغرَاقِه في التَّأمُّلِ والتَّدَبُّرِ لَا يَستطيعُ أن يُكمِلَ تلاوَةَ السُّورَةِ الواحِدَةِ إلَّا ويُغْشَى عليه .. وكانَ لا يَقْدِرُ أن يَسمعَ سُورَةَ الزَّلْزَلَةِ، ولَا سورةَ القَارِعَةِ أبَدَاً .. وكانَ ـ رحمه الله ـ يقولُ لأبيه: يا أبَتِي ادْعُ اللهَ لي أنْ يُقَدِّرَني على سمَاعِ سُورَةٍ كامِلَةٍ، أو على خَتمِ القُرآنِ، ولو مَرَّةً قبلَ مَوتِي ...!

318- [أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ]؛ سؤالٌ فيه حضٌّ على التأمُّلِ والتَّفكرِ بما في القرآنِ الكريم من إعجازٍ في لغتِه، وبيانِه، وآياتِه، وأحكامِه، وشرائعِه، وإخبارِه، ومعانِيه .. يُعجِزُ ويُبهِرُ العقولَ .. أوله يصدقُ آخِرَه، وآخِرُه يصدق أوَّلَه .. مُبرأ من النَّقصِ، والاختلافِ، والتعارضِ .. لا يأتيه الباطلُ من بين يدَيه ولا مِن خَلْفِه .. وهذا من أصرحِ الأدلةِ أن هذا القرآن الكريم هو من عندِ الله، وأنه كلامُ اللهِ، إذ [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً]النساء:82. لأنَّ كلَّ ما عَدا الله ـ مهما أُوتي من

عِلم ـ ضعيفٌ، وناقصٌ .. وضَعفه، ونقصه، وجهله ينعكسُ لا محالَةَ على عطائِه، وكلامِه، ويَظهر فيه الخلَلُ والاختلافُ، والضَّعفُ، والتَّعارضُ .. وخُلُو القرآن الكريم من كلِّ ذلك .. لهو دليلٌ قاطعٌ على أنه من عندِ الله، وأنه كلامُ اللهِ .. ولا يَتدبرُ القرآنَ أحدٌ إلا وهُدِي لهذه الحقيقةِ، وكان ذلك سبباً في هِدايتِه، ودخولِه في الإسْلام!

319- [أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ]؛ يُريدُون الدليلَ على صدقِ النبي صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من عندِ ربِّه .. فهَلَّا تأمَّلوا القرآنَ الكريم، وفهمُوه، وتَفكَّروا ما فيه من إعجازٍ باهِرٍ للعقولِ، يجيبهم عمَّا يَسألون عنه، وعما يُشكِّكُون فيه، [أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا]محمد:24. أم أن قلوبَهم عليها أقفالٌ تُحيل بينهم وبينَ سماعِ، وفَهمِ القُرآن الكريم، وتَدبُّر آياتِه؟!

320- وقد وُجِدَ من الأحبارِ والرُّهبان مَن يخافون من القرآن الكريم، ويُخوِّفُون، ويحذِّرُون أتباعَهم أشدَّ التَّحذيرِ من الاقترابِ من القرآنِ الكريم، أو اقتنائِه، أو قِراءةِ بعض آياتِه، حتى لا يَهتدوا إلى دينِ الله الإسلام .. وحتى لا يكتشِفُوا ما هم فيه من باطِلٍ، وضَلالٍ!

* * * * *

وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ

321- [وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ]النساء:83. هذه الآيَةُ الكريمةُ تُؤسِّسُ لقاعِدَةٍ عَامَّة، هَامَّةٍ، في كيفيَّةِ التَّعامُلِ معَ الإشَاعَاتِ، والغوَامِضِ من الأخبارِ ذَاتِ العلاقَةِ بالنَّصرِ أو الهزِيمَةِ، وغيرها مِن الأمور ذاتِ العلاقَةِ بالشَّأنِ العَامّ، التي تحتاجُ إلى عِلمٍ، ودِرايةٍ، وشُعُورٍ بالمسؤوليَّةِ، وهذَا كان مُتَحَقِّقَاً في شَخصِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم

في حياتِه، وكِبارِ صحابَتِه، وبعدَ موتِه صلى الله عليه وسلم، بَقِيَ وإلى يومِ القِيامَةِ؛ [أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ]؛ وهم أهلُ العِلمِ والدِّراية المخلِصين الصَّادِقِين .. فيُرَدُّ كلُّ خَبرٍ إلى المختَصِّين به من أهلِ العِلم .. وقولُه " مِنْهُمْ "؛ أي من المسلمين المؤمنين؛ إذ لا يُؤمَنُ الغِشُّ والخَدِيعةُ إذا رُدَّت الأخبارُ ذَاتِ العَلاقَةِ بالمسلمين وأمْنِهم، إلى غَيرِهم .. فإن لم يلتزِمْ المسلمون بهذا التَّوجِيهِ، وهذا الأدَب .. فإنَّ البدِيلَ أن يخوضَ العَوَامُّ وأهلُ الأهواءِ في الشَّارِدَةِ والوارِدَة، وبِعِلم، وغَيرِ عِلم ـ وبخاصّة في زَمَانِنا الذي أصبَحَ كلُّ فَرْدٍ فيه يملكُ إذَاعةً عن طريقِ غُرَفِ وصَفَحَاتِ التَّواصُلِ الاجتمَاعِي ـ فتَعمُّ الفَوْضَى، والاضطرابَات، وتَنْتَشِرُ الإشاعات، ويَعُمُّ الإرجَافُ مِن قِبَل المنَافِقِين الذين يَستغلُّون هذه الأجواء أسْوأَ استِغْلَالٍ!

* * * * *

مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً

322- [مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً]؛ يَستجلبُ بها حقاً لضعيفٍ أو مظلومٍ، ويَدفعُ بها ظلماً عن مَظلوم، [يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا]؛ نصيبٌ من الأجرِ، شريطَةَ أن لا يأخُذ على شفاعتِه وتوَسُّطِه أجراً أو مَالاً، لقولِه صلى الله عليه وسلم:" مَن شفعَ لأخيهِ شفَاعةً فأَهدَى لَه هديَّةً عليها فقبِلَها، فقد أتى بابًا عظيمًا من أبوابِ الرِّبا "صحيح أبي داود:3541. هذا فيمن يَقبلُ الهديةَ على شفاعتِه، فكيف بالذي يَشترطُ أجراً على شفاعتِه وتوسُّطِه ..؟![وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً]؛ ينصرُ بها ظالماً على مظلومٍ .. أو يقتطعُ بها حقّاً لمن لا يستحقُّه .. أو ليدْرَأ حَدّاً من حدُودِ اللهِ على من يستحقُّه، [يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا]؛ فهو شريكٌ في الوزْرِ، وله نصيبٌ منه، [وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً

]النساء:85. مقتدراً، وشاهداً، وحفيظاً .. يمدُّه بالقوَّةِ، وبما يعينه على مواجهَةِ مُتطلبات الحياة.

* * * * *

فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا

323- [وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ]؛ أيّاً كانَ المُحَيِّي؛ سَوَاءٌ كانَ مُسلِماً أمْ كَافِراً، وأيّاً كَانَت التَّحِيَّةُ، وكانَت مُنَاسَبَتُهَا، مَا لم تَكُنْ التَّحِيَّةُ إثْمَاً، [فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا]؛ مِن قَبِيلِ الإحسَانِ والتَّفَضُّلِ، والمُقَابَلَةِ بمَا هو أحْسَن، وهو الخيارُ الأوّلُ، والأفْضَل، [أَوْ رُدُّوهَا] النساء:86. كَمَا هِي؛ غَيرَ مَنْقُوصَةٍ، من قَبيلِ المعَامَلَةِ بالمِثْل، والعَدْلِ، وهو الخيارُ الثَّانِي .. وليسَ وراءَ ذلِكَ إلا الظُّلم، وقَد أُثِر عنِ ابنِ عَبَّاس رَضي اللهُ عنه أنّه قال:" لو أنَّ فرعونَ قَالَ لي: بَارَكَ اللهُ فِيكَ، لقُلْتُ: وفِيْكَ بارَكَ اللهُ، وفرعونُ قَد مَاتَ! "؛ وهذا كُلُّه مِن قَبِيلِ تَقْرِيرِ مَبْدَأ وخُلُقِ المُقَابَلَةِ في المعَامَلَةِ؛ مُقَابَلَةُ المعروفِ بمعرُوفٍ، والتَّحِيَّةُ بِتَحِيّةٍ أو بمَا هو أَحْسَن مِنها .. وهذا خُلُقٌ عَظِيمٌ رَفِيعٌ لا أعْرِفُ مَن سَبَقَ الإسلامَ إلِيه!

324- [وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا]النساء:86. الآيةُ تَشملُ مبدأ المقابَلَةَ في كلِّ تعبيرٍ حَسنٍ جميل ـ غير التّحيّة ـ يزيد من المودّة والمحبَّة.

325- [وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا]النساء:86. يشمل السّلامَ، وكلَّ معروفٍ يُبذَل، ينبغي أن يُقابَل بالمثلِ، أو بما هو أحسَن منه .. فإن لم يُوجَد، قُوبِل بالدّعاءِ، والثَّناءِ الحسَن.

326- [وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا]النساء:86. هذه الآية الكريمةُ دليلٌ على مبدأ وأدَبِ المُقابَلة؛ مقابَلَةُ المعروفِ بمعروفٍ مثله أو أحسن منه، والكلمةُ الطيّبة بكلمةٍ طيبة مثلها أو أحسن منها، أيّاً كان دينُ صاحب المعروف،

وصاحب الكلمة الطّيبة، وفي الأثر عن ابن عباس رضي الله عنه قال:" لو أنّ فرعون قال لي: بارك الله فيك، لقلتُ له: وفيكَ باركَ اللهُ، وفرعون قد مات ".

* * * * *

وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ

327- [وَدُّواْ]؛ يتمنَّون، ويُنفقون في سبيلِ ذلك الغالي والنَّفيس، [لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء]النساء:89. سواء في الكفرِ، وفي ضنَك العيشِ، وضِيقِ الصَّدرِ، الذي يتسببهُ الكُفرُ .. فالنَّجِسُ تُؤذيه رُؤية طهارَةِ الطَّاهِرِ، فيودُّ لو أن جميعَ مَن حولَه يُشاركونَه النجاسَةَ، ويَشعرُون بشعورِه .. والمدْمنُ على المسْكرات والمخدّراتِ يتمنى لو أن جميعَ من حوله مُدمِنون مثله، يُشاركُونه آلامَ وشُعورَ الإدْمانِ .. كذلك الكافرُ، تُؤذيه رُؤية المؤمن، لأن المؤمنَ يُذكرهُ باللهِ، وبالطُّهرِ، والعفَّةِ، والاستقامَةِ، وبسوءِ ما عليه من حالٍ، وعادات خاطئةٍ .. فيكدّرُ عليه حياتَه .. فيودُّ لو أنَّ المؤمنَ يُشاركُه قرفَ الكُفْرِ .. وطريقتَه الماجِنةِ والبهيميَّة في الحياةِ .. فيكونان سواءً في الشُّعُورِ، وفي مقارَفَةِ قرَفِ الكُفرِ والشّركِ، والفسُوقِ!

* * * * *

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ

328- [سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا]النساء:91. فريقٌ مِن النَّاسِ، هم أقربُ للكُفْرِ والنِّفَاقِ .. لا يخلُو منهم زمانٌ ولا مَكانٌ، تَراهم لكي يأمَنوا على أنفُسِهم، وعلى أموالِهم، ومصَالِحهم، يَقفُون وسَطاً بين الحقِّ والباطِلِ؛ لا هم إلى الحقِّ قولاً واحِداً، ولا هم إلى البَاطِلِ قولاً واحداً؛ فإذا جاؤوا إلى المسلمِين، وكانت مصالحُهم تَقضي بالاقترابِ من المسلمِين، والتوجُّهِ إليهم،

قالُوا لهم: إنَّا معكم، ونحن مِنكم، وعلى دِينِكم .. فإذا انصرَفُوا عنهم إلى الكافِرين المشرِكين المحارِبين، قالُوا لهم: إنا مَعَكُم، ونحنُ مِنكم، وعلى دِينِكم الشِّركي والكُفرِي .. واقترابُنا من المسلمِين إنما هو لمصلحةٍ دنيويَّة .. وسَهُلَ عليهم أن يمارِسُوا الكفرَ والشركَ معَ الكافِرين المشرِكين، وكلما طُلِبَ مِنهم ذلك .. وما أولئك بالمؤمنِين .. وأولئك في الفتنَةِ سَقَطُوا!

329- [وَأُوْلَئِكُمْ]؛ على مَا تَقَدَّم مِن صِفَاتِهم، [جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً]النساء:91. جَعَلنَا لكم حجَّةً بينَةً ظاهِرةً في قِتالِهم .. فالأمرُ لا يخضعُ للأهوَاءِ، والرَّغبَاتِ، وحُبِّ التَّشَفِّي، والانتقَامِ .. لَا .. فالأمرُ كُلُّه مرده للهِ تعالى وحدَه؛ إذْ لا بدَّ قبلَ الشُّرُوعِ في أيِّ قتالٍ من النظرِ والتَّثبتِ أوَّلاً؛ هل أذِنَ اللهُ لنا أن نُشرِعَ في هذا القِتالِ .. وهل لنَا من اللهِ تعالى بُرهَانٌ، وحجةٌ ظاهِرةٌ قاطِعةٌ حَاسِمةٌ، تُجيزُ لنا هذا القِتال، أو المشَاركَة فِيه .. وعلى ضَوءِ ذلك يُتخذُ القَرارُ، وتتحدَّدُ المواقِف.

* * * * *

وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً

330- [وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً]النساء:94. مَن أتَى بأيِّ قرِينةٍ تُفيدُ بأنَّه مسلمٌ .. حتَّى مجرَّد إلقاءِ السَّلامِ ـ السلام عليكم ورحمة الله ـ ينَبغي ابتداءً أن يُحسَّنَ به الظنَّ، وأن لا يُرمَى بالكفرِ والنِّفاقِ، تحتَ زعمِ أنه قالَ مَا قالَ فَرَقاً ونِفَاقاً .. ما لَمْ يَثبتْ العكْسُ بقولٍ أو فِعلٍ .. فمن أتَى بيقينٍ لا يُزَالُ إلَّا بيقينٍ .. وبخاصَّة في المجتمعاتِ الإسلاميَّةِ، التي يَغلبُ عليها المسلمون .. فلا يَعلَمُ ما في القُلُوبِ إلا عَلَّامُ الغيُوبِ .. واللهُ تعالى أمرَنا أن نُعامِلَ النَّاسَ بناءً على ظاهِرِهم، ومَا يُظهِرُون، لا مَا يُبطنُون .. فلمْ نُؤمَر أن نَشقَّ البطُونَ .. وأن نتحرَّى البواطِنَ، ومَا في البُطُونِ .. فهذَا ممَّا لا سُلطانَ لنا عليه، ولا سَبيلَ لنا إليه!

* * * * *

وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ

331- [وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ]؛ طَاعةً لله، طَلَباً للأمْنِ في نَفْسِهِ ودِينِه، والتماسَاً لسلامَةِ العِبادَةِ والدِّينِ على الوجهِ الأكملِ والأفضَلِ، [يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً]؛ مَهَاجَرَ كثيرَةً يَقصدُها ويُهاجِرُ إليها، فالله تعالى وسَّعَ الأرضَ لتحقيقِ سَلامَةِ العِبادَةِ والدِّين؛ حتى إذا ضَاقَت أرضٌ على عَبدٍ مِن عِبادِه، وكان مُضطهداً فيها في دينِه، ومُنِعَ فيها مِن إظهارِ العبادَةِ بمعناها العَام على الوجْهِ الأكملِ والأفضَلِ، وجَدَ لنفسِه ودينِه سِعَةً في أرضٍ أُخْرَى، يُهاجر إليها، [وَسَعَةً]؛ ورِزْقاً واسِعَاً، فالهجرةُ لم تُذكَر في القرآنِ الكريم إلا وذُكِرَ معَها، وبعدَها الخيرُ والسَّعَةُ في الرِّزقِ .. فالمهاجِرُ في سَبيلِ اللهِ يُضحِّي في مَقَرِّ إقامتِه ببيتِه، ومتَاعِه، ومالِه، حتَّى أن منهم مَن يخرجُ مهاجِراً وهو لا يملكُ الأوراقَ الثبوتيَّة التي تُعرِّفُ عن شخصِه .. فيُكافِئُهُ اللهُ تعالى مِن جِنْسِ عمَلِه وتَضحيتِه؛ فيوسِّعُ عليه في الرِّزقِ، ويَرزقه رِزقاً حَسَناً .. لكن الرزقَ يَأتي تَبَعَاً، لا يُطلَبُ قَصْداً، حتى لا يَشوبُ الإخلاصَ، ومَعنَى في سبيلِ اللهِ شَائِبةٌ .. [وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ]؛ مَقَرَّ إقامَتِه، [مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ]؛ لا يَبتَغِي من هجرتِه ظُلماً، ولا عُدواناً، ولا فُجُوراً .. وإنما يُريدُ من هجرتِه طاعةَ اللهِ، وطَاعَةَ رسولِه صلى الله عليه وسلم، والتماسَ سَلامَةِ العِبادَةِ والدِّين، [ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ]؛ في الطَّريقِ؛ بسَبَبٍ مِن العَدُو، أو بآفَةٍ مِن آفاتِ الطَّريقِ؛ إذْ لا تخلُو طُرُقُ الهِجرةِ مِن مخَاطر .. لكن لا يَنبَغِي أن تكونَ مخاطِرُ طَريقِ الهِجرَةِ بمثابةِ أو أخْطر مِن مخَاطِرِ المُكْثِ في الأرضِ التي تَتعيَّنُ الهِجرةُ منها، [فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ]؛ فهو شَهيدٌ، وآجَرَهُ اللهُ الجنَّةَ، وقوله تعالى:[فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ]؛ فيه تَرغِيبٌ وإغْراءٌ للمهاجِرِ على الهجْرةِ، وأن لا يَصدُّه الخوفُ من مخَاطِرِ الهِجْرةِ ـ وما يمكن أن يُواجههُ في

طريقِ الهِجْرَةِ ـ على الهجرةِ في سَبيلِ اللهِ، [وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً]النساء:100. وفي الحديث:" إنَّ الهجرةَ لا تنقطعُ ما دامَ الجهادُ "، وفي رواية:" لا تنقَطعُ الهجرةُ ما قُوتِل العدُوُّ "، فالهجرةُ باقِيَةٌ ما بَقِيَ الجهادُ .. والجِهَادُ بَاقٍ ومَاضٍ إلى يومِ القِيامَةِ .. ومَن يُعَطِّلُ الهجرةَ لزِمَهُ أن يُعَطِّلَ الجهادَ في سبيلِ الله؛ فالهجرةُ والجهَادُ كُلٌّ منهما لازِمٌ ومَلزُومٌ للآخَر.

332- الهِجْرَةُ إذا تَعَيَّنت، ووجِدَت أسبَابُها، ودوَافِعُهَا .. عِبادَةٌ عَظِيمةٌ، أجرُهَا عَظِيم، لمن تَجَلَّد، وصَبرَ، واحتَسَبَ .. تَتَطلَّبُ جَلادَةً وصَبْراً .. لمَا تَنْطَوِي عليه من مُفارَقَة للأهْلِ، والأوْطَانِ، والمألُوفَاتِ، والعَادَاتِ .. وهَذا أمرٌ لا طَاقَةَ لأيِّ أَحَدٍ عليه .. وقَد رأينَا كَثيراً ممَّن هاجَرُوا، ثم تحتَ ضَغْطِ الهِجْرَةِ، وتكَالِيفِها .. لم يتحمَّلُوا ولم يَصبرُوا .. فآثَرُوا ذُلَّ العَودَة إلى أوطَانِهم؛ ليدْخلُوا مِن جَديدٍ في الرُّكونِ إلى الطُّغاةِ الظَّالمين، وفي عبُوديَّتِهم .. جَاءَ أعْرَابِيٌّ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَسَأَلَهُ عَنِ الهِجْرَةِ ـ يُريدُ الهِجْرَةَ ـ فَقالَ:" ويْحَكَ! إنَّ الهِجْرَةَ شَأْنُهَا شَدِيدٌ "متفق عليه. لا طَاقَةَ ولَا صَبْرَ لكَ على تحمُّلِ تَبِعَاتِها .. ومَشَاقِّها .. ثمَّ وجَّهَهُ إلى الإنْشِغَالِ بإبِلِه!

333- [إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ]؛ بتَرْكِ الهِجْرةِ، والإقامَةِ في دَارٍ لَا يَسْتَطِيعُون أن يُظهِرُوا فيها دينَهُم، ويُجبَرُون فيها على إظهارِ الموافَقَةِ للمشركين الظَّالمين، [قَالُواْ]؛ لهم الملائِكَةُ:[فِيمَ كُنتُمْ]؛ مِن أمْرِ دِينِكُم .. كَيفَ كانَ دِينُكُم .. عَلامَ لم تكونُوا تُظهِرُون دِينَكم، وعِبادَتَكم للهِ تعالى وحدَه .. عَلامَ كنتم تُظهِرُون الموافقَةَ والمتَابَعَةَ للطُّغَاةِ الظَّالمين المجْرِمين؟! [قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ]؛ اعتَذَرُوا بالاستضْعَافِ والخوْفِ مَعَ قُدرَتِهم على الهِجْرةِ، ووجُودِ البَديلِ، والأرضِ التي بمقدُورِهم أن يُهَاجِرُوا إليها، ويَستطيعونَ أن يُظهِرُوا فيها دينَهم، [قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا

]؛ عذْرَكم مَرْدُود ومَرفُوض، معَ وجودِ الأرضِ التي بمقدُورِكم أن تُهاجِروا إليها، وأن تُظْهِرُوا فِيها دِينكم مِن غيرِ خَوفٍ .. فالتَّكليفُ على قَدْرِ الاستطَاعَةِ، وأنتم تَستَطِيعُون .. فعَلامَ لم تُهاجِرُوا؟![فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً]النساء:97. لتَرْكِهِم الهِجْرة معَ الاستطاعَةِ، ولإظهَارِهم الموافقَة والمتَابَعَة للطُّغاةِ الظَّالمين المجرمين!

334- غَايَةُ الهِجْرَةِ سَلامَةُ النَّفْسِ، والعِبَادَةِ، والدِّينِ .. وأيُّمَا أرْضٍ يَتحقَّقُ فِيها هذا المقْصَدُ على الوَجْهِ الأَكْمَلِ والأفضَلِ، تَتَعَيَّنُ الهِجْرَةُ إليها .. بغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الصِّفَةِ الحَاكِمَة لهذه الأرْض.

335- [أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا]النساء:97. شُرِعَت الهِجْرَةُ لغَايَاتٍ أرْبَع: طَلَبَاً لِسَلامَةِ العبادَةِ والدِّينِ .. وطلَباً للأمْنِ والأمَانِ .. وطلَباً للعِلْمِ .. وطلَباً للرِّزْقِ والمعَاشِ .. وليسَ وراءَ ذلك إلَّا استِشْرَاف الذُّلّ.

* * * * *

فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ

336- [إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ]؛ بسببِ الجهَادِ، [فَإِنَّهُمْ]؛ أعداءكم من الكافرين، [يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ]؛ يُصيبُهم ما أصَابَكُم، فَلا يَنبَغِي أن يكونُوا أكثرَ مِنْكُم صَبراً وتجَلُّداً على تحمُّلِ الألمِ، وبخاصَّة أنَّكم، [وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ]؛ نَصْرَهُ، ورِضَاه، والجنَّة، [مَا لَا يَرْجُونَ]النساء:104. وهو مَا يفتقدُه أعدَاؤُكم؛ إذْ ليسَ لهم في الآخِرَةِ إلَّا النَّار!

337- [وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ]النساء:104. ممَّا يُعِينُ المؤمنين على الثَّباتِ على الحقِّ .. ومجاهَدَةِ البَاطِلِ .. والمضِي في الصِّرَاطِ المستقيم إلى نهايَتِه .. مهْمَا تكاثَرَت عليهم الآلامُ والمحَنُ، والجِرَاحُ .. وتكالبَ عليهم الأعْداءُ حَسَداً مِن عِندِ أنفُسِهم .. واستَهزَأ بهم المستهْزِئون .. أنَّهم يَرجُون ـ مُقابِلَ ثبَاتِهم وجِهَادِهم ـ رِضَا اللهِ، وتَثبيتَه،

وعَونَهُ، ونَصْرَه، وثوابَه، وجنَّتَهُ .. وهو ما يَفتقدُه الآخَرُون .. فَلا رَجاءَ لهم مِن اللهِ .. وليسَ لهم عِندَ اللهِ إلا نار جهنم وبِئسَ المصِير.

338- [وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ]النساء:104. قَتْلَانَا في الجنَّةِ، وقَتْلَاهُم في النَّارِ .. شعارٌ ينبَغي على المجاهِدين في سبيلِ اللهِ أن يَرفَعُوه، ويُرَدِّدُوه، في كلِّ مَوقِعَةٍ، وكُلِّ زَمَانٍ.

* * * * *

وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً

339- [وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ]؛ الذين يخُونون اللهَ بمعصيته، ويخُونُون الحقُوقَ، والأماناتِ .. ويخُونُون الدِّينَ، والأوطَانَ، والعِبادَ، [خَصِيماً]النساء:105. مُخَاصِماً عنهم، تُدافِعُ وتُرافِعُ عنهم .. وفي الآية زَجْرٌ، ووعيدٌ شَديدٌ للمحَامِين الذين يُرافِعُون في المحاكِمِ نِيابةً عن الظَّالمين، يُدافِعُون عنهم، مُقابل عَرَضٍ من الدُّنيا .. كما فيها زَجْرٌ لمشايخ السُّوءِ الذين يُجادِلُون عن طُغاةِ الحكمِ الظَّالمين الآثمين!

* * * * *

وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ

340- [وَلاَ تُجَادِلْ]؛ ولا تُدَافِعْ باللِّسَانِ، [عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ]؛ بارتكابِ المعَاصِي، وركوبِ البدَع والأهواء، فتُعينُهم بجدالِك على المعصِيةِ، والخِيانَةِ، والبدَع، [إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً]؛ كثيرَ الخِيانَةِ للأماناتِ، والحقُوقِ، وما استرْعَاه اللهُ إيَّاه، [أَثِيماً]النساء:107. كثيرَ الوقوعِ في الإثمِ .. والنَّهيُ كما يَشملُ النَّهيَ عن الجدالِ عن الذين يختَانُونَ أنفسَهم بالمعاصِي .. كذلك يَشملُ النهيَ عن الجِدالِ عن

مشايخ البِدَعِ والأهْواءِ، الذين يَنشرُونَ بدعَهم وأهواءَهَم بين الناسِ .. وفي الأثرِ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه:" مَن وقَّرَ صاحِبَ بدْعةٍ فقد أعانَ على هَدْمِ الإسلام ".

* * * * *

فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً

341- [وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً]؛ ذَنْباً صَغيراً، [أَوْ إِثْماً]؛ ذَنْباً كبيراً، [ثُمَّ يَرْمِ بِهِ]؛ بِذَنْبِهِ الصَّغير أو الكَبِيرِ، [بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً]النساء:112. فهذا اثْمُه مُغَلَّظٌ مُتَعدٍ إلى غيرِه، ومُرَكَّبٌ مِن مجموعَةٍ مِن كَبائِرِ الذُّنُوب؛ فقد جَمَعَ في ذَنْبِهِ بينَ الكَذِبِ، والبُهْتَانِ، والظُّلمِ، وشَهادَةِ الزُّورِ، والخِيانَةِ .. وأجْرَى حُكمَ اللهِ على غَيرِ مُسْتَحَقِّه .. وأمِنَ عَينَ الجبَّارِ وانتِقَامَه .. وهذا غَالِباً يُؤخَذُ بذَنْبِهِ في الدُّنيا قَبلَ الآخِرَة .. غيرَ الذي يَنتظرُهُ في الآخِرَةِ!

* * * * *

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ

342- [لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ]النساء:114. الكَلامُ ما كانَ منه لجَلْبِ نَفْعٍ، أو دَفْعِ ضُرٍّ، فهو لَك، وهو محمُودٌ .. ومَا سوى ذلك فهو عَلَيك، وهو مَذْمُوم .. قالَ صلى الله عليه وسلم:" مَن كانَ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليقُلْ خَيراً أو ليَصْمُتْ ". وقالَ صلى الله عليه وسلم:" فمن كان يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيقُلْ خيرًا، أو يَسْكُتْ عن شَرٍّ، قُولُوا خَيرًا تَغنَمُوا، واسكُتُوا عن شَرٍّ تَسْلَموا ". وقال صلى الله عليه وسلم:" مَنْ صَمَتَ نَجَا ". أي مَن صَمَت عَن شَرٍّ، أو عَن قَوْلٍ مُتَشَابِهٍ، لا يُعرَفُ خَيرُهُ مِن شَرِّه، فَقَد نَجَا.

* * * * *

وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ

343- [وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ]؛ فيخالفُه، ويُعارضُه، ويَقفُ في الشِّقِّ، والصفِّ، والطابورِ المخالفِ والمعارضِ لِشقِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، [مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى]؛ من بعد ما أُقيمَت عليه الحُجَّة، وظهرَت له الأدلَّةُ والبراهينُ النَّقليةُ والعقليَّةُ، الدالة على صِدقِ نبوتِه، وصِدقِ ما جاءَ به من عندِ ربِّه، [وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ]؛ ويتبع غيرَ طريقِ ونهجِ المؤمنين ـ وبخاصَّة منهم الصَّحابة والتابعين لهم بإحسانٍ ـ الذين اتبعُوا الرسولَ صلى الله عليه وسلم، [نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى]؛ نُوَلِّيه مَا تَوَلَّاه واختارَه مِن الكُفْرِ، والضَّلالِ، والمشاقَقةِ للرسولِ صلى الله عليه وسلم، ليبوءَ بإثمِه، [وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ]؛ التي يزيدُ حرُّ نارِها حرَّ نارِ الدُّنيا مجتمعة سبعينَ ضعفاً، [وَسَاءتْ مَصِيراً]النساء:115. وساءَت مآباً، ومرجعاً، ومُستقراً .. والآية فيها أن مخالفَةَ الإجماعِ، واتِّباعَ غيرِ [سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ]؛ كُفْر.

* * * * *

وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً

344- [وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ]؛ فيتوجَّه بالعِبادَةِ لغيرِ اللهِ، أو يجعلُ للهِ نِدّاً في صفةٍ مِن صِفاتِه، أو خاصيَّةٍ من خَصائصِه، [فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً]النساء:116. لم يَضِلْ وحَسْب، وإنما ضَلَّ ضَلالاً بعيداً جِدّاً عنِ الحقِّ، وعنِ الصِّراطِ المستقيمِ، وعنِ الغَايةِ التي خُلِقَ لأجْلِها .. وعن التَّكريمِ الذي كرَّمَهُ اللهُ إيَّاه .. وتاهَت به الدُّرُوب!

* * * * *

وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ

345- [وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ]؛ من التَّغييرِ الذي يأمرُ به الشيطانُ أولياءَهُ، ويُوحِي إليهم به؛ اللعبُ بهرمُوناتِ الإنسانِ، وقَتْلُ الهرمُونَاتِ الذَّكَرِيَّةِ عِندَ الذَّكَرِ،

وقتل الهرُمونات الأنثويَّةِ عِندَ الأنثَى؛ فيغيرُنَّ الذَّكَرَ إلى أُنْثَى، والأُنْثَى إلى ذَكَر، وتَنْعَكِسُ الرِّغبَةُ لكلٍّ منهما .. وقالُوا هناكَ فريقٌ ثَالثٌ؛ لا هو ذَكَرٌ ولا هو أُنثَى .. وفريقٌ آخَر خليطٌ بين الجِنْسين .. وما بينَ الصِّنفينِ أصنافٌ عديدةٌ؛ ولا يزالُ الشيطانُ يلعبُ بِهم، ويُغيِّرُ بِهم، ولَا نَدري التَّغيير في خَلْقِ اللهِ إلى أيِّ هاويةٍ سَينْتَهي .. ومن التَّغيير الذي يَأمرُهم به الشيطانُ؛ الوشم؛ موضَة العَصر .. ومَا تفعلُه النِّساءُ النَّسويَّات في زماننَا بأنفُسِهنَّ؛ فيغيرنَّ شَكلَ وجوههِنَّ، وأنوفِهنَّ، وشفَاتِيرِهِنَّ؛ حتَّى تُصبحَ شفَاتِير إحداهنَّ منتفخةً، ومُتدَلِّيةً إلى الأسفَلِ؛ كشفَاتِيرِ الجمَل .. ومِن علمائنا الأوائِل مَن فسَّر قوله:[فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ]؛ أي دِين اللهِ .. حلاله وحَرَامه .. وهذا بَعيد .. لأنَّهم لم يكونُوا يتصوَّرُون أن يبلغَ التغييرُ مَبلغاً في الخِلقَةِ والصُّورَةِ، كما بلغَ في هذهِ الأيام .. وأن يَطالَ التغييرُ صورةَ الإنسانِ ذَاتِه، [وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً]؛ يُطِيعُه فِيمَا يُوحِي إليه، وفِيما يأمرُه مِن التَّغْيِيرِ في خَلْقِ اللهِ، [مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً]النساء:119. بيّناً ظاهِراً، في الدُّنْيَا والآخِرَة.

وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً

346- [وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً]؛ يَعبدُه، ويُطيعُه، ويتَّبعُه فيمَا يأمرُه به، ويوسوسُ له، [مِّن دُونِ اللهِ]؛ الذي يجب أن يُفرَدَ بالعبادَةِ، والتَّوجُّه، [فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً]النساء:119. فقد هلَكَ، وخَسرَ نفسَه خُسراناً واضحاً وجَلِيّاً في الدُّنيا والآخِرَةِ .. وأوبقَها العذَابَ الأَلِيم!

* * * * *

يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً

347- [يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً]النساء:120. الطَّاعةُ لها ثمنٌ ومُقابلٌ؛ وحتى يُطيعُوا الشيطانَ فِيمَا يأمرُهم به، وينهاهُم عنه .. فإنه يَعدُهم ويمنِّيهم -

إن فَعلُوا وأطاعُوا ـ بالظَّفْرِ، والغِنَى، والوفْرَةِ، والازدهَارِ، وطُولِ العُمُرِ، والسَّعَادَةِ .. هذه المفردَات التي تَستَهويها الأنفُسُ، ومِن أيِّ طَريقٍ جاءَت .. ومَا يَعدهُم الشَّيطانُ ويمنّيهم به على الحقِيقَةِ إلَّا كَذِباً، وبَاطِلاً!

* * * * *

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ

348- [لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً]النساء:123. أحكامُ الوَعْدِ، والوَعِيدِ، لَا تُقَامُ، ولَا تُبنَى على مجرَّدِ التَّمني، والأمنيَاتِ، والرَّغبَاتِ، أو مجرَّدِ الانتسابِ إلى مُسمَّى الإسْلامِ، أو إلى اليهوديَّةِ والنَّصرانيَّةِ، مِن دُون اعتبَارٍ للإيمانِ والعمَلِ الصَّالحِ .. فالحقُّ لا يُحابِي أحَدَاً .. وقانُون العَدْلِ يجري على الجميعِ؛ على المسلمِ وعلى غيرِ المسلمِ؛ مَن وقعَ في ذنبٍ، أو جرمٍ، أو تقصيرٍ عن واجبٍ، سيُحَاسَب عليه؛ أيَّاً كان اسمُه، وكان انتماؤُه، لَا يَتشفَّعُ له اسمُه، ولا مجرَّد انتمائِه، وانتسَابِه .. ولن يجدَ مَن يمنعُه مِن عدالَةِ اللهِ أن تَأخذَ طريقَها إليه .. ففي الآيَةِ الكريمةِ حَضٌّ وتَرغيبٌ على العملِ الصَّالحِ، وبذلِ الجهدِ في الخيرَاتِ، وعدَمِ التواكُلِ على المسميَّاتِ، ومجرَّدِ الانتسَابِ والانتماءِ مِن غَيرِ عمَلٍ .. كما في الحديثِ الصَّحِيحِ، لما أنْزَلَ اللَّهُ:[وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ]الشعراء:214. قَامَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم فقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شيئًا، يا بَنِي عبدِ مَنَافٍ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شيئًا، يا عَبَّاسُ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شيئًا، ويَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسولِ اللَّهِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شيئًا، ويَا فَاطِمَةُ بنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي ما شِئْتِ مِن مَالِي، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شيئاً "متفق عليه.

* * * * *

وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله

349- [وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً]؛ لَا أَحَدَ أحسَنُ دِيناً، [مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله]؛ أخلصَ في عملِه وتوجُّههِ للهِ، [وَهُوَ مُحْسِنٌ]؛ وهو مُتَّبِعٌ للكتابِ والسُّنَّةِ غير مُبتدِعٍ .. فجَمَعَ بين الإخْلاصِ والاتِّباعِ، شَرْطَا القُبُولِ لأيِّ عملٍ تَعَبُّدِي، [واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً]النساء:125. مُوحِّداً، مائلاً عن الشِّركِ إلى التَّوحِيدِ.

* * * * *

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ

350- [وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ]النساء:127. هذا تشريف عظيم للنساء، وإكرام لهنّ؛ فالله تعالى لم يُحِل الفتوى في النساء إلى نبيه ولا إلى العلماء، وإنما هو بذاته سبحانه يُفتي في النساء؛ ما لهن من حقوق، وما عليهن من واجبات ..!

الله تعالى بذاته يُفتي في النساء؛ لبيان عظيم قدر النساء، وعظيم حقوقهنّ، وما يستفتين فيه!

فكيف يليق بالنساء بعد هذا الإكرام والتشريف، أن ينصرفن عن الله، وعن دينه، وأن يستفتين غير الله في شأنهن، وحقوقهن .. فضلاً عن أن يلتمسن الفتوى في أنفسهنَّ وحقوقهن من أعدائه؛ من شياطين وطواغيت الإنس والجن .. فيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!

كيف يليق بالنساء بعد هذا الإكرام والتشريف أن يعرضن عن الحقوق التي شرعها الله لهن .. وهو سبحانه خالقهنّ، والخبير بهنَّ، وبأحوالهن، وبما يناسبهنّ، وما يحق لهن من حقوق .. ويستبدلنها بالحقوق التي شرعها لهنَّ الطاغوت؟!

كيف يليق بهنَّ بعد هذا الإكرام والتشريف أن يرضين لأنفسهن أن يفتيهن مَن هَبَّ ودَبَّ من شياطين الإنس .. يلتمسن الفتوى في أنفسهنَّ وحقوقهنَّ من الشرق والغرب .. ويعرضن عن فتوى الله فيهن؟!

أما المؤمنة الصالحة لا تستبدل فتوى الله فيها، بفتوى غيره كائناً من كان .. وأما غيرها من النساء، فليس بعد الكفر والنفاق ذنب!

[اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]البقرة:257.

* * * * *

إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ

351- [إِن يَشَأْ]؛ اللهُ [يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ]؛ بالهلاكِ والاستئصالِ، والإفناءِ .. فيأخذكم بذنوبِكم .. فلا يَغُرَّنَّكم حِلمُ اللهِ بكم، وصَبرهُ عليكم، [وَيَأْتِ بِآخَرِينَ]؛ بدَلاً مِنكم .. يكُونون خيراً مِنكم .. ليسوا مثلكم في السُّوءِ، والإنحرافِ عن منهجِ اللهِ، [وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ]؛ على استبدالِكم بناسٍ آخَرين، [قَدِيراً]النساء:133.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ

352- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً]النساء:135. ليسَت البطولَةُ في أن تُنصفَ نفْسكَ مِن الأعداءِ .. فهذَا الكلُّ يفعلُه، ويُحسِنُه .. ولكن البُطُولةُ والعدلُ في أن

تُنصفَ عدوكَ، ومَن لا تُحب، مِن نفْسِك، ومِمَّن تُحب مِن الأقارِب، والأخِلَّاء .. وأن تتجرَّدَ للحقِّ والعدْلِ ـ ولو على نفْسِكَ ومَن تُحِب ـ ابتغاءَ مَرضاةِ اللهِ سُبحانه، ورَجاءَ ما عندَه مِن ثوابٍ .. وهذا الذي تُوجِّهُ إليه هذه الآية الكريمة عبادَ اللهِ المؤمنين:[كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ]؛ صيغةُ مبالغة؛ أي كونُوا شَديدِي الحرْصِ على القيامِ بالعَدلِ، والتمسُّكِ به، وبما يقتضِيه مِنكم .. فلا قِيامَ لكم، ولا سُؤْددَ لكم إن لم تقومُوا بالعدلِ وبواجباتِه .. [شُهَدَاء لِلّهِ]؛ وأنتم إذْ تَشهدُون وتحكُمُون بالعدلِ؛ فإنما تفعلون ذلك طاعةً للهِ، وامتثالاً لأمْرِه، وتقرُّباً إليه، وطلباً لرِضَاه، ورجاءَ ما عِندَه سُبحانه مِن أجرٍ وثوابٍ لأهلِ العَدْلِ .. لا لهوَى، ولا لغَرضٍ من أغراضِ الدُّنيا؛ لأنَّ مَن يلتزمُ العدلَ لغرضٍ من أغراضِ الدنيا .. يتخلَّى عن العدلِ عندما يَفتقِدُ الغرَضَ الذي مِن أجلِه التزمَ العدلَ، وحكَمَ به .. [وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ]؛ أي احكُموا بالعدلِ، وأنْصفُوا الحقَّ ولو مِن أنفْسِكُم، ومِن الوالدَين، والأقرَبِين .. ولو كان صاحبُ الحقِّ الذي تحكُمون له من أعدَائِكم، ومِن الأباعِد، ومِمَّن لا تحبُّون .. وخُصَّت النفسُ بالذِّكْرِ، وكذلك الوالِدَان، والأقربُون لعظيمِ حقِّهم .. فمن أَنصفَ الحقَّ من نفسِه، ومن الوالدَين، ومن الأقرَبِين .. حريٌّ به أن يحكمَ بالعدلِ، ويُنصفَ الحقَّ ممَّن سوى ذلك .. [إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا]، وحتَّى تُصيبُوا العدلَ في حُكمِكُم، وتتجرَّدُوا عن البواعِثِ، والروابطِ، والعوالِقِ، لا تنظرُوا إلى الخلفيَّةِ الاجتماعيَّةِ التي ينتمِي إليها من تحكُمون له أو عليه: هل هو فَقيرٌ أم غنيٌّ .. وهل هو ضعيفٌ أم قويٌّ .. وهل هو صغيرٌ أم كبيرٌ .. وهل هو عالمٌ أم جاهِلٌ .. وهل هو حاكمٌ أم محكُومٌ .. وهل هو ذَكَرٌ أم أُنْثَى .. ولو فعلتم شيئاً من ذلك؛ فتعاطَفْتُم مع أحدِ الفريقين على الآخَر ـ مهمَا كانت البواعثُ بريئةً ـ فلن تُصيبُوا العدلَ .. وقد تَقعُون في الظلمِ .. ومَا قد تخسَرُونَه بالعدلِ، أو تخافُون أن تخسرُوه بسببِ العدلِ ..

ستخْسَرون أضعافَ أضعافِه بسببِ الظُّلمِ، وعدمِ حكمكم بالعدلِ، [فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ]؛ الخطابُ موجهٌ للمؤمنين .. والمؤمنُ يُستبعَدُ أن لا يحكمَ بالعدْلِ ـ بما أنزلَ الله ـ جُحُوداً، أو استحلالاً، أو استخفَافاً .. وإنما قد يَقع مِنه شيءٌ من الظلمِ، وأن لا يحكم بالعدلِ عن ضَعْفٍ، ورغبةٍ بعطَاءٍ، ومَيلاً لطرَفٍ على طرَفٍ، أو لأنه يحبُّ طرَفاً أكثرَ مِن آخَر، فيكونُ هواهُ معه على غريمِه .. فنَهى اللهُ تعالى عن ذلك صوناً لقُدسية العدلِ، ومكانتِه .. ولأنه من كبائرِ الذُّنوب .. وفي الآية دلالةٌ أن المؤمنَ لو حكمَ بالظلمِ، ولمْ يحكمْ بالعدلِ لرَغْبَةٍ، وميلٍ، وهوى في النَّفْسِ، لا يُعتبرُ كافراً كمَن لا يحكمُ بما أنزلَ الله جُحُوداً، واستحلالاً، واستخفافاً، وانتقاصاً .. بدليلِ أن اللهَ تعالى قال في أوَّلِ الآية:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ]؛ إذ من يقع بهذا الوزر على الوصف الآنف الذِّكرِ لو كان كافراً لما خُوطِب بصفةِ الإيمانِ .. وعلى هذا الصنفِ من الحكَّامِ يُحمَل قولُ ابنُ عبَّاس، وغيره من السَّلفِ:" كفرُ دُونَ كُفْرٍ ". [وَإِن تَلْوُواْ]؛ تُخفُوا .. وتتَلَجْلَجُوا .. وتُماطِلُوا، وتَمطُّوا بالألفاظِ، والجلسَاتِ، والمرافعَاتِ، لتضيعَ الحقوقُ، ويَغيبَ العدْلُ فِيما رُفِعَ إليكم، وتحكُمون فيه، [أَوْ تُعْرِضُواْ]؛ أو تتركُوا البتَّ والنظَرَ في القضيَّةِ كُليّاً، وفِيما رُفِعَ إليكم مِن مَظَالِمٍ، وتُميتُوا القضَايا في الدُّرُجِ .. والإعراضُ إعراضَان: إعراضٌ عن شرعِ اللهِ تعالى المنزَّلِ، والعدُولُ عنه إلى ما سِوَاه، وهذا ظُلمٌ أكبر، وكفْرٌ أكبر، وإعراضٌ عن البَتِّ والنَّظَرِ في القضيَّةِ المرفوعَةِ للقضاءِ لهوَى في النَّفْسِ، وهذا ظلمٌ أصغَر، وكفْرٌ أصغر، [فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً]؛ لا يخفَى عليه شيءٌ مما تصنعُون، فاتَّقُوا اللهَ، واخشَوه.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ

353- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ]؛ فصَدَّقُوا وحَقَّقُوا الإيمانَ، فآمَنُوا باللهِ، وملائكتِه، وكُتُبِه، ورسُلِه، وبالقضَاءِ والقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه، [آمِنُواْ ...]النساء:136. اثبتُوا وحافِظُوا على إيمانِكم، واحرصُوا على تجدِيدِه وتقويتِه، واعْمَلُوا بمقتضَاه، وبما يَزيدُ الإيمانَ إيمانَاً .. وفي الحدِيث:" إنَّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكُمْ كَما يَخلَقُ الثّوبُ، فاسْأَلُوا اللهَ تعَالَى: أنْ يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِكُمْ ".

* * * * *

لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً

354- [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً]النساء:137. فيه أنَّ المرتدَّ الذي تتكررُ رِدَّته وتَزيدُ عن ثلاثِ مرَّات .. زنديقٌ مُتلاعبٌ بالدِّين، لا يُستتابُ، ولا تُقبلُ توبتُه .. ولو تُرِكَ بابُ التوبَةِ مفتوحاً مهما تكرَّرت الرِّدَّةُ .. لهانَ على المنافقِ أن يرتدَّ في الصَّباح، ويؤمنُ في المسَاءِ، ويَرتدُّ في المساءِ، ثم يؤمنُ في الصَّباح؛ ليفتنَ المسلمين عن دينِهم .. ولاستخَفَّ الناسُ بأمرِ الدِّين، واتخذُوه لعِباً!

* * * * *

حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ

355- [وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ]؛ في القُرآنِ الكريم، [أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ]؛ وهذا يَشمَلُ جميعَ المجالِسِ والتَّجمعاتِ التي يُطعَن فيها بالدِّين، ويُستَهزأ فِيها بآياتِ اللهِ، وأحكامِه، [حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ]؛ فإن أبيتُم إلا الجلوسَ مَعَهم بعدَ أن بلَغَكُم هذا النَّهي، فأنتم مِثْلُهم في الوزْرِ، وإن لم تَفعَلُوا فِعْلَهم .. فيه أنَّ الرِّضَى بالكُفْرِ كُفْرٌ، وأنَّ مَن يُجالِس مجالِسَ

البَاطِلِ من غَيرِ إكْراهٍ، ولا إنْكَارٍ، ولا قِيَامٍ، له وزْرُ أصحابِها، وإن لم يَفْعَل فِعْلَهُم، [إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ]؛ الذين يُظهِرُون الإسلامَ، وفي نفس الوقت يُجالِسُون المستهزئينَ مِن الكافِرين في مجالِسِ اسْتِهْزائِهم، وطعنهم بالدِّين، [وَالْكَافِرِينَ]؛ الذين يُباشِرُون الاستهزاءَ بدينِ اللهِ، وآياتِه، [فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً]النساء:140. فكما اجتمَعُوا في الدنيا على الاستهزاءِ بدينِ اللهِ، وآياتِه .. يجمعُهُم اللهُ يومَ القِيامةِ في نارِ جَهنَّمَ؛ فالعُقُوبَةُ من جِنْسِ العَمَلِ!

* * * * *

وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً

356- [وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً]النساء:141. فإن حَصَلَ في موقعةٍ مِن المواقِعِ، أو في ظَرْفٍ من الظُّروفِ الزَّمانيَّةِ أو المكَانيَّة، خِلافُ ذلك؛ يكونُ لخَلَلٍ، ونَقْصٍ، وضَعْفٍ في تَحقيقِ مَعنَى الإيمانِ في نُفُوسِ المؤْمنين!

* * * * *

وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً

357- [وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً]النساء:142. لأنَّهم يَذْكُرُون غيرَه كَثِيراً .. والوَقتُ لا يَتَّسعُ لِذِكْرِه، وذِكْرِهم معاً!

358- [وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً]النساء:142. مِن الصِّفَاتِ البارِزَةِ للمنافقين أنَّهم لَا يَذكُرُون اللهَ في المواضع التي يتعيَّن عليهم، ويُسَن لهم أن يَذكُروه فِيها، إلَّا قَليلاً؛ ليَدفَعُوا العتَبَ والحرَجَ عن أنفُسِهم، كما أنَّهم لَا يَذكُرُون اللهَ في هذه المواضِعِ القَلِيلةِ إلَّا قَليلاً؛ فالصَّلَاةُ ذِكْر، لِذَا فهم لا يُصَلُّون إلَّا قَلِيلاً، وإذا قَامُوا إلى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى، ولو صَلُّوا لَا يخشَعُون، ولَا يَذكُرُون اللهَ في صلاتِهم القَلِيلَةِ إلَّا قَليلاً .. وهكذا حالُهم معَ سَائِرِ العِبَادَات؛ قَلِيلٌ معَ قَلِيلٍ .. مَفهُومُ المخالَفَةِ؛ أنَّ الذين يَذكُرُون اللهَ كَثيراً ـ ويكُونُ

لِسَانُهم رَطِباً بذِكرِ اللهِ - فإنَّهم مُبرَّؤُون مِن صِفَةِ النِّفَاقِ .. جعَلَني اللهُ وإيَّاكُم مِن الذَّاكِرين للهِ كَثِيراً.

359- [وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً]النِّسَاء:142. لأنَّهم يَذْكُرُون غَيرَه كَثِيراً .. والإكثَارُ مِن شَيءٍ نُقصَانٌ في ضِدِّه!

* * * * *

مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء

360- للمؤمنِين والمؤمِنَات طابُورٌ يقفُون فيه، بَعضُهم أولياءُ بَعْض، وللمنافِقِين والمنَافِقَات طَابُور يقفون فيه، بَعْضُهم مِن بَعض .. وبين الطَّابُورَين طابُورٌ كَبيرٌ، نَصيبُهم مِن كتَابِ الله:[مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً]النساء:143.

361- [مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء]؛ سِمَتُهُم التَّرَدُّدُ، والتَّذَبْذُب، والتَّقَلُّبُ؛ ليسَ لهم قَرَارٌ، ولا استِقْرَار .. ولا لونٌ ثَابِتٌ يُعْرَفُون بِه .. فتَارَةً يميلُون إلى المؤمنين، ويَقْتَرِبُون مِنهم .. ويَقُولُون لهم نحنُ مِنْكُم، ومَعَكُم .. وتارةً يَمِيلُون إلى الكافِرين، ويَقْتَرِبُونَ مِنهم .. ويَقُولُون لهم نحنُ مِنْكُم، ومَعَكُم .. بِحسْبِ مَا تَقْتَضِي مصَالحهُم الشَّخْصِيَّةِ والحِزْبِيَّةِ .. وعَلى قَوْلِ المثَل:" محل ما بيرزَق بيلْصَق "! [وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً]النساء:143. ومَن كانَ هذا وَصْفُه وحَالُه، مَهْمَا حَاوَلتَ لن تَجِدَ له سَبيلاً لِهدَايَتِه!

362- [مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء]النساء:143. تارَةً تجدُهم يَقِفُون معَ الحقِّ؛ يَسترْضُونَه .. وتارَةً تجدُهم يَقِفُون معَ الباطِلِ يَسترضُونَه .. بحسْبِ ما تَقتَضي مصَالحهُم الدُّنيويَّة!!

* * * * *

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ

363- [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ]؛ الذين يُظهِرُون الإسلامَ، ويُبطِنُون الكفرَ، والبغضَ لدِينِ اللهِ .. ظاهِرهُم معَ المسلمين، وباطنُهم مع الكافِرين .. ظاهِرُهُم التَّصدِيقُ، وباطِنُهم الكذِبُ، والتَّكذِيب، [فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ]؛ جهنمُ درجَاتٌ؛ بعضُها يعلُو بعض، وبعضُها أشدُّ إيلاماً وعذاباً مِن بعضٍ .. و"إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذاباً يَومَ القِيامَةِ، لَرَجُلٌ تُوضَعُ في أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ، يَغْلِي مِنْها دِماغُهُ "متفق عليه. المنافقون في قَعْرِها السُّفلي؛ الأشدُّ إيلاماً، وظلمةً، وعذاباً؛ لأنَّ كفرَهم أغلظُ، وضررَهم أكبرُ على الإسلامِ والمسلمين، [وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً]النساء:145. مُعيناً يمنعُ ـ أو يخففُ ـ عنهم العذَابَ.

* * * * *

مَّا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ

364- [مَّا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ]؛ الله تعالى لا يعذبُ أحداً لمنفعةٍ ترتَدُّ عليه، أو لحاجةٍ، أو لدفعِ ضُرٍّ عنه .. أو لَأيِّ غرَضٍ من أغراضِ الدُّنيا التي يعرفُها الناسُ؛ كالثَّأرِ، والتَّشفِّي، ونحو ذلك .. فاللهُ تعالى غنيٌّ عن ذلك كُلِّه .. وبالتالي يا ابنَ آدم حسِّن الظنَّ باللهِ، ولا تظنَّنَّ أن اللهَ تعالى خلقَكَ ليُعذِّبَك، أو أنك ليسَ لك عندَ اللهِ إلا العذاب .. فهذا ظنٌّ سيء قد يُردِيك .. و " مَا "؛ استفهاميَّةٌ تُفيدُ النَّفيَ الجاذِمَ؛ أي أنَّ اللهَ تعالى لَا، ولَن يُعذِّبَكم، [إِن شَكَرْتُمْ]؛ نِعَمَ اللهِ عليكم التي لا تُحصَى، ورَدَدْتُم ما أنتم فيه مِن نِعَمٍ وخيرٍ إلى فضلِ اللهِ عليكم، [وَآمَنتُمْ]؛ باللهِ، وقمتم بواجبِ ومتطلباتِ الإيمانِ .. وهذا عهدٌ من اللهِ، بأن لا يُعذِّب مَن شَكَر، وآمَن، ومَن أصدَقُ مِن اللهِ عَهداً؟! [

وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً]؛ لمن يَشكرُه؛ فيزيدُه من فضلِه، ويَرضَى عنه، ويُثيبُه جنَّةَ الخُلدِ، [عَلِيماً]النساء:147. بمن يَشكر، ومَن يكفُر.

* * * * *

وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً

365- [وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً]؛ يَشْكُرُ القَلِيلَ بالكَثِيرِ، [عَلِيماً]النساء:147. بالشَّاكِرِين، وبشُكْرِهِم.

366- [وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً]النساء:147. يُعِينُ الشَّاكِرِين على الشُّكْرِ، ثم يَشْكُرُهُم على شُكْرِهِم!

* * * * *

لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ

367- [لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ]؛ وهو كلُّ قَولٍ جَارِحٍ، نَابٍ بَذِيءٍ يَخرُجُ عَن حَدَّي الأدَبِ، والعَدْلِ .. فاللّهُ لا يحبُّه .. ولا يَرضَاهُ لِعبادِه، ويَنهَانَا عنه، [إِلَّا مَن ظُلِمَ]؛ فاضطرَّ أن يُعرِّفَ بمظلمَتِه، أو يُدَافِعَ عنها؛ فيَضطرُّ أن يقولَ مَا قِيلَ له من الكَلامِ الجَّارِحِ، وأن يُشِيرَ إلى الظَّالِمِ بما ظلَمَه، مِن غَيرِ تَوسُّعٍ ولا زِيَادَةٍ .. فهذا انتصَافٌ يُؤذَنُ به، مُسْتَثْنَى مِن النَّهيِ العَام، [وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً]النساء:148. لما يُقَالُ، ومَا يُفعَل .. لا يخْفَى عليه شيءٌ سُبحانه .. فيه تَحذِيرٌ مِن استغْلالِ الرِّخصةِ في الانتِصَافِ مِن التَّوسُّع، والإسْرَافِ في الانتِصَافِ والانتقَامِ .. فيَزيدُ المنتَصِفُ عن الحَدِّ المسْمُوحِ بِه .. ويَردُّ الكَلِمَةَ بأضْعَافِها .. ويتحوَّلُ المظلُومُ إلى ظَالِمٍ .. ولو حصَلَ شَيءٌ مِن ذلك فاللّهُ يَسْمَعُه ويَعْلَمُه، ويُحاسِبُ عليه.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ ..

368- [إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ]؛ في الإيمانِ، [بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ]؛ فيؤمنون باللهِ مِن دونِ الإيمان برُسُلِه .. [وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ]؛ وبعضُهم يقولون نؤمنُ ببعضِ الرُّسلِ، ونكفرُ ونكذِّبُ بالبعضِ الآخَرِ؛ فآمَن اليهودُ بموسى عليه السلام، وكفرُوا وكذَّبوا بعيسى، ومحمَّدٍ عليهما السلام، وآمَن النصارَى بموسى، وعيسى عليهما السلام، وكفرُوا بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم .. بينما المسلمون آمَنوا بجميعِ الأنبياءِ والرُّسُل: آمنوا بموسى، وعيسى، ومحمد صلواتُ الله وسلامه عليهم، وبغيرِهم من الأنبياءِ والرُّسُلِ، لا يفرقُون بين أحَدٍ من رسلِ اللهِ، لعلمِهم أن مَن يكفر برسولٍ واحدٍ من رسلِ الله، لزمَهُ أن يُكَذِّبَ، ويكفرَ بجميعِ الأنبياءِ والرسلِ، ويكفرُ باللهِ تعالى الذي أرسلَ جميعَ الرسُلِ .. [وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً]؛ أن يجمعُوا ويُوفِّقُوا بين الكفرِ والإيمانِ، ويجعلُوا منه طريقاً ومنهجاً لهم في التَّدينِ، وهذا سبيلُ كُفْرِيٍّ باطلٌ مردُود، [أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً]؛ الذي لا يَعتريه الشكُّ والباطلُ بوجهٍ من الوجوهِ، لا ينبغي التردُّد أو الشكُّ في كفرِهم، وكفرِ منهجِهم، [وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً]النساء:150-151. عذابٌ مع إهانةٍ وإذلالٍ؛ لأن كفْرَهُم يمازِجُه الكِبرُ والتَّعالي على الحقِّ، والخلْقِ، وعلى والإيمانِ بالرسلِ أو ببعضِ رسلِ اللهِ .. فيُعاقَبُون مِن جِنْسِ ذنبِهم!

* * * * *

فَقَالُواْ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً

369- [فَقَالُواْ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً]النساء:153. هَذا مَطلبُ الكُفَّارِ الملحِدين مِن قَبل، واليَوم، وعلى مَدارِ الأزْمِنَةِ والعُصُور .. وهؤلاءِ لو كانَ لهم عَقلٌ لما تَجرأوا على أن

يَطلبُوا هذا الطَّلَب؛ فهم يُؤمنون ويُصدِّقُون بالمخلوقِ الذي لا تُدركُه حواسُّهم، ولا يَستطيعون مشاهدَتَه .. ولَا يَشترِطُون للإيمانِ به أن يَروه؛ كالروح التي في أنفُسِهم مثلاً .. فإذَا كان هذا شَأنُهم معَ المخلُوقِ، فكيفَ يشترطُون للإيمانِ بالخَالقِ أن يرَوه جَهرَةً .. وأنّى لهم القُوَّةُ على ذلك، وفي الحديث:" حِجابُهُ ـ أي حجابُ اللهِ ـ النُّورُ، لو كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ـ بهاؤ ونورُ وجَلالُ وجْهِهِ ـ ما انْتَهَى إلَيْهِ بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ "مسلم. أي لاحترقَ الخلقُ كُله؛ لأن بصَرَه لا يفُوتُه شَيئاً مِن خَلقِه.

* * * * *

رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

370- [رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ]النساء:165. رغْمَ أنَّ الحُجَّةَ تُقَامُ على الإنسانِ مِن جِهَات عِدَّة؛ مِن جِهَةِ الآياتِ الكونيَّةِ، والنفْسيَّة، ومِن جهَةِ الفِطْرَةِ، ومِن جهةِ الميثَاقِ الذي أُخِذَ عليهم وهم كالذَّر في صلبِ آدَم عليه السلام، إلَّا أنَّ الحُجَّةَ التي يُنَاطُ بها الوعدُ والوَعِيدُ، ويَنعقِدُ عليها الحِسَابُ، وتَحسِمُ الأعْذَارَ؛ هي الحُجَّةُ التي تُقَامُ من جهةِ نَذَارَةِ الرُّسُلِ؛ فَمَن بلغَتْهُ نَذَارَةُ الرُّسُلِ، أو نَذارَةُ ودَعوَةُ رسُولِ زَمانِه .. ثم قابَلَهَا بالرَّدِّ والإعرَاضِ .. لَمْ يَعُدْ يُعذَرُ بالجهْلِ .. فقد أُقِيمَت عليه الحجةُ الحاسِمةُ للأعْذَارِ، والتي يُحاسَبُ على أسَاسِها.

* * * * *

لكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ

371- [لكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ]؛ إن كذَّبكَ الكفارُ والمشركون ـ يا محمد صلى الله عليه وسلم ـ وشهدُوا زُوراً ـ وبغيرِ علمٍ ـ أنَّك لستَ نبياً مُرسلاً .. وأنكروا ما في كتبُهم من أدلَّةٍ تدلُّ على أنَّك رسولُ الله .. فالله تعالى خالقُ الخلْقِ، وربُّ العالمين، يشهدُ

أنك رسولُه، ويَشهدُ أن هذا القرآن الذي أُنزِلَ عليك إنما هو أُنزِلَ من عِندِه، وهو كلامه سُبحانه، [أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ]؛ لا يَتنزَّل مِنه شيءٌ إلا بعلمِه وأمرِه، [وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ]؛ والملائكةُ كلهم المقرَّبون مِنهم وغير المقرَّبين، يَشهدُون أيضاً أنك رسولُ اللهِ، وأن ما أُنزِل إليكَ هو الحقُّ مِن رَبِّك، [وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً]النساء:166. وشَهادَةُ اللهِ تكفي لمن يطلبُ الحقَّ .. إذ يَستحيلُ على اللهِ تعالى الذي له الأسماء الحُسنى والصِّفات العُليا أن يَدَّعِي رجلٌ النبوَّةَ، وأنه مرسلٌ من اللهِ، وهو في نفسِ الوقتِ يَكذِبُ في دَعْوَاه .. ويَكذِبُ فِيما يُبلِّغ عن اللهِ .. واللهُ تعالى يَراهُ ويَسمعُه، وهو قادِرٌ عليه .. ثمَّ ـ مع كَذِبِه ـ يَدَعُه اللهُ .. بل ويصدِّقُه بالآياتِ، والمعجزاتِ، ويحفَظُه مِن شَرِّ أعدائِه، ويَنصرُه في حياتِه، وبعدَ مماتِه .. ويضعُ له ولدينِه القبولَ في الأرضِ .. فهذا يَستحيلُ وقوعُه .. ومجرَّدُ افتراضِ وقوعِ شيءٍ مِن ذلك، هو مِن سُوءِ الظنِّ باللهِ عز وجل!

* * * * *

إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ

372- [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ]؛ باللهِ، [وَظَلَمُواْ]؛ فأتبعُوا كُفرَهم طُغياناً وظلماً للعبادِ، وحَرْباً على اللهِ، ورسولِه، والمؤمنين .. وطَعناً بالدِّين .. فهؤلاء مِن ذَوي الكُفْرِ المغلَّظِ والمركَّبِ، وهم أشَدُّ جرماً وكُفراً مِن ذَوي الكُفْرِ المجرَّد .. والسُّنَّةُ في ذَوي الكفرِ المغلّظِ المركّبِ، [لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ]؛ أن لَا يَغفرُ اللهُ لهم ذنُوبَهم، [وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً]. مستقيماً يُؤدي بهم إلى النَّجاةِ والفَلاح، [إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ]النساء:168-169. إلا طريقاً واحداً يُوصلُهم، ويَنتهي بهم إلى جهنَّم .. [خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً]؛ لا يخرجون مِنها أبَداً!

* * * * *

إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ

373- [إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ]المائدة:1. الخَلْقُ خَلْقُهُ، والمُلْكُ مُلْكُه، والعِبَادُ عِبادُه، والرِّزْقُ رِزْقُه، وهو رَبُّ العالمين، ولا يكونُ في مُلكِه الواسع إلا ما يَشَاء، ومن كان كذلك له الحقُّ وحدهُ في أن يَحكمَ ما يُريد .. يُحلُّ ما يَشاء، ويُحرِّمُ ما يَشاء .. يُعِزُّ مَن يَشاء، ويُذِلُّ مَن يَشاء .. ويَفعلُ في خلْقِهِ ما يشاء، [لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ]الرعد:41. لا رادَّ، ولا مانعَ، ولا مُبطِلَ لحكمِه.

* * * * *

وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

374- [وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ]المائدة:2. هذه الآية الكريمَة تُجيبُ عن نِصْفِ المسَائِلِ التي يَسْألُ عنها النَّاسُ، ويُريدُون فِيها فَتْوَى .. وعِندَما يختلفُ عالمان حَولَ مَسألةٍ مِن هذه المسَائلِ؛ هو لاختِلافِ تَقْدِيرِهمَا؛ هل هذهِ المسَأَلَة أقرَبُ للبرِّ والتَّقْوَى، أَم أَنَّها أَقرَبُ للإثمِ والعُدْوَان.

375- [وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى]؛ حيْثُمَا يُوجَدُ البِرُّ والتَّقوَى، يَجِبُ التَّعَاونُ، وتَجوزُ المشَارَكَةُ، [وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ]المائدة:2. وحيثُمَا يُوجَدُ الإِثْمُ والعُدْوانُ، يَجِب الاعتِزَالُ، والابتِعَادُ، وعَدَمُ التَّعاونِ، والمشَارَكَةِ.

* * * * *

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً

376- عندما يكون الإسلامُ جزءاً من الحلِّ؛ فإنه لا يعطي عطاءَه المرجو .. وعندما يرتَضي أتباعَ الإسلامِ أن يكونَ الإسلامُ جزءاً من الحلِّ، وليس كلَّ الحلّ، فإنهم بذلك يحكمون على الإسلام بالفَشلِ، ويُظهرونَه في أعينِ الناسِ بصورةِ الدين

الناقص القاصِر، العاجز عن إيجاد الحلول للأمَمِ والشعوب التي ترتضيه حَكَماً، وأنه بحاجة إلى حلول إضافية تُجبر نقصه، وتساعدُه على ما هو فيه، والله تعالى يقول:[الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً]المائدة:3. [أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً]المؤمنون:115. هَملاً من غير حكمةٍ، ولا غايةٍ، ولا شريعة شاملة، توصلكم إلى تلك الغاية؟!

377- [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ]المائدة:3. فيهِ حَسْمٌ لأعْذَارِ، وشُبهَاتِ، وحُجَجِ المُبْتَدِعَةِ؛ الذين يُحْدِثُون في دِينِ اللهِ ما ليسَ منه .. بذَريعَةِ أنَّ الدِّينَ ناقِصٌ، وأنَّهم بما يُحْدِثُونَه مِن البِدَعِ في الدِّينِ، يُجْبِرُون نَقْصَه!

378- كما فيهِ رَدٌّ على كُلِّ مَن يَزعُمُ أنَّ الدِّينَ نَاقِصٌ .. لا يُواكِبُ ولا يَفِي بحاجياتِ ومَتَطَلَّباتِ العَصْرِ .. وبالتَّالي لا بُدَّ مِن أن نَجْبُرَ هذا النَّقصِ مِن قَوانينَ وتَشريعاتٍ وضْعِيَّةٍ بَعضُها يأتِي مِن الشَّرْقِ، وبَعضُها الآخَر يأتِي مِن الغَرْب!

379- [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ]المائدة:3. الدِّينُ الذي يَفِي بجميعِ مَصَالِحِكُم الدِّينِيَّةِ والدُّنيَوِيَّةِ على مَرِّ العُصُورِ والأزْمانِ، وإلى أن تَقُومَ السَّاعَةِ .. فَلا تَحْتَاجُون معه إلى دِينٍ آخَر.

380- [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ]المائدة:3. الكَمالُ الذي لا يَعْتَريه النَّقْصُ مِن جِهَةِ الكَم، ولا مِن جِهَةِ النَّوْع.

* * * * *

فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

381- [فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]المائدة:3. مِن هذه الآيةِ الكَرِيمةِ وغيرها استنبطَ أهلُ العِلمِ القاعِدَة التي تَقُول:" الضَّرُورَات تُبيحُ

المحظُورَات ". " والضَّرُورَاتُ تُقَدَّر بِقَدْرِهَا "؛ فالمأكُولاتُ التي تكونُ محظُورةً في الحالاتِ الطَّبيعيَّةِ، تكونُ مُباحةً في حالاتِ المجَاعَةِ، التي يترتَّبُ عليها هلكَةُ الإنسَانِ، أو هلكَةُ عُضْوٍ مِن أعضَائِه، بالقَدْرِ الذي تندَفعُ به الضَّرورَة، ويُزالُ الضَّررُ .. مِن غيرِ مَيْلٍ وتَوسُّعٍ في انتهاكِ المحظُوراتِ، بما يَزيدُ عن حَدِّ الضَّرورَةِ والحاجَةِ .. وفي حَالِ إباحَتِها يَسقطُ الوَعِيدُ المتعلّقُ بها طيلَة فترَةِ الإبَاحَةِ.

* * * * *

وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ

382- [وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ]؛ بأركانِ الإيمانِ، وهي: الإيمانُ باللهِ، وملائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِرِ، والقَضَاءِ والقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه، أو يَكْفُرُ بِرُكنٍ واحدٍ مِن أركانِ الإيمانِ، أو يكفُر ببعضِ الرُّكْنِ من أركانِ الإيمانِ؛ كأن يُؤمن ببعضِ الكُتُبِ، ويَكفُر ببعضٍ، أو يُؤمنُ ببعضِ الكِتَابِ الواحِد ويَكفرُ ببعضٍ، أو يُؤمنُ ببعضِ الرُّسُلِ ويَكْفُرُ ببعضٍ، ولو برسولٍ واحدٍ من رُسُلِ اللهِ، أو يُؤمن ببعضِ الملائكةِ المقرَّبينِ ويَكفُرُ ببعضٍ .. فجميعُ هؤلاء لهم حكمٌ واحِدٌ، ووصفٌ واحِد؛ وهو الكُفْرُ بالإيمانِ، ومَن يَكْفُر بالإيمانِ، [فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ]؛ بَطُلَ عمَلُه الصَّالح، وما كان منه مِن صَدقَةٍ أو صومٍ، أو صَلاةٍ، وبَطُلَ الانتفاعُ به؛ كأنه لم يَكُنْ، فكما أنَّ الشِّرْكَ يُحبطُ العمَلَ ويُبطلُه، ويَمنعُ من الانتفاعِ به، كذلك الكُفْرُ يُحبِطُ العملَ، ويُبطله، ويَمنعُ من الانتفاعِ بِه، [وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ]المائدة:5. مِن الهالِكين؛ إذْ لم يَعُد في صَحِيفَتِه مِن حَسَناتٍ يَنتفعُ بها يومَ القِيامة.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ

383- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ]؛ كُونُوا كَثِيرِي وشَدِيدِي القِيَامِ بحقُوقِ اللهِ تعالى عَليكُم، مِن غَيرِ تَرَاخٍ، ولَا تكاسُلٍ، ولَا تَوَاكُلٍ .. قَوَّامِينَ للهِ فِي العِبادَةِ، والتَّوجُّهِ، والإخْلاصِ .. قَوَّامِينَ للهِ فِي الغَضَبِ، والرِّضَى، والسُّخْطِ، لَا تَأخذُكُم فِي اللهِ لومَةَ لائِمٍ .. قَوَّامِينَ للهِ فِي الحُبِّ والكُرهِ .. قَوَّامِينَ للهِ فِي الحُكْمِ والشَّهادَةِ، [شُهَدَاء]؛ على أنفُسِكُم، وغَيرِكُم، [بِالْقِسْطِ]المائدة:8. بالعَدْلِ، فلا تُحَابُون فِي الحقِّ أحَدَاً.

اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى

384- [وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ]؛ لا يحملنَّكم يَا مُسلمين، يَا مَن رَضيتُم بالإسلامِ دِيناً، [شَنَآنُ]؛ عداوتُكم وبغضُكم لـ [قَوْمٍ]؛ على أيِّ دينٍ أو ملَّةٍ كانُوا، ولأيِّ سَبَبٍ من الأسْبابِ، [عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ]؛ يمنعكُم مِن العَدلِ فِيهم لكُفْرِهم، أو لبغضِكُم وعداوتِكُم لهم، [اعْدِلُواْ]؛ أمرُ يُفيدُ الوجُوبَ، وجوبُ العدْلِ معَ مَن تُحب، ومعَ مَن تَكرَهُ وتبغَضُ سَواء، [هُوَ]؛ أي العَدْلُ مع البعيدِ كما معَ القَريبِ، ومعَ العدُو كما معَ الصَّديقِ، ومعَ الكافِرِ كما معَ المؤمنِ، [أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى]المائدة:8. أقربُ لمُلازَمَةِ التَّقْوَى، وللسَّلامةِ، وللعَدلِ وتحرِّي الحقِّ، وتَفَادِي الظلمِ، ولأن تكونَ من المتَّقين العَادِلين المصْلِحين.

385- [وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى]المائدة:8. كُلَّما كان المرءُ قادراً على إنصَافِ الأخَرين، وأن يُنزلَهم المنزِلَةَ التي يَستحقُّونَها، ممَّن يختلفُون مَعَه، كان علامَةً على النُّضْجِ، والتَّرفُّعِ عن الهوَى، والقُربِ مِن التَّقوى، ومِن أن يكونَ مِن المتَّقين.

ليسَت العظَمَةُ في أن تعدِلَ مَعَ مَن تُحِبُّ أو معَ القَرِيبِ؛ فهذا الكلُّ يفعلُه ويُتقِنُه .. وإنَّما العظَمةُ والبطولَةُ في أن تَعدِلَ معَ مَن تبغَض، وتُعَادي، ومعَ البَعِيدِ .. وهو مَالا يُتْقِنُه، ولا يَقْدِرُ عليه إلا القَلِيل!

* * * * *

فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء

386- نسيانُ حَظٍّ من الدين والتَّوحيد، يُورِثُ العَداوةَ والبَغْضاءَ، والتنازُع والفرقة، فيما بين الإخوان والأصحاب، على قَدْرِ ونوعِ النّسيان، كما قال تعالى:[فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء]المائدة:14. وعلى الذين يَنشدون توحيدَ الصّفوفِ، وجمعَ الكلمة، أن يتنبّهوا لهذا البعد والمعنى.

387- [وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى]؛ من أنصارِ وأتباعِ المسيح عليه السلام، وما أُنزِل عليه من ربه، [أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ]؛ العهد على ما قالوا، وعلى الإلتزامِ بما قالوا، [فَنَسُواْ]؛ فنقضوا العهدَ، وأعرضوا، وتركوا، وأهمَلُوا [حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ]؛ بعضاً من الدِّين الذي أنزله اللهُ تعالى على عبده عيسى عليه السلام .. فكانت النتيجة، والعقوبة الدنيوية المستعجلة [فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء]؛ فتفرقوا نتيجة لذلك إلى فِرَقٍ وطوائف شتى تُكفِّرُ بعضها بَعضاً، وتلعنُ بعضها بعضاً .. وتُعادي بعضها بعضاً .. وهم كذلك إلى يومِنا هذا، و [إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ]، وهذا الإخبارُ عن النصارى، وإلى يوم القيامة، من إعجاز القُرآنِ الكريم .. ومن علامات صِدقِ نبوَّةِ نبينا صلى الله عليه وسلم .. إذ لو كان واقعُ النصارى في أي حِقبة من الزمن بخلافِ ما وصفهم به القرآنُ الكريم، لكذَّبوا القُرآنَ الكريم، ولأتَوا بالدليل على بُطلانِ نبوَّةِ النبي محمد صلى الله عليه وسلم .. وأنَّى! .. وفي يوم القيامةِ يجازيهم اللهُ على صَنيعهم هذا، ويُعاقِبهم عليه، [وَسَوْفَ يُنبِئُهُمُ

اللهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ]المائدة:14. وفي ذلك عِظَةٌ للمسلمين وعِبرة، وتحذيرٌ لهم من أن يفعلوا فِعلَ النصارى .. فإن فعلوا ونَسوا حَظّاً من الدِّين والتوحيد .. وأعرضوا عن بَعضِ ما أُمروا به، وتَركوه .. فإن العقوبة هي ذاتها؛ التَّفرقُ في فِرَقٍ وأحزابٍ متفرِّقة متباغضة .. تُعادي بعضها بعضاً، وتلعن بعضها بعضاً .. وكلما زِيدَ في النسيان، والتَّركِ، والإعْراض، زِيدَ في التَّفرُّقِ والتَّباغُضِ، والتدابُرِ .. فليس للنصارى كل مُرَّةٍ، ولنا كل حُلْوَةٍ .. والذين يَنشدون الوحدةَ ونَبذَ الفُرقةِ فيما بين المسلمين مع تواطؤهم على نسيان حظٍّ من الدين .. كَمَن ينشدُ الشيءَ وضِدَّهُ، وهو يُصادم هذه الآية الكريمة بكلِّ وضُوح!

* * * * *

وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

388- [وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]المائدة:23.التوكّلُ عَمَلٌ قلبي؛ وهو اسمٌ جامعٌ لجميع معاني التَّفويضِ، والثِّقَةِ، والرِّضا، والاستسلامِ، والصّبر. بينما الأسبابُ وتَعاطِيها من عمَلِ الجسدِ والجَّوارح الظَّاهرةِ، لا يجوز أن يَسْرِي منها شيءٌ إلى القَلبِ، ولو سَرَى منها شيءٌ إلى القلب لَعُدّ خرْمَاً في التَّوكّل ونَقصاً فيه، وعلى قَدْرِ ما سَرَى منه .. ولو سَرَى شيءٌ ممّا في القلبِ من توكّلٍ إلى الجسَدِ والجوارح الظاهرة، لَعُدَّ تَواكلاً، وخَرْماً ونَقصاً في العقلِ، والدِّين، بقدر ما سَرَى منه .. والتوكّلُ بهذا المعنى العام والشَّامل، يُعتَبرُ شَرطاً لصحّةِ الإيمان، كما قال تعالى:[إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ].

* * * * *

فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ

389- [فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ]المائدة:26. مِن أعظمِ وأجَلِّ النعَمِ التي يمنُّ اللهُ بها على عبادِه .. هدايتهم إلى صراطِه المستقِيم .. وأن يُعَيّشَهُم في ظلِّ حُكْمٍ يحكمُ

فيهم بما أنزَلَ اللهُ .. ومِن أشقَى الشَّقاءِ إنصرافُهم عن حُكْمِه وشَرْعِه، وعن صراطِه المستقيم .. وإيثارُهم للفسُوقِ والعصيان .. وفي كثيرٍ من الأحيانِ ينتابُ الدُّعاةُ إلى اللهِ الحزنَ على قومٍ آثَرُوا الضلالَ على الهُدَى .. والفسوقَ والعُصيانَ على الاستقَامةِ على أمرِ اللهِ .. لما فاتَهم من خيرٍ كثيرٍ في الدُّنيَا والآخِرَة .. إلَّا أنَّ حكمَ الله تعالى فاصِلٌ وحاسِمٌ في هذه القضيَّةِ، [فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ]؛ هُم لا يَستحِقُّون هذا الخير الذي فاتَهم .. كما أنَّهم لا يَستحِقُّون أن تحزَنَ عليهم!

* * * * *

إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ

390- [إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ]المائدة:27. الذين يتحقَّقُ في أعمالِهم شَرطَان: الإخْلاصُ، والمتَابَعَةُ للشَّرْعِ المنزَّلِ.

* * * * *

مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً

391- [مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً]؛ أيّاً كانت هذه النفس، كانت شَرقيّةً أم غربيّة، غَنيةً كانت أم فقيرة، شَريفةً كانت أم وضيعة، وأيّاً كان لونُها، وجِنْسُها، ودينُها، [وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً]المائدة:32.

* * * * *

إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً

392- [إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ

خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ]المائدة:33. هذه الآيةُ الكريمةُ نزَلَت في العُرَينيين؛ قومٌ من عُرَيْنة .. وهؤلاء ارتدُّوا بعدَ إسلامِهم .. وقَتَلُوا النَّفسَ التي حرَّمَ اللهُ .. وسَرقُوا إبلَ بيتِ المسلمين .. وغَدَرُوا بعهدِ وأَمَانِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لهم، واستخفُّوا به .. وشَهرُوا السلاحَ، وأخافُوا السَّبيلَ .. فجمعُوا بين جميع هذه الموبِقَاتِ المهلِكَات .. فأنزلَ اللهُ فيهم آيةَ حَدِّ الحِرَابَة الواردَةِ أعلاه .. واستَحقُّوا العقوبةَ .. وعلى هذه الآيةِ الكريمةِ، وعلى من نزلَت فِيهم قاسَ أهلُ العِلم كلَّ من حملَ السِّلاح يَقطعُ الطريقَ على المسلمين؛ يُخيفُهم، ويُغيرُ على أنفسِهم، وأموالِهم، وحُرماتِهم، وبيوتِهم، ورواحِلهم .. على تفصيلٍ تَناولتهُ كُتبُ الفِقه والتَّفسير؛ متَى يُقتَل، ومتَى يُقتلُ صَلباً، ومتَى يُكتفَى بقطع الأيدِي، والأرجُل من دونِ أن يُقتَل، ومتى يُكتفَى بنفيه وسجنِه من دونِ أن يُقتَل .. وهل يُعفَى عنه في حال توبته قَبل القدرَةِ عليه .. وهل تنفعُه التوبةُ بعدَ القُدرةِ عليه .. فهذ التَّفصيلُ ليسَ هنا موردُه .. وإنما أَرَدْنا الإشارَةَ إلى عدمِ جَوازِ التَّوسُّع في استخدامِ هذه الآيةِ الكريمةِ، والقياسِ عليها على كلِّ مَن يقَع في نوع فسادٍ في الأرضِ .. أو يُعارضُ ظلمَ حاكمٍ مُستبدٍّ .. أو يُسمعَه كلمةَ حقٍّ .. فيُقتَل، ثم تُحمَل عليه آيةُ حدِّ الحرَابة .. أو تحتَ عنوان " القَتْلُ تَعزيراً !"، فهذا تحميلٌ للآيةِ ما لا تحتَملُ، وهو من الظلمِ الشَّديدِ، والإسرافِ في القَتلِ بغيرِ حقٍّ، قد نَهى الشارعُ عنه .. فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنِّي رَسولُ اللَّهِ، إِلَّا بإِحْدَى ثَلاثٍ: النَّفْسُ بالنَّفْسِ، والثَّيِّبُ الزَّانِي، والمارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَماعَةِ "البخاري.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ

393- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ]المائدة:35. تَقَرَّبُوا إلى اللهِ، واطلبُوا رِضَاه بالطَّاعَاتِ، ومِن أفضَلِ مَا يَتَوسَّلُ به العبدُ إلى رَبِّه؛ التَّوحِيد، والإخلاص .. وليسَ مِن التَّوسُّلِ المشرُوعِ؛ التَّوسُّل بالأشخاصِ.

وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

394- [وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ]؛ في سَبيلِ اللهِ دُونَ دِينِكم، ودُونَ أعراضِكُم، وأموالِكُم، وأوطَانِكم، ومظالِمِكُم .. فكلمةُ " في سَبيلِ "؛ لَا يجوزُ أن تُطْلَق إلا عِندَما يكونُ المرادُ في سَبيلِ اللهِ .. أمَّا بقيَّة المعَاني المحِقَّة، يُقَاتَلُ دُونَها ودِفَاعَاً عنها في سَبيلِ اللهِ، [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]المائدة:35. تَفوزُون بخيرَي الدُّنيَا والآخِرَة.

* * * * *

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ

395- [سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ]؛ صيغَةُ مبالغَة؛ أي كثيرُوا الاستماعِ، والإصغاءِ للكذِبِ .. وهم اليهودُ، ومَن والاهُم مِن الكافِرين، والمنافقِين .. كلُّ كَذِبٍ على الإسلامِ والمسلمِين .. وتَكذِيبٍ للإسلامِ والمسلمِين .. وتَصدِيقٍ للكَذِبِ .. يَرغبُون بالاستماعِ له .. ويَرغبُون بإشاعَتِه، وترويجِه؛ لأنه يَروي بعضَ أحقَادِهم، ويحقّقُ لهم بعضَ التَّشفِّي والشَّماتةِ بالإسلامِ والمسلمِين .. وهو سِلاحُهم المعتمَد في تشويهِ صُورةِ الإسلامِ، وتَنفيرِ الناسِ عنه، [أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ]المائدة:42. أي كثيرُوا الأكْلِ للحرَامِ، لا يتورَّعون عن أكلِ الحرامِ .. والسُّحت كلُّ ما حرَّمَهُ اللهُ، وحرَّمَ التكسّبَ به، ومِن خلالِه؛ كالرِّبَا، والرشوةِ في الحكمِ، والسّرقةِ، والغشِّ، والميسِرِ، وبيعِ الخمرِ، وأكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ، وغيرها ...!

396- [أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ]المائدة:42. أَكَّالُونَ للرشْوَةِ في الحُكْمِ .. وقَد قِيل:" البرَاطِيلُ تَنْصُرُ الأَبَاطِيلَ "!

* * * * *

فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ

397- [فَلاَ تَخْشَوُاْ]؛ الطُّغاةَ والظالمين مِن [النَّاسَ]؛ فتكتُموا العِلمَ والحقَّ خشيةً ورهبةً مِنهم، وكان الواجِبُ عليكم أن تُبينُوا العِلمَ، وتَصدَعُوا بالحقِّ، [وَاخْشَوْنِ]؛ فاللهُ أحقُّ وأَولَى أن تخشَوه، وتخشوا عذابَه، وأن تَلتمسُوا رِضَاه، [وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً]المائدة:44. ولا تكتموا الحقَّ .. ولا تحكُموا بغيرِ ما أنزلَ اللهُ مُقابِل متَاعٍ أو غرَضٍ من أغرَاضِ الدُّنيا .. ومهما كان الثمنُ المدْفُوعِ مقابلَ كتمَانِ الحقِّ، وعدَمِ الحُكمِ بما أنزَلَ الله كثيراً، ومُغرياً .. فهو قياساً لما عِندَ اللهِ مِن أجْرٍ، وثوَابٍ، ونَعيمٍ .. قَليلٌ، وقَليلٌ جِدّاً!

* * * * *

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ

398- [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ .. وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .. وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ]المائدة :44-45و47. يُراد من الآياتِ الثلاث الكُفْرُ الأكبرُ، والظُّلمُ الأكبرُ، والفُسقُ الأكبرُ، لأنَّ جميعَها نزلت في أهلِ الكِتَابِ اليهود والنَّصارى .. وهي تُحمَل على حُكَّامِ المسلمين إن طابَقَت أعمالُهم أعمالَ اليهودِ والنَّصارى .. فإن لم تُطابِق، ولم تُماثِل .. وإنَّما وقَعُوا في الحُكْمِ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ عن شَهوةٍ، وهوى، وتَأويلٍ .. من غيرِ جُحُودٍ، ولا انتِقَاصٍ، ولا اسْتِخْفَافٍ .. فتُحْمَل عليهم الأحكامُ التَّاليةُ: الكُفرُ الأصْغَرُ، والظُّلمُ

الأَصْغَرُ، والفُسقُ الأَصْغَرُ؛ أو كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وظُلمٌ دُونَ ظُلْمٍ، وفُسْقٌ دُونَ فِسْقٍ؛ لا تُخرِج صَاحِبَها من المِلَّةِ .. كما قال بذلك بعضُ الصّحَابة والتَّابعين.

* * * * *

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

399- [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]المائدة:45. لأنَّ كلَّ حُكمٍ مغَاير ومخالِف لحكمِ اللهِ تعالى فهو ظُلْمٌ .. وكلّ مَن يَرتضِي الحكمَ بغيرِ ما أنزَلَ اللهُ، فقد رَضي لنفْسِه الظُّلمَ، وحكَمَ بالظُّلمِ .. فكان ظَالماً ومَظْلُوماً؛ ظَالماً مِن جهةِ حُكمِه بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، ومَظلُوماً مِن جهةِ أنه أجرَى على نفْسِه الحكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ!

* * * * *

فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ

400- [فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ]؛ بشَرْعِ اللهِ المنزَّلِ، [وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ]؛ مَا يَرغَبُونه، ويميلُون إليه مِن الشَّرعِ المبَدَّلِ .. رغبةً فِيهم، أو بما عِندَهُم، ومَعَهم .. فيَحمِلُكَ ذلك على الانصِرَافِ، [عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ]المائدة:48. عن القُرآنِ الكريمِ، والشَّرعِ المنَزَّلِ .. وموافقَتِهم على ما يُريدُون، ويَرغبُون .. وهذا الخِطابُ كما هو موجَّهٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، فهو موجَّهٌ لأمراءِ وعُلماءِ أُمَّتِه .. فكلُّ خطابٍ موجَّهٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم مِن ربِّه، هو موجَّهٌ لأُمَّتِه، إلى يومِ القِيامَةِ .. مَا لم يَرِدْ نَصٌّ أو قَرينَةٌ شرعيَّةٌ تُفيدُ أنَّ هذا الخِطَاب خاصٌّ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم دونَ غيرِه مِن أُمَّتِه.

* * * * *

وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ

401- [وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ]؛ لا نتوقّفُ محاولات الكفارِ عن ثَني أهلِ الحقِّ عن الحقِّ، والإيمانِ .. فمن وجدُوه لا يُؤتَى من جهةِ الإغْراءِ بعرَضٍ مِن الدُّنيا .. ساومُوه في المتابَعَةِ، وقالُوا له: نؤمنُ ببعضِ الكتابِ .. نتبعُكَ ببعضِ ما أنزلَ اللهُ .. مُقابلَ أن تتركَ ـ أو تَعفينا مِن ـ البعضِ الآخَر .. يُتابعُونَه فِيما سَهُلَ عليهم، ويُساومُونه فِيما صَعُبَ عليهم .. فأنزلَ اللهُ تعالى قولَه وتحذيرَه لمواجهَةِ هذا الموقفِ الذي يواجهُ المؤمنِين، والذي قد يتكرَّرُ في كلِّ زمَانٍ:[وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ]؛ احذَرْ أن تطيعَهم وتتابعَهم فِيما يطالبونَك به .. فتَضِل، وتَهلك .. حتى وإن تولَّوا وأعرضُوا عن متابعةِ الحقِّ بالكليَّةِ، [فَإِن تَوَلَّوْاْ]؛ وأعرضُوا عن متابعةِ الحقِّ؛ لأنك لم تُطاوعْهم، ولم تجبْهم إلى ما طالبُوك به .. فَلا تَأسَ عليهم، [فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم]؛ بعذَابٍ وعِقابٍ مِن عِندِه في الحياةِ الدنيا غيرَ الوعيدِ الشَّديدِ الذي يَنتظرُهم يومَ القيامَة، [بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ]المائدة:49. التي اقترفُوها، والتي مِنها مساومتهم الباطِلَة لك .. وإعراضُهم عن متابعَةِ الحقِّ.

* * * * *

أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ

402- [أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ]المائدة:50. يَطْلبُون .. ويَقْصُدُون .. ويُريدُون؟! سُؤالٌ فيه تَقْرِيعٌ، وإنْكَارٌ، وتَعَجُّب ممّا يَطلبُون .. إذْ كيفَ يَعْدِلُون عَن حُكمِ اللهِ المنزَّلِ إلى حُكمِ الجَاهِليَّةِ .. وحُكمُ الجاهليَّةِ ليسَ مَقْصُوراً على عَصْرٍ دُونَ عَصْرٍ .. أو زَمَانٍ دونَ زَمَان .. أو حُكْمٍ دُونَ حُكْمٍ .. فكُلُّ حُكمٍ يُضَادُّ، ويُضَاهِي، ويُخَالِفُ حُكمَ اللهِ، له صِفَةُ حُكْمِ

الجاهِليَّةِ .. وكلُّ مَن يَعْدِلُ عَن حُكمِ اللهِ تعالى، ويَطلُبُ التَّحاكُمَ إلى شَرائع تُضَاهِي وتُضَاد حُكمَ اللهِ؛ فهو ممَّن يحتكمُ إلى شَرائع وحُكْمِ الجاهِليَّةِ .. وممن يَبغون حُكْمَ الجَاهِليَّة!

* * * * *

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ

403- [بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ]المائدة:51. في أيما صِرَاعٍ - وعلى مَدارِ الأزْمِنَةِ - بينَ الحقِّ والباطِلِ .. تجدُ جميعَ مِلَلِ الكُفْرِ، والشِّركِ، والنِّفاقِ، على ما بينَها مِن تباينٍ واختِلافٍ في الدَّوافِعِ والنَّوازِعِ .. وعلى اختِلافِ مُسَمَّياتِها وانتماءاتِها الدِّينيَّةِ والطَّائفيَّةِ .. يَقِفُون صَفَّاً واحِداً - ومن دون أدْنَى تَرَدُّدٍ - معَ البَاطِلِ ضِدَّ الحَقِّ .. بَعِيداً عنِ النَّظَرِ في عدَالةِ وصوَابيَّةِ موقِفِهم .. ومَا يحملُهم على ذلك سوى كراهيتهم للحقِّ، وحقدهم الدِّينِي الطَّائفِي .. ومحاولةُ تَبريرِ موقِفِهم بمسمَّياتٍ وإطْلَاقاتٍ سياسِيَّةٍ، وإنسانيَّةٍ مَطَّاطَةٍ .. لَا تُلغِي هذه الحقيقة التي نَلْحَظُها بوضوحٍ في كلِّ معركَةٍ تُدارُ بينَ الحقِّ وأهلِه مِن جهةٍ، وبينَ البَاطِلِ وأهلِه مِن جهةٍ أُخْرَى.

* * * * *

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ

404- [وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ]؛ فيُظَاهِرُهُم بالقَولِ أو الفِعْلِ، أو بِهِمَا مَعَاً، على الإسْلامِ، وعلى المسلمين؛ لإسْلَامِهِم، ولكونِهِم مُسْلِمين، [فَإِنَّهُ مِنْهُمْ]المائدة:51. فإنَّه مِن جُملَتِهِم؛ كافِرٌ مِثْلُهم!

* * * * *

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ

405- [فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ]؛ مرَضُ الشَّكِّ، والنِّفاقِ .. لم يقتصِرْ وجودهم على عهدِ النبوَّةِ وحسب .. بل هم موجودُون في كلِّ مجتمعٍ، وكل زمانٍ يُدارُ فيه صراعُ بينَ الحقِّ والباطِلِ، يكرِّرُون نفْسَ الموقفِ، ونفْسَ الكلمات، [يُسَارِعُونَ]؛ مِن غَيرِ تَلَكُّؤٍ، ولا إبطَاءٍ، [فِيهِمْ]؛ في موالاةِ، ومُصانعَةِ، ومُداهَنةِ اليهودِ وغيرِهم مِن الكافِرين، والدخُول في حِلفِهم، وأمانِهم .. وحجَّتهم في ذلك:[يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ]؛ نخشَى أن تكونَ الدولةُ والغَلبَةُ لهم على المؤمنين، فينتقمون مِنَّا .. وحتَّى لا يحصلُ شيءٌ مِن ذلك فنحنُ نؤمِّن على أنفُسِنا من جانبِهم، فلا يُصيبُنا منهم ضَرَرٌ، [فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ]؛ بنصرٍ ينصرُ به المؤمنين على الكافِرين، [أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ]؛ أو أمر آخر يشاؤه الله؛ يُعلي به كلمة الحقِّ على كلمةِ الباطِلِ .. وينصرُ به المؤمنين على الكافِرين .. ويذلُّ الكفرَ والكافِرين، ويخذِي المنافقين،[فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ]المائدة:52. فيصبحُ المنافقُون على ما أضمرُوا في أنفسِهم من موالاة للكافِرين، وغشٍّ للمؤمنين، نادِمين متحسِّرين على ما فاتهم من أمجَادِ وغنائمِ النَّصْرِ .. وأنّى ينفَعُهم النَّدمُ بعدَ الفَتحِ المبِين.

* * * * *

فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

406- الصفاتُ التي تتبلّد بسببها الحياةُ وتجمد، والتي منها: الهوانُ، والوهْنُ، والركون إلى العَجْزِ، وإلى الظّالمين .. والاستدفاءُ بالذل .. إيذانٌ ببدءِ الاستبدالِ لتَستمرَّ الحياةُ وتَعمُر، فيأتي اللّهُ بقوم صفاتهم عكس صِفات المُستبدَلين المتبلّدين، كما قال تعالى:[يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ

وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ]المائدة::54. وقال تعالى:[وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ]محمد:38.

407- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ]؛ إلى الكُفْرِ، فيُوالي ويُعادِي .. ويحبُّ ويكرهُ، في غيرِ اللهِ .. ويَتخذُ الكافرين أولياءَ مِن دونِ المؤمنين .. يَسْتَعلِي على المؤمنين، ويَذُلُّهم .. فإذا أقبَلَ على للكافِرين، تذَلَّلَ لهم واسترْضاهم .. يخشَى الكافِرين نكشيتِه مِن اللهِ وأكثر .. ويَترُكُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ، [فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ]؛ بدَلاً مِنْكُم؛ فِيهم مِن الصِّفاتِ خِلاف وعكسَ صِفَاتِكم الآنفَةِ الذِّكْر، التي كانت سَبباً في ارتِدَادِكُم عَن دِينِكم، وهي:[يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ]المائدة:54.

* * * * *

أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ

408- [أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ]؛ المؤمنُ أرضٌ ممهَّدَةٌ، وَطِيئَةٌ، مُذَلَّلَةٌ، هَيِّنَةٌ، سَهْلَةٌ، على المؤمنين، [أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ]المائدة:54. جِبَالٌ شَمَّاءُ، عَصِيَّةٌ أبِيَّةٌ .. وسَماءٌ تعلُو على الأَعْدَاءِ الكافِرين .. ومتَى يكُونُ المؤمنُ غيرَ ذلك عليه أن يُدَقِّقَ في إيمانه!

409- مَن كانَ عَزيزاً على المؤمنين، يُذِلُّهم، ويُقْصِيهم، ويتعَالَى عليهم .. بينَمَا هو ذَليلٌ على الكافِرين، والزَّنَادِقَةِ الملحِدين، يُكْرِمُهم، ويُدْنِيهم، ويعْلِي مِن شَأنهم .. فهذا ليسَ مِن المؤمنين، مَهْمَا تَشَبَّع وَزَعَمَ أنَّه مِن المؤمنين!

* * * * *

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

410- [يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ]المائدة:54. الغَايَةُ مِن الخَلْقِ، والوجُودِ كُلِّه تحقيقُ العِبَادَةِ .. والغَايَةُ مِن العِبَادَةِ، والجهْدُ الأكبَر الذي يَسعَى له العَابدُون الموحِّدُون، ويُسَارِعُون فِيه؛ تَحقيقُ المحبَّةِ؛ محبَّةُ اللهِ تعالى لعِبَادِه، ومحبَّةُ العِبَادِ لربِّهم .. فتَحقيقُ المحبَّةِ هي الغَايَةُ مِن العِبَادَةِ، وهي غايَةُ الغَايَات .. هي الغَايَةُ العُظْمَى .. فلَا تَسْمُو عليها، ولَا تُوازِيها غَايَة.

411- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ]المائدة:54. المؤمنُ لَا يمكنُ أن يخرجَ عن صِفَةِ المُحِبِّ للهِ، فإذا خرَجَ عن صِفَةِ [وَيُحِبُّونَهُ]؛ يخرُج مُبَاشَرةً عن صِفَةِ، وجَماعَةِ [الَّذِينَ آمَنُواْ]، ويَتعَرَّض للاستبدَالِ بقومٍ يحبُّهم اللهُ ويُحبُّونَه.

412- [يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ]المائدة:54. قَدَّمَ حُبَّهُ لهم على حُبِّهم لَه؛ فأَحَبَّهُم ثمَّ أَحَبُّوه .. وأعَانَهم على حُبِّه .. ولولَا حُبِّه لهم لما تمكَّنُوا مِن حُبِّهم لَه .. فمِن عَلامَات حُبِّ اللهِ لَك؛ حُبُّك له.

* * * * *

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ

413- [وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ]المائدة:55. كم هي شِدَّةُ استِجَابَتهم وسرعَتِهم إلى بَذلِ الصَّدَقَاتِ، واستِغلالِهم للوَقْتِ المتَاح؛ لم يمهِلُوا أنفُسَهم إلى الرفعِ مِن الركُوعِ، أو إلى أن ينتَهوا مِن صَلاتِهم، ثم يتَصدَّقُون .. لَا؛ لم يَفْعَلُوا ذَلك .. فهذا ممَّا لا يَضمَنُون حصُولَه، بل تصَدَّقُوا وهم في حَالةِ الركُوعِ .. فلَا يَضمَنُ المرءُ لنفسِه؛ هل سيَعيشُ ويُمهَل إلى مَا بعد الركُوعِ، وانتهاءِ الصَّلاةِ، ليقُومَ بواجبِ الصَّدَقَةِ .. أمْ لَا .. فهذَا ممَّا لا يَستطيعُ أن يَضمَنَه أحَدٌ لنفسِه أو لغَيرِه!

* * * * *

كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ

414- [كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ]المائدة:64. هكذَا كانت سيرةُ اليهود مِن قَبل، وهكَذا هي اليوم، وهكذا هي غداً .. فإنَّهم دُعاةُ حربٍ .. مَصلحتُهم يرونَها مع الحربِ، والدَّمارِ، لا السَّلامِ .. لا يحترمُون عهودَ السَّلامِ .. الغَدْرُ ونقضُ العهُودِ مِن شيمتِهم .. يَرونَ في السَّلامِ تَهديداً لوجودِهِم، ومصالحِهم، وقمعاً وتحجيماً لأحقادِهم .. فإن لم يَستطيعُوا أن يحاربُوا المسلمينَ بأنفسِهم .. حاربُوهم - وحَضُّوا على حربِهم - عن طريقِ عملائِهم ووكلائِهم .. لَا يألُون جهداً في الكذبِ، والتَّلفيقِ، وافتعالِ أسبابِ الحرُوبِ والدَّمارِ والفسادِ في الأرضِ .. لكن الله لهم بالمرصَادِ، كلما أوقَدُوا ناراً للحربِ، وجَدَّدُوا نيرانَ الأحقَادِ، والحرُوبِ .. يُبطلُها اللهُ .. ويُبطلُ كيدَهم ومكرَهم .. وسِيرتُهم اليوم في فلسطين المحتلَّةِ - ومنذُ أكثر من خمسٍ وسَبعين سَنَة - أكبرُ شاهدٍ على مَا قرَّرهُ القُرآن الكريم عنهم قبلَ أكثر مِن ألفٍ وأربعمائة سَنَة!

* * * * *

وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ

415- على قدْرِ البلاغِ، والبيان، والصَّدعِ بالحقّ، تكون العِصمةُ من شُرُورِ الناس، والدليل قوله تعالى:[يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ]المائدة:67.

416- [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ]المائدة:67. هذا الخِطَابُ موجَّهٌ للنبي صلى الله عليه وسلم - وقد بلَّغَ الرسالةَ أكملَ

وأتَمَّ وأجملَ بَلاغٍ، وأدَّى الأمانَةَ ـ ولمن كان أهلاً للتبليغ عن الله، ورسولِه، مِن العُلَمَاءِ، والدُّعاةِ إلى اللهِ، وهؤلاء لَا يَنبغي ولا يجوزُ أن يحملَهم الخوفُ، وترهيبُ الأعداءِ، والظالمين، أو الخجل من الآخَرين، ومن المجتمَع الدَّولي ومنظماتِه .. أن يكتمُوا شَيئاً مما أنزَلَ اللهُ، ولا يبينونَه وقتَ الحاجَةِ إليه .. مهمَا كان هذا الذي يكتمُونه ولا يبلغونَه يَسيراً؛ فمن كتمَ القَليلَ، وخافَ أو استحيَا مِن بيانِه ـ رهبةً أو رَغبةً ـ فكأنما كتمَ الدِّينَ كله، ولم يبلِّغْ الرسَالةَ التي أنزلها اللهُ على رسُولِه .. فليسَ في الإسلامِ ما نَستحِي مِنه، ونخافُ مِن بيانِه .. فيا أيُّها العَالِم، ويا أيَّها الدَّاعيَة إلى اللهِ، إما أن تبلِّغَ رسالةَ اللهِ كاملةً غير مَنقُوصَةٍ كما أُنزِلَت على قَلبِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، أو تَنحَّى، فهو أعذَرُ لك .. لا تُدافعْ عن شَرعِ اللهِ المنزَّلِ، وكأنَّك تُريدُ أن تدفَعَ عنه العَيبَ، أو النَّقصَ، أو الاتِّهامَ .. مَن يَفعل ذلك يَرتكب خطَأً كبيراً بحقِّ نَفسِه، ودِينِه .. والإسلامُ مِن صَنيعِه برَاء!

* * * * *

إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

417- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ]المائدة:67. الذين يجمعُون معَ الكُفْرِ العنَادَ، والإعرَاضَ، والمعَارَضَةَ، والكِبْرَ .. أمَّا مَن يَصْدُق في الإقبَالِ على اللهِ، ويَسألُه الهِدايَةَ، فاللهُ تَعَالى يَهديه.

* * * * *

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً

418- [وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً]المائدة:68. عندما يُقابَل العِلمُ بالكُفرِ والجحودِ، والعمَلِ بما يخالفُ مُقتضاه .. حينئذٍ يكونُ العِلمُ وبَالاً على صاحِبِه؛ يَزيده طُغياناً، وكُفراً، وهو كلما ازدَادَ عِلماً، ازدَادَ طُغْيَاناً وَكُفْراً .. فالذي

يَنتهي به علمُه إلى العِلمِ بآيةٍ أو آيتَين، ثم يقابلهُمَا بالكفرِ والجحودِ .. ليسَ مِن حيث الطُّغيانِ والكفرِ، والوزرِ، والوعيدِ كالذي يَنتهي به عِلمُه إلى العِلمِ بعشراتِ، ومِئاتِ الآيَاتِ الكونيَّةِ، والسمعيَّةِ، ثم يقابلُها بالكُفرِ والجُحُودِ .. فالعِلمُ حجَّةٌ، والمرءُ كلما ازدَادَ عِلمُه ازدَادَت حجةُ اللهِ عليه!

* * * * *

وَحَسِبُواْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ

419- [وَحَسِبُواْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ]؛ ظَنُّوا أنَّهم مهمَا عصَوا اللهَ، وتمَادَوا في العُصيَانِ والطُّغيَان، وتنكَّبوا طريقَ الحقِّ، وسَلَكُوا طريقَ البَاطِلِ، لن يُصيبَهم بَلاءٌ، وأنَّهم في أمَانٍ من انتقَامِ اللهِ مِنهم، ومِن عذابِه .. والأمرُ ليسَ كما يَظنُّون، [فَعَمُواْ وَصَمُّواْ]المائدة:71. فعَمِيَت أبصَارُهم عن رُؤيةِ الحقِّ، وصُمَّت آذَانُهم عن سَماعِه .. وأنَّى للعُمْيِ والصُّمِّ أن يَهتدُوا إلى حقٍّ، إلَّا أن يَشاءَ اللهُ .. وهذه الآيةُ وإن نزَلَت في اليهودِ، فهي تَطَالُ مَن يتخلَّق بأخلاقِهم مِن المسلمين .. فليسَ لهم كُلّ مُرَّةٍ، ولنَا كُل حُلْوَة!

* * * * *

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً

420- [قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً]؛ الاستفهامُ للإنكارِ، أي كيفَ تَرضُون لأنفُسِكم ـ بعد أن كرمكَم اللهُ بالعقلِ، وأرسل لكم الرُّسلَ، وأنزلَ الكتُبَ، التي بها تُقام الحجةُ عليكم ـ أن تتوجَّهوا بالعبادةِ، والدُّعاءِ لغيرِ اللهِ تعَالى، لمن لا يملكُ لكم نَفعاً، ولا يَدفعُ عنكم ضرَّاً .. لمن لا يَسمعُ دعاءَكُم، ولا يعلمُ عنكم شَيئاً، [وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ]المائدة:76. الذي يسمعُ دعاءَكم، ويعلمُ أحوالَكُم، والقادِرُ على أن يجيبَ الدَّاعيَ، والسَّائلَ ..؟!

* * * * *

ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ

421- [لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ . كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ]المائدة:78-79. عِلَّةُ اللعنِ، والطردِ من رحمةِ اللهِ، ثلاثَةُ أشياء: العِصيانُ، وعملُهم بالمعاصِي، والعُدوَان على حقُوقِ الآخَرين .. ثم هم معَ العِصيانِ، والعُدوان، [كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ]؛ لا ينتهون مِن تلقاءِ أنفُسِهم عن مُنكَرٍ، ولا يُوجدُ مَن ينَهاهم عن المنكرِ .. مما زادَهم عصْياناً، وعُدواناً، وطُغياناً .. وجرأةً على العصيانِ .. فكانُوا بذلك أكثر استِحْقَاقاً للَّعْنِ .. فالمنكرُ يزيدُ ويتكاثَرُ، وتقْوَى شوكتُه مع السُّكوتِ عنه .. ومَن كان ينهاهُم من علمائِهم لا يَرى حرجاً أن يجالِسَهم في مجالِسِهم، وأسواقِهم، ويؤاكلَهم، ويُشاربَهم .. مع إقامتِهم على المنكَرِ، وعدمِ انتهائِهم عنه .. فيُعطي إيحاءً للرَّائين أنه راضٍ بمنكرِهم، وما يَصنعُون .. وأنَّ ما يفعلونَه من منكراتٍ لا يَستدعِي المفاصلةَ والمباينَةَ .. فلُعِنَ الجميعُ، وضَرَب اللهُ قلوبَ بعضِهم ببعضٍ .. وآثارُ هذا اللَّعنِ فيهم مستمرَّةٌ حتَّى يومنا هذا؛ فهم في توسُّعٍ مُستَمرٍّ ومُتزايدٍ في المنكَرِ، وفي التَّواطُؤِ عليه .. وهذه الآياتُ وإن قِيلَت في الذين كفَرُوا من بَني إسرائيل إلا أنها تَطالُ المسلمين في مجتمعاتِهم لو تخلَّقُوا بأخلاقِهم، واتَّصفُوا بصفاتِهم المدمِّرةِ الآنفةِ الذِّكرِ أعلَاه .. فليسَ لهم كل مُرَّةٍ، ولنا كل حُلْوَةٍ .. وفي الحديث:" كلَّا واللَّهِ لتأمرنَّ بالمعروفِ، ولتنهونَّ عنِ المنكرِ، ولتأخذنَّ على يدي الظَّالِمِ، ولتأطُرُنَّهُ على الحقِّ أَطْرًا، ولتَقصُرُنَّهُ على الحقِّ قَصْرًا، أو ليَضربنَّ اللَّهُ بقلوبِ بعضِكم على بعضٍ، ثمَّ ليلعنَنَّكم كما لعنَهم ".

* * * * *

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء

422- [وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ]المائدة:81. كما لا يجتمعُ إيمانٌ وكُفرٌ .. لا يجتمعُ ولاءٌ للهِ وولاءٌ لأعدائهِ الكافِرين .. فمن زَعمَ بلسانِه الإيمانَ، بينما هو في واقعِه، وعملِه يُوالي الكفَّارَ، ويميلُ إليهم، وينصرهُم على الإسلامِ والمسْلمين .. فعملُه يُبطلُ زعمَه، ويردُّهُ، ويكذِّبُه - وهو أقوى في الدَّلالَةِ على حقيقةِ الإيمانِ من مجرَّدِ القولِ وزَعمِ اللسانِ - ويدمغُه بالكُفرِ والفُسوقِ، والخرُوجِ عن طاعَةِ اللهِ تعالى وموالاتِه، إلى طاعةِ أعدائِه الكافِرين، وموالاتِهم.

* * * * *

لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ

423- [لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ] من طعامٍ، وشَرابٍ، ومَلْبَسٍ، ومَنْكَحٍ، ومَتَاعٍ بزعْمِ التَّزهّد، والانقطاعِ للعِبادة، [وَلاَ تَعْتَدُواْ] بالإسْرافِ أو التَّبذيرِ أو بكليهما مَعاً، [إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ]المائدة:87. الذين يَتجَاوَزون حُدُودَ الحَلالِ إلى الحَرَام!

* * * * *

وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً

424- [وَكُلُواْ]؛ اللهُ تعالى هو الخالقُ لجميع ما في الوجُودِ، وهو المالِكُ على الحقِيقةِ لجميعِ مَا في الوجُودِ .. ومَن كان له الخَلْقُ والمُلْكُ، له الحقُّ وحدَه أن يقولَ لمن خَلَق مِن النَّاسِ: كلُوا هذا، ولا تَأكُلوا هَذا .. هذا حَلالٌ لكم، وهذا حرامٌ عليكم .. أمَّا من لا يخلقُ، ولا يملكُ على الحقيقَةِ لا يجوزُ له أن يقولَ للناسِ كلُوا ممَّا لا يخلقُ، ولا يملكُ .. هذا حَلالٌ لكم، وهذا حرامٌ عليكُم .. فمن كان يَفقدُ حقَّ المِلْكيَّةِ يَفقدُ حقَّ

التصرفِ كيفَما يشاءَ فِيما لا يملكُ .. وما كان يملِكُه؛ اللّهُ هو الذي مَلَّكه إيَّاه، ينزعهُ مِنه متى شَاء .. وهو يملِكُه مؤقَّتاً لفترةٍ زمنيَّةٍ محددةٍ؛ على وجهِ الاستئمانِ، والاستخلافِ، ثم يَتركُه لغَيرِه؛ لينظرَ كيفَ سيتصرَّفُ فِيما استُئمِنَ عليه، واسْتُخلِفَ فِيه، [مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ]؛ حَصْراً؛ لأنه لا يُوجَدُ رزقٌ تأكلونَه وتتمّتعون به من غيرِ رِزقِ اللهِ .. فجميعُ الأرزاقِ التي بينَ أيديكُم هي من الله تعالى وحدَه، [حَلاَلاً]؛ تتحرَّونَ فِيما تَأكلُون وتَشربُون الحلالَ الذي أحلَّه اللّهُ لكم .. ومَا أحلَّه اللّهُ لكم، لا يحقُّ لأحَدٍ كائنٌ مَن كانَ أن يحرمَهُ عليكُم، أو يمنعكم عنه، [طَيِّباً]؛ فالله طيِّبٌ، لا يُحِلُّ إلا الطيب، [وَاتَّقُواْ اللّهَ]؛ في تحرِّي الحلالَ والحرامَ؛ فلا تتجرَّأوا على الحرامِ، ولا تحرِّموا على أنفُسِكُم وغيرِكم الحلالَ، [الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ]المائدة:88. فإنَّ إيمانكم باللهِ يحتم عليكم أن تتَّقُوا اللهَ، وأن تتحرّوا حلالَه مِن حرامِه؛ فتُحلُّوا ما أحلَّه لكم، وتحرِّمُوا ما حَرَّمهُ عليكم.

* * * * *

فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ

425- [فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ]المائدة:89. أوسَطُ؛ أي لا أعلاهُ، ولا أدْنَاهُ، وإنما وسَطٌ بينهمَا .. ولَا يُوجَد " أوسَط " واحدٌ ثابتٌ يُقاس عليه، يُلزَمُ به الجميع، في كلِّ زَمانٍ ومكانٍ .. إذ لكلِّ شخصٍ " أوسَط " يُناسِبُه، بحسْبِ دَخْلِه وغِناه .. فأوْسَط الغني ليسَ كأوسَطِ الفقيرِ .. كما أنَّ للعرفِ أثره في تحديدِ معنى " الأوسَط " الذي يُناسِبُ الزَّمانَ والمكانَ.

* * * * *

فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ

426- [فَإِن تَوَلَّيتُمْ]؛ فإن أعرَضتم عن الإيمانِ، والطَّاعةِ، وآثَرتم الكُفْرَ، [فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ]المائدة:92. لم نكلِّفْ رسولنَا بأن يهديكم هِدايَة تَوفِيقٍ، واستِجَابة .. فهذا ليسَ له، ولَا يَقدِرُ عليه .. وإنما عليه أن يَهديكُم هِدَايةَ البَلاغِ، والبيَانِ، والدَّلالَةِ، وقَد قامَ به على أحسَنِ وأكمَلِ وجْهٍ .. أمَّا هِدايةُ التَّوفيق، والاستجَابَةِ فهي لله تَعالى وحدَه.

* * * * *

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ

427- [لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ]؛ حَرَجٌ وإثمٌ، [فِيمَا طَعِمُواْ]؛ من حرامٍ؛ كشربِ الخمرِ، وأكلِ الحرَامِ؛ كلحم الخنزيرِ، والميتَةِ، وغير ذلك .. قبلَ الإسلامِ، أو بعدَ الإسلامِ، لكن لم يبلغْهُم النصُّ المحرِّمُ لما أكَلُوا وشَرِبُوا .. فهؤلاء لا حرَجَ عليهم، ولا تَأثيماً؛ لأن الحَرَجَ يكونُ بعدَ بلُوغِ النَّصِّ المُحَرِّمِ، وليسَ قَبلَه .. بل اللهُ ـ بكرمِه ورحمتِه ـ يُبدِّلَ سيئاتهم إلى حسناتٍ .. بشرط، [إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ]المائدة:93. بعد أن أسلموا، وعلموا بالنصِّ المحرِّم لما كانُوا يَشربونَه ويأكلونَه ممَّا قَد حرَّمه اللهُ .. يجبُ عليهم مُباشَرَةً أن يتوقَّفُوا عمَّا كانُوا يَطْعَمُونَه من الحرامِ إيمانَاً باللهِ، وطاعةً له، وخَشيةً منه .. أمَّا مَن استمرَّ على أكلِ وشربِ الحرامِ بعدَ الإسلامِ، وبعدَ أن بلغَه نصُّ التَّحريمِ، وانتفَى العُذرُ عنه، فهذا لا يكون ممَّن [اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ]؛ وهو يُؤخَذُ بالأوَّلِ والآخِرِ مِن ذَنبِه.

* * * * *

اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

428- [اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ]؛ لمن وقَعَ في الأمْنِ، واتَّكَلَ على الرَّجاء، وتركَ العمَل، وتجرَّأ على المعَاصِي، [وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] المائدة:98. لمن وقعَ في الذَّنْبِ ثم استغْفَر، وتاب، وأنَاب، ومن استغْفَارِهم وإنابَتِهم أنَّهم [يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً]؛ من غَيرِ يأسٍ وقنوطٍ، [وَطَمَعاً] السجدة:16. بالعَفْوِ والرَّحْمَةِ .. مِن غَيرِ تواكُلٍ وجَفَاءٍ، فجَمَعَت بَينَ الخوفِ والرَّجَاء.

429- [اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]المائدة:98. مِن أساليبِ القُرآنِ الكريم؛ إذا وردَت آياتُ الوَعِيدِ أتبَعَها بآياتِ الوَعْدِ، وإذَا وردَت آياتُ الوَعْدِ أتبَعَها بآياتِ الوَعِيدِ؛ ليحْمِلَ المرْءَ على الاعتِدَالِ والتَّوسُّطِ في الخوفِ والرَّجَاءِ؛ فيَخافُ مِن غَيرِ يأسٍ وقُنُوطٍ مِن رَحمَةِ اللهِ .. ويَرْجُو مِن غيرِ إرْجَاءٍ، وتفْرِيطٍ في العَمَل.

430- [اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]المائدة:98. كما أنَّ اللهَ تعالى واسعُ المغْفرةِ والرحمةِ .. وسِعَت رحمتُه كلَّ شَيء .. يُعطِي بغيرِ حِسَابٍ .. مِن عطائِه الجنَّة التي فيها مَا تَشْتَهِي الأنفُسُ، وتَلَذُّ الأعينُ .. فيها مِن النَّعيمِ الدائمِ والمقيمِ مَا لَا عَينٌ رَأَت، ولا أذُنٌ سَمعَت، ولَا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ .. كذلك فإنَّ اللهَ تعالى شَديدُ العِقَابِ؛ عقابُه لا يُمَاثِلُه عِقَابٌ .. وكما أن اللهَ تعالى ليسَ له شبيهٌ ولا مَثيلٌ في رَحمتِه، ومغفرتِه، وعفوِه، وجُودِه .. كذلك ليسَ له شبيهٌ ولا مثيلٌ في عِقَابِه، وعذَابِه، وانتقامِه .. إنَّه رَبُّ العالَمِين.

431- [اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]المائدة:98. إذا نازَعَتْكَ نفْسُكَ إلى الشرِّ .. فتذَكَّر واعلَمْ أنَّ اللهَ شديدُ العِقَاب .. وإذَا نازَعَتْكَ إلى اليأسِ والقُنُوطِ .. فتذَكَّر، واعلَمْ أنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيم.

* * * * *

قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ

432- [قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ]؛ الحرامُ، والرِّجسُ، [وَالطَّيِّبُ]؛ والحَلالُ، والطُّهرُ .. لا يَستويان مَثَلاً، [وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ]؛ مَهمَا كانَ الحرَامُ كَثيراً .. ومُزَخْرَفاً .. تعلُوه الأصبَاغُ، والزَّخَارِفَ .. وكان الطَّيِّبُ قَليلاً .. فدرْهَمُ حَلالٍ خَيرٌ مِن مائةِ ألفِ دِرهَم حرَام .. وفيه مِن البركَةِ ما ليسَ في المائةِ ألفِ دِرهم، [فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ]؛ فاطلبُوا الحلالَ، واصبرُوا عليه، وإن قَلَّ .. وابتعِدُوا عن الحرَامِ؛ مهمَا كان كَثيراً، ومُغْرياً، [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]المائدة:100. تَفوزُون بنعيمَي الدُّنيا والآخِرة .. نحن في زَمَانٍ قد صَعُبَ فيه الدِّرهمُ الحَلالُ، وسَهُلَ الدِّرهَمُ الحرامَ .. وهذا من البَلاءِ الشَّديدِ؛ مَن يَصبرُ على الحَلالِ، ومَن يَنْأَى بنفْسِه، ومَن يُعِيلُ، عنِ الحرَامِ؟!

433- [قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ]؛ الشِّركُ .. والبَاطِلُ .. والحَرَامُ، [وَالطَّيِّبُ]؛ التَّوحِيدُ .. والحقُّ .. والحَلَالُ، لَا يَستويَان مَثَلاً في ميزَانِ الحقِّ، والعَدْلِ، مِن حيثُ القِيمَةِ، والرتبَةِ، والشَّرَفِ، والأثَرِ، والنَّفْعِ، والمآل، [وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ]المائدة:100. مهمَا تَكَاثَرَ عدَدُ الخبِيث، وتَنوَّعَ .. فالكَثْرَةُ ـ مهما تكاثَرت، وتعدَّدَت، وتنوَّعَت ـ لا أثَرَ لها في تحدِيدِ الحقِّ ومعرفَتِه، ولَا في الحكمِ على الأشيَاءِ عندما تَصْطَفُّ هذه الأكثريَّةُ معَ باطِلِ الخبِيث!

* * * * *

قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا

434- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ]المائدة:104. المسلمون ـ على

اختِلافِ أجناسِهم، وألوانِهم، ولغاتِهم، وأوطانِهم ـ لا يَدعُون إلى أنفُسِهم، ولا إلى متابَعةِ وتقليدِ آبائِهم، ولا حتَّى العُلماءَ مِنهم .. وإنَّما يَدعُون إلى كتابِ الله تعالى وإلى سُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. والعالمُ مَهمَا عَلا كعبُه فحجَّتُه ليسَ في قولِه؛ وإنما في موافقَتِه ومتابعَتِه للدليلِ من الكتابِ والسُّنَّةِ .. فحكمُ الكتابِ والسُّنَّةِ يمضي على الجميع .. وكلُّهم سَواءٌ أمامَ حُكمِ الكتابِ والسُّنَّةِ .. وما سواهُم مِن غيرِ المسلمين ـ على اختلافِ مِلَلِهم، ونِحَلِهم، ومَذاهِبهم، ومجتمعَاتِهم ـ كلهم يَدعون إلى متابعةِ وتقليدِ الآباءِ .. وما جرَت عليه العَادَاتُ والتَّقاليدُ في بلدانِهم ومجتمعاتِهم .. وكلُّهم يجدُون في تَقليدِ الآباءِ والأجدَادِ السَّلاسلَ والقيودَ التي تمنعُهم مِن متابعةِ الحقِّ، والإصغاءِ إليه .. وللآباءِ سلطةٌ قاهرةٌ ومخيفةٌ على حريةِ اختيارِ الأبناءِ .. حتى الملحدِين المتفلّتين مِن قيودِ الدِّين؛ فإنَّهم يتَّبعون آباءَهم وأحبارَهم الملحدِين المتفَلّتِين من قيودِ الدِّينِ .. فترى كلَّ فريقٍ يَرُدُّكَ إلى ما يقولُ به آباؤه وأجدَادُه، وإلى ما يَعتقدُون .. وإلى ما جَرَت عليه العادَةُ في مجتمَعاتِهم .. بغضِّ النَّظرِ هل هو موافقٌ للحقِّ أم لَا .. حتَى لو كانَ آبَاؤهم لا يَعلمُون شَيئاً عن الحقِّ المنَزَّلِ، ولا يَهتدُون إليه سَبيلاً .. ومَن يتحرَّر منهم على الحقيقَةِ مِن قيودِ تقليدِ الآبَاءِ، ومِن مُتابعَةِ التَّقاليدِ والعَادَات في مجتمَعِه .. هذا يَعني أنَّه قد دَنَى من الإسلامِ، وأصبحَ منه قابَ قوسَين أو أدْنَى.

435- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ]؛ إلى الكِتابِ، والسُّنَّةِ، [قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا]المائدة:104. دُعاةُ التَّعصُّب للمذاهِبِ الفِقْهِيَّةِ؛ الذين يَردُّونَ حُكمَ الكتابِ والسُّنَّةِ، تَعصُّباً للمذْهَبِ، ولأقْوالِ رِجَالَاتِ المذْهَبِ .. ويَتعَامَلُون معَ قَولِ المذْهَبِ كما يتعامَلُون مع النَّصِّ المنزَّلِ، وربما أشَد .. لهم نَصيبُهم الأَوْفَرُ مِن الزَّجْرِ الوارِدِ في هذهِ الآيةِ الكريمَةِ!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ

436- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ]المائدة:105. لا يَضرُّكُم في دينِكم إذا أنكرْتُم على الضَّالِّ الظالِمِ ضَلالَه وظلمَه، ومُنكرَه .. وصَدعتُم بالحقِّ في وجهِه، وحاولْتُم أطْرَه إلى الحقِّ أطراً، فلم تقدِرُوا .. بعد ذلك لا يَضرُّكُم ضَلالَه وظُلمَه إن لم يَستجِبْ لكُم، إذا مَا التزَمتُم طريقَ الحقِّ والهِدايةِ، واستقَمتُم في خاصّةِ أنفُسِكُم .. لأنَّكم قد قمتم بواجبِ الإصلاحِ، والأمْرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ، ولَمْ تكتُموا الحقَّ .. فإن لم تَفعلُوا ذلك؛ ولم تقُومُوا بواجِبِ أمرِهِ بالمعرُوفِ ونهيه عن المنكرِ .. وسَكتُّم عليه .. فإنَّ ضَلالَه وظُلمَه يَضرُّكم في الدُّنيا والآخِرة.

* * * * *

وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي

437- [وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي]المائدة:110. هذا التكرارُ الهامُّ لكلمةِ " بِإِذْنِي .. بِإِذْنِي .. بِإِذْنِي "؛ جاءَ للتأكيدِ على أن الفاعِلَ هو اللهُ تعالى وحده .. وأن هذه الآيَات والمعجِزَات أجرَاها اللهُ تعالى على يدِ عيسى عليه السلام بإذنه ومَشيئتِه .. مَا كانَت لتكُون لولَا أن أذِنَ اللهُ بها .. وحتَّى لا يتوهَّمُ واهِمٌ، ولَا يظنُّ ظانٌّ أن عيسىَ عليه السلام قادرٌ على أن يخلقَ، أو أن يَفعلَ شيئاً مِن هذهِ الخوارِقِ والمعجِزاتِ مِن تِلقاءِ نفسِه، مِن دُونِ إذنِ اللهِ ومَشيئتِه .. فيَقَعُ في الشِّركِ، والظُّلمِ!

* * * * *

فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ

438- على قَدْرِ قيامِ الحجةِ الشّرعية، والعِلمِ باللهِ، وبمرادِه، تكون المساءلة والمُحاسبة .. قال تعالى:[قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ]المائدة:115.

* * * * *

كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

439- [وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ]؛ وذلك يومَ القِيامَةِ .. وأمامَ الأشهادِ .. توبيخاً، وتبكيتاً لمن عبدَه وأُمَّه من دونِ اللهِ، ونَسَب لهما الألوهيَّةَ مِن دونِ اللهِ .. وإظهاراً للحقِّ .. وتقريراً لعقيدةِ ومَبدأ التَّوحيدِ، وأنَّ المعبودَ بحقٍّ هو اللهُ، [أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ]؛ معبودَين؛ يؤلهونكما، ويَصرفُون لكما العبادَةَ، [مِن دُونِ اللّهِ]؟! فإن قِيل: النصارى لم يَعبدوا المسيحَ، وأُمَّهُ مِن دونِ اللهِ، وإنما عبدُوهما معَ اللهِ ..؟! يُقال: إنَّ اللهَ تعالى أغنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ؛ لا يَقبلُ عملاً فيه شِركٌ، فمَن أشرَكَ معه غيرَه، فعبادَتُه كلها لغيرِه، لا يَصلُ منها شيءٌ إلى اللهِ .. فالعبادةُ معَ اللهِ، والعِبادةُ مِن دُونِ اللهِ سواء، كما في الحديثِ القُدسي:" قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ "مسلم. [قَالَ]؛ المسيحُ عليه السلام، [سُبْحَانَكَ]؛ تنزيهٌ للخالقِ سبحانه وتعالى عن الشَّريكِ، وعن كُلِّ نَقصٍ، [مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ]؛ إنما أنا عبدُك، ليسَ مِن حَقِّي أن أستشرِفَ مقامَ الألوهيَّةِ والربوبيَّةِ، وأن أقولَ للناسِ: اعبدُوني وأمِّي مِن دونِ اللهِ .. فهذا ليس مِن حَقِّي، ولا مِن حقِّ غيري .. وإنما هو حقٌّ خالِصٌ لك، [إِن كُنتُ قُلْتُهُ]؛ إن كنتُ قلتُ للناسِ اعبدُوني وأمِّي مِن دونِ اللهِ، [فَقَدْ عَلِمْتَهُ]؛ فاللهُ تعالى يَعلمُ

كلَّ شَيءٍ، لا يخفَى عليه شيءٌ، [تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي]؛ تعلمُ ما أخْفِي وأُبطِن في نفْسِي، [وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ]؛ لا أحدَ يعلمُ ما في نفسِ اللهِ ـ لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسَلٌ ـ إلا ما أخبرَ اللهُ تعالى عن نفْسِه، [إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ]؛ ولا أحدَ يَعلمُ الغيبَ إلا اللهُ تعالى وحدَه، [مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ]؛ هكذا شأنُ جميعِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، وعيسَى عليه السلام مِنهم، لا يأمرُون بشيءٍ، ولا يَدعونَ إلى شيءٍ، ولا يُشَرِّعُون شيئاً إلا ما أمرَهُم اللهُ به، لا يَخرجون عن أمر اللهِ في شيءٍ؛ أي شَيءٍ .. وأهم وأعظمُ ما أُمِرَ به عيسى عليه السلام، وجميعُ الأنبياءِ والرسل، أن يقولوا للناس:[أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ]؛ توجَّهوا بالعبادَةِ ـ كل ما يدخلُ في معنى العِبادةِ ـ إلى اللهِ تعالى وحدَه لا شَريكَ له، [رَبِّي]؛ الذي خلَقَني .. أشارَ لنفْسِه عليه السلام بأنَّه مَربوبٌ مخلوقٌ للهِ؛ ليُذْهِبَ التوهمَ عن أذهانِ الناسِ؛ فلا يُغالون فيه، فيتعاملون معه كربٍّ وإلهٍ؛ لِمَا أجرَى اللهُ على يدَيه مِن الآياتِ والمعجزاتِ، ولميلادِه المعْجِز، والفَريد، [وَرَبَّكُمْ]؛ الذي خلقَكُم، وخَلقَ الخلْقَ أجمعين .. ومَن كان ربِّي وربُّكُم هو الذي يجبُ أن تَعبدُوه، وتَصرفُوا له العِبادَةَ وحدَه لا شَريكَ له، [وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ]؛ كنتُ شاهداً عليهم، وعلى أعمالِهم، وأقوالِهم .. فلم يجرُؤ أحدٌ وأنا حيٌّ بين أظهرِهم أن يقولَ عنِّي أني رَبٌّ وإلهٌ، وأنِّي معبودٌ من دونِ اللهِ، ولو قالَه أحَدٌ لأنكرتُه عليه أشَدَّ الإنكارِ، [فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي]؛ قبضَّتني بالرفعِ إليك .. فقد غبتُ عنهم، فلا أعلمُ ما أحدَثُوا من بعدِي، [كُنتَ أَنتَ]؛ يا اللهُ، [الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ]؛ ترى أفعالَهم، وتسمعُ أقوالَهم، وما قد أحدثُوه من بعدِي، [وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ]المائدة:116-117. شاهِدٌ على كلِّ شيءٍ، لا يخفَى عليك شيءٌ، أيُّ شيءٍ، مهمَا كان دَقيقاً، وخَفيّاً.

* * * * *

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

440- [رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ]؛ لإيمانِهم، ولسلامَةِ دينِهم، واعتقادِهم، وجهادِهم .. فأثابَهُم جنَّاتَ الخُلدِ،[وَرَضُواْ عَنْهُ]؛ رَضُوا عنِ اللهِ؛ رَبّاً، وإلهاً مَعبوداً، ومحبُوباً ومُطاعاً لذَاتِه .. رَضُوا بحكمِه الكَوْنِي والشَّرْعِي .. رَضُوا بمنْعِه وعطَائِه .. وبلائِه .. وقَضائِه وقَدَرِه .. لا يتَسَخَّطُون ولا يَعترضُون .. ولم يَظنُّوا باللهِ إلَّا خَيراً، [ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ]المائدة:119. يتحقَّقُ هذا الفوزُ العَظيمُ لمن رَضيَ اللهُ عَنهم ورَضُوا عنه .. ويكونُ الرِّضَا مُتبادلاً بين الخالِقِ سُبحانِه وبين عبادِه المؤمنِين .. وهَذا يَشملُ جميعَ المؤمنين الذين يَرضُون عن اللهِ عزَّ وجل عبرَ جميعِ العصُورِ والأزْمَانِ، وإلى يومِ القِيامَة.

* * * * *

أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ

441- [أَلَمْ يَرَوْاْ]؛ رُؤيَا البَصرِ، والبصِيرَةِ .. ويتفكَّروا؛ [كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ]؛ مِن أمَمٍ وأجيالٍ قبلَهم، آثارُهم لم تَندَثِرْ بعْدُ، يمرُّون عليها فَكِهين لاعِبين، غافِلين، [مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ]؛ كانُوا أكثرَ جَمْعاً وقوَّةً، وتمكيناً في الأرضِ، ممَّن جاؤوا بعدَهم مِن الكفارِ الذين يُعانِدون الحقَّ، ويَتكبَّرون على الخلْقِ، [وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ]؛ وكان مِن فتنةِ اللهِ واستدراجِه لهم، أن زادَهم من عطائِه، ورِزقِه، فأرسَلَ عليهم المطرَ الكثيرَ، لا يَكادُ يَنقطعُ عن بلادِهم، وأجرَى لهم الأنهارَ من تحتِ قصورِهم، ومنازِلهم، وبساتِينهم .. سَببٌ في كلِّ خيرٍ، ورزقٍ تُنتجهُ الأرضُ .. حتَّى ظنُّوا أنَّهم قادِرُون على الأرضِ، وأنَّ البلاءَ بعيداً عنهم، وأن لَا أحدَ قادرٌ عليهم، وأمِنُوا مَكرَ اللهِ وانتقامِه .. حينها يَتنَزَّلُ العِقابُ الإلهي، [فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ]؛ بسببِ ذنُوبِهم، ومعاصِيهم، وظُلمِهم، وعدَمِ شُكرِهم للهِ على نِعَمِه .. وهذه سُنَّةٌ من سُنَنِ اللهِ تعالى في خلْقِه، لا تتخلَّفُ في زمانٍ من الأزمنَةِ، ولا تَستَثني أمَّةً مِن الأُمَم: كفرٌ وظلمٌ وفسُوق، يتْبَعهُ تَوسعةٌ في الرزقِ والخيرِ استدرَاجاً وفتنةً .. ثم كِبْرٌ، وبَطَرٌ، واسترْسَالٌ في المعاصِي، والظُّلمِ، والغَفْلةِ عن الشُّكرِ، حتى إذا اطمأنَّت قلوبُهم إلى ما أُوتُوا، وأَمِنُوا العِقابَ، وغرَّتهم أنفُسَهم .. يَتنَزَّلُ العقابُ الإلهي، ويتنزَّلُ الهلاكُ، [وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ]الأنعام:6. أبدلناهُم بأمَّةٍ أخْرَى، وجيلٍ آخَر، لِيُنظرَ ماذا سيَفْعَلُ، وكيفَ سيتصرَّفُ تجاهَ قضيَّةِ الإيمانِ .. وهل سيعتَبرُ ويَستفيدُ ممَّا أصابَ الأممِ والأجيالِ مِن قبلِه أم لَا ...؟!

* * * * *

قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ

442- [قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ]؛ نظرَ تَدبُّرٍ، وتفكرٍ، واعتبارٍ [كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ]الأنعام:11. مِن غاياتِ السَّفرِ، والسيرِ والضَرْبِ في الأرضِ النَّظرُ إلى ما حلَّ بالإمِمِ السّابقةِ التي آثَرَت التَّكذيبَ على التَّصديقِ، والكفرَ على الإيمانِ .. وكانوا أكثرَ قوَّةً وجمْعاً .. فتلك آثارُهم لا تزالُ تحدِّث عمَّا حصلَ لهم من إهلاكٍ ودمَارٍ .. وفي ذلك عبرة للأحياءِ منهم أنَّهم صائرون لا محالةَ إلى ما صارُوا إليه .. وأنَّهم صائبهم ما أصابَهم إن لم يتَّعظوا ويَعتبرُوا، ويُؤمنوا باللهِ العظيم ...!

* * * * *

الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ

443- [الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ]الأنعام:12. أَشَدُّ أنواعِ الخَسَارَاتِ أنْ يخْسَرَ المرءُ نفْسَه؛ فيُوبِقُها - بإرادَتِه! - في نارِ جهنَّم خَالِداً فِيها أَبَدَاً .. قد يتحمَّلُ الإنسانُ أنْ يخسَرَ كُلَّ شَيءٍ؛ يُرجَى له أنْ يَستأنِفَ عَملاً يُعوِّضُه ما قَد خَسِرَه .. أمَّا أن يخسَرَ نَفْسَه؛ هذا يَعني أنَّه قَد خَسِرَ الفُرصَةَ، والقدْرَةَ على النجَاةِ، وعلى التَّعويضِ، والاستئنافِ بعمَلٍ جَديدٍ .. الذينَ يَخسَرونَ أنفُسَهم هؤلاء؛ هم الذين لا يُؤمنون باللهِ العَظيم، ولا بما يُوجِبُه عليهم الإيمانُ .. الذينَ يُؤْثِرُونَ الكُفْرَ على الإيمانِ!

444- [الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ]الأنعام:12. أَشَدُّ أنواعِ المَيْسِرِ وأَخْطَرُه أنْ يَقَامِرَ المرءُ على نَفْسِهِ .. وأنْ يجعَلَ الرِّهانَ على نفْسِه .. وليسَ على شيءٍ آخَر مِن متاعِ الدُّنيا .. فإن خَسِرَ الرِّهانَ، خَسِرَ نَفْسَهُ، وأوبَقَها في العَذابِ الأليمِ .. الكَافِرُ الذي يُؤثِرُ الكُفرَ والإلحادَ على الإيمَانِ هو مَن يَفعلُ ذلك!

445- [الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ]الأنعام:12. الذين قامَرُوا بأنفُسِهم، ورَاهَنُوا على آخِرَتِهم، وعلى مَصيرِهم يومَ القِيامَةِ .. فخسِرُوا الرِّهانَ، وأوبقُوا أنفُسَهم في نارِ جهنَّم، وذلك هو الخُسرَانُ المبِين، الذي ليسَ بعدَه فَوزٌ ولَا نجاة .. وسَبَبُ هذا الخُسرَان أنَّهم في حيَاتِهم الدُّنيَا لم يؤمنُوا باللهِ العَظِيم، وكذَّبُوا باليومِ الآخِر.

* * * * *

قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً

446- [قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً]؛ مَألُوهاً، ومَعْبُوداً أعْبدُه .. واللهُ تعالى هو [فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]؛ المتفرِّدُ بخلْقِ وإبداعِ السماواتِ والأرضِ، ومَا فِيهما مِن تنوُّعٍ بَديعٍ وعظيمٍ في المخلُوقاتِ، [وَهُوَ]؛ على الحقِيقةِ [يُطْعِمُ]؛ الطَّعامَ؛ فقدَّرَ لكلِّ مخلوقٍ رِزقَهُ وطعامَهُ الذي يُناسِبُه، ثمَّ هداهُ إليه .. ثمَّ مكَّنَهُ من ازْدِرادِ الطعامِ، وإساغَتِه .. ثمَّ جعلَ له مُسْتقرّاً ومستوْدَعاً في المعدَةِ إلى حِينٍ؛ ليستفيدَ مِنهُ الجِسمُ .. ثمَّ جعلَ للفضلاتِ مِنه سَبيلاً ومخْرَجاً .. ولو حُبِسَ الطعامُ، أو تَعَطَّلَت حلَقَةٌ واحِدةٌ مِن تِلك الحلَقاتِ لتَعطَّلَت وتوقَّفَتْ عمليَّةُ الإطعامِ كُلِّها، ولما استفادَ الإنسانُ شيئاً مِن الطعامِ، [وَلاَ يُطْعَمُ]الأنعام:14. ولا يجْرِي له شيءٌ ممَّا تقدَّم؛ لكمالِ غِناه عن الأشياءِ .. إلَهٌ هذه بعضُ صفاتِه، كيفَ تريدُون مِنَّا أيُّها الجاهِلُون أن نعْدِلَ عن عبادَتِه وتَوحِيدِه .. ونتخذَ مِن دُونِه ـ ممن لا يَخلقُون ولا يُطْعِمُون ـ آلهةً نَعبدُهم ونتولَّاهُم مِن دونِ اللهِ ...؟!!

* * * * *

فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

447- [وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ]؛ ابتلاءً، واختباراً .. أتَصْبرُ، وتحتَسب، وتَسأل اللهَ تعالى أنْ يكشفَ الضرَّ عنك .. أمْ أنَّك ستَشْكُو اللهَ إلى خلْقِه .. وتَسأَلُهم أن يكشفُوا

الضرَّ عنكَ مِن دُونِه؟! فإن كانَ هذا اختيارُك، فاعلمْ أنَّه [فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ]؛ نفيٌ بعدَه أدَاةُ استثناءٍ يُفيدُ الحصْرَ والقَصْرَ، أي لا أحَدَ ـ أيَّاً كانت صِفتُه وهيئتُه ـ يكشفُ الضرَّ عنك، ولا يَقْدرُ عليه إلا اللهُ، فهو وحده القادِرُ على أنْ يكشفَ الضرَّ عنك .. وإذا كان الأمرُ كذلك فمن الشِّركِ .. والسَّفاهَةِ .. والخفَّةِ في العقْلِ أن تلتَمِسَ كشْفَ الضرِّ مِن غيرِ اللهِ .. أن تلتمسَ شيئاً عند مَن لا يملكُه ولا يَقدرُ عليه، [وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]الأنعام:17. كذلك جانبُ الخيرِ، إن أرادَك اللهُ بخيرٍ أصابَك هذا الخيرُ ولا بُد .. لا يحولُ بينَك وبينَهُ حائلٌ .. فلا شيءَ يُعجزُ اللهَ، ولا شيءَ يمنَعُه مِن المضِي فِيما يُريدُ .. سُبحانَه وتَعالى.

* * * * *

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ

448- [وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ]الأنعام:18. سُبحَانَ الذي قَهَرَ عِبادَهُ، وأذَّبهم، بالموْتِ .. وبالأمرَاضِ، والأَوْجَاع .. وبأصنَافٍ مِن البَلاءِ .. تخضَعُ لإرادَتِه الإرادَاتُ، ولمشِيئتِه المشِيئات.

وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

449- [وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ]الأنعام:18. لَا يُوجَدُ شَيءٌ في الوجُودِ مِن غيرِ حِكْمَةٍ وغَايَةٍ .. فإنْ خَفِيَت على حِكْمَتِكَ الحِكْمَةُ مِن حُكْمٍ شَرَعَهُ اللهُ، أو أمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ، مِنَ الحِكْمَةِ أن تَسْتَسْلِمَ لحكْمَةِ الحكِيمِ الذي له الحِكْمَةُ الكَامِلَةُ المطْلَقَةُ .. الخبيرُ بشؤونِ خَلْقِه، الظَّاهِرَةِ والباطِنَة، ومَا يَنفَعُهُم ومَا يَضُرُّهُم.

أحيَاناً يُقدِّرُ اللهُ شَيئاً ويُخْفِي الحِكْمَةَ مِنه، ليُرَى مَن يؤمِنُ ومَن يكْفُرُ، ومَن يُسَلِّمُ ويَرضَى، ومَن يَعترِضُ، ويتَسَخَّط!

* * * * *

أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى

450- [أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى]؛ استفهامٌ يُفيدُ التوبيخَ والتَّقْريعَ .. تَوبيخٌ وتقريعٌ للشاهِدِ؛ إذْ كيفَ يتجرَّأ أن يشهدَ هذه الشهادَةِ العظيمَةِ الآثمةِ مِن غيرِ عِلمٍ، ولا سُلطانٍ .. وتَوبيخٌ وتَقريعٌ للمشْهودِ لهم بأنَّهم آلهةٌ معَ اللهِ، وهم مَرْبُوبون مخلُوقُون، لا يملكُون شَيئاً من خصائصِ وصفاتِ الربوبيةِ والألوهيَّةِ .. كيف تشهدونَ لهم بأنَّهم آلهةٌ، تُصرَفُ لهم العبادَةُ، وهم بهذا العَجْزِ، والضَّعفِ، والجهلِ؟! فإنْ أبيتمْ إلَّا أنْ تَشهدُوا شهادَةَ الزورِ هذه، [قُل لاَّ أَشْهَدُ]؛ فأنا بريءٌ مِنكم ومِن شِرْكِكُم وشَهادَتِكُم .. لا أشْهدُ شهادَتَكُم الآثمةِ الباطلةِ الكاذِبةِ التي تنمُّ عن الجهلِ، والظلمِ .. لا يمكنُ أن أشهدَ شَهادَتَكُم الباطلةِ هذه، وأتابِعكم عليها، مهمَا عرَضْتُم عليَّ مِن عروضٍ وإغْراءاتٍ .. أو مارسْتُم ضدِّي من وعيدٍ، وتَرهيبٍ، وتَهديدٍ، [قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ]؛ فأنا أشهدُ عكسَ شَهادَتِكُم .. أشهدُ بأنَّ الإلهَ المعبودَ بحقٍّ، هو إلهٌ واحِدٌ لا شريكَ لَه، [وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ]الأنعام:19. هي المباينَةُ، والمفاصلَةُ التامَّةُ بيني وبينكم، مِن غير لجْلَجَةٍ، ولا غمُوضٍ، وبكلِّ وضُوح .. والبراءُ مِنكم، وممَّا تُشركون وتَعبدُون مِن دُونِ اللهِ.

* * * * *

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ

451- [قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ]الأنعام:19. لَا شَاهِدَ أعظم مِن اللهِ، ولَا شَهادَةَ أعظم مِن شَهادَةِ الله .. وأيُّما شَهادَة تخالفُ شَهادَةَ اللهِ، فهي لا شَيء، وهي شَهادَةٌ باطِلَةٌ .. يكفي نبينا صلى الله عليه وسلم أنَّ اللهَ تعالى يَشهدُ له أنَّه رسولُ الله، وأنَّه بلَّغَ، وأتمَّ الرسالَةَ .. ولكلِّ مَن يُكذِّبُ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم،

أو يَشكُّ بصدْقِ نبوَّته، يُقالُ له: أنتَ بتكذيبِك لرسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، تُسيءُ الأدَبَ معَ اللهِ، وتُسيءُ الظنَّ باللهِ؛ إذْ كيفَ تَفترضُ رجلاً ـ لا يَقرأ ولا يَكتُب ـ يَدَّعي النبوَّة .. وأنَّه مرسَلٌ من اللهِ .. تَتنزَّل عليه الآياتُ البينات من اللهِ .. تجري على يَدَيه الآيَاتُ والمعجزَاتُ الباهِرَات .. وقد أتَى بدِينٍ؛ شرائعُه شامِلةٌ لجميع جوَانِبِ الحيَاةِ، وعلى مَدَارِ الأزمَانِ، وإلى قِيامِ السَّاعةِ .. وأنَّه قُدوةٌ ومثَلٌ أعلَى للنَّاسِ جميعاً، واجب الطَّاعَةِ والاتباعِ .. وهو في جميعِ ما يَصدر عنه مِن قَولٍ، وعملٍ، وتقريرٍ، يَردُّه إلى اللهِ .. واللهُ تعالى يَسمعُه ويرَاهُ، ويُقِرُّه، ويُصدِّقُه، ويُؤيدُه، وشَاهِدٌ عليه، لا يُنكرُ عليه، وقد نَصرَه على أعدَائِه، ووضَعَ له القبُولَ، والثَّناءَ الحسَن على ألسنةِ الناسِ وإلى يومِ القِيامَة .. ثم هو مع كل ذلك يكونُ كاذِباً فِيما يَنسبُه إلى اللهِ ...؟!! فهذا ممَّا لَا يَقرُّه عَقلٌ سَليمٌ، ولا نَقلٌ صحيحٌ، وهو يتَنَافَى معَ كمالِ صِفَاتِ اللهِ تعالى، وأسمائِهِ الحُسْنَى، والتي من مُقتَضَاها الانتصافُ مِن الظَّالِمِ الكَاذِبِ؛ وبخاصَّة إن كان ظلمُه، وكذبُه يَردُّهمَا إلى اللهِ تعالى، كما قال تعالى:[وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ]الحاقة:44-46.

* * * * *

وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ

452- [وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ]؛ لينْذِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم الكافرين في زمانِه، ويخوفَهم بآياتِ الوعيدِ الواردَةِ في القرآنِ الكَريم، [وَمَن بَلَغَ]الأنعام:19. ومن بلَغَه هذا القُرآن من الإنْس والجنّ، وإلى يومِ القيامَةِ .. فهو حجةٌ عليهم .. وهو لهم نذيرٌ مُبين بين يدَي عذابٍ شَديد .. وأُمِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ـ والعلماءُ مِن بعدِه ـ بأن ينْذرُوا ويخوفُوا المخالِفين بالقرآنِ الكريم؛ لأنَّهُ أبلغُ، وأقوَى، وألزَمُ في الحجَّةِ

على المخالِفين الكافِرين .. وقولُه [وَمَن بَلَغَ]؛ فيه أنَّ القُرآنَ الكريم رسالةٌ للبشريَّةِ جمعاء على اختلافِ لغاتِهم، وألوانِهم .. وإلى يومِ القيامَةِ .. وليس لقومٍ دُونَ قَومٍ .. وفيه أنَّ النذَارَةَ تُلْزِم المخاطَب بعد بلوغِها.

* * * * *

وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ

453- [وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ]؛ يَنهَونَ أتباعَهم، والناسَ عن مُتابعةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، والدخولِ في دينِه الإسلام؛ دين جميعِ الأنبياءِ والرسُلِ .. ويَستخدِمُون في سَبيلِ ذلك جميعَ وسَائلِ الصَّخَبِ، والتشْوِيشِ، والتشْوِيه، [وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ]؛ ويبتَعِدُون بأنْفُسِهم، وفِكرِهم، واهتماماتِهم عنه، وعن هَديِه وسُنَّتِه .. تَرَفُّعاً، وكِبراً، وتَعالِياً، [وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ]الأنعام:26. وهُم بصنِيعِهم الآثِم هذا يُعَرِّضُون أنفُسَهم للخُسْرانِ، وللهلَكةِ، وضنكِ العَيشِ .. وهم لا يَشعرُون بفداحَة الخسارَةِ التي تَتلَبَّسُهم؛ لظنِّهم أنهم يُحسنون صُنعاً .. وكلُّ مَن يَنأى بنفْسِه، وتفكيرِه، واهتِماماتِه ـ في زماننا المعاصِر ـ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وعن متابعةِ سنَّتِه، وهَدْيِه .. حتَّى لا يُرمَى بالتَّخلُّفِ، والرجعيَّةِ، والجمودِ .. وحتَّى يُقال عنه تقدُّمي، وتحرُّري، وتنويري، وحَدَاثي، وليبرالي .. أو يُقَلِّلُ مِن شَأنِ السُّنَّةِ، ومِن مرجعيتِها، وحجيّتِها، ومِن شَأنِ مُتابعةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم .. فله حظٌّ وافرٌ مِن الوعيدِ الوارِدِ في الآيةِ الكريمةِ أعْلاه!

* * * * *

وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

454- [وَلَوْ رُدُّواْ]؛ إلى الدُّنيا، وأُعْطُوا فُرصةً جديدةً لاستئنافِ العمَلِ، كما يَطلبُون [لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ]؛ لعادُوا مرةً ثانيةً ـ وكلما أُعِيدُوا! ـ إلى كُفْرِهم، وشِركِهم،

وفِسْقِهِم، [وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ]الأنعام:28. فيمَا يَزعمُون أنَّهم لو أُعِيدُوا إلى الدنيَا، وأُعْطِيَت لهم فُرصَةٌ جَديدةٌ في الحياةِ لآمَنُوا وعملُوا صَالحاً .. فاللهُ تعالى يَعلمُ أنَّهم كاذِبُون، ويَعلمُ ما سيكُون مِنهم من التكْذِيبِ، والجحودِ، لو أُعِيدُوا، قبلَ ومِن دُونِ أن يُعَادُوا .. واللهُ تعالى لا يخلدُ في نارِ جهنَّم إلَا مَن كان هذا وصْفُه مِن الكافِرين.

455- [وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ]الأنعام:28. كثيرٌ من الكُفَّارِ المشهورِين عندما يُسأَلُون في كبرِهم، وبعد أن يعلوَهم الشيبُ، ويَبلغوا مِن العمرِ عتِيَّاً .. أنَّهم لو عادَ بهم العمرُ إلى الوراءِ، إلى عهدِ الشبابِ والقوَّةِ، هل كانُوا سيُقلِعُون عن أخطائِهم، أم أنَّهم سيَعُودون إليها، ويُكرِّرونها .. فيأتي جوابُهم صادِماً؛ أنَّهم لو أُعِيدُوا لعادُوا مرةً ثانيةً ليرتكِبُوا نفسَ الأخطاءِ والممارَسَات .. لذلك قولهم يومَ القِيامَةِ لما يَرون العذابَ بأن يردَّهم اللهُ ثانيةً إلى الأرضِ؛ ويُعطيهم فرصةً لكي يَعمَلُوا صَالحاً، ويَعبدُوا اللهَ، ويجتنبُوا الشِّركَ .. لَا ينفعهم شَيئاً لأنَّهم كاذِبُون، واللهُ تعالى يَعلمُ أنَّهم لكاذِبُون، وأنَّهم لو رُدُّوا إلى الدُّنيا لعَادُوا مرَّةً ثانية إلى الكُفرِ، والشركِ، والعصيَان.

* * * * *

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ

456- [وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ]؛ يَا أيُّها النَّاسُ .. يَا مَن غَرَّتْهم الحياةُ الدُّنْيَا، وشغلتْهُم عن الآخِرَةِ .. يَا مَن لا هَمَّ له سِوَى التكاثُرِ مِن الدُّنْيا، والتفَاخُرِ بحطامِها .. يَا مَن استعبدَتْهُم الدُّنيا لذاتِها، وأغرَاضِها، حتَّى إذَا قِيلَ عن أحدِهم عبدُ الدُّنيَا .. وكَلْبُ الدنيَا .. لاستحَقَّ هذا الاطْلَاق والتَّوصِيف .. اعلمُوا أنَّ مَا تَشتغِلُون به على الحقيقَةِ هو لَعِبٌ ولهوٌ؛ لَعِبٌ ولهوُ مِن حَيث الكَم، والنَّوعِ، والكَيْف، والقِيمَةِ .. لَعِبٌ ولَهْوٌ مِن حيث دَوامِه وبقائِه؛ لَا هو يَدومُ لَكُم، ولَا أنتم تَدومُون له .. أوَّلُه هَمٌّ، وغَمٌّ، وكَدٌّ،

وخَوفٌ، وقَلَقٌ، وشَقاءٌ .. وآخِرَه فِرَاقٌ، وحَسْرَةٌ، وندَامَةٌ .. لَعِبٌ ولَهْوٌ قياساً لما أنتم قادِمُون عليه بعدَ الموتِ، [وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ]؛ الجنّةُ [خَيْرٌ]؛ خيرٌ مِن الدُّنيا، وما أنتم مَشغُولُون بِه .. خَيرٌ مِن هذا اللَّعبِ واللَّهو .. خَيرٌ مِن حيث نعِيمِها المقِيم والدَّائِم .. وخَيرٌ مِن حيث الكَم .. ومِن حَيثُ نَوعِ وجمالِ نَعِيمِها .. وخَيرٌ مِن حيث خلُوّها مِن المكدِّرَات، والمنغِّصَاتِ، والمنَفِّرات .. وخيرٌ من كلِّ وجْهٍ وجانِبٍ، [لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ]، هذا الخَير هو للذين يَتَّقُون؛ الذين يأتمرُون بأمرِ اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم، وينتهُون عمَّا نَهى عنه اللهُ ورسُولُ صلى الله عليه وسلم .. الذين يَعمرُون حياتَهم الدُّنيَا بالطَاعَاتِ، وفعلِ الخَيرَاتِ .. ويتخذُون مِن الدُّنيا سُلَّماً للآخِرَةِ، [أَفَلاَ تَعْقِلُونَ]الأنعام:32. هذه الحقِيقَة .. فتترفَّعُون عن اللعَبِ واللَّهوِ .. وتُؤمنُون وتَعمَلُون صَالحاً .. وتَنشغِلُون بما ينفعُكم في الدَّارِ الآخِرَةِ؟!

* * * * *

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ

457- [إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ]؛ الذين يَستَجيبُون لِنداءِ الإيمانِ؛ هم الذين تتحرَّرُ مسَامِعُهم مِن الضغُوطَات، والمؤثِّرات السَّلبيَّة؛ التي تمنَعُ صَاحِبَها مِن حسْنِ الاستماعِ، والفَهم، ومن ثمَّ الإيمان والإنقيَاد .. أمَّا مَن كان قلبُه عامِراً بالحقدِ، والكراهيَّةِ، والكِبْرِ .. فهذا لا يحسنُ الاستماعَ، ولو سمعَ فسمَاعُه سماعاً آليّاً صورياً لَا يُؤدِّي بصاحبِه إلى الفَهم، والهِدَايةِ، والالتزامِ .. مثَلُه مثَل الموتَى الذين لَا يَستفيدُون مِن الخِطابِ شَيئاً، [وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ]الأنعام:36. مثَلُ الذي يحسنُ الاستماعَ؛ تكفِيه كلماتٌ مِن الحقِّ، ليَستجيبَ وينقَادَ .. ومثَل الذي لا يُحسِنُ الاستماعَ؛

لو تلَوتَ عليه القرآنَ الكريم كامِلاً، وأَرَيْتَه الآيَات الكونيَّة والنفسيَّةِ البَاهِرَاتِ .. لَمَا آمَنَ، ولا استَجَاب!

* * * * *

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم

458- [وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ]؛ شامِلٌ لجميع الدوابِّ، والحيواناتِ، والحشراتِ، البريَّةِ منها والبَحريَّةِ، [وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ]؛ شامِلٌ لجميع أنواعِ الطيورِ الكبيرِ مِنها والصَّغِير، الجوارحُ مِنها، وغيرُ الجوارِح، [إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم]؛ لهمْ طريقتُهم الخاصَّةِ بهم في الحيَاةِ .. لهمْ مَأكلُهم، ومشرَبُهم، ومَأواهُم .. كلٌّ يَهتدَي إلى مأكلِه، ومَشْرَبِه، ومأواه الذي أعدَّه اللهُ له .. يَحسُّون كما تحسُّون .. ويخافُون كما تخافُون .. ويألمُون كما تألمُون، ويَفرحُون كما تَفرحُون .. لهمْ وسائلُهم وغاياتُهم الخاصَّة بِهم، ومِن أعظمِ غاياتِهم عبادةُ اللهِ تَعالى وتَوحيدِه، والتَّسبيح بحمْدِه، إذْ لا يُوجَد حيوانٌ كان بَرِيَّاً أم بحريَّاً كافرٌ باللهِ تعالى .. كلُّهم مؤمنُون، وموحِّدُون، ومُسَبِّحُون؛ يُسَبحُون بحمدِ اللهِ، ولكن لا نفقَهُ تَسبيحَهم، [مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ]؛ في اللَّوح المحفُوظِ [مِن شَيْءٍ]؛ خَلقَه اللهُ؛ فالمخلوقُ ـ وكل مَا سِوى اللهِ مخلوقٌ ـ وكلُّ ما يتعلَّقُ به مِن حَركاتٍ وسكناتٍ، وحاجِياتٍ، وما يَصدرُ عنه، مكتوبٌ في اللوح المحفُوظِ قبلَ أن يخلقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنَةٍ، اللهُ تعالى أعلمُ بمدَّةِ وزمَنِ السَّنَةِ مِنها، [ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ]الأنعام:38. يومَ القِيامَةِ .. فيُحاسَبُون على ما كانَ مِنهم مِن عمَلٍ.

* * * * *

وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ

459- [وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا]؛ السمْعِيَّة في القرآنِ الكريم، والآياتِ المرئيَّةِ في الكونِ، وسائرِ المخلُوقات .. فهُم على الحقِيقَةِ [صُمٌّ]؛ لا يَسمعُون السمَاعَ الذي يجعلُهم يُؤمنُون، ويَفقهُون الآياتِ، ولو سمعُوها فسمَاعُهم لها آليٌّ لغَوِي، لَا يتعدَّى معنَى فَهم الدلَالاتِ اللغويَّةِ للآياتِ، [وَبُكْمٌ]؛ وإنْ كانُوا ينْطِقُون ويتكلَّمُون إلا أنَّهم لا ينطقُون ولَا يَشهدُون الحقَّ .. وإنما يشهدُون الزورَ، والكذبَ، والتكذيبَ، فلمْ يُحسِنُوا الاستفادَةَ مِن نعْمةِ اللسانِ، والنطقِ، والبيَانِ، وهُم مِن هذا الوجهِ مثلُهم مثَل البُكْم، [فِي الظُّلُمَاتِ]الأنعام:39. ظلماتُ الشركِ، والكفْرِ، والجهلِ .. ظُلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ .. وأنَّى لمن هو في الظُّلمات أنْ يُبصرَ النورَ، أو يرَى الحقَّ ...؟!

* * * * *

وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ

460- [وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ]الأنعام:43. فهي لشدَّةِ قسَاوَتِها لم تَعُدْ تَنتَفعُ بموعظَةٍ، ولَا تَعتبرُ بآيَةٍ، ولا تخشَعُ لذِكْرِ اللهِ، ولَا تَقبَلُ حَقًّا، ولَا تَردَعُها القَوارِعُ والزَّواجِرُ .. وليسَ فِيها رحمة للضُّعفَاءِ والمسَاكِين!

* * * * *

فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ

461- [فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ]؛ نَسُوا الآيَاتِ السَّمعيَّةِ القُرآنِيَّةِ .. والآيَاتِ والمصَائِبَ الكونِيَّةِ الزَّاجِرَةِ، الرَّادِعَةِ؛ كالزَّلازِلِ وغيرِها .. فأعْرَضُوا عنْهَا، وعن الاعتِبَارِ بها، وتَركُوها .. إذْ سرعان ما يَنسُون مَا يُوعَظُون به، ويَعودُون إلى مَا أَلِفَتْهُ نفُوسُهم المريضَة مِن اللَّهوِ، والفسُوقِ، والعصْيانِ، [فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ]؛ عُقوبَةً لهم، [أَبْوَابَ كُلِّ

شَيْءٍ]؛ أبوابَ الخيرِ والنِّعَم، استِدْرَاجاً لهم .. ليَزْدَادُوا في الغَيِّ والنِّسْيانِ، [حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ]؛ فرِحُوا فرحَ بَطَرٍ وجُحودٍ، وظنُّوا أنَّهم قادِرُون على مَا أُوتُوا مِن الخيرِ والنِّعَم، [أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً]؛ أخذناهم بالعَذابِ الأليم فجأةً؛ مِن حيثُ لا يَعلمُون، ولا يَشْعُرُون .. وفقَدُوا النِّعَمَ التي كانوا يَتنعَّمُون بها، ويَردُّون الفضْلَ فيها لأنفُسِهم مِن دونِ اللهِ، وانقلبَ فرَحَهُم إلى حزْنٍ، وهَمٍّ، وغَمٍّ، [فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ]الأنعام:44. آيِسُون مِن رحمةِ الله ومِن كُلِّ خَير .. يَتَلبَّسهم اليأسُ والقنوطُ .. والنَّدَمُ والحسَرَاتُ على ما كانَ مِنهم، وما كانُوا فِيه، وكيفَ أَصْبَحُوا .. ولاتَ حِينَ مَنْدَمٍ .. هذا في الدُّنيَا غيرَ الوعيدِ الشَّدِيدِ الذي ينتظرُهُم يومَ القيَامَة!

* * * * *

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ

462- [فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]الأنعام:45. هَلاكُ الظَّالمين المجرمِين، وانقطاعُ أثَرِهم، نِعمةٌ عَظيمةٌ يمُنُّ اللهُ بها على المؤمنِين، بَل وعلى أهلِ الأرضِ، وساكنِيها .. تَستوجِب الحمدَ والشُّكرَ.

* * * * *

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

463- [وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ]؛ مَنْ أطاعَهُم بالجنَّةِ، [وَمُنذِرِينَ]الأنعام:48. مَن عصَاهُم بالنَّارِ.

* * * * *

وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ

464- [وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ]الأنعام:52. حَلقاتُ الدَّعوةِ والتَّعليمِ مبذولةٌ للجميع؛ للفقيرِ، وللغنيِّ، وللشريفِ، والوضِيعِ سَوَاء .. لَا فرقَ بينهمَا .. لا يجوزُ أن يمنَعَ عنها الفَقراءُ من أجلِ مشاعِرِ ورغباتِ الأغنياءِ، والمسؤولين، وأبنائِهم .. أو لأيِّ ذريعةٍ كانَت .. هذا هو الواجبُ الذي لَا حَيدَة عنه لأيِّ سَببٍ مِن الأسْبَابِ.

465- كان المشركون مِن قَبل يأنَفون الجلُوسَ معَ الفقراءِ والمستضعَفين مِن المسلمين في مجلِسٍ واحِدٍ .. فكانوا يَطلبُون مِن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أن يطردهم من المجلسِ إذا ما أرادوا الإنفرادَ به، والاستماعَ إليه .. فنهاه اللهُ تعالى عن ذلك .. حتى لو كان مَطلبُهم شَرطاً لإيمانِهم .. فَلا يُبنَى حَقٌّ على باطِلٍ .. وأنزلَ وعيدَه المخيف:[فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ]، ورغْم هذا الوعيد الشديد، وهذا النَّهي الصَّريح .. تُوجدُ بعضُ الجماعاتِ المعاصِرة .. وبعضُ الدُّعاةِ المعاصِرين الذين يَستحسنُون أن تكونَ دعوتُهم، وأنشطتُهم الدعويَّة مَقصورَةً على الأغنياءِ، والمسؤولينِ، وأبنائِهم .. دُونَ الفقراء وأبنائِهم .. فيبشُّون لأبناءِ الأغنياءِ والمسؤولين الحكوميين .. ويكشِّرُون في وجوهِ الفقراءِ وأبنائِهم .. وكاتِبُ هذه الكلماتِ قد عانى في طفُولتِه من هذا النوعِ من الشيوخِ والدَّعاةِ الانتقائيين ـ حيثُ كنتُ مصنَّفاً على الفقراءِ، وأبناءِ الفقراءِ ـ فكانوا يتواعَدون سِرَّاً معَ أبناءِ الأغنيَاءِ، والوجَاهَاتِ حتَّى لَا نُشَاركهم مجالِسَهُم ...!

* * * * *

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ

466- [كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ]؛ لَا أحَدَ يَقْضِي على اللهِ .. ولا أحَدَ يُلزِمُ اللهَ بشيءٍ .. فاللهُ تعالى يَقْضِي، ولا يُقضَى عليه .. ومِن قضَائِه أنَّه تعالى كتَبَ على نَفْسِه ـ كرَمًا، ومِنَّةً، وتَفضُّلاً ـ الرحمَةَ، وهذه نعمةٌ عظيمةٌ، يتفضَّلُ اللهُ بها على عِبادِه، [أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ]؛ أي مِن المؤمنين .. أما المشركُون فقَد كتَبَ اللهُ على نفْسِه أن لا يغفرَ لهم وهم متلبِّسُون بالشركِ، ثم ماتُوا على الشِّرْكِ، [سُوءاً]؛ ذَنْباً؛ أيّ ذَنبٍ، [بِجَهَالَةٍ]؛ كلُّ ذَنْبٍ يُرتكَب على غيرِ وجهِ الاستحْلالِ، والتَّحْسِينِ، والمبَاهاتِ، والافتخارِ، فهو يُرتكَب " بِجَهَالَةٍ "، [ثُمَّ تَابَ]؛ استغْفَر، وأنابَ، ونَدِمَ، وعزمَ أن لَا يَعودَ لمثْلِه، [مِن بَعْدِهِ]؛ مِن بعدِ ما وقَعَ بالذنْبِ بجهالَةٍ، [وَأَصْلَحَ]؛ ما أفسدَهُ بذَنْبِه؛ فمن الذنُوبِ ما يكونُ متعدِّياً للغيرِ، وآثارُه السلبية تَنعكِسُ على الغيرِ .. وهذا النوعُ مِن الذنُوبِ لا بُدَّ من إصلاحِ آثارِهَا السلبيَّة الضارَّةِ، [فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]الأنعام:54. فإن اللهَ تعالى غفورٌ لمن كان هذا وصفُه، ورَحيمٌ له في الدُّنيا والآخِرةِ .. لا يَنبغي أن يَقنطَ ويَيأسَ مِن رحمةِ اللهِ .. كما لَا يَنبغِي للدعَاةِ والوعَّاظِ أن يُأَيِّسُوه مِن رَحمةِ الله.

* * * * *

وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ

467- [وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ]؛ نُبينُ الآياتِ بياناً في غَايةِ الوضُوحِ، والتَّفصيلِ، والشُّمولِ .. غايَةُ هذا البيانِ والتَّفصِيلِ الدَّقيق والشَّامِل؛ [وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ]الأنعام:55. لكي تَستبينَ طُرُقُ ومناهِجُ وأساليبُ المجرمين في حَرْبِهم للإسْلامِ والمسْلِمين .. وصَدِّ الناسِ عَن دِينِ رَبِّ العالمين .. فبيانُ طرُق المجرمين ومنَاهِجِهم ـ ما كان منها، وما يكُون، وما سيكُون وإلى قيامِ السَّاعةِ ـ غايةٌ عظيمةٌ من غايَاتِ البيانِ القُرآني؛

حتى لا يَلتَبِسَ أمرُ هذهِ الطُّرُقِ والمناهِجِ الباطلةِ على النَّاسِ .. وحتى يكونوا في كامِلِ الحذَرِ والوعي من خَطَرِهَا ومَرَامِيها .. وحتَّى لا يُعْذَر بالجهلِ مَن يأبَى إلا ركوبَها واتّباعَهَا، وتكثيرَ سَوادِها، وسوادِ أهلِها!

وفي الآيَةِ حَضٌّ صَريحٌ على ضَرورَةِ التَّفقُّهِ بسُبُلِ المجرمين، ومناهِجِهم وأفكارِهِم - وهو ما يُسَمَّى بفِقْهِ الواقعِ الذي يَنْفُرُ، ويُنَفِّرُ منه البعض! - ليتمَّ الحَذَرُ والتَّحْذِيرُ منها ومِن أصحَابِها .. إذْ كيفَ يَتمُّ اجتنَابُ شَيءٍ معَ الجهلِ به .. فجاهِلُ الشَّيءِ لا يُؤمَنُ عليه الوقوعُ في هذا الشَّيءِ، وتَبَنِّيهِ، وتَزْيينه .. وهو يحسَبُ أنَّه يُحسِنُ صُنْعاً!

468- [وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ]الأنعام:55. مِن عجائبِ القُرآنِ الكريم وإعجازِه أنَّ ما مِن معركةٍ تُدَارُ بينَ الحقِّ والباطِل .. وفي كل زمَانٍ ومَكانٍ .. إلَّا وتجدُه يُبيّنُ للحقِّ وأهلِهِ خبَايَا، وطُرُقِ ومكائدِ المجرِمين .. ويمشِي مع المؤمنين في جميعِ مراحلِ صراعِهم معَ المجرِمين؛ يَهديهم ويرشدُهم .. ويُضيءُ لهم الطريقَ .. ويبيّنُ لهم السَّبيلَ .. ويُسدِّدُ لهم الوجْهَةَ والخُطَا!

* * * * *

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ

469- [قُلْ]؛ للكافِرين الذين يَدْعُونك إلى عبادَةِ غيرِ الله تعالى .. وهم فاعِلُون لا محالَةَ؛ إمَّا عن طَريقِ الترغيبِ، أو الترْهِيبِ، [إِنِّي نُهِيتُ]؛ والنَّاهِي هنا هو اللهُ سُبحانه وتعالى، [أَنْ أَعْبُدَ]؛ أنْ أصرفَ العبادةَ؛ أي نوعٍ من أنواعِ العِبادةِ؛ سواءٌ كانت عبادَةَ الطَّاعَةِ، أم عبادَةَ المحبَّةِ، أم عِبادَةَ الدُّعاءِ، أم عِبادَةَ السُّجودِ والركوعِ والخضُوعِ، والخَشْيةِ، أمْ عبادَةِ النَّذْرِ، [الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ]؛ الذين تَعبدُون، وتَصرفُون لهم العبادَةَ مِن دُونِ اللهِ، [قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ]؛ فيما تَدعونَني إليه من الشِّرْكِ، وعبادَةِ غيرِ اللهِ .. فأنتم في شركِكُم وعبادتِكم لغيرِ اللهِ ليسَ لكُم دَليلٌ من النقْلِ

والعَقْلِ .. سوى اتباعِ الهوَى بغيرِ عِلم، [قَدْ ضَلَلْتُ إذَاً]؛ عن الحقِّ، وعن الإيمانِ، والصراطِ المستقِيم إن اتبعتُ أهواءَكم فِيما تَدعونَني إليه، [وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ]الأنعام:56. إلى الإيمانِ والتوحيدِ، وإلى الصراطِ المستقيمِ؛ الذي فيه نجاتي يومَ الدِّين.

* * * * *

مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ

470- [مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ]الأنعام:57. جرَت عادَةُ الكافِرين مِن قَبل، واليَوم، أن يُطالِبُوا بدليلٍ على وجُودِ اللهِ تعالى، وأنَّه تعالى المعبُودُ بحقٍّ؛ باستعجَالِهم نزُولَ العذَابِ بهم كبُرهانٍ تَطمئن إليه نفُوسَهم على صِدقِ دعوةِ الأنبياءِ والرسُلِ .. كلُّ هذه الآياتِ المبثُوثَةِ في الكَون، وفي الكتَابِ المسْطُورِ المقرُوء، وفي أنفُسِهم، وفي المعجزاتِ التي يُجريها اللهُ تعالى على أيدِي الأنبياءِ والرُّسُل .. لا يجدُون فيها جواباً عمَّا يُريدونَه، ويَبحثونَ عنه، وعمَّا يُطَالِبُون به من الإيمانِ، سوَى أن يُنَزِّلَ اللهُ عليهم عذاباً مِن عِندِه، يَعيشونَه بأنفسِهم، ويُشاهِدُونه بأعينِهم .. فَلا يَطمئنُّون إلى صِدقِ دَعوةِ الأنبياءِ والرسلِ إلَّا بعد نزولِ العذَابِ بهم .. وهذا مِن شَقائِهم، وجهلِهم، وسَفاهتِهم .. وفاتَ هؤلاء الأشقيَاءِ الجَهَلَة أن الحكَمَّ فيما يَسألُون عنه، ويُطالِبُون به ـ وفي غَيرِه ـ للهِ تعالى وحدَه، وليسَ لأحَدٍ مِن عِبَادِه .. فاللهُ تعالى إن شاءَ أنزلَ العذابَ بهم، وإن شَاءَ لم يُنزلْ العذَابَ .. ولَا مَانعَ، ولَا رَادَّ لمشيئتِه شَيء .. ثم لو أَنزَلَ بهم العذَابَ، وأخذَهم به، فإنهم يُحرَمُون فرصَةَ التَّوبَةِ والهِدَايَةِ .. وهذه نتيجةٌ لَا يُطالِبُ بها، ويتمَنَّاهَا إلَّا شَقيٌّ سَفِيه!

* * * * *

وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ

471- [وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ]؛ وهي خمسٌ، كما في الحديث الصحيح:" مَفاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُها إلَّا اللَّهُ: لا يَعْلَمُ ما في غَدٍ إلَّا اللَّهُ، ولا يَعْلَمُ ما تَغِيضُ الأرْحامُ إلَّا اللَّهُ، ولا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أحَدٌ إلَّا اللَّهُ، ولا تَدْرِي نَفْسٌ بأَيِّ أرْضٍ تَمُوتُ، ولا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إلَّا اللَّهُ "البخاري. [لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ]؛ ومَن ادَّعَى علمها مِن دُونِ اللهِ فهو كاذبٌ، وكافِرٌ، قد ادَّعَى خاصيَّةً مِن خصُوصياتِ اللهِ تعالى وحدَه، [وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا]؛ كامِلُ العِلْمِ والإحَاطَةِ الشَّامِلَةِ لكلِّ شيءٍ، الذي لا يَخْفَى عليه شيءٌ من مخلوقاتِه مهمَا كان دَقِيقَاً وخَفيَّاً، [وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ]الأنعام:59. إلا وهو معلومٌ ومدوَّنٌ في اللوحِ المحفوظِ قبلَ أنْ يُخلَق .. لَا يُوجَد شيءٌ في الوجُودِ مهمَا كان دَقِيقَاً وخَفيَّاً عبَثاً مِن غيرِ غايةٍ ولَا عنايةٍ ولَا رقابَةٍ .. أو يخرجُ عن عِلمِ اللهِ، وقدرَتِه، وإحَاطَتِه، وإرادتِه .. بما في ذلك الإنسانُ، وأعمالُه الظَّاهرةِ، والباطِنَةِ .. وهذا لكمالِ علمِه، وقدرَتِه، وإحاطَتِه بالأشياءِ، وكمالِ أسمائِه الحُسْنى، وصِفاتِه العُلْيَا سُبحانَه.

* * * * *

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

472- [قُلْ]؛ الأمرُ موجَّه إلى النبي محمدٍ صلى عليه وسلم مِن ربِّه، وإلى كلِّ مؤمنٍ آمَنَ واتبعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، أُمِرُوا بأن يَقولُوا للكافِرين عند مُحَاجَتِهم، وبيانِ ضَلالِهم:[مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ]؛ عندما تُداهمكم الأخطارُ، والخطُوبُ، والمهالِك، وتَضلُّون طريقَ النَّجاةِ، سواءٌ كنتم في البرِّ أم كنتم في البَحرِ .. إلى

مَن تَلتجئون، وتَتضرَّعُون، ليكشفَ عنكم الضُّرَّ، والكَرْبَ، إلى آلهتكم التي تعلمون ضَعْفها وعجزَها عن إغاثتِكُم، أمْ إلى اللهِ الواحدِ القَدِير؟! [تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً]؛ تتوجَّهون إلى اللهِ تعالى بالدعاءِ في الجهرِ والخفَاءِ، لعلِمكم ويَقينِكُم أنه تعالى وحدَه القادِرُ على أن يَصرفَ عنكم البلاءَ والكرْبَ، والضُّرَّ .. فلا تتذَكَّرون عِندَ الشَّدائدِ إلا اللهَ، وتَنْسونَ مَا سِواه، [لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ]؛ فقطْ هذه يا رب .. هذا الكرب، والضِّيق فقَط .. ثم بعدَها نعاهدُكَ يا الله [لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ]؛ بأن نتوبَ، ونكونَ من الموحِّدين العَابدِين المخلِصين .. ونقلع عن الشركِ، وعبادَةِ ما سواكَ الذين لا يَنفعوننا في شيءٍ، ولا يَقدرُون، [قُلِ اللّهُ]؛ وحْدَهُ، [يُنَجِّيكُم مِّنْهَا]؛ مِن هذا الكَرْبِ، والخَطَرِ الذي أنتم فيهِ، وتَستغيثُون مِنه، [وَمِن كُلِّ كَرْبٍ]؛ ومِن كلِّ كَرْبٍ وغَمٍّ سواه، [ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ]الأنعام:63-64. ثم أنتم تَنسون مَا قَطَعتُم على أنفُسِكُم .. ومَا قَد عاهَدتُم اللّهَ عليه .. فتَعودُونَ مِن جديدٍ إلى الشِّركِ، والعِصيانِ .. إلى عِبَادةِ ودُعاءِ الأوثَانِ، والطواغيتِ، والقُبُور، التي لا تجلبُ لكم نفْعَاً، ولا تَدفعُ عنكم ضرَّاً؟!!

في الشَّدائدِ يَقولُ الناسُ: يا الله .. وفي الرخَاءِ، وإقْبالِ النِّعَم، يَغلُب على النَّاسِ الغَفْلَةُ، واللهو، واللَّعِبُ، والعصْيَان!

* * * * *

قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ

473- المؤمن يُعرَف إيمانُه وثباتُه في بلاءِ الرخاءِ والخير، أكثر مما يُعرف في بلاء الشدَّةِ والحاجة؛ ففي بلاء الشدة، الكل يلتجئ إلى الله تعالى؛ يسأله العون والفرج، بما في ذلك الكافر: [لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ]الأنعام:63. ثم يتفرقون، ويتباينون في بلاء الرّخاء، والخير. فإذا رُفع عنهم بلاء الشدة، وعادوا من جديدٍ إلى بلاء

الخير، والرخاء، عادُوا إلى ما كانوا عليه من النسيان، واللهو، والنكران [قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ]الأنعام:64. ثم تَعودُون من جَديدٍ إلى الشِّركِ؛ فتَعبدُون آلهةً لم تنفعُكُم في الشِّدَّةِ، ولن تَنفعُكُم في الأمْنِ والرَّخَاء!

* * * * *

لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

474- [لِّكُلِّ نَبَإٍ]؛ لكلِّ خبرٍ أخبرَ به اللهُ تعالى، وأخبرَ به نبيَّه محمَّد صلى الله عليه وسلم .. سواءً كان في الدُّنيا أم كان في الآخِرةِ، وسواءً كان مِن شؤونِ الدُّنيا أمْ مِن شؤونِ الآخِرَةِ، [مُّسْتَقَرٌّ]؛ موعِدٌ لا يتَخَلَّف .. لا محالَة واقعٌ ومحقَّقٌ في زمانِه، ومكانِه المحدَّدَين والمقدَّرَين، لا يتأخَّرُ ولا يتقدَّم .. فإذا أرَادَ اللهُ شَيئاً جَمَعَ له أسْبَابَه .. وكانَ حسَنُ البَصْرِي يقول:" حُبِسَت عقُوبَتُها حتَّى إذا عُمِلَ ذَنْبُها أُرْسِلَت عقُوبَتُها ". [وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ]الأنعام:67. حَقيقةَ ذلك عِندما تَرونَه عينَ اليَقين .. فيُسَاءُ الكُفَّار بوعيدِ اللهِ، ويُسرُّ المؤمنون بوَعْدِه.

* * * * *

وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

475- [وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا]؛ إذا رأيت الكافرين يستهزئون بالقرآنِ الكريم، وبآياتِه، وأحكامِه .. ويُكذِّبونه، [فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ]؛ لا تجلسْ معهم ابتدَاءً، ولا تَقترب منهم، ولا تلتفِتْ إليهم .. إعراضٌ مع إدْبارٍ .. فإن كنتَ جالِساً معهم فاخرجْ من مجلسِهم، [حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ]؛ غير حديثِ الطَّعْنِ، والاستهزاءِ، والتكذيب، [وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ]؛ النهيُ عن مجالسَةِ المستهزئين المكذِّبين، [فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى]؛ فالنسيان يرفع المؤاخذة، أما بعد الذِّكْرَى فلا عذْرَ .. يجبُ مباشرةً أن

تخرجَ، وأن لا تَقعد [مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]الأنعام:68. الذين يَستهزئون، ويُكذّبون بالقرآنِ وآياتِه، وأحكامِه.

ونحو مجالسِ الطَّعنِ، والاستهزاءِ، والتَّكذيبِ .. المجالسُ التي تُدار فيها المعاصِي، أو تتخلَّلها المعاصِي؛ أيضَاً يجبُ اعتزالها، وعدم الجلوسِ مع العُصاةِ في مجالسِ المعصيةِ .. فالمرءُ بالنسبةِ لمجالسِ المعصيةِ مخيرٌ بين أمرَين: إمَّا أن يُنكرَ على العُصَاةِ، والمكذّبين، تَكذيبَهم وعصيانَهم، فإن لم يَستطعْ، أو فعلَ ثم لمْ ينتهُوا؛ فاستمرُّوا في الطَّعنِ والاستهزاءِ، والعُصيانِ .. حينئذٍ يأتي الخيارُ الثاني؛ وهو اعتزالُ مجالسِهم وعدمِ القُعُود معهم .. فإن لم يفعلْ هذا، ولا ذَاك .. ولم يكُن ناسِياً لحكمِ النهي عن مجالستِهم في مجالسِ الطَّعنِ، والمعصيةِ .. حينَذٍ يكونُ الجالسُ معهم له حُكمهم، وحُكم المعصيةِ التي يَقترفونَها في المجلسِ؛ لأن الجلوسَ معهم من غيرِ إنكارٍ، ولَا قِيام، ولا إكراهٍ .. علامَةٌ على الرضَى، والرضَى بالشيءِ كفاعِلِه.

476- [وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]الأنعام:68. في كَثيرٍ مِن الأحيَانِ تحتَ عنوانِ حُبِّ وحريَّةِ الاطِّلاعِ .. والغُرُور والإعجاب بالنَّفْسِ، وبالرَّأي .. يقتَحِمُ الإنسانُ ـ قَبلَ أن يتمكَّنَ مِن أساسيَّاتِ الدِّين ـ مجالسَ البَاطِل والبِدَع والأهوَاءِ .. ويجعَلُ مِن نفْسِه عُرْضَةً لباطِلِهم، ولأوسَاخِهم، وشُبهاتِهم .. فيَدخُلُ إليهم موحِّدَاً، ويخرجُ من عندِهم مُشركاً .. فيَدخلُ إليهم مُطمئناً مُستيقِناً بالحقِّ، ويخرج شَاكَّاً مُرتاباً بالحقِّ، ومُشَوَّشاً .. ويَدخُلُ إليهم سُنيَّاً، ثم يخرجُ مِن تلك المجالِس مُعادياً للسنَّةِ، ومِن أهلِ الأهواءِ والبِدَع .. وهو مثَلُه في ذلك مَثل مَن يُدخِلُ رأسَهُ جُحْرَ أفْعَةٍ ثم تُسولُ له نفسُه الأمَّارَة بالسُّوءِ أن ذلك لا يَضرُّه، وأنَّهُ فوقَ أن يتأثَّر بِسُمِّ الأفْعَةِ .. لأجْلِ ذلك كُلِّه جاءَ النَّهي عن مجالَسَةِ الظَّالمين، والاستماعِ إليهم ..

وفي الحديثِ:" سَتكُونُ فِتَنٌ مَن يُشْرِفْ لها تَسْتَشْرِفْهُ "البخاري. أي مَن يتَعَرَّض لها، ويُشَارِك فِيها، تُهلِكْهُ وتَغلُبُه!

* * * * *

كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ

477- [كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ]؛ كالَّذي تَميلُ الشَّياطينُ ـ شياطينُ الأنسِ والجنِّ ـ إليه، وترغَب بإغوائِه، وإضلالِه، وتَسييرِه، واستعمَالِه في الاتجاهِ الذي يُريدُون .. فحرَفَته عن الطَّريقِ الصَّحيح والمستقيم، وجعلَته يَسيرُ بَعدَ هِدَايَةٍ، [فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ]؛ تَائهاً ضالاً لطريقِ الحقِّ والهداية .. تتنازَعُه الطُّرقُ والمشارِبُ، والأهواءُ؛ تَارَةً يَتيَامَن، وتَارةً يتشَاءَم، وتَارَةً يتقدَّمُ، وتارةً يتأخَّر .. تَارَةً تراهُ مُلحداً، وتَارةً تراهُ ليبراليّاً متحلّلاً، وتارَةً تراهُ مشركاً يعبدُ مع الله آلهةً أُخرَى، وتارةً تراه يَعبدُ الشيطانَ صَراحَةً .. فتَاهَت به الدُّرُوبُ؛ لَا يَهتدي إلى الطريقِ الحقِّ الموصلِ إلى النَّجاةِ .. كلُّ شيطانٍ يَدعُوه إلى مَذهبِه واتجاهِه، ويُزيّن له مَذهبَه، وكُفرَهُ، وضلالَه .. وهو في هذا التّيه والضَّياعِ؛ تتنازَعُه الأهواءُ، والطرقُ، كمن يتخطَّفُه الطيرُ؛ كل يأخذُ منه مُزْعةً لنفْسِه، [لَهُ أَصْحَابٌ]؛ مؤمنُون، مخلصُون له، يحبُّون له الخيرَ، يَصْدُقُونَه النَّصيحَةَ، ولا يتخلَّون عنه، [يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا]الأنعام:71. يُنادُونَه أن قَد ضَلَلْتَ الطَّريقَ .. الطريقُ الصَّحيحُ الموصِلُ إلى النَّجاةِ؛ هو ما كنتَ عليه من الهدَايَةِ والإسلامِ .. ما نحنُ عليه، ومِن حيثُ نحنُ نَسير .. لَا مِن حيثُ أنتَ تَسير .. وانتَهى بِك المسِيرُ .. إلَّا أنَّ الشياطِين ـ بعدَ أن استملكَتْه واستعبدَتْه ـ تكونُ أكثرَ تَأثيراً عليه، من أصحابِه المؤمنين .. وهذَا مَثَل كلُّ مَن يَرتدُّ عن الإسلامِ، وتتمكَّنُ مِنه الشَّياطينُ، بعد أن ذاقَ طعمَ الإيمانِ .. وله أصحابٌ من المسلمين

يحرصُون عليه .. ويحزنُون، ويقلقُون لأجلِه .. يُنادُونه كلَّما سنَحَت لهم فرصَةٌ أن " ائتِنَا "، هلمَّ إلينَا، فبَابُ التَّوبَةِ والأَوبَةِ مفتُوحٌ لك!!

478- [قُلْ]؛ بعزَّةٍ، وشُموخٍ، وبصوتٍ مُرتفِعٍ، ومِن دُون أدنَى تَردُّدٍ، أو وَجَل، [إِنَّ هُدَى اللهِ]؛ إن دينَ اللهِ الإسْلام، حَصْراً، وقَصْراً [هُوَ الْهُدَى]الأنعام:71. هو الدِّينُ الحقُّ، الذي ليسَ بعدَه إلَّا التِّيه والضَّلَال، والضَّيَاع!

479- [وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ]الأنعام:71. أَمَرَنَا اللهُ خَالقُ الخَلْقِ، ورَبُّ العَالَمِين، الذي له الأمرُ كُله ـ فالذي له الخَلْقُ هو الذي له الأمْر ـ أن نَسْتسلمَ، ونخضَعَ لأمرِ اللهِ، طَائِعِين، مختَارِين، محبِّين، ومخلِصين.

* * * * *

وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاةَ

480- [وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاةَ]الأنعام:72. لم يَرِد الأمْرُ بالصَّلاةِ مجرَّداً مِن دونِ أن يَتقدَّمَه أمرٌ آخَر [أَقِيمُواْ]؛ الذي يُفيدُ اتقَانَ الصَّلاةِ، وإقامَتها بأركانِها، وواجِبَاتِها، وتَحقِيقَ الخُشُوعِ فيها .. وهو الجانِبُ المرَادُ والأهَمُّ في الصَّلاةِ .. والذي من دُونِه لا تُقْبَلُ الصَّلاةُ، ولا تتَحَقَّقُ الفائِدةُ المرجوَّةُ مِنها!

481- الصَّلاةُ هي بمثَابَةِ زيارَةِ العَبْدِ المخْلُوقِ لخالِقِه ومَعْبُودِه .. والوقُوفِ بين يَدَيْهِ .. وعلى العَبدِ الزَّائِرِ أن يتعَلَّمَ أدَبَ الزِّيارَةِ قبلَ أن يَزورَ خَالِقَه .. وهذا لا يَتحَقَّقُ له إلا إذَا حَقَّقَ واستَوْفَى مَعْنَى [أَقِيمُواْ].

* * * * *

قَوْلُهُ الْحَقُّ

482- [قَوْلُهُ الْحَقُّ]الأنعام:73. قَولُ اللهِ، وحكمُه، وأَمرُه هو الصَّادِقُ، الصَّائبُ، المطابِقُ للواقعِ، النَّافِذُ الذي لا يتخلَّف .. ليسَ بعدَه إلا الباطِلُ والضَّلَال .. وهو القَولُ الفَصْلُ، والحقُّ، والميزَانُ؛ الذي به تُوزَن الأشيَاء، وإليه تُردُّ الحقائِقُ، والمفَاهِيم، والمعَاني .. فيُعرَفُ الحقُّ مِن الباطِل، ويميز الخبيث مِن الطَّيب.

* * * * *

فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ

483- [فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ]الأنعام:76. استدَلَّ إبراهيمُ عليه السلام على بُطلانِ ألوهيَّةِ وربُوبيَّةِ النَّجْمِ، والقَمَرِ، والشَّمسِ، وغيرها ممَّا يُعبَد مِن دُونِ اللهِ .. بأنَّها تَغيبُ عن الأَشْهَادِ .. بينَمَا الإلهُ الحقُّ الذي يجبُ أن يُعبَد هو الإله الذي يَكُون شَاهِدَاً على كلِّ شيءٍ .. ورَقيباً لكلِّ شيءٍ .. لَا يَغيبُ عنه شَيءٌ .. يَسمَعُ ويَرَى كلَّ شيءٍ .. لَا يَخفَى عليه شَيء، في ليلٍ كان أو في نهارٍ .. وهذه صِفَاتٌ لا يتَّصِفُ بها إلَّا اللهُ الواحِدُ الأحَد.

* * * * *

أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ

484- [وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ]؛ جادَلَ الملأُ مِن الكفارِ إبراهيمَ عليه السلام في إيمانِه ودعوتِه إلى اللهِ، وإلى توحيدِه، وعبادتِه .. يُريدُون بجدالِهم أن يُبطلُوا دعوتَه، والحقَّ الذي جاءَهم به من عندِ ربِّه، وأن يُحِقُّوا باطلَهم، ودعوتَهم إلى عبادةِ الأصنامِ والطواغيتِ .. هذا الجدالُ لم يتوقَّفْ عند إبراهيم عليه السلام مع قومِه .. بل هو ممتدٌّ ليشملَ جميعَ الأزمنةِ والأنبياءِ والرسلِ معَ أقوامِهم، ومَن أُرسِلُوا إليهم .. بمن فيهم خاتم الأنبياءِ والمرسَلين محمدٌ صلى الله عليه والسلام .. فالجدالُ بين الكافرين المشركين الملحدِين

وبين المؤمنين الموحِّدين لا يزالُ قائماً حولَ مَن هو المعبُود بحقٍّ في الوجُودِ، اللهُ، أم الأصنامُ والطواغِيت .. مَن هو المُطاعُ لذاتِه، والمحبوبُ لذاتِه، اللهُ، أم الأصنامُ، والطواغِيت؟! [قَالَ]؛ إبراهيم عليه السلام في ردِّه على كفَّارِ قومِه، [أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ]؛ أتجادلونني في إيماني باللهِ العظيم، وأنه وحدَه الربُّ والمألوه المستحقُّ للعبادَةِ، الذي يجبُ على العبادِ أن يَصرفُوا له العبادَةَ دونِ غيرِه .. وتريدون مِني أن أنصرفَ وأعدِلَ عن عبادَةِ اللهِ تعالى إلى عبادَةِ أصنامِكم وطواغِيتكم؟! [وَقَدْ هَدَانِ]؛ بعد أن هداني اللهُ إلى الحقِّ، إلى نعمةِ الإيمانِ والإسلامِ .. وبعد أن تذَوَّقتُ حلاوَةَ ولذَّةَ التَّوحيد؟![وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ]؛ هكذا شأنُ الكافِرين عندما يَفتقدُون الحجةَ في مواجهةِ الحقِّ .. يَلتجِئون إلى التَّخويفِ والتَّرهيبِ؛ التخويفُ من أصنامِهم، وطواغيتِهم .. يهدّدون المخالفينَ لهم بالقَتْلِ، والسَّجنِ، والطَّردِ، والتَّعذيبِ، والأذَى .. والواجبُ حينئذٍ على المؤمنِ أن يقولَ لهم: لا أخافُ شَيئاً مما تخوفونَني به .. لا تَقدرُون ـ ولا أصنامُكم وطواغيتكم ـ على إنزالِ الضُّرِّ بي، [إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً]؛ إلا أن يشاءَ ربي الذي خَلقني شَيئاً من ذلك؛ اختباراً وامتحاناً لي، فهو وحده القادِرُ على أن ينزِّلَ الضرَّ بمن شاء من عبادِه، ويدْفَعَ الضُّرَّ عمَّن يَشاءُ .. فأنا لا أخافُ إلا الله، ولا أرجُو إلا الله، [وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً]؛ كلَّ شيءٍ، وأيُّ شيء، وأين كان موقعُ هذا الشيء، سواءٌ كان ظاهراً أم خفياً باطناً .. فالله يعلمُه لا يخفَى عليه شيء .. يعلمُ مكانَه .. وزَمانَه .. وحاجَتَه .. وأحوالَه .. وتَقلباته .. وأطواره .. وقادرٌ عليه .. بينما آلهتكم وأصنامُكم، وطواغيتُكم لا يعلمون شيئاً مِن ذلك، [أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ]الأنعام:80. أفلَا تؤمنُون وتوحِّدُون اللهَ تعالى، وتُقلعُون عن شركِكم، وباطِلِكُم؟!

* * * * *

وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ

485- [وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ]، تخوفُونَني آلهتكم، وأصنامكم، وطواغيتكم .. الذين لا يملكُون نفْعاً ولا ضرّاً؟! [وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِ]؛ فعبدتم مِن دُونِه آلهةً أُخْرَى .. عبدتم أصناماً، وطواغيتاً لَا يملكُون لكم نفْعاً ولا ضُرّاً .. وكان الأحْرَى بكم أن تخافُوا أنتم عواقِبَ شركِكم باللهِ .. أن يُنْزِلَ اللهُ بكم عذَابَه وعِقابَه في الدُّنيا، والآخِرَة، وهو القَادرُ على كلِّ شَيءٍ، [مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً]؛ عبدتم هؤلاءِ الأوثَانِ والطواغيتِ مِن دُونِ اللهِ بغيرِ عِلمٍ، ولا بُرهان وحجَّة مِن اللهِ .. وهذا ممَّا يَشتدُّ له الإنكارُ، [فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ]؛ بأن يكونَ آمناً مِن عذَابِ اللهِ وانتقامِه نحنُ الذين نعبدُه، ونوحّدُه، ولا نُشْرِكُ به شَيئاً، أم أنتم أيُّها المشركون الكافرون الذين أشركْتُم معَ اللهِ آلهةً أُخْرَى لَا تَنفَعُ ولَا تَضرُّ .. لَا شَكَّ أن المؤمنين الموحّدين هم أوْلَى بالأمْنِ والسَّلامَةِ مِن غيرِهم، بل لَا أمْنَ ولَا سَلامَةَ إلا لهم، [إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ]الأنعام:81. هذه الحقِيقة التي دَعَتْ إليها جميعُ الأنبياءِ والرُّسُلِ .. ودَلَّت عليها جميعُ أدلَّةِ النقْلِ والعَقْلِ.

* * * * *

الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ

486- [الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ]؛ أي بِشِرْكٍ أكْبَر، فالشرْكُ أظلَمُ الظلمِ، وأكبرُ الكبائرِ .. وهو ظُلمٌ عظِيم .. لا يجتمعُ معَ الإيمانِ في قلبِ امرِئٍ أبَداً .. فالمؤمنُون الذين لَمْ يخالِطُوا إيمانَهم بشرْكٍ أكبر، [أُوْلَئِكَ]؛ تحديداً لا غيرهم، [لَهُمُ الأَمْنُ]؛ السَّلامَةُ، ولهم الأمْنُ؛ فلا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزَنُون، [وَهُم]؛ تحدِيداً لا غيرهم، [مُّهْتَدُونَ]الأنعام:82. إلى الحقِّ، وإلى صِراطِ اللهِ المستقِيم الذي يُؤدِّي بهم إلى النجاةِ، والسلامَةِ، والأمْنِ، والأمَانِ، في الدُّنيا والآخِرَة.

* * * * *

ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

487- [ذَلِكَ هُدَى اللهِ]؛ أي هذا هو الهُدَى الحق؛ هُدَى الله، الذي ليسَ بعدَه إلَّا الضَّلال، والباطِل، والضَّيَاع، [يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ]؛ يَهدي به الأنبياءَ والرسلَ، وأتباعَهم من المؤمنين إلى الحقِّ والتَّوحِيد، [وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]الأنعام:88. وهؤلاء المؤمنين افتراضاً لو أشْرَكُوا باللهِ، وعبَدُوا مع اللهِ آلهةً أُخْرى، أو صرَفُوا شيئاً من العبادةِ لغيرِ الله تعالى، لبطُلَت أعمالُهم الحسَنَة، ولم يَعدْ يَستفيدُون منها شيئاً .. فالشرْكُ يُدَمِّرُ العملَ الصَّالحَ ويُبطلُه، ويُفسدُه، كأنَّه لمْ يكُنْ .. وفي هذا تخويفٌ شَديدٌ مِن الشرْكِ، ومِن اقترافِه، أو الدُّنو مِنه .. ودعْوةٌ للمؤمنين أن يكونوا شَديدي اليقظَةِ والحذَرِ مِن الشِّركِ، وأن يتفقَّهُوا بأنواعِ الشِّرْكِ ومَا يؤدِّي إليها؛ حتى لا يَقَعُوا في الشرْكِ وهمْ لا يَدرُون .. وأن لا يغرَّهم ما كان مِنهم مِن عمَلٍ صالحٍ .. فالعمَلُ الصالحُ لا يَتشفَّعُ ولا يَنفعُ معَ الشرْكِ الأكبَرِ.

* * * * *

أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ

488- [أُوْلَئِكَ]؛ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وأصحابُه الكِرَام رضيَ اللهُ عنهم، [الَّذِينَ هَدَى اللهُ]؛ هَدَاهُم إلى الحقِّ، وإلى الصِّراطِ المستقِيم، [فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ]الأنعام:90. إذا أردتَ النَّجاةَ، والسَّعادَةَ في الدَّارَين اقتدِ بِهم، اعتقَادَاً، وقَولاً، وعمَلاً، وتَعبُّدَاً، وأخلاقَاً .. والأمرُ هنا يُفيدُ الوجُوبَ .. وهذا يقتَضي مِنك أن تتفَقَه بسيرَتِهم، وفقهِهِم، وأدَبِهم، وأخلاقِهم .. لأن الاقتِدَاء يجبُ أن يتقدَّمَه العِلمُ، فَلَا اقتِدَاءَ مِن غَيرِ عِلمٍ .. ومَالَا يتمُّ الواجبُ إلَّا به فهو واجِب.

* * * * *

قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً

489- [قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً]الأنعام:90. أي على تبليغِ القُرآنِ، وأحكَامِه. وقال تعالى:[وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ]هود:29. والعلماءُ ورثةُ الأنبياء، ومن إرثِ الأنبياءِ الذي ينبغي أن يحرصَ عليه العلماءُ، عَدمُ الأكلِ بالدِّين، أو اشتراط الأجْرِ على تَبْليغِ الدِّين.

الدَّاعيةُ إلى اللهِ كلَّما تجرَّدَ في دعوتِه عن حظُوظِ النفس، وعن طلَبِ المُقَابِل، كانت لدعوتِه أثراً طيباً وكبيراً في نفوسِ المدْعوين .. وكان العوَضُ له من اللهِ تعالى أكبر وأعْظَم.

* * * * *

وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

490- [وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ]؛ ما عظَّمُوا اللهَ تعالى حقَّ التَّعظيم، ومَا وقَّرُوه حقَّ التَّوقيرِ الذي يَستحقُّه، [إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ]الأنعام:91. عندما يَقولُ الكفَّارُ والملحدُون الجاحِدُون ما أنزلَ اللهُ تعالى الكتَابَ على أحدٍ من رُسُلِه .. ويجحدُون أن اللهَ تعالى قد أنزلَ القرآنَ على قلبِ رسولِه محمد صلى الله عليه وسلم .. لأنَّ هذا النوع من الجحودِ يتضمَّنُ الانتقاصَ مِن عظَمَةِ الخالِقِ سُبحانه وتعالى؛ إذْ كيفَ لبَشرٍ أن يَدَّعِي أن اللهَ تعالى قد أنزلَ عليه الكتَابَ .. ويتلُو آياتِه على الناسِ .. ويتَّبعه الناسُ .. وتَنتشرُ دعوتَه بينَ الناسِ .. وهو في نفسِ الوقتِ يَكذِبُ في دعواه على اللهِ .. واللهُ تعالى يَراهُ ويَسمعُه .. ثم يدَعه لسنواتٍ وعقُودٍ من غيرِ انتقامٍ ولَا عِقابٍ .. بل يُباركُه وينصُرُه، ويُؤيدُه بالآياتِ والمعجزاتِ الباهِراتِ .. هذا عينُ الطعنِ والاستخْفَافِ بالخالقِ سُبحانه،

وبأسمائِه الحُسنى، وصِفاتِه العُلْيَا التي تَأبَى أن يقرَّ أو يُمهلَ أو يُباركَ مثلَ هذا النوعِ من الكذبِ عليه!

491- [وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ]الأنعام:91. مَا عَرَفُوا اللهَ حقَّ المعْرِفَةِ، ومَا عَظَّمُوه حَقَّ التَّعْظِيمِ، ومَا عَبَدُوه حَقَّ العِبَادَةِ،؛ فتَجَرَّأُوا على مَعْصِيَتِهِ .. وخَافُوا مِن المخلُوقِ أكثَرُ ممَّا يخافُون منه .. وعَبَدُوه عِبَادَةَ الجهَّالِ، والسُّفهَاءِ، والحمْقَى .. إذَا دَخَلُوا في صَلاةٍ لَا يَعقلُون منها ثلثها ولا رُبعها، ولَا أقَلَّ مِن ذَلِك .. يَذكرُون فِيها كلَّ شَيءٍ إلَّا الله .. يَذكرُون اللهَ بألسِنَتِهم، ويَذكرُون غيرَه بقلُوبِهم .. واللهُ يَعلمُ مَا في قلُوبِهم، ويَنظُرُ إليها، وغَيرُه لَا يَعلمُ مَا في قُلُوبِهم!

قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ

492- [قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ]الأنعام:91. مَن الذي خلَقَ الخلْقَ، وقَدَّرَ المقَادِير، ثم هَدَى .. ومَن أرسَلَ الرُّسُلَ، وأنزلَ الكتُبَ .. لَمَن المُلْك على الحقِيقَةِ .. وبالتَّالي مَن هو المعبُودُ بحقٍّ .. [قُلِ اللّهُ]؛ فأجِب عن كلِّ هذه الأسئلةِ - وغيرها من الأسئلةِ المتعلِّقة بالحقائقِ المطْلَقَة، وبكلِّ وضُوحٍ - بأنَّه اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له .. فإن كَذَّبُوا، وأعرَضُوا، وعارَضُوا، واستهزَؤوا، [ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ]؛ فهم في تَكذِيبِهم، وإعراضِهم، واستهزائِهم، وخوضِهم فِيمَا لا يَعلمون، لَا يَعدُون عن كونِهم يَلعبُون، وأنَّهم في لَعِب، ولهوٍ .. فإن أطالُوا الجِدالَ في الباطِلِ، دَعْهم، ولَا تَقِفْ عندَهم، وعندَ لعِبهم، وتَكذِيبِهم كثيراً .. ولَا تَقلَقْ مِن أجلِ ذلك؛ فاللهُ تعالى لهم بالمرصَادِ، ولَن يفلتُوا مِن عِقابِه وانتِقَامِه.

* * * * *

وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ

493- [وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ]الأنعام:94. مَهمَا أُعْطِيتَ، ومَهمَا جمَعْتَ، وأكثَرْتَ مِن زِينَةِ ومتَاعِ الدُّنيَا، وسَكَنْتَ القُصُورَ، فإنَّك ـ رَاغِماً، وحَتْماً ـ تَارِكُه، ومودِّعه، ومُفَارِقُه .. تَارِكُه خَلفَكَ في دُنْيَاك؛ لَن يَتبَعَك مِنه شَيءٌ، ولَن تَأخُذَ مِنه شَيئاً لآخِرَتِك .. إلَّا مَا تَصَدَّقْتَ، وأنفَقتَ في سَبيلِ اللهِ، وكان مِن كَسبٍ حَلالٍ .. فكما أتيتَ الدُّنيا عارِياً مِن كلِّ شيءٍ، ستخرجُ مِنها، وستُبعَث يومَ القِيامَة عارياً مِن كلِّ شَيءٍ، كَما ولدَتك أُمُّك .. فعَلامَ تَنشغِلُ بما سيزُولُ عنك، وتزولُ عنه، ويَنقَلبُ عَليكَ حَسَرَات، عن مَصيرٍ يَتربَّصُ بك، وقَادِمٍ عليه؛ لَا تَزولُ عنه، ولَا يَزولُ عنك أبَدَا .. فكيفَ تنشغلُ بالنِّعمةِ عن المنعِمِ، وعن شُكرِه، وعبادَتِه، وتَوحِيدِه؟!

* * * * *

قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ

494- [قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ]؛ حجَجُ، وبراهينُ، وآيَاتٌ باهِراتٌ .. تَهديكُم إلى الإيمانِ والتَّوحيدِ، والصراطِ المستقيمِ .. وتُبصِّركُم بالحقِّ، ومَا يُؤدِّي إليه، وبالباطِلِ، ومَا يُؤدِّي إليه .. وتُعَرِّفكُم على حقيقةِ الأشياءِ كما هي، [مِن رَّبِّكُمْ]؛ فالبَصَائرُ تُلتَمَس من اللهِ لا مِن غَيرِه .. مِن رَبِّكُم؛ الذي خَلقَكُم، وربَّاكُم، وأنشَأكُم وفقَ مشيئتِه، والعالمُ بما يَنفعُكم، ومَا يَضرُّكُم .. وهذا من تمامِ وكمالِ رحمةِ اللهِ تعالى بعبادِه، وكمالِ حجتِه عليهم؛ فلمْ يخلقْهُم من غيرِ بصَائر تُبصِّرُهم بحقائقِ الأشياءِ، أو خلقَهم ثمَّ تركَهم يلتمِسون البصَائرَ من غَيرِه ـ ممَّن لا يملكُون البصَائرَ ـ فيزدَادُون غَيَّاً وضَلالاً، [فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ]؛ فمَنْ أبصرَ بقلبِه الحقَّ، وآمَن بهِ، والتزمَه، فَنَفْعُ إيمانِه، وهِدايَتِه يرتدُّ على نَفْسِه، لا على غَيرِه .. لا يَصلُ شيءٌ منهُ إلى اللهِ؛ لكمالِ غِنَاه عن خلْقِه، وعَن أفعالِهم، [وَمَنْ عَمِيَ]؛ الحقائِقَ، فلمْ يُبصِرْهَا، وضَلَّ طَريقَ الهِدايةِ، [فَعَلَيْهَا]؛ فضَرَرُ عمَاه يرتدُّ على نفْسِه، لا على

غَيرِهِ .. فَلا تَجْنِي نفسٌ إلَّا على نفْسِها، [وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ]الأنعام:104. ومَا محمدٌ صلى الله عليه وسلم برقيبٍ عليكم، وعلى أعمالِكم يُحصِيها عليكم، ولا هو محيطٌ بها .. وبما خَفِي مِنها .. فلمْ يُرسَل مِن أجْلِ ذلك .. وإنما أُرْسِلَ إلى الناسِ كافَّة بَشيراً ونَذِيراً.

* * * * *

وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ

495- [وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ]الأنعام:108. إذَا كان المؤمنُ يَعلمُ أنَّهُ إذا سَبَّ آلهةَ المشركِين مِن الأصنامِ، والدَّوابِ، والطواغِيتِ .. سيُقابَل من المشركين بأن يَسبُّوا اللهَ تعالى .. لا يَنبغي ولا يجوزُ للمؤمنِ حينئذٍ أن يتَسبَّبَ بالسبِّ لله تعالى، وذلك أن المشركِين والكافرين لا يَعرفُون اللهَ تعالى، ومَا يجبُ له مِن التَّعظيمِ، والتَّوقِير، والإجْلالِ .. وهذا لا يمنعُ مِن الاستمرارِ في الدعوةِ إلى اللهِ تعالى، وإلى توحيدِه .. والاستمرارِ في بيانِ الحقِّ، وتعريةِ باطِلِ المبطلِين المشركين .. فإن تجرَّأ المشركون على سبِّ الله تعالى لمجرَّد الدعوةِ إلى اللهِ، وإلى عبادتِه، وتوحِيدِه .. فهذا ليسَ سَبَباً يَستَدْعِي التوقفَ أو الإقْلاعَ عنه .. وإلَّا لتوقَّفت الدَّعوةُ إلى اللهِ تعالى في الأرْضِ، كل الأرضِ!

* * * * *

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً

496- حقٌّ لا عدوَّ له، ولا يُريدُ أن يكونَ له عدوّاً، ليسَ حَقّاً، وعليه أن ينظرَ أين هو من الحقِّ الخالِص، قال تعالى:[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً]الأنعام:112. وقال تعالى:[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ]الفرقان:31.

497- [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ]الأنعام:112.
هذه العدَاوَةُ مِن شياطِين الإنسِ والجنِّ شاملةٌ لجميع الأنبياءِ والرسلِ .. ولجميع أتباعِ الأنبياءِ والرسلِ مِن المؤمنين، لَا تَسْتَثْنِي أحَدَاً مِنهم، وبخاصَّة ورثة الأنبياءِ مِن العلماءِ العامِلين .. كما أنَّها شامِلةٌ لجميع معاني العدَاوَةِ؛ الماديَّةِ مِنها، والمعنويَّةِ .. هذه العداوةُ بين الفريقَين مستمرَّةٌ منذُ أن خلقَ اللهُ آدمَ عليه السلام، وخَلقَ عدوَّهُ إبليس، وأهبطَهُمَا إلى الأرضِ، وإلى أنْ تقومَ السَّاعة .. هذه العداوةُ قَدَّرَها اللهُ تعالى وخلقَها ليتحقَّقَ معنى الاختِبارِ، والبَلاءِ، والجهادِ، والمجاهَدَةِ .. ويتحقَّقُ معنَى التدَافُع بينَ الحقِّ والباطِلِ .. ولتتَمايزُ النفوسُ، والصُّفُوف؛ فيُعرَفُ المؤمنُ مِن الكافِرِ، والصَّالحُ مِن الطَّالحِ، والمجاهدُ ممَّا سواه.

* * * * *

يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ

498- [يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ]؛ شَيَاطينُ الإنسِ والجِنِّ، [زُخْرُفَ الْقَوْلِ]؛ يُزيِنُونَ باطِلَهم بالعِبَاراتِ المنمَّقَةِ، والمشوِّقَةِ، وبالذَّرائع الكاذِبَةِ، والمخادِعَةِ، وأنَّهم ما أرَادُوا إلا خَيراً، [غُرُوراً]الأنعام:112. وإنَّما غايتُهم الحقِيقيَّة أنْ يخدَعُوا الناسَ، وأنْ يَصْرِفُوهم عن الحقِّ إلى الباطِلِ .. وعنِ الصَّوابِ إلى الخَطَأ .. وعنِ الإيمانِ إلى الكُفْرِ.

* * * * *

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ

499- [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ]الأنعام:112. ولو شَاءَ اللهُ أن يمنعَ الكُفَّارَ عن كُفْرِهِم، والأشرارَ عن شَرِّهم .. لمنَعَهُم بأمرٍ كونِيٍّ؛ كُنْ فيكُون .. ولهداهُم أجمعين .. وجعَلَهم على أتْقَى قَلبِ رجلٍ .. فاللهُ تعالى قادرٌ على كلِّ شيءٍ .. لا يُعْجِزُهُ شيءٌ .. لكن

هذا يتنَافَى معَ حكمتِه تعالى مِن خَلْقِ الإنسانِ، ومِن وجُودِه على هذهِ الأرضِ .. فقد شاءَ اللهُ تعالى لهذِه الحياةِ الدُّنيا أن تكونَ دَارَ عمَلٍ، واختبارٍ، وبلاءٍ، وجهَادٍ، ومجاهَدَةٍ .. وأنْ يقَعَ فيها التدَافعُ بينَ الحقِّ والباطِلِ؛ فيَدْفَعُ البَاطِلَ بالحقِّ .. وهذا مِن مُقتَضَاه وجُود الخَيرِ والشرِّ .. الحقِّ والباطِلِ .. الصَّالحِين والطَّالحِين .. الأخْيَارِ والأشْرارِ .. المؤْمنِين والكافِرين .. ثمَّ يكونُ الجزاءُ يوم القيامَةِ؛ فريقٌ إلى الجنَّةِ، وفريقٌ إلى السَّعيرِ .. كلٌّ بحسبِ ما كان مِنهُ في الحياةِ الدُّنيا مِن اعتقَادٍ، وقَولٍ، وعمَلٍ.

* * * * *

أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً

500- [أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً]؛ الكفَّارُ يَرضَون مِنك أن تحكمَهُم بشريعةِ الغَاب، وبشريعَةِ ياسِقِ التَّتَارِ، وبشَريعةِ الطُّغاةِ الظالمين، وبأيِّ شَريعةٍ وضعيَّةٍ متخلِّفةٍ وظالمة .. لَا يَأبَهون ولا يُمَانِعُون .. لكنهم لا يَرضونَ مِنك أن تحكمَهم بحكْمِ وشرْعِ الله .. بل منهم مَن يَرضَى مِنك أن تحكمَهُ بحكمِ اللهِ؛ شَريطَة أن لا تُرُدَّ الحكمَ إلى اللهِ، وأن تردَّهُ لغيرِ الله .. فلَا يَرى في ذلك حرَجاً .. بينما يجدُ كلَّ الحرجِ، وكلَّ الإعراضِ والمعارضَةِ، أن تردَّ حكمَ اللهِ إلى اللهِ .. وأن تذكرَ الله .. وكما أنَّ هؤلاء يُظْهِرُون هذا الحقْدَ والكُفْرَ، وهذه الوقاحَةَ في رَدِّ حكمِ اللهِ تعالى .. واستبدَالِه بأيِّ حُكمٍ آخَر .. في المقابِلِ على المؤمنِ أن يواجِهَهم بكلِّ جرْأةٍ ووضُوحٍ، ونفْرٍ، واعتزَازٍ بقوله تعالى:[أَفَغَيْرَ اللهِ]؛ تُطَالِبُونني بأَنْ [أَبْتَغِي حَكَماً]؟! سؤالٌ يُفيدُ الإنكارَ، والتَّعجبَ مِن الطالِبِ، والمطلُوب؟![وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً]الأنعام:114. واللهُ تعالى هو الذي أنزلَ إليكم القرآنَ الكريم تَفصيلاً وتبْيَاناً لكلِّ شيءٍ .. وهادِياً إلى الحقِّ بإذنِه .. فيه الحكمُ الفَصْلُ، والعَدْلُ لكلِّ شَيءٍ؟!

* * * * *

وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ

501- [وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ]الأنعام:116. فِيه أنَّ الأكثرِيَّةَ لا تَعنِي دَائماً أنَّها على حَقٍّ وصَوابٍ، أو أنَّها علامَةٌ على موافقَةِ الحَقِّ الذي يجبُ اتِّبَاعه .. فالحقُّ لا يُعرَفُ بعدَدِ أتْبَاعِه، قَلُّوا أمْ كَثُرُوا، وإنَّما يُعرَفُ بموافقَتِه للحقِّ المنَزَّل.

502- [وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ]؛ في التَّحليلِ، والتَّحريمِ، والتَّحسِين، والتَّقبِيح .. فكثرَةُ أهلِ الباطِلِ ليَسَت مُبرراً لاتباعِهِم، وطَاعَتِهم .. فالحقُّ لا يُعرَفُ بِقلَّةٍ أو كثرةٍ، وإنما يُعرَف بموافقَةِ الشَّرعِ المنزَّلِ .. فإن فعلَتَ وأطَعتَهم في الباطِلِ لِكَثرتِهم؛ [يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ]؛ يحرِفُوك ويُبعِدُوك عن حُكمِ اللهِ، وشَرعِه المنَزَّل، [إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ]؛ وهم فيما يحلُّون ويحرِّمُون، ويحسِّنون ويُقبِّحون لَا يتَّبعون شرعَ اللهِ المنَزَّلِ، ولو زَعمُوا شَيئاً مِن ذلك؛ فزعمُهم باطِلٌ، لَا يَعدُو عن كونِه ظَنّاً، والظنُّ لا يُغني من الحقِّ شَيئاً، [وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ]الأنعام:116. وهم في زعمِهم الباطِلِ هذا يكذِبُون على اللهِ، وعلى أنفُسِهم، وعلى مَن يُصغِي إليهم، ويتَّبعهم.

* * * * *

وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ

503- [وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ]؛ يتّبعُون أهواءَهم، ومَا تُملي عليهم؛ فمَا تَرَاه أهوَاؤُهم حَلالاً؛ فهو الحَلالَ .. ومَا تَرَاهُ حرَاماً؛ فهو الحرَامُ .. وما تَرَاهُ أهواؤهم حَقّاً، وخَيراً؛ فهو الحقُّ وهو الخير .. وما تَرَاهُ باطِلاً، وشَرّاً؛ فهو الباطِلُ، وهو الشَّرُّ .. فأهواؤُهم هي مَصدرُ التَّشرِيع، والتَّحلِيل والتَّحرِيمِ .. وهم بذلك يتألَّهون أهواءَهم

.. ويَفعلُون كلَّ ذلك [بِغَيْرِ عِلْمٍ]؛ مِن غيرِ دَليلٍ مِن كِتَابِ اللهِ، ولَا مِن سنَّةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، اللَّذان إليهما ـ حَصْراً ـ يُرَدُّ التَّحليلُ والتَّحريمُ، والتَّحْسينُ، والتَّقبيحُ، [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ]الأنعام:119. الذين يتَعَدّون قَدْرَهم، ويَستَشرفُون لأنفُسِهم مقامَ الألوهيَّةِ، ويَتأَلَّهُون أهْوَاءَهم، ويَعتدُون على حقٍّ هو ليسَ لهم!

* * * * *

وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ

504- [وَذَرُواْ]؛ اتركُوا، وأقْلِعُوا .. والأمرُ هنا يُفيد الوجُوبَ، [ظَاهِرَ الإِثْمِ]؛ جميعَ الآثَامِ والذُّنُوب التي تجرِي على الجوارِحِ الظَّاهرةِ، [وَبَاطِنَهُ]الأنعام:120. جميعَ الآثامِ والذنُوبِ التي مَقرُّها ومَبْعَثُها القَلْبُ، وهي أشدُّ خَطراً وضَرَراً على صاحِبِها مِن الآثَامِ والذنُوبِ الظاهِرةِ .. وهذا يَعني أن المرءَ كما عليه أنْ يَسعَى ليطهِّرَ جسَدَهُ مِن الآثامِ والذنُوبِ الظاهِرةِ، عليه أنْ يَسْعَى ليطَهِّرَ باطنَه وقَلبَه مِن الآثامِ والذنُوبِ الباطنة .. وهي تَستَوجِبُ منه جهداً أكبر، ومُراقبَةً دائمةً .. فاللهُ تعالى يَعلمُ الظاهِرَ منه والبَاطِنَ.

505- [وَذَرُواْ]؛ اتركُوا، وتخلُّوا، واهجرُوا، [ظَاهِرَ الإِثْمِ]؛ جميعَ الآثَامِ والذُّنُوبِ التي تجري على الجوَارِحِ الظَّاهِرَةِ، [وَبَاطِنَهُ]الأنعام:120. وجميعَ الآثامِ والذُّنُوبِ التي تجري في الباطِنِ، ومَقَرُّها القَلب؛ كالنِّفَاقِ، والرِّيَاءِ، والشَّكِّ، والأهوَاءِ، والشُّبهاتِ وغَيرِها!

* * * * *

وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ

506- [وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ]؛ في تَحليلِ الحرَامِ، وتَحريمِ الحَلالِ، [إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ]الأنعام:121. باتخاذِكُم إيَّاهم أربَاباً

مِن دونِ اللهِ، تُسْنِدُون إليهم حَقَّ التَّحْليلِ، والتَّحْريمِ، والتَّحْسِينِ والتَّقْبِيحِ مِن دونِ اللهِ، وبغيرِ سُلطانٍ مِنَ اللهِ!

507- [وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ]الأنعام:121. الذي له حقُّ التَّحليلِ والتحريمِ هو اللهُ تعالى وحدَه .. مَا يقولُ اللهُ عنه حَلال، فهو حَلال، ومَا يقولُ عنه حرامٌ، فهو حرام .. وأيما مخلُوق تُسْنَد إليه هذه الخاصيَّة؛ خاصيَّةُ التحليلِ والتحريمِ مِن دونِ اللهِ، وبغيرِ سُلطانٍ من اللهِ؛ فيحلُّ ما يَشاءُ، ويحرِّمُ مَا يَشَاء .. فقد جعلَ من نفْسِه نِدّاً وشريكاً لله تعالى .. وأيما امرءٍ يُطيعُه ويتابِعُه في التحليلِ والتحريمِ، أو يَرى له حَقَّ التَّحليلِ والتحريمِ مِن دونِ اللهِ، أو معَ اللهِ .. فقد أشرَكَ، واتخذُه رَبّاً وشَريكاً لله.

508- [وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ]؛ أيما جِدَالٍ في الباطِلِ؛ يُحقُّ باطلاً، ويُبطِلُ حقّاً .. يُحلُّ حرَاماً، ويحرمُ حَلالاً .. يَنصرُ ظَالماً، ويَخذلُ مظلوماً .. هو ممَّا يُوحي به شياطينُ الجنِّ، إلى إخوانِهم من شيَاطينِ الإنسِ، ليُجادِلُوا المؤمنِين، [وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ]؛ فيما يجادلوُكم به، وتَابعتمُوهم عليه، ورددتم حقَّ التَّحليلِ، والتَّحريمِ، والتَّحسِين، والتَّقبيح لغيرِ اللهِ، [إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ]الأنعام:121. بطاعَتِكُم لهم؛ فقد أشركتُم بعدَ إيمانِكُم، واتخذتم آلهةً ومشرِّعين معَ اللهِ .. ولَا يُفلحُ المشركُون .. هذه النتيجَةُ ـ وهي الوقوع في الشركِ والكُفرِ ـ هي التي يَسعَى إليها الشياطينُ مِن وراءِ هذا الجدَالِ، وهو مَا يُريدونَه، وليسَ إرادَةِ الخيرِ لكُم .. وسَواءٌ أكلتم مَا حَرَّم اللهُ، أم لم تَأكلُوا!

* * * * *

أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ

509- [أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً]؛ بسَبَبِ الكُفْرِ، [فَأَحْيَيْنَاهُ]؛ بالإيمانِ، [وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً]؛ هُدَى وعِلماً مِن الكتابِ، والسُّنَّةِ، [يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ]؛ يُضيءُ لهم طريقَ الحقِّ .. ويحسنُ التمييزَ بهذا النُّورِ بين الحقِّ والباطِلِ .. وبينَ المحقِّ مِنَ المُبْطِلِ، [كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ]؛ هو الكافرُ والمشرِكُ؛ يعيشُ ظُلماتِ الكُفْرِ، والشركِ، والظُّلمِ، والفُسُوقِ، والضَّيَاعِ .. ظُلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ، [لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا]؛ لأنّه لا يملكُ النورَ الذي يُعينُه على الخروجِ من الظُّلمَاتِ .. كيف يخرجُ من تلك الظُّلماتِ، ويَهتدي إلى الصِّراطِ المستقيمِ .. ومصباحُ نُورِه مُطْفَأ، لا زَيتَ فيه، [كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]الأنعام:122. وهو معَ كفرِهِ وشركِه، وضَلالِه، وضياعِه .. وفقدانِه للنورِ الذي مِن خلالِه يَعرفُ حقيقَةَ الأشياءِ .. يَزعمُ أنَّه على خَيرٍ .. وأنَّه ممَّن يُحْسِنُون صُنعاً .. وأنَّه تَنويريٌّ .. يَدْعُو إلى الفِكْرِ التَّنويرِي!

510- [أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً]؛ بالكُفْرِ؛ فضَلَّ الغَايَةَ مِن وجُودِه، لَا يَهتَدِي إلى حَقٍّ، ولَا إلى باطِلٍ؛ الحقُّ يَراهُ بَاطِلاً، والبَاطِلُ يَراهُ حَقّاً، فكَانَ ـ جِيفَةً تمشِي على الأرْضِ ـ هو والأمواتِ سَواء، [فَأَحْيَيْنَاهُ]الأنعام:122. فَأَحْيَيْنَاهُ ـ بعدَ أن كانَ ميتاً بالكُفْرِ ـ بالإسْلامِ، ومعَ الإسْلامِ، ومِن أجْلِ الإسْلامِ .. فأَبْصَرَ، وأدْرَكَ الغَايَةَ مِن وجُودِه، وأدْرَكَ الوسَائلَ التي تُعينُه على تحقِيقِ تلك الغَايَة.

* * * * *

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا

511- [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا]؛ مضَت سُنَّةُ اللهِ تعالى في خَلقِه مِن قَبْل وفي كلِّ عَصْرٍ، ومِصْرٍ؛ أنَّ الذين يتصدَّرُون مُعَادَاةِ ومواجهَةِ

دَعْوةِ الأنبياءِ والرُّسلِ؛ هم الكُبرَاء، والرؤسَاءُ، والفراعِنَةُ مِن المجرمين والكافِرين؛ لأنَّهم يَرونَ في دَعْوةِ الأنبياءِ تَصادُماً معَ رغباتِهم، ومصَالحِهم، وأهوائِهم، وتَهديداً لمكانَتِهم وزَعَامَتِهم .. كما يَرونَ فيها صَرْفاً للناسِ عن الدخولِ في عبوديَّتِهم، وطاعَتِهم .. وتحريراً لهم مِن العبوديَّةِ للعَبِيدِ .. فيَصدُّونَ الناسَ عن متابعةِ الأنبياءِ والرسلِ، وعن الدخولِ في دينِهم، ويُزينون لهم دروبَ الفسُوقِ، والغَيِّ، والضَّلَالِ .. ويَظُنُّون أنَّهم بهذا المكْرِ هم الغالِبُون، [وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ]الأنعام:123. بينمَا مَكرُهم هذا يَرتَدُّ عليهم بالضَّرَرِ والخُسرانِ في الدُّنيا والآخِرَةِ .. وهم غافِلُون .. لا يَعْلَمون!

* * * * *

فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ

512- [فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ]؛ للإيمانِ، [يَشْرَحْ صَدْرَهُ]، يَفْسَح صَدْرَهُ .. ويُملأ نُوراً، وسَعَادَةً، وهنَاءةً .. ويَجِد نَفْسَهُ مَشْدُوداً، [لِلإِسْلاَمِ]؛ لقبُولِ الإسْلامِ، والعَمَلِ بهِ .. فَلا يَقْوَى مانِعٌ على صَدِّهِ عن دينِ اللهِ، [وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ]؛ عنِ الإيمانِ والإسْلامِ .. ويُبْقِيَه اللهُ في أوحَالِ الكُفْرِ والشِّرْكِ، [يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً]؛ بحيث لَمْ يَعُدْ يتَّسعُ لقبُولِ الإيمانِ، فهو مِن الضِّيقِ والحرَجِ ما يمنعُ أن يَدخُلَ إليهِ أيُّ خَيرٍ .. أو يَقبَلَ أيَّ خَيرٍ .. وهو بذلك كمَن كانَ في حَالَةِ ضِيقٍ واختِنَاقٍ، لقِلَّةِ الهوَاءِ والأُوكْسجين، [كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء]؛ فكَما أنَّ الذي يصَّعَّدُ في السَّماءِ يَضِيقُ صَدْرُهُ كلَّمَا صَعَدَ وارتَفَعَ، ويَصعبُ تَنفُّسُه لانعدامِ الهوَاءِ والأوكسجِين الكافي، كذلك الكافِرُ الذي يَرفضُ الإيمانَ والإسْلامَ؛ فهو يَضِيقُ صَدْرُهُ، حتَّى لم يَعُد يتَّسعُ لشيءٍ مِن الخيرِ .. فتظهرُ عليه علامَاتُ الكآبةِ والحرَجِ، [كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ]؛ العَذَابُ، والنَّجَاسَةُ، والشَّيطانُ

.. فهذه كُلُّها تجتمعُ، [عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ]الأنعام:125. ومَن اجتمَعَت عليه العناصِرُ الثَّلاث فأنَّى يَعرِفُ انشراحَ الصَّدْرِ، والسَّعَادَةَ الحقِيقِيَّة؟!

513- يُوجَدُ فَرْقٌ بينَ اللَّذَّةِ والسَّعادَةِ؛ فالسَّعادَةُ تَشمَلُ اللَّذَّةَ، واللَّذَّةُ مِن مفرداتِها .. بينَمَا اللَّذَّةُ لا تَشملُ السَّعَادَةَ .. والكافِرُ يَعرِفُ مِن متَاعِ الدُّنْيا اللَّذَّةَ؛ وهذه تَذهَبُ وتَضْعُفُ بذهابِ وضَعفِ أسبَابِها .. حتَّى إذا مَا ذَهبَت ـ اللَّذَّةُ وأسْبَابُها ـ ظهَرَت عليه الكآبَةُ، والأمرَاضُ النَّفْسِيَّةُ .. بخِلَافِ المؤمِن فحَظُّهُ مِن متَاعِ الدُّنيَا السَّعَادَة .. فإذا ذَهبَت اللَّذَّةُ مِن السَّعَادَةِ، بَقِيَ أصْلُ السَّعَادَةِ، يتمَتَّعُ به المؤمنُ مَا بَقِيَ حَيًّا.

* * * * *

وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً

514- [وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً]؛ نُوَلِّي الحكَّامَ الظالمين، على الشعوبِ الظالمةِ الفاسِدَةِ، [بِمَا كَانُواْ]؛ الحُكَّامُ، والمحْكُومُون، [يَكْسِبُونَ]الأنعام:129. مِن الذُّنُوبِ والمعَاصِي .. ويَستَعْلِنُون بها، ولا يَسْتَخْفُون .. فإذا فَسَدَت الشعوبُ وظَلمَت .. لا يتوقَّعُوا حِينئذٍ أن يحكمَهُم حَاكمٌ عادِلٌ كعُمَرِ بن الخطَّاب، أو كعُمرِ بن عبدِ العَزيزِ رضي الله عنهما .. وإنما عليهم أن يتوقَّعُوا أن يحكمَهم حاكمٌ ظالمٌ مِنهم، ومِثْلُهم!

515- [وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ]الأنعام:129. مِن انتقَامِ اللهِ مِن الظَّالمِين، أن يُسَلِّطَ بَعضَهم على بَعضٍ، وأن يَضرِبَ بعضَهم ببعضٍ، وأن يُذلَّ بعضَهم ببعضٍ .. قال فُضَيل بنُ عِيَاض:" إذا رأيتَ ظالماً يَنتَقِمُ مِن ظَالمٍ فَقِفْ، وانظرْ فِيه متعَجِّباً "! وقال ابنُ زَيد بنُ أسْلَم:" نُسَلِّطُ بعضَ الظَّلَمَةِ على بعضٍ فيُهلِكُه ويُذِلُّه ". قال القُرطبي:" وهذا تَهديدٌ للظالمِ إن لم يمتَنِع مِن ظُلمِه سَلَّط اللهُ عليه ظالماً آخَر ".

* * * * *

ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ

516- [ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ]الأنعام:131.

مِن كمالِ عَدْلِ الخالِقِ ورحمتِه بعبادِه أنَّه تعالى لا يَأخذُ قريةً أو مَدينةً بالهلاكِ والدَّمَارِ، والعَذَابِ، حتَّى تَتحقَّق فيها خِصلتَان: الظلمُ، وقِيامُ الحُجَّةِ عليهم من جِهَةِ نذَارَةِ الرسُلِ، فيُقابلُونَها بالإعْرَاضِ، والتَّهكُّمِ، والاستخفَافِ .. وحتَّى - إذَا مَا أُخِذُوا - لَا يَعتذِرُون بالجهلِ، وأنَّهم كانوا غافِلِين لَا يَعلمُون شَيئاً عمَّا جاءَت به الرسُل مِن نُذُرٍ.

* * * * *

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

517- [فَقَالُواْ]؛ الكفارُ .. وأحفَادُهم مِن العلمانيين، [هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ]؛ المساجِدُ، والمعابِدُ، ومَا يَنحصِرُ فيها من طقُوسِ العبادَةِ .. فحَدَّدُوا ما للهِ، وما يُصرَفُ للهِ من مُلْكِه وخَلْقِه .. وكأنَّهم أوصيَاءُ على اللهِ؛ ماذَا يَملِكُ، ومَاذا لا يملِكُ .. وماذا يكونُ له، وماذا لا يكُون .. وماذا يحقُّ له، ومَاذا لا يَحِقُّ؟! [وَهَذَا]؛ وهو كُلُّ ما سِوى المسَاجِد والمعَابِد .. مِن شؤونِ الحُكمِ والحياةِ: السياسِيَّةِ، والاقتصاديَّةِ، والاجتماعِيَّةِ، والأخلاقيَّةِ، وغيرِها .. هذا كُلُّه، [لِشُرَكَآئِنَا]؛ لقَيصَر .. لطواغِيت الحُكْمِ .. ليسَ مِنه شيءٌ للهِ، [فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ]؛ لطواغيتِ الحُكْمِ والظُّلمِ مِن مُلْكٍ، وسُلطانٍ؛ وهو جميعُ شُؤونِ وجوانِبِ الحيَاة، [فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ]؛ فلا يصلُ شيءٌ مما هو لِقَيْصَر ولطواغِيت الحُكْمِ إلى اللهِ .. ولَا حقَّ للهِ في أن يَتدخلَ به، أو يَحْكُمَ فِيه، [وَمَا كَانَ لِلّهِ]؛ من شؤونِ المساجِدِ والمعابِدِ، وما يجرِي في داخِلِها، فهو ليسَ حَقّاً خالِصاً للهِ؛ [فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ]؛ حتى هذه القِسمَة الظالمة؛ فما هو للهِ بزعمِهم الباطِلِ .. لقَيصَر الحاكِمِ كامِلِ الحقِّ في أن يتدخَّلَ به، وأن يُشرِّعَ له .. وأن يَسْتَقْطِعَ منه لنفْسِه ما شَاء .. متَى

تُفتَحُ المسَاجِدُ ومَتى تُغْلَق .. وما هو مَسموحٌ فِيها ومَا هو غيرُ مَسْمُوحٍ .. ومَاذا يُقالُ فيها، ومَاذا لا يُقال .. وعلى الخُطباءِ والمتكلمين أن يخصُّوا في كلماتِهم قيصَر الحَاكم بالدُّعاءِ، تَعبيراً عن الطَّاعةِ والولَاءِ، وإلا تَعرَّضُوا للعقوبَةِ والطَّردِ، والمنْعِ، [سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ]الأنعام:136. باطلٌ ما يحكمُون .. وبُطلانُ هذا الحُكْمِ، وهذه القِسْمَةِ الظَّالمةِ مَعْلُومٌ ومَردُودٌ بالنَّقْلِ والعَقْلِ!

* * * * *

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً

518- [فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً]؛ فقال: هَذا حَلالٌ، وهَذا حَرَامٌ .. هَذا حَقٌّ، وهَذا باطِلٌ .. هَذا حَسَن، وهَذا قَبِيح .. ثم يردُّ أحكامَه وإطلاقَاتِه هذه إلى اللهِ كَذباً على اللهِ وعلى دينِه .. يَفعلُ ذلك؛ [لِيُضِلَّ النَّاسَ]؛ عن الحقِّ إلى الباطِلِ .. وعن شَرْعِ اللهِ المنزَّل، إلى الشرعِ المحْدَثِ والمبَدَّلِ .. وعن السنَّةِ إلى البِدْعَةِ، [بِغَيْرِ عِلْمٍ]الأنعام:144. بغيرِ حجةٍ ولَا دَليلٍ مِن كتابِ اللهِ تعالى، ومن سنةِ نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم .. فهذا لا أَحَدَ أظْلَمَ مِنه!

* * * * *

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا

519- [سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ]؛ يَستدلُّ الكافرُون المشركُون على كُفْرِهم، وشِركِهم، وعِبادَتِهم للطواغِيت .. وعلى استحْلَالِهم لما حرَّمَ اللهُ تعالى بمشيئةِ اللهِ الكونيَّةِ على مَشيئتِه الشرعيَّةِ؛ فيقولُون: مَا دامَ اللهُ قدَّر وشَاءَ وجودَ الكُفْرِ والشركِ في الحياةِ الدُّنيا، وقَدَّر المعاصِي وركوبَها .. هذا يعني أنَّ اللهَ يرضَاها ويُحبها شَرعَاً، ودِيناً .. وإذَا كان لا يرضَاها ولا يُحبها شَرعاً ودِيناً فعَلامَ

قدَّرَ وشاءَ وجودَها في الحياةِ الدُّنيا .. وهمْ بهذا القولِ الساقِط، والفهمِ السَّقِيم، يَردُّون شرعَ الله تعالى، ويُشركُون باللهِ العظيم .. ويَعبدُون الشَّيطانَ، والأصنامَ، والطواغيتَ .. ويَرتكبونَ الفواحِشَ والموبقَاتِ .. ويُبطلُون الحِكْمَةَ مِن إرسالِ الرسلِ، وإنزالِ الكُتُبِ .. ومن وجودِ وخلْقِ الدُّنيا كدارِ اختبارٍ وبلاءٍ، التي تَقضي بوجُودِ الشيءِ وضِدِّه .. وجُود الإيمانِ والكُفْرِ .. وجُود الحقِّ والباطِل .. وجُود الخيرِ والشَّر .. وجُود العدْلِ والظلمِ .. ليتحَقَّق معنى التَّدافُع، والاختبارِ والبَلاءِ .. [كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم]؛ هذا القولُ والاستدلالُ بالمشيئةِ الكونيَّةِ على المشيئةِ الشرعيَّةِ، هو حجَّةُ وذريعَةُ المشركين والكافرين مِن قَبل، واليوم، وغَداً .. [حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا]؛ والأمم الكافِرة مِن قبل بعثةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم الذين تمسَّكُوا بهذا القولِ الباطلِ، وتَترَّسُوا به .. كان سبباً لسخطِ وغضَبِ اللهِ عليهم، ونزُولِ العقابِ بهم في الدُّنيا والآخِرة، [قُلْ هَلْ عِندَكُم]؛ فيما تَدَّعون، وتَنسبُونه إلى اللهِ، [مِّنْ عِلْمٍ]؛ من حجةٍ، وبرهانٍ، وسُلطانٍ من الله، [فَتُخْرِجُوهُ لَنَا]؛ فتظهرُوه لنا، فنتَّبعُه .. لأن القولَ الملزِمَ الذي يجبُ اتباعُه هو القولُ الذي عليه دليلٌ وبرهانٌ من اللهِ تعالى، وما سِوى ذلك فهو من التَّقوّلِ على اللهِ تعالى بغيرِ علمٍ، وهو مَردُودٌ، يُضرَب به عرضَ الحائِط، [إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ]؛ بل أنتم ليسَ عندكم عِلمٌ ولا دَليلٌ مِن اللهِ تعالى .. وقولُكم هذا هو من الظنِّ الكاذِبِ الذي لَا يُغني مِن الحقِّ شيئاً، [وَإِنْ أَنتُمْ]؛ في قولِكم الآثِمِ الظالِمِ الآنِفِ الذِّكْرِ، [إِلاَّ تَخْرُصُونَ]الأنعام:148. إلَّا تَكذِبُون على اللهِ، وتَنسبُون إليه مَا لا يَليقُ ولا يَجوز ...!

* * * * *

قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ

520- [قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ]؛ للهِ تعالى الآياتُ، والبراهينُ، والحججُ النَّقْليَّةِ، والعَقْليَّةِ، والكونيَّةِ التامَّةِ الدَّالَّة على وحدانيَّته، وأنَّه الإلهُ المعبُودُ بحقٍّ .. وأنَّه صادقٌ في جميعِ مَا أمرَ بهِ، ونَهى عَنه .. وأنَّه تعالى مُنَزَّهٌ عن أن يَرضَى لعبادِه الكُفْرَ، والفسُوقَ، والعصيانَ، والظُّلمَ .. تعالى اللهُ عن ذلك عُلوّاً كبيراً .. بخلافِ غيرِه؛ ممَّن يَدَّعون الألوهيَّةَ، ويُعبَدُون من دونِ اللهِ؛ فإنَّهم لا يملِكُون الحجَّةَ على ما يَدْعُون إليه، والدَّالَّة على استحقاقهم للتألِيه، ولأَن يُعبَدُوا مِن دونِ اللهِ، أو مَعَ اللهِ .. فكيفَ لهذا الإنسان الذي وهبَ اللهُ له العقْلَ، وخاصيَّةَ التفْكير، وخَلَقَه على الفِطْرَةِ، ومِلَّةِ التوحِيدِ، أن يحيدَ عن عِبادَةِ مَن لَه الحجَّةُ البالِغَةُ التامَّةُ الدَّامِغَةُ فيمَا يَدْعُو إليه ويَأمرُ به، إلى عبادَةِ غيرِه؛ مَن ليسَ له حجةٌ عليه؟! [فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ]الأنعام:149. فلو شاءَ اللهُ تعالى لهدَى جميعَ الناسِ إلى الإيمانِ، وجعلَهم جميعَهم على أتْقَى وأعلمِ رجلٍ .. فاللهُ تعالى لَا يُعْجِزُه شيءٌ .. لكن قضَت حِكمتُه أنْ تكونَ الدُّنيا دارَ عملٍ، وكَدْحٍ، وتَدافُعٍ، واخْتِبَارٍ، وبَلاءٍ .. لَا دَارَ جزَاءٍ .. وهذا يَقتضِي وجودَ الشيءِ وضدِّه.

* * * * *

وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ

521- [وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ]؛ لأنّ من يَقتربُ منها، يوشكُ أن يقَعَ فِيها، ومَن فتحَ البابَ ولجَ فِيه، ثمَّ لا يُحسِنُ الخروجَ مِنه .. فمن السلامَةِ سَدُّ ذَرائِعِ الفواحِش والمنكرَاتِ، والابتعادِ عنها .. ومِن المقامَرَةِ؛ المغَامَرَةُ، وتزكيةُ النَّفْسِ على اللهِ، والاقترابُ منها، والحوْم حولها على اعتبارِ أنها لا تَضرُّه، وأنَّه محصَّنٌ بالعِلمِ، والعَقْلِ، والتقْوَى، وأنه فوقَ أن يتأثَّر بها .. فهذه مُقامَرةٌ لا تُؤمَن عَوَاقِبُهَا؛ لِذَا جاءَ النهيُ عن الاقترابِ، مجرَّد الاقترَابِ مِن الشرِّ، والفواحِشِ، والمنْكَراتِ، [مَا ظَهَرَ مِنْهَا]؛ وهي جميعُ الفواحِشِ

والمنكراتِ الظاهِرَةِ التي تجري على جوارح الجسَدِ الظاهِرَة، وهذه غالباً يكونُ مصدرُها من جهةِ الشهوَات، [وَمَا بَطَنَ]الأنعام:151. وهي جميعُ الفواحِشِ والمنكرَاتِ المعنويَّةِ التي مَقرُّها القَلبُ والبَاطِنُ، وهذه غالباً يكونُ مصدَرُها مِن جهةِ الشُّبُهَات .. وهذا من لوازِمه الابتعاد عن مصادر ووسائلِ التَّلقِين العَدِيدةِ والمتنوِّعَةِ، التي تتناوَلُ وتثيرُ الشُّبهَات، والبِدَع، والأهوَاء .. وتُزينُها، وتحسِّنُها في النُّفُوسِ .. كَمْ مِن سُنِّيٍّ كانَ في مَأْمَنٍ، وكان على خَيرٍ، غَرَّتْهُ نَفْسُه، وغَرَّهُ عِلْمُه .. فخاضَ في عِلمِ الكَلَامِ، والفَلْسَفَةِ .. فدَخَلَ ولَمْ يُحْسِن الخرُوجَ .. فتاهَ، وضَلَّ، وأَضَلَّ .. وفقَدَ مَا كان يتمتَّعُ به مِن اطمئنَانٍ، وراحَةٍ نفْسيَّةٍ، وفِكْرِيَّة!

* * * * *

وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ

522- [وَإِذَا قُلْتُمْ]؛ حكَمتُمُ أو شهدتُمْ، [فَاعْدِلُواْ]؛ في أحكامِكُم وشهاداتِكُم .. وقُولُوا الحَقَّ، [وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى]الأنعام:152. حتَّى لو كان هؤلاء الذين تَحكُمونَ أو تَشْهَدُون عليهم من الأقارِبِ، والرَّحِم .. وكان الذين تَحكُمونَ وتَشْهدُون لهم من الأباعِدِ والأعدَاءِ، يجبُ أن تلْتَزمُوا في أحكامِكُم وشهادَاتِكم بالعَدْلِ، الذي يُرضي اللهَ تعالى .. واحذَرُوا أن تَحِيفُوا، أو أن تَنحَرفُوا عن العَدْلِ إلى الظلمِ .. وإذَا كان هذا معَ الرحمِ والأقارِبِ، فمن دُونَهم ـ مِن الأصْدِقَاءِ أو الجماعَةِ، أو الحزْبِ، أو القبيلَةِ، أو القَوْمِ ـ مِن بابِ أَوْلَى أن تحكمَ فِيهم بالعَدْلِ، وتَشْهدَ شَهادَةَ الحقِّ.

* * * * *

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ

523- [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً]؛ وهو الإسلامُ، الدينُ الذي ارتَضَاهُ اللهُ تعالى لِعبادِه، وأوحَاهُ إلى جميعِ أنبيائِه ورُسُلِه، مِن لَدُن آدَمَ عليه السَّلام إلى نبيّنا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم .. وهو صِراطٌ مُستقيمٌ طويلٌ، ومتَّصِلٌ، لَا عِوَج فيه عنِ الحقِّ، ولا انقِطاعَ، أوَّلُه عندَ آدَم عليه السَّلام، وآخِره عندَ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وأُمَّتِه، وإلى قيامِ الساعةِ، [فَاتَّبِعُوهُ]؛ فاسْلكُوه، وتمسَّكُوا به ظَاهِراً وباطِناً، واصْبرُوا عليه وإنْ بَدَا لكم أنَّه طَويلٌ، وأنَّ تكالِيفَه شَاقَّة، [وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ]؛ ولَا تَلتَفِتُوا عنه إلى مَا سِواه من الأدْيَانِ، والأهواءِ، والبِدَعِ المحْدَثَات، والطُّرُقِ، مهمَا بدَت أنَّها مُغريةٌ، وعلَتْها الزِّينَ والزَّخَارِفُ، وأنها قَصيرةٌ وسَهلةٌ، أو كثُرَ أتبَاعُهَا، [فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ]؛ فاتباعِكُم لها يُبْعِدكُم عن الصِّراطِ المستقِيم .. عنِ السَّبيلِ الذي ارتضاهُ اللهُ لكم .. ويُفَرِّقكُم في فِرَقٍ وشِيعٍ ومِلَلٍ وطوائف شتَّى متفرِّقةٍ متناحِرَة مُتدَابِرة، ما أنزلَ اللهُ بها مِن سُلطانٍ، [ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ]؛ وهو اتباعُ صراطِ اللهِ المستقيم، وعدمُ الالتفاتِ عنه إلى غيرِه مِن الطُّرقِ والسُّبلِ المخالِفَةِ، [لَعَلَّكُمْ]؛ إن فعلْتُم ذلك، [تَتَّقُونَ]الأنعام:153. تُصبِحُون مِن الأتقياءِ؛ الذين يأتمرُون بما أمرَ بِهِ اللهُ ورسولُه، وينتهون عمَّا نهى عنه اللهُ ورسولُه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ

524- [انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ]الأنعام:158. كلُّ مَن يُشَكِّكُ بأمْرٍ مِن أُمورِ الآخِرَةِ، ممَّا جاءَ ذِكْرُه في كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. ويَستصْعِبُ وجُودَه، وحصُوله .. نقول لهم:[انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ]؛ فليسَ بينكُم وبينَ مَا تُشَكِّكُون

وتُكذِّبُون به سوَى قَنطَرةِ الموتِ .. وإنَّهُ لآتٍ .. وهو مُلاقِيكُم .. فحينئذٍ ستُدرِكُون عَينَ اليَقِين صِدْقَ مَا كُنتم تَشكُّون وتُكذِّبُون به .. ولَاتَ حِينَ مَنْدَم!

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ

525- [إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ]؛ وفي قِراءَةٍ [فَارَقُوا دِينَهُمْ]؛ فخرَجُوا عَن أَصْلِه؛ الدَّاعِي إلى التَّوحِيدِ، وإلى عِبَادَةِ اللهِ تعالى وحده، وذَهَبُوا بعيداً عنه في مَذَاهب، وطرُقٍ شَتَّى، واعتقادَات عديدَةٍ باطِلة، ما أنزلَ اللهُ بها من سُلطان .. يَدخلُ في ذلك اليهودُ، والنصَارى، وأهلُ البِدَع والأهواءِ ممن يُحسَبُون على أهلِ القِبلَةِ .. الذين استبدَلُوا الشَّرْعَ المنزَّلَ بالشرْعِ المؤوَّلِ، والمبدَّل، [وَكَانُواْ شِيَعاً]؛ طوَائفَ، وأحزاباً متفرِّقةً، مُتناحِرةً مُتدابرةً .. كلُّ طائفةٍ بما لَدِيها فرحةٌ .. تحتكرُ الحقَّ لنفْسِها، وتُكفِّرُ غيرَها، ثم يَحسَبون أنَّهم يُحسنُون صُنعاً، [لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ]؛ أنتَ يا محمد ومَن تبعَك من المؤمنِين بُرآءُ مِنهم، ومِن باطلِهم، وظلمِهم، لَا هُم مِنكُم، ولا أنتم مِنهم، [إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ]الأنعام:159. فمرجعُهم إلى اللهِ تعالى يحكمُ فِيهم فِيمَا كانُوا فيه مختلفِين، ومُتفَرِّقين.

* * * * *

مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا

526- [مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ]؛ وهي التي نَصَّ الشارِعُ على أنَّها حسَنَةٌ .. وشَرْطُها الإخْلاصُ الذي لَا رياءَ فِيه، [فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا]؛ مِن الأجْرِ؛ تفَضُّلاً وإحسَاناً .. وترغيباً في فعلِ الحسناتِ، والإقبالِ عليها .. ويَا لهَا مِن تجارَةٍ رابحةٍ لا خَسَارةَ فِيها؛ دِرْهَمٌ بعشرَةِ دراهِم .. وحسَنَةٌ بعشْرِ حسَنَاتٍ، واللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء، [وَمَن جَاء

بِالسَّيِّئَةِ]؛ وهي التي نَصَّ الشارِعُ على أنَّها سَيئة، [فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا]؛ فلَا تُكْتَب على فاعِلها إلَّا سيئة واحِدَة .. وجَزاؤها لا يُؤخَذُ به غَيره، [وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ]الأنعام:160. شَيئاً مِن جَزَاءِ حسَناتِهم، وسيئاتِهم .. فقَد أحصَى اللهُ الحسنَاتِ، والسيئات، وعدَّها عَدَّاً لَا يفُوتُه شَيئاً مِنْهَا .. ومِن إحسانِ اللهِ تعالى وعفْوِهِ ورَحمتِه لعِبَادِه أنه يُنجزُ لهم الوعْدَ، بينَمَا الوعيدُ يُترَك للمشيئةِ؛ إنْ شَاءَ أمضَاه، وإنْ شَاءَ عَفَا عنه .. مَا لم تكُن السيئةُ شِرْكاً وصَاحِبها ماتَ عليها مِن غيرِ تَوبَةٍ!

527- [مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا]الأنعام:160. الحسَناتُ تتضَاعَفُ؛ الحسَنَةُ بعشْرِ أمثَالِها، ويُضَاعِف اللهُ لمن يَشاءُ .. بينمَا السيئةُ بمثلِها؛ تُكتَب سَيئةً واحِدَةً .. عِند مَورِدِ الحسنَاتِ يُعاملنا اللهُ تعالى بإحسانِه، وعَظِيم كَرَمِه، وجُودِه .. وعِندَ مَورِدِ السيئاتِ يُعامِلُ اللهُ تعالى عِبادَه بعظيمِ وكمَالِ عَدلِه .. ويَعْفُو عَن كَثيرٍ .. ولا يَظلِمُ ربُّكَ أحَداً.

* * * * *

قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

528- [قُلْ]؛ للمشرِكين؛ الذين يحتفُون بشركِهم وكفْرِهم، ويَنصبُون لشرْكِهم وطواغِيتِهم، الأصنَامَ، والأوثان .. ويَعبدُون آلهةً معَ اللهِ، أو مِن دُونِه، [إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ]؛ قَد وفقَني اللهُ إلى دينِه؛ دِين الإسلام، وأن أتخذَه منهجاً لحياتي وسلوكِي؛ الدِّينُ الذي لا عِوجَ فيه عن الحقِّ، والعدْلِ، والتَّوحيدِ، الذي يَهدي صاحبَه إلى خيرَي الدُّنيا والآخِرَة .. وينجيه مِن شَقاءِ الدُّنيا، والآخِرَة، [دِيناً قِيَماً]؛ ثابتاً، مُستقيمَاً، قائماً بالقسْطِ .. يَسودُ، ويَعلُو، ولا يُعلَى عليه .. دِيناً بريئاً من الشرْك والمشرِكين، [مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ]؛ هذا الدِّينُ الحقُّ، والصراطُ المستقِيم، هو دِينُ إبراهيم عليه السلام، الذي

تَدَّعُون الانتماءَ إليه، وتنسبُون دينَكم وأنفسَكُم إلى اسمِه، ودِينِه، وهو منْكُم، ومِن شركِكُم بَريء، [حَنِيفاً]، كان إبراهيمُ موحِّداً، قائماً على التوحيدِ الخالِص، مِن غيرِ جنُوحٍ إلى غُلوٍّ، ولا إلى جفَاءٍ وتفريطٍ، [وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ]الأنعام:161. ولَمْ يكُنْ عليه السلام مِن المشركِين الذين يُشركُون باللهِ، ويَعبدون آلهةً معَ اللهِ، أو مِن دونِه .. وإنما كان من الموحِّدِين المخلَصين .. فأينَ أنتم مِنه، ومِن دينِه؟!

* * * * *

قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

529- كما أننا من مُلْكِ اللهِ تعالى، ونعيشُ على مائدته، وأن الله تعالى ألزَمَنا بعبادتِه على مدار الوقت، فلا يجوز أن نصرفَ دقيقةً واحدة من حياتنا وأعمارنا لغيره سبحانه وتعالى، كما تفيد الآية الكريمة:[قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ]الأنعام:162-163. كذلك فإن الله تعالى لم يحوجنا إلى غيره دقيقة واحدة، ولا في جزئية من جزئيات حياتنا، سواء كانت مادية أم معنوية .. ولم يتركنا من غير شريعةٍ شاملةٍ توجهنا في دقائق الأمور، كما في جليلها، علم ذلك منّا من عَلِم، وجَهِلَ ذلك منا من جهِل، كما قال تعالى:[الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً]المائدة:3. وقال تعالى:[أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ]المؤمنون:115.

530- [قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]الأنعام:162. المسلمُ الذي يَعملُ في شركةٍ .. أو ينتمي إلى حِزْبٍ وَضْعِيٍّ .. قد يُطالَبُ بالتقاعُدِ والاعتزالِ .. وأن يَستريحَ، ويُريحَ .. وقد يكونُ لهذا المطْلَبِ وجاهة .. أمَّا مَن كان يعملُ عِندَ اللهِ في خِدمةِ دينِه وعِبادِه .. فهذا ـ مهما بَلَغَ به العُمُر ـ لا يَعرفُ التَّقاعُدَ .. ولا يجوزُ أن تخطرَ

لذهنِه فِكرةُ الاعتزالِ، والإحالَةِ إلى التَّقاعُدِ .. بل هو جِهدٌ وجِهادٌ متواصِلَين .. وبَذْلٌ وعَطاءٌ في نصرةِ دينِ اللهِ، ونصرةِ المستضعفين والمظلومين، وقضاياهم العادِلَة ـ بحسب استطاعتِه ـ من المهْدِ إلى اللَّحْدِ .. لا يَعرفُ الكللَ ولا الملَلَ .. لا يَلينُ، ولا يَسْتكين .. إلى أن يتوفَّاهُ اللهُ، وهذا من مُقتضَى معَاني قوله تعالى:[وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي]. لا يكفي أن تكونَ حياتُهُ كلها لله .. لا يَصْرِفُ شَيئاً منها لغَيرِ الله .. إذ لا بدَّ أيضاً أن يكونَ مماتُه للهِ، وفي سبيلِ اللهِ، وعلى طاعةِ اللهِ .. وأن يحرصَ أن يُختمَ له بخير.

531- تَرِدُ العِبادَةُ، ويُرادُ منها العِبادَةُ الخاصَّةُ، الشَّاملةُ للشَّعائرِ التَّعَبُّديَّة: كالصَّلاةِ، والصَّومِ، والحَجِّ، والزَّكَاةِ، ونحوَها من العِبادَاتِ، وهو المُرادُ مِن قولِه تعالى:[قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي]. وتَرِدُ، ويُرادُ منها العِبَادَةُ العَامَّةُ الشَّاملةُ لجميع ما يحبُّهُ اللهُ تعالى مِن الأقوالِ والأعمَالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، والشَّاملَةِ لجميع المسَاحَةِ الزَّمَانيَّةِ والمكانيَّةِ التي يَعِيشُها الإنسانُ، وهو المُرادُ من قولِه تعالى:[وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]الأنعام:162.

532- [قُلْ]؛ للمشركين إن كنتم تَعبدون آلهةً معَ اللهِ، أو من دُونِه .. وتتوجَّهون في صلاتِكُم ونُسُكِكُم إلى غيرِ الله .. فأنَا لستَ على دينِكُم الشرْكِي، فأنَا على خِلافِكم فِيما تُشْركُون، وفِيما تَدعون إليه مِن الشِّرْكِ، وعِبادَةِ غيرِ اللهِ، فـ [إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي]؛ وهي جميعُ الطَّاعاتِ والعبادات التي يُتَقَرَّبُ بها إلى اللهِ تعالى، كالصَّلاةِ، والصومِ، والحجِّ، والزكاةِ، والجهادِ، وغَيرِها .. وخُصَّت الصَّلاةُ بالذِّكْرِ مِن مجموعِ النُّسُك؛ لأهميتها، وبيانِ فضْلِها، [وَمَحْيَايَ]؛ ليسَ فقط الصلاةُ والنُّسُك، بل وحيَاتي كُلِّها ومَا يتخلَّلها مِن أنشطَةٍ سياسيَّةٍ، واقتصاديَّةٍ، واجتماعيَّةٍ، وغَيرِها، [وَمَمَاتِي]، حتَّى الموافاتِ .. فهو [لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]. خالِصٌ لربِّ العالمين .. أموتُ في سبيلِه، لا في سَبيلِ غَيرِه ..

أصرِفُ جميعَ ما تقدم ذِكرُه للهِ تعالى وحدَه؛ خَالِقِ الخلْقِ، ومالِكِه، والمتصرِّفِ به وفقَ مشيئتِه كيفَما شَاءَ، [لاَ شَرِيكَ لَهُ]؛ في ربُوبيَّتِه، وألوهيَّتِه، وفي أسمائِه وصِفاتِه، [وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ]؛ أمرَني اللهُ على لساني أنبيائِه ورسُلِه .. فالدِّينُ يكونُ بما يُوحَى، وليسَ بما تَهْوَى، [وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ]الأنعام:162-163. ولن أتردَّدَ لحظَةً أن يكونَ لي الشرفُ والسَّبْقُ في دخُولِ الإسلامِ، وأن أكُونَ مُسلماً، وفي عِدادِ المسلمين .. وفي حَقِّ نبيِّنَا محمَّد صلى الله عليه وسلم هو أوَّلُ المسلمين مِن أُمَّتِه.

* * * * *

وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا

533- [وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا]؛ لا تَجْنِي نفْسٌ إلا عَلِيها؛ فما تَجترِحُه مِن سيئاتٍ هي وحدها ـ دُونَ غَيرِها ـ تتحمَّلُ تَبِعاتِها، وتُسأَلُ عنها في الدُّنيا والآخِرةِ .. فلا يجوزُ أن يُؤخَذَ المرءُ بجريرَةِ غيرِه، مَهمَا كان هذا الغيرُ قَريباً مِنه، [وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى]الأنعام:164. ولا تَأثمُ نفْسٌ بإثمِ غَيرِها .. وإنَّما تأثَمُ فقط بإثمِهَا الذي ارتكَبَتْهُ .. فكلٌّ يُحاسَبُ على وزرِه الخاصِّ به الذي اقترَفَه .. هذا قانُونٌ عظيمٌ مِن قوانينِ الإسلامِ في تَرسيخِ دعائمِ الحقِّ والعَدْلِ .. يُريدُنا الخالقُ سبحانه أن نتخلَّقَ ونعمَلَ به .. وأن نبتعدَ عن العَصَبيَّاتِ، والعاداتِ الجاهليَّةِ الخاطِئةِ ـ كما هو سَائدٌ في كثيرٍ من الأنظمَةِ والأمصَارِ ـ التي تَحمِلُ الإنسانَ على التَّوسُّعِ في الثَّأرِ والانتقامِ للمظالِمِ والحقُوقِ ممَّن لم يَظلِم، ولم يُشَارِك في الظُّلمِ والعُدوانِ .. فإذا أخْطَأ شخصٌ عاقَبوا عائلتَه كلَّها، وأخذُوها رَهينةً لخطَئِه .. وفي الحَديثِ: "لا يُؤخَذُ الرَّجلُ بجنايَةِ أبيه، ولا جِنايَةِ أخِيه".

* * * * *

قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبّاً

534- [قُلْ]؛ للكافِرِين الذين يُطالبونَك بأن تعبدَ آلهةً غيرَ اللهِ، وأن تتخذَهُم أرْبَاباً مِن دُونِ اللهِ، تُطيعُهم مِن دُونِ اللهِ، [أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبّاً]؛ سؤالٌ يُفيدُ الإنكارَ والتعجُّبَ مِن الطالبِ ومِمَّا يَطلبُون .. إذْ كيفَ أتخذُ غيرَ اللهِ ربّاً ومَعْبُوداً، وهو مخلُوق، مَرْبُوبٌ، لا يَقدرُ أن يخلقَ شَيئاً؟! [وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ]الأنعام:164. بينما اللهُ عزَّ وجل الذي أعْبُدُه، وأدعُوكُم إلى عِبادَتِه؛ هو ربُّ كلِّ شيءٍ .. وخالِقُ، ومالِكُ كلِّ شَيءٍ .. ومَن كان له الخلْقُ والمُلْكُ، والأمْرُ .. وهو يَخلُقُ ولَا يُخلَق .. هو الربُّ بحقٍّ، وهو المألُوه المعبُود بحقٍّ، الذي يجب أن تُصْرَفَ له العِبادَةُ، والطاعَةُ، والمحبَّة.

* * * * *

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ

535- [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ]؛ يخلفُ بعضُكم بعضاً .. كلمَا ذَهبَ جيلٌ أتَى جيلٌ آخَر؛ يرثُ ويخلفُ الجيلَ الذي قبلَه؛ لتستمرَّ الحياةُ، وتعمُرَ الأرضُ، ويتحقَّقَ الاختبارُ والتمحيصُ والبلاءُ، [وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ]؛ في الاهتمامَاتِ، والمهَمَّاتِ، والوظائفِ، والقُدُرَاتِ .. وطرُقِ ومستوى العيْشِ .. ليتحقَّقَ التنوُّعُ الذي به تستمرُّ الحياةُ، وتعمرُ، وتكتَمِلُ .. وهذا من أعظَمِ نِعَمِ اللهِ على الأرْضِ وعلى سَاكِنِي الأَرْضِ .. وإذا كانت المساوَاةُ مِن كُلِّ وجْهٍ مُنتَفِيةً في الجِنْس الواحِدِ؛ جِنسِ الذُّكُورِ والرِّجالِ .. فمن بابِ أوْلى أن تنتفِيَ المسَاواةُ بينَ الرجالِ والنِّساءِ ـ أو حتّى فِيما بينَ النِّساءِ ذواتِهنَّ ـ التي يَدعُو إليها الغَربُ، ويُقاتِل دونها الفِكرُ النَّسَوي .. فكرةُ المسَاوَاة بينَ الرجالِ والنِّساءِ فكرةٌ خرافيَّةٌ عاطفيَّةٌ غير واقعيَّةٍ .. يَرادُ منها حملُ المرأةِ على الاسترْجَالِ، والتَّشَبُّه بالرجلِ .. وقتْلِ أنوثَتِها، وحيائِها، وفِطرَتِها التي فطرَها اللهُ عليها .. يَنفِيها النَّقْلُ، والعَقْلُ، والواقعُ المشَاهَد والمعَايَش، [لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ]؛ ومِن غايَاتِ

هذا التنوعِ والتعدُّدِ، والتبَايُنِ في الدَّرجاتِ، والمستويَات .. تحقيقُ البَلاءِ والاختبارِ؛ كيف سيتَصرَّفُ الغنيُّ نحو الفَقيرِ .. والقويُّ نحو الضَّعيفِ .. والعالِمُ نحو الجاهِلِ .. والكبيرُ نحو الصَّغيرِ .. والحاكمُ نحو المحكُومِ، والعَكْسُ كذاك .. فكُلٌّ بَلاءٌ واختِبارٌ للكلِّ بحسبِ موقعِه، وبحسبِ مَا آتاهُ اللهُ، وبحسبِ مَا استأمنَهُ، واستخلَفَهُ عليه، كما في الحديث الصحيح:" كُلُّكُم رَاعٍ، وكُلُّكم مَسْؤولٌ عَن رَعيَّتِه "البخاري. [إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ]؛ لمن عصَاه، [وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ]الأنعام:165. لمَن تابَ، واستغفَرَ، وأنَاب.

* * * * *

كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ

536- [كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ]الأعراف:2. حَرَجٌ مِن بيَانِ وتَبَنِّي أحْكَامِه.

537- قال تعالى:[كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ]الأعراف:2. وقال تعالى:[ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ]النساء:65. الذين يخجلُون من التَّعبيرِ عن الإسلامِ، وعن غاياتِه وأحكامِه، ويجدون في صدورهم حَرَجاً منه؛ فيستعيضُون عنه ـ في المحافل، وعبر وسائل الإعلام ـ بعبارات متشابهة حمّالة أوجه ومعانٍ .. أولئك لا يستحقون أن يوقّعوا عن الله تعالى، ولا عن رسولِه صلى الله عليه وسلم قولاً، ولا حكماً!

* * * * *

وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا

538- [وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا]؛ كثيرةٌ هي القُرى والمدن التي أهلَكَها اللهُ تعالى ودَمَّرَها بسبَبِ ظُلمِ أهْلِهَا، وفسوقِهم، وكُفْرِهم .. وكثيرٌ مِن هذا الكثيرِ شَاهِدٌ إلى الساعَةِ على هذَا الدَّمارِ والإهْلاكِ .. وقَليلٌ مَن يعتبرُ ويتَّعظ .. إذْ سرْعَان مَا يَنْسَى الظالمون مَا نزلَ بِهم، والسَّبَبَ الذي أدَّى إلى ما نزَلَ بهم؛ ليعُودُوا إلى غَيهم، وفسُوقِهم، وفجُورِهم .. ويَستعجلُوا نزولَ العذَابِ بهم مِن جَدِيد .. والمرادُ بالقُرَى؛ أهلُها، ومساكِنُهم، ومعاشُهم، [فَجَاءهَا بَأْسُنَا]؛ عذَابُنا وانتِقامُنا، [بَيَاتاً]؛ لَيلاً وهم في غَفْلَةٍ نائمون، [أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ]. أو في النهارِ وهم راقِدين في فترَةِ القيلُولَةِ، [فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ]الأعراف:4-5. فلمَّا ينزلُ بهم العذابُ، والدَّمارُ .. يَرجعوا إلى أنفُسِهم، وإلى بَعضِهم البعضَ يَتلاوَمُون .. ويَتقاوَلُون، ويَشهدُون

على أنفُسِهم أنَّهم كانوا ظالمِين .. وكانُوا فاسِقِين .. وأن هذا العذَاب الذي نزلَ بهم هو بسببِ ظلمِهم وبَغيهم، واستعجَالهم العذَابَ .. وأنَّى ينفَعُهم التَّلاومُ والتَّقَاولُ أو الإقْرَارُ بما كان مِنْهم!

* * * * *

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم

539- [وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ]؛ خَفَّت حَسنَاتُه؛ لخلوِّها من التَّوحِيدِ الخَالِص، وثَقُلَت سيئاتُه؛ لتضمُّنها الشِّرك، فَلا يَثقلُ معَ التَّوحِيدِ سَيئةٌ، كما لَا يَثقلُ معَ الشِّركِ حَسَنَةٌ، [فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم]؛ فأَوبقُوها في نارِ جهنَّم، وفوَّتُوا على أنفُسِهم فُرَصَ النَّجاةِ، وخيراتِ الجنَان، والسَّبَب أنَّهم، [بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ]الأعراف:9. فجحَدُوا الآيَات القُرآنيَّة السَّمعيَّة، والآيَات الكونيَّة، والآيَات النَّفْسيَّة الدَّالَّة على وحدَانيَّةِ الله تعالى، وأنَّه الإلهُ المعبُودُ بحقٍّ .. وهم بجحودِهم وردِّهم للآياتِ فقَد ظلَمُوا العِلمَ، والحقَّ، والحقَائقَ الكليَّة والمطْلَقَة، والمنطقَ الصَّحِيح السَّليم!

* * * * *

قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ

540- [قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ]الأعراف:12. استعلَى إبليسُ اللَّعين على آدم عليه السلام بعُنصرِه؛ عُنصرُه مِن نَارٍ، وعُنصرُ آدَم مِن طِينٍ .. والنارُ - في نظرِ إبليس - خيرٌ وأعلى مِن الطِّين .. فكان أوَّلَ عُنصَريّ في الوجودِ هو إبْليس .. وأوَّل ذنب يُعصى به الله عز وجل هو ذَنْب " العُنصريَّة "؛ وهو الذَّنبُ الذي أدى إلى لعنِ إبليس وطردِه من رحمةِ الله، ومِن الجنَّةِ .. وكل مَن يَتصف بالعنصريَّةِ، ويَنهج نهجَ العنصريَّةِ في تعاملِه مع الآخَرين، ويَستعلي عليهم بعنْصُره، وعرقِه،

ولونِه، أو بقوميَّتِه .. فهو من حزبِ إبليس، وعلى مَذهبِه العُنصُري في استعلائِه على أبي البشر آدم عليه السلام!

* * * * *

قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ

541- [قَالَ]؛ إبليسُ اللَّعينُ، بعد أن لعنَهُ اللهُ تعالى وطرَدَه مِن رحمتِه، وأخرجَه مِن جنَّتِه، [فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي]؛ أضْلَلْتَني، وأهلكتَني، وأبعدتَني مِن رحمتِك .. ومِن قَبيلِ الانتقامِ لنفسِه، وما حصلَ له، [لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ]؛ لأتربصَنَّ لعِبَادِك .. تعبيرٌ يُفيدُ الإصرارَ والتصميمَ، وتكرارَ المحاوَلةِ، معَ طُولِ المكْثِ، مِن غيرِ كَلَلٍ، ولا مَلَلٍ، [صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ]. الإسلامُ؛ دينُك الحق؛ الذي لا عِوَجَ فيه .. الصراطُ الموصِلُ إلى رضوانِك، والجنَّةِ .. فأصدهم عن الإسلامِ، والتوحيدِ، والطَّاعةِ .. وأُكسِّلُهم وأجبِّنهم عن عبادَتِك وطاعتِك .. فإن لمْ أُفلح معَهم في طاعَةٍ لقوَّتِهم فِيها، أتيتُهم مِن جهةِ طاعةٍ أخْرَى، عُرِفُوا بالضَّعفِ فِيها .. ومَن لم أُفلح في صَدِّه عن الدينِ كُلِّه، صدَدْتُه عن بعْضِه .. ومَن لمْ أُفْلح معه من جهةِ الشُّبهاتِ أتيتُه من جهةِ الشَّهواتِ .. ومَن لمْ أُفْلح معه مِن جهةِ شهوةِ المالِ، أتيتُه مِن جهةِ شَهوةِ النِّساءِ، وشهوةِ النساءِ للرجالِ .. ومَن لم أُفلحْ معه من جهةِ شهوةِ النساءِ، أتيتُه من جهةِ شهوةِ حُبِّ الرياسَةِ والزَّعامَةِ .. وكونُه يتربَّصُ وينثرُ شِباكَه في صِراطِ اللهِ المستقيم؛ هو لظنِّه أن الصيدَ وافرٌ .. وأنَّ مَن يُريد صَدَّهم وإضلالَهم قد اجتمَعُوا جميعُهم في صراطِ اللهِ المستقيم .. فهو لا يحتاجُ إلى أن يبحثَ عنهم في الطرُقِ والسُّبلِ الأُخْرَى؛ لأنَّها خاويةٌ، لَا صَيدَ فِيها، وكلُّ مَن فيها فقد أجابَه وأطاعَه لما يُريد، ودَخَل في حزبِه وحِلْفِه، وأصبَحَ مِن جُنْدِه .. فلا يحتاجُ لأن يَنشغلَ بهم عن عِبادِ اللهِ المؤمنين .. وإضْلالُ إبليس الشيطان اللعين للناسِ ليسَ أمراً هيِّناً .. أو أمراً

كونيَّاً ـ كن فيكُون ـ لا يتخلَّف .. يُضل مَن يشاء، وقتَمَا يشَاء .. لا .. فهذا ليسَ له .. فهو أضعَفُ وأخسُّ مِن ذلك بكثِير .. لِذَا يحتاجَ إلى بذلِ الجهدِ .. وتكرارِ المحاولةِ .. وإلى ابتكارِ وتجديدِ وسائلِ المكْرِ، والخِداعِ، والإغْواءِ .. وأن يأتي صَيدَهُ مِن كلِّ الجهات .. وفي النهايَةِ لا يُضلُّ، ولا يَستطيعُ أن يُضِلَ، إلَّا مَن كَتبَ اللهُ له الضلالَ .. لذا أتبَعَ فقال:[ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ]؛ فأُفْسِدُ عليهم دُنيَاهُم، [وَمِنْ خَلْفِهِمْ]؛ فأفسدُ عليهم آخِرَتهم، [وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ]؛ فأفسدُ عليهم إيمانَهم، وعبادَتَهم وطاعَتَهم، وأصدُّهم عنها، [وَعَن شَمَآئِلِهِمْ]؛ فأزينُ لهم السيئاتِ، وأُجمِّلُها لهم، ليُكْثِروا مِنها، وينغَمِسُوا فيها، حتَّى يُصبِحُوا لا فكَاكَ لهم من سُلطانِها، [وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ]الأعراف:16-17. ثم بعدَ ذلك لَا يَشكُرُونَك .. بَل يكفرُونَك .. ويَردُّون الفضلَ فيما هم فيه من النِّعم والخيرِ لغيرِك .. وقولُه [أَكْثَرَهُمْ]؛ ولم يقلْ كلّهم؛ لأنَّ عبادَ اللهِ المخلَصين لا سُلطانَ له عليهم، ولو اجتمَعَت معه جميعُ شياطينُ الأنْسِ والجنِّ .. وفيه أن الكثرةَ لا تَعني دائماً أنَّهم على حَقٍّ!

* * * * *

وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ

542- [وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ...]الأعراف:19-20. [فَأَكَلَا مِنْهَا ...]طه:121. رغمَ سِعَةِ الخيرِ في الجنَّةِ .. ورغمَ أنَّ جميعَ ما في الجنَّةِ مِن خَيرٍ، وأشجارٍ، وثمارٍ، هي كلها مُباحَةٌ لآدَم عليه السلام ولزوجِه .. إلَّا شجرةٌ واحدة فقَط مُنِعَا مِن الأكلِ مِنها .. وهو ما لا يُطِيقَانِه .. فوضِعَت الجنَّةُ في كَفَّةٍ، وهذه الشَّجرة في كَفَّةٍ .. فوَسْوَسَ لهمَا الشَّيطَانُ .. فأبَيَا إلَّا الشَّجرَةَ، والأكْلَ مِنها .. فخسِرَا الجنَّةَ، وهَبطَا

مِنْها .. فكلُّ ممنُوعٍ مَنَعَ منه الشَّرْعُ يُزينُه الشيطانُ للإنسانِ، ويُغرِيه به .. وهو مَرغُوبٌ للنَّفْسِ .. وهذه صِفةٌ قد انتقَلَت بالوراثَةِ إلى بَني آدَم، إلَّا مَن رَحِمَ اللهُ .. فكم مِن شجرَةٍ نَهى اللهُ عن الأكلِ مِنها .. وبنُو آدَمَ يأبَون إلَّا أن يأكلُوا مِنها .. نَهى اللهُ عن الأكلِ مِن شجرةِ الخمرِ، وكُلِّ شجرةٍ خبيثةٍ تُسْكِر .. فأكَلُوا مِنها .. ونَهى عن شجرةِ الرِّبَا، فأكَلُوا مِنها .. ونَهى عن شجرَةِ الميْسِرِ فأكَلُوا مِنها .. ونَهى عن شجرةِ الزِّنَى، فأكلُوا مِنها .. ونَهى عن شجرةِ اللواطَةِ، والمثْلِيَّةِ، والشُّذُوذِ، فأكَلُوا مِنها .. ونهى عن شجرَةِ العُرِي، والتَّعَرِّي؛ فأكَلُوا مِنها .. وهكذا مَا مِن نَهْيٍ نَهى اللهُ عنه إلا ووُجِد مِن بني آدَم مَن يتجرَّأ على اقترافِه، والوقُوعِ فيه، والأكلِ مِنه .. ولو أُحِلَّت جميعُ نِساءِ الأرضِ لرجُلٍ، إلا امرَأةً واحِدَة .. لتَطَلَّعَت نَفْسُه إلى الزَّواجِ مِن تِلك المرْأةِ، وظَنَّ أنَّ فِيها مَا ليسَ في غيرِهَا مِن النِّسَاء .. إنَّها مخالفَةٌ تتكَرَّرُ، وتتوارَثُها الأجيالُ جِيلاً بعدَ جِيلٍ، إلى آخرِ إنسانٍ يتَواجدُ على هذهِ الأرض .. إنَّه حظُّ الأبناءِ مِن أبِيهم آدَم، ويتُوبُ اللهُ على مَن تَابَ!

* * * * *

وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ

543- [وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ]الأعراف:21. ليتمكَّنَ إبليسُ اللَّعين مِن خِداعِ وإغواءِ آدَم وزَوجِه عليهما السَّلام، أتاهما بثوبِ النَّاصحِ الغيورِ على مصلحتِهمَا، ثم زيادَة في الترهِيبِ، والإغواءِ أقسمَ باللهِ العظِيم لهما أنه من النَّاصِحين، وأنه ما أرادَ لها إلا خَيراً .. وهكذا هم دُعاةُ الضَّلالةِ والإغواءِ، أتباعُ وجندُ إبلِيس ـ عبر كلِّ زمانٍ ومكانٍ ـ لكي يتمكَّنوا من إضلالِ النَّاسِ وإغوائهم عن الحقِّ، يأتُونَهم متدثِّرين بثوبِ النَّاصِحين .. وأنهم يُريدون لهم الخيرَ، والتقدُّمَ، والتنويرَ، والازدِهارَ، والوفْرَةَ، وغير ذلك من العِباراتِ التي ظاهِرُها الخَير، وباطِنُهَا الشَّرُّ .. ولا يَتورَّعُون ـ كلما دَعَت الحاجَةُ ـ عن

القَسَمِ باللهِ كذباً وزُوراً؛ ليحمِلُوا المتردِّدِين من المخاطَبِين على تَصديقِ كذِبِهم .. يُنفِّقُون باطِلَهم ودَجَلَهم بالأيمَانِ الكاذِبةِ!

* * * * *

قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ

544- [قَالَ]؛ اللهُ [فِيهَا]؛ أي في الأرضِ، [تَحْيَوْنَ]؛ حياتَكُم الدنيويَّةِ المقدَّرةِ إلى أجَلٍ محدَّدٍ، لا يتأخَّر، ولا يَتقَدَّم، [وَفِيهَا تَمُوتُونَ]؛ أي في الأرضِ تموتون، وفي باطنِها تُدفَنُون، [وَمِنْهَا]؛ أي من الأرضِ، [تُخْرَجُونَ]الأعراف:25. تُبعثُون ليومِ الحِسَابِ .. ومعَ كلِّ هذا التَّأكيدِ على أنَّ الأرضَ مستودَعُ الأحياءِ والأمواتِ؛ الأحياءُ على ظَهرِهَا، والأمواتُ في بَطنِها .. فإن الجاحِدِين لا يَزالُون يبحثون لأنفسِهم عن حياةٍ، ومُستقَرٍّ لهم في الكواكِب والمجَرَاتِ الأخْرَى التي تَبعدُ عن الأرضِ أكثر من ستِّ مليارِ كيلُو مِتر!

* * * * *

وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ

545- [وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ]الأعراف:26. اللِّبَاسُ لِبَاسَان؛ لِبَاسٌ يَسْتُرُ الأبدَانَ، وعَوْرَات الجَسَدِ .. ولِبَاسٌ يَسْتُرُ مَسَاوِئَ وعَوْرَات الأخْلَاقِ والأعمَالِ؛ وهو لِباسُ التَّقْوَى .. وهو خَيرٌ مِن اللِّبَاسِ الذي يَسْتُرُ الأبْدَانَ .. وكلاهُمَا خَير.

* * * * *

يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا

546- [يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ..]الأعراف:27. هَذا التَّحذيرُ الربَّاني يُفيد أنَّ محاولاتِ

الشَّيطانِ الدَّؤوبِ بتجريدِ بَني آدم من لِباسِهم ـ بالتَّدَرُّجِ ـ حتى لا يُبْقِي عليهم ما يَستُرُ سَوآتهم، لا ولَن نَتوقَّف، وهي مستمرَّةٌ ما استمرَّتِ الحياةُ على هذهِ الأرض .. وقد نجَحَ في كَثيرٍ مِنَ المَواطِن، والأمْصَار!

547- وفيه أنَّ بَنِي آدَمَ مِن الذُّكُورِ والإنَاثِ، كلَّما سَارُوا في اتجاهِ التَّعَرِّي، وأخَذَ التَّعَرِّي مِنْهم مَأخَذَه .. كانُوا أقرَبَ إلى الشّيطانِ، وأبعَدَ عنِ الرَّحمنِ.

548- [يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ]الأعراف:27. سياسَةُ ونهجُ إخراجِ المؤمنين مِن أرضِهم، ومَسكَنِهم سياسَةٌ شيطَانيَّة قَديمة؛ انتهجَهَا إبليسُ اللَّعين معَ آدَم عليه السلام لما أخرَجَه بكيدِه وحسَدِه مِن الجنَّةِ .. واتبعَه على هذا النهجِ أتباعُه من الكافِرين لما أخرَجُوا الأنبياءَ والرسلَ وأتباعَهم المؤمنين مِن أرضِهم، وخيرُوهم بين أن يتركُوا الإيمانَ ويَعودُوا إلى الكُفرِ، وعبادَةِ الطَّاغُوت، أو يخرجُوا من أرضِهم، ومساكنِهم .. إلى حَيثُ التِّيه في الأرضِ، وافتراشِ مخيماتِ الضَّيَاعِ والذُّلّ .. فهذا النهجُ في التَّخيير بين الإخراجِ من الأرضِ، وبين أن يعودُوا في مِلَّتِهم، نهجٌ إبليسيٌّ قَديمٌ، يجدِّدُه المجدِّدُون من أتباعِ إبليس!

* * * * *

وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا

549- [وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ]الأعراف:28. حججُ الكافرين والفاسقين عبر جميع الأزمنَةِ .. إذا مَا سُئلُوا عن سَببِ ارتكابِهم للشِّركِ، وللفَواحِش، والموبقَاتِ .. تتلخَّص بأمرين: بتقليدِ الآباءِ والأجدَادِ، والسَّائدِ في المجتمعَاتِ .. إذْ لو كان هذا الذي يَرتكبونَه مِن الشركِ، والفَواحِش والموبِقات خطَأً أو حراماً لَمَا فعله الآباءُ مِن قبلِهم، ولما

كان هو العُرفُ السائدُ والمتعارَفُ عليه بين الناسِ في المجتمَعاتِ في زمانِهم .. فيعتبرون تواطُؤ أكثر الناسِ على المنكرِ والباطِل دَليلاً على صوابِ المنكَرِ والباطِل .. والأكثريَّةُ لا تُحيلُ الحقَّ باطِلاً، ولا الباطلَ حقَّاً .. وثانِيهما؛ استدلالُهم بالقَدَرِ الكَوْنِي؛ أي أنَّ اللهَ تعالى قدَّرَ وجُودَ هذه الفواحِشَ والموبِقَات، وأرَادَها أن تكونَ في الحياةِ الدُّنيا .. ولو كانَت حرَامَاً، واللهُ تعالى لا يُريدُها، ولا يحبُّها، لمَا قدَّرَ وجودَهَا؛ فيستدلُّون بالقَدَرِ الكوني على القَدَرِ الشَّرعِي؛ بما أرادَه اللهُ كَوْنَاً على ما يحبُّهُ ويَرضَاهُ دِينَاً، [قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء]؛ إنَّ اللهَ لا يحبُّ الفحشَاءَ، ولَا يَأمرُ عبادَهُ بِه، ولا يَرضَى مِنهم أن يفعلُوه على أي وجهٍ مِن الوجُوهِ .. وتَقْدِيرُ وجُودِه لحكمةِ البَلاءِ والاختبَارِ في الحياةِ الدُّنيا، لَا يَعني أنَّ اللهَ تعالى يحبُّه، ويرضَاهُ، ويريدُه دِيناً لعِبَادِه، [أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ] بغيرِ سُلطانٍ ولا حجَّةٍ مِن كتابٍ أو سُنَّةٍ؟!

* * * * *

فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ

550- [فَرِيقاً هَدَى]؛ وهم المؤمنُون الموحِّدُون؛ الذين يَعبدُون اللهَ ولا يُشركون به شَيئاً، [وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ]؛ وهم المشركُون الذين يَعبدُون معَ اللهِ ـ أو مِن دونِه ـ آلهةً أخرَى، [إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ]؛ شيَاطين الأنْسِ والجنِّ، [أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللهِ]؛ يُوالونَهم، ويُطيعُونَهم في التَّحليلِ والتَّحريمِ، وفي التزيين، والتَّقْبِيح من دُونِ اللهِ، [وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ]الأعراف:30. ثم هم مع ذلك، يحسَبُون أنفُسَهم بطَاعَتِهم ومتابعتِهم لطواغِيت وشيَاطِين الأنْسِ والجنِّ أنَّهم على حقٍّ، وأن ما سواهم على باطِل .. بينما واقعُهم وحقيقَةُ أمرِهم يُكذِّبُ ادعاءَهم، ويُبطلُ زَعمَهم، ويَدمغُهم بالضَّلالِ المبِين .. وفيه أن مجرَّدَ الاعتقَادِ أو الظنِّ أنَّهم على حقٍّ وصَوابٍ لا يمنعُ من

لحوقِ الوعيدِ بِهم، كما لا يُعتبَر مَانِعاً مِن موانِعِ التَّكْفِيرِ والتَّأْثِيم، إذا ما وقعَ مُوجِبُ التَّكْفِير والتَّأْثِيم.

* * * * *

يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ

551- [يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ]الأعراف:31. عندما تَقصدُ المسجدَ للصَّلاةِ؛ اجتهِدْ أن تلبسَ أجمَلَ، وأنظَفَ، وأطهَرَ ثيابِك، وأن تُزيلَ عن نفسِك الروائحَ الكريهَةَ، وأن تتعطَّر بما يُتاحُ لك من العُطُورِ .. فأنتَ ذاهِبٌ للوقُوفِ بين يَدَي اللهِ سُبحانه، ولمناجَاتِه .. واللهُ تعالى جميلٌ يحبُّ الجمالَ، ويحبُّ أن يرَى أثَرَ نعَمِهِ على عَبدِه .. كما أن للمسلمِين في المسجدِ عليك حقّاً؛ ومِن حقِّهم عليك أن لا يصِلُهم مِنك مَا يُؤذِيهم في صَلاتِهم!

* * * * *

وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ

552- [وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ]؛ أيَّ شَيءٍ، ومَا شِئتم، واشكرُوا اللهَ على نعَمِه؛ فالأصْلُ في الأشياءِ الإباحَةِ، مَا لم يَرِدْ نصٌّ يُفيدُ الحظْرَ والمنعَ لنوعٍ من الأطعِمَةِ، والأشربَةِ، [وَلاَ تُسْرِفُواْ]؛ فلَا تَعَدُّوا مِن الأطعِمَةِ والأشربَةِ مَا يَزيدُ عن حَاجتِكُم؛ فتضطرُّون إلى رَميهِ في القُمامَةِ، وهذا لا يجوزُ، وهو ممَّا لا يحبُّه اللهُ، [إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ]الأعراف:31.

* * * * *

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ

553- [قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ] الأعراف:32. الورَعُ؛ أدناهُ تركُ الحرامِ، وأعلاهُ تَركُ المتَشابَهِ، وليسَ وراءَ ذلك إلَّا التَّشدّد والتَّكَلّف، وتحريم ما أحلَّ الله.

* * * * *

وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ

554- [وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ]الأعراف:33. مِن أَشَدِّ الأُمُورِ حُرمَةً وتَأثيماً أن تُحَلِّلَ، وتحرِّمَ، وتحسِّنَ، وتُقَبِّحَ .. أو أن تَصِفَ اللهَ تعالى صِفَةً أو تَنْفي عنه صِفَةً .. مِن تِلقَاءِ نَفْسِك، ثم تَنْسِبُ قَولَك وفِعْلَك إلى اللهِ بغيرِ سُلطانٍ مِن كتَابِ اللهِ ولَا سُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. فِعْلُك هذا إثمٌ عَظيمٌ، وهو مِن كبائِرِ الذُّنُوبِ، ومِن أَشَدِّ الأُمُورِ تحرِيماً.

* * * * *

وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا

555- [وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا]؛ جَحَدُوا وأنكَرُوا الآيَاتِ السَّمْعِيَّةِ القُرآنِيَّةِ، والآيَاتِ الكَونِيَّةِ المبثُوثَةِ في الكونِ، والآيَاتِ النَّفْسِيَّةِ الموجُودَةِ في النَّفْسِ البشَرِيَّةِ، والتي جميعُها تَدلُّ على وحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وأنَّه تَعَالى المعبُودُ بحقٍّ، [وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا]؛ رَدُّوها، وأعرَضُوا عنها كِبراً، وتَعالِيَاً، [أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]الأعراف:36. لا يخرجُون مِنها أَبَدَا.

* * * * *

كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً

556- [قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ]الأعراف:38. الجديدُ يُقلِّدُ القَديمَ، ويتَعَصَّبُ له في الباطِلِ والكُفْرِ .. والآتي يُقَلِّدُ السَّابقَ له في الكُفْرِ .. والأبناءُ يقلِّدُون الآباءَ والأجدَادَ في الكُفْرِ .. والضُّعفَاءُ والجنودُ يُقلِّدُون الرؤسَاءَ والطواغِيت في الكُفْرِ .. في الدُّنيا يتوارَثُون الكُفْرَ كما يتَاورَثُون المتَاعَ وأشَد .. ويتعَصَّبون له، ويُقاتِلُون دُونَه .. فإذا جَاؤُوا يومَ القِيامَةِ، ورَأوا العذَابَ، تبرَّأَ التَّابعُ مِن المتبُوعِ .. والمتبوعُ مِن التَّابعِ .. ولَعَنُوا بعضَهم بَعضَاً .. وسَألَ التَّابعُون المقلِّدُون اللهَ تعالى أن يُضَاعِفَ العذابَ على المتبوعِين المقَلَّدِين في نارِ جهنَّم، الذين كانوا سَبَباً في إضْلالِ مَن جَاءَ بعدهم، [قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ]؛ مِن العَذَابِ، [وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ]؛ أنَّ لكلِّ فريقٍ منكم ضِعْفاً من العَذَابِ .. والآيةُ فيها تحذيرٌ شَديدٌ من عوَاقِبِ التَّقليدِ مِن غيرِ عِلمٍ ولا بَصيرَةٍ .. وفِيها أنَّ التقليدَ لا يُعتَبرُ مانِعَاً يمنعُ من لحوقِ الوَعيدِ بصاحِبِه.

وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ

557- [وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ]الأعراف:39. قالَ ـ يومَ لا يَنفعُ التَّلاومُ والتَّقَاولُ ـ السَّابقُون في الكُفْرِ، قادَةُ وزُعماءُ، ورُؤساءُ الكُفْرِ المتَّبَعُون .. للَّاحِقين بهم؛ التَّابعين المقلِّدين لهم في الكُفْرِ .. لا تمُنُّونَ علينا كُفرَكُم، وأنَّكُم قد تابعتُمُونا على الكُفْرِ والضَّلالِ .. لَمْ نُكرِهْكُم على الكُفرِ وعلى مُتابعَتِنا على الكُفْرِ .. بل أنتم كنتُم أغبيَاءَ، وضُلالاً، بِلَا عَقْلٍ رَاشِدٍ ورَادِعٍ؛ إذ تابعتُمُونا على الكُفْرِ والضَّلالِ .. ورَضيتُم بأن تكونُوا وقُوداً للكُفْرِ .. فكلَانَا في الضلالِ سَواء .. وكلانَا ـ التَّابعُ والمتبُوعُ ـ في العذَابِ على ما كانَ مِنَّا مِن كُفْرٍ وعمَلٍ غير صَالحٍ!

* * * * *

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ

558- [وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ]الأعراف:44. هناك ينتهي الحوارُ .. ويتوقَّفُ تهكُّم واستهزاءُ الكفَّارِ بالإسلامِ والمسلمين .. ويُصبحُ الشكُّ، ومَا كانوا يُكَذِّبُون به، يَقِيناً وعَيَاناً .. فتقَعُ النَّدَامَةُ، والحسَرَاتُ على ما فرَّطُوا بحقِّ اللهِ عليهم، ولَاتَ حِينَ مَنْدَم .. وممَّا يَزيدُ مِن حسَرَاتِ وآلَامِ الكافِرِين المكذِّبين أن المؤمنين وهم في الجنَّةِ والنَّعيم المُقيم يُنادُون الكافِرين وهم في النارِ والعذابِ الأليم:[قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا]؛ مِن الجِنَانِ، والنَّعيم، والرِّضْوانِ، جزَاءَ إيمانِنا باللهِ، وعبادَتِنا، وتوحِيدِنا له، [حَقّاً]؛ صِدْقاً ويَقِيناً؛ لا ريبَ ولا شَكَّ فيه، كما أخبرَنا ربُّنا في كتُبِه، وعن طريقِ رسُلِه، [فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ]؛ مَا وعَدكُم به ربُّكم - في كتُبِه وعن طريقِ رسُلِه - من العَذَابِ الأليم المقيم، جزَاءَ تكذيبِكُم، واستهزائِكم بالإسلامِ، والمسلمين، [حَقّاً] صِدْقاً ويَقِيناً لا رَيبَ فِيه؟ [قَالُواْ نَعَمْ]؛ تحسُّ أنَّ كلمةَ " نَعَم " قد خرَجَت مِنهم مليئةً بالنَّدَمِ والحسَرَاتِ، والإنكسَارِ، والخزْي، والذُّلّ .. والإقْرارِ بأنَّهم كم كانوا أشقيَاءَ وأغبيَاءَ إذْ كانُوا في الحياةِ الدُّنيا مِن الكافِرين المكذِّبين المسْتَهزئين .. لَيتَهم قَالُوا نَعَم في الحيَاةِ الدُّنيَا، يومَ أن جاءتهم الأنبياءُ والرُّسُل بالنُّذُرِ، ولم يقولُوا " لَا "، لنفَعَتهم، وأنجَتهم، ولمَا كانوا مُضطَّرِّين في هذا الموقفِ المخزِي، والعَصيب، أن يقُولُوا " نَعَم "، التي لا تنفعُهم شَيئاً، [فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ]؛ فنادَى مُنَادٍ يُنهِي الحِوَارَ بين الفَريقَين؛ فرِيقُ المؤمنين، وفريقُ الكافِرين المكذِّبين، لينكفِئ كل فريقٍ على ما أعَدَّ اللهُ له، [أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ]؛ ولعنة اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ تَعني؛ أن

رحمةَ اللهِ تعالى ممنوعةٌ عن الكافِرين المكذّبين المستهزئين .. فمهْمَا طالَ عذَابُهم فهي لَا تَطالُهم ولَا تَشْمَلُهم .. وهذا ممَّا يزيدُ مِن حَسْرَتِهم وآلامِهم .. بل هو أشدُّ إيلاماً لهم مِن العذَابِ ذَاته!

* * * * *

وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ

559- [وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ]الأعراف:50. يومَ القِيامَةِ يُنادِي الأخُ من الكافِرِين، وهو في نارِ جهَنم، أخَاهُ من أبوَيه مِن المؤمنِين، وهو في الجنَّةِ .. والوَلَدُ الكافِرُ أباهُ المؤمِنُ .. والوالِدُ الكافِرُ ابنَهُ المؤمِن .. والصَّاحِبُ الكافِرُ صاحِبَه المؤمِن .. والجارُ الكافِرُ جارَه المؤمن .. يُنادونَهم، ويَسألُونَهم بحقّ ما بينهم من المعرِفَةِ والرَّحِمِ، وقَد تفحَّمَت أجوافُهم مِن العَطَشِ .. أن يُفيضُوا عليهم مِن الماءِ، وممَّا رزَقَهم اللهُ من طعامِ الجنَّةِ .. ويَشاءُ اللهُ للمؤمنِين وهم في الجنَّةِ أن يَسمَعُوا أصواتَهم ونِداءاتِهم .. فيأذَنُ لهم أن يُجيبُوهُم، ويقُولُوا لهم: ليسَ لأحَدٍ أن يفعلَ شَيئاً إلَّا بإذنِ اللهِ .. فسُقيَاكُم وإطعَامُكُم من ثمارِ وطعَامِ الجنَّةِ ليسَ لنَا، وليسَ لأحَدٍ غيرِنا، وإنما هو للهِ تعالى وحدَه .. واللهُ تعالى قد حرَّم الماءَ، والطعامَ على الكافِرين .. فليسَ لكُم في جَهنَّم إلَّا العَذَاب؛ جزَاءَ كُفرِكُم، وشرِكِكُم، وعنَادِكُم، واستهزائِكُم باللهِ، وآيَاتِه، ورُسُلِه، والمؤمنِين .. وما إن يَنتهوا مِن جوابِهم إلَّا وتَهدأ الأصواتُ، وتَتوقَّفُ المنَاجَاةُ والمنَادَاة، ويُحَالُ بين الفَريقَين، وينكَفِئ الكافِرُون على عذَاباتِهم وآلامِهم نادِمين!

* * * * *

الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً

560- [الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً]؛ لم يُحسِنُوا تَلَقِّي دينَ الله، ولا التَّعامُلَ معَه، ولم يأخذُوه بقوَّةٍ وجِدٍّ، بل تَلَقّوه على وَجْهِ اللَّعبِ، والاستهزاءِ، والاستخفَافِ، والتَّهكُّمِ بالإيمانِ والمؤمنين، [وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا]؛ وغرَّهم الانغماسُ في النَّعيم والتَّرَفِ الذي هم فيه، وظَنُّوا أنه باقٍ لهم؛ وأنَّه لن يزولَ عنهم، ولن يَزُولُوا عنه .. ونَسوا أنَّه استِدْراجٌ وفتنةٌ لهم؛ هل سيَشكرُون أم سيكفرُون، [فَالْيَوْمَ]؛ يوم القيامَةِ، يومَ الحِساب، [نَنسَاهُمْ]؛ نتركُهم في نارِ جهَنَّمَ، وفي العذَابِ الأليم، فلا نلتفِتُ إليهم، ولا إلى ندَاءاتِهم، واستغاثاتِهم، [كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا]؛ فكما تركوا العمَلَ، وأهملوا الطاعاتِ التي تنجيهم يوم القيامَةِ، وكانوا يستخفُّون بها .. فإنهم يُترَكُون، ويُعاقَبون اليومَ مِن جنسِ فعلِهم، [وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ]الأعراف:51. وهؤلاء لم يَقتصِرْ جرمُهم على ما تقدَّم ذِكرُه .. بل كانوا مع ذلك يُنكِرُون ويُكذِّبُون بالآياتِ الباهِرات الدَّالَّةِ على وحدانيَّةِ الله تعالى، وأنه المعبودُ بحقٍّ؛ الآياتُ السمعيَّةُ القرآنيَّةُ، والآياتُ الكونيَّةُ، والآياتُ النَّفسيَّةُ .. والآيةُ الكريمةُ وإن نزلَت في الكافِرين الجاحِدين إلا أنَّها تَطالُ العُصَاةَ من المسلمين ـ بحسب تقصيرِهم وعلى قدْرِ تَشبهِهم بالكافِرين ـ الذين لم يأخذُوا دينَ اللهِ تعالى بقوَّةٍ وجدٍّ كما ينبغي .. وتعامَلُوا معه كمادَّةٍ للرقْصِ، والقَفْزِ، والغِناءِ، واللَّعبِ، والطَّرَب!!

* * * * *

أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ

561- قال الذين كفَرُوا: للهِ الخلْقُ، ولنا الأمْرُ .. واللهُ إلهٌ في السّماءِ، ونحن الآلهةُ في الأرضِ .. وهذه قِسمةٌ ظالمةٌ لا تَستقيمُ شَرْعاً، ولا عَقْلاً؛ فالذي له الخَلْقُ، هو الذي له الأمْرُ فيما خَلَق .. والذي هو إله في السماوات، هو الإله المعبود والمُطاع في

الأرض:[أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ]الأعراف:54. [وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ]الزخرف:84. [لَوْ كَانَ فِيهِمَا]؛ أي السماواتِ والأرض [آلِهَةٌ إِلَّا اللّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ]الأنبياء:22.

562- [أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ]الأعراف:54. الذي لهُ الخلْقُ، له الأَمْرُ .. ولَهُ الطَّاعَةُ فِيمَا يَأمرُ بِه .. أمَّا مَن لا يخْلُقُ، لا يَأمرُ، ولا يحقُّ له أن يَأمُرَ، ولو أَمَرَ أمراً فيه مَعصية للهِ، لا يُطاعُ فِيما أَمَرَ به.

563- [أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ]الأعراف:54. مَن آمَنَ بأنَّ للهِ الخلَقَ، لَزِمَهُ أن يؤمنَ بأنَّ للهِ الأمرَ، والحكمَ؛ فلا يَصحُّ عَقلاً أن يكونَ الخلْقُ، والمُلْكُ للهِ وحدَه، ثم يكونُ الأمرُ والنَّهيُ فِيمَا هو للهِ، لغيرِه!

564- [أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ]؛ نَادرٌ مَن يجحَد هذا الحق للهِ، أو يُنازع ويجادِل فيه، [وَالأَمْرُ]الأعراف:54. على هذا الحقِّ يَشتدُّ الخلافُ معَ الكافِرين والمنافقِين، ولأجلِه يجيّشُون جيوشَهم، ويُعلِنُون حرُوبَهم، وتمتلئ قلُوبُهم غَيظاً، وحِقداً على الحقِّ وأهلِه .. مَن له حَقُّ الأمرِ والنَّهي، وحَقُّ الطَّاعةِ فِيما يأمرُ به، وينهى عنه .. مَن المُطَاعُ لِذَاتِه .. اللهُ أم غَيرُ اللهِ .. هنا ـ وعلى هذا الحقِّ الخالِصِ للهِ ـ يكمنُ موردُ النِّزاعِ والخلافِ معَ المشركين، والمنَافِقين؟!

* * * * *

ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً

565- [ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً]؛ بذِلَّةٍ، وخضُوعٍ، ورجَاءٍ، وخَشْيَةٍ، [وَخُفْيَةً]؛ فالدُّعاءُ الخفِي أفضلُ مِن الجهرِ بِه؛ فالدُّعاءُ الخفِي أقربُ للإخْلاصِ، وأرْعَى للخشُوعِ، والأدَبِ معَ اللهِ، وألحَظُ لمعيَّةِ اللهِ وقُرْبِه، [إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ]الأعراف:55.

بالدُّعاءِ، ومِن العُدْوانِ بالدُّعاءِ أن يدعُو المرءُ ظُلماً، وبَغْياً، وقَطيعَةً للرَّحِمِ، وتكلُّفاً، وتَنطُّعاً .. وتَتَبعاً للسجَعِ مِن القَوْلِ .. وأن يسألَ اللهَ مَا حرَّمَ على نفْسِه، وحَرَّمَهُ على عِبادِه .. وفي الحديث أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ مُغفَّلٍ، سمعَ ابنَهُ يقولُ: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ القَصرَ الأبيضَ، عن يمينِ الجنَّةِ إذا دَخلتُها، فقالَ: أي بُنَيَّ، سلِ اللَّهَ الجنَّةَ، وتعوَّذ بِهِ منَ النَّارِ، فإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ:" إنَّهُ سيكونُ في هذِهِ الأمَّةِ قومٌ يَعتدونَ في الطَّهورِ والدُّعاءِ ".

* * * * *

وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا

566- [وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ]؛ فتُشيعُون فيها الكُفْرَ، والفواحِشَ، والمنكرَات، [بَعْدَ إِصْلاَحِهَا]؛ بعد إعمَارِهَا بالإيمانِ، والخَيرِ، والأعمالِ الصَّالحَات، [وَادْعُوهُ]؛ التجِؤوا وتَضرَّعُوا إلى اللهِ بالدُّعاءِ، [خَوْفاً]؛ مِن عذَابِه، [وَطَمَعاً]؛ برحمتِه، وعفْوِه، فتَجمَع في دُعائِك بينَ الخوفِ والرَّجاءِ؛ فلَا تُغَلِّب الخوفَ؛ فتَجنَح إلى اليأسِ والقُنُوطِ، ولَا تُغَلِّب الطمَعَ والرَّجاءَ؛ فتَجنَح إلى الإرجَاءِ، والتَّواكُلِ، وتَركِ العَمَلِ، وإنما وسَطٌ بينَهما، [إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ]الأعراف:56. والمحسنُون هم الذين يَأتُون بما زَادَ عن الفرضِ والواجِب؛ من النَّوافِلِ والطَّاعَات؛ فكلُّ ما زَادَ عن الفَرضِ يَدخُلُ في الإحسَانِ، والمرْءُ كلَّمَا أكثرَ مِن فعلِ النوافِلِ والمندوبَات كان أقرَبَ إلى المحسنِين، وألصَقَ بصفَاتِ ومعَاني الإحْسَان.

* * * * *

إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ

567- عَلى قَدْرِ الإحْسَانِ على قَدْرِ مَا تَكُونُ الوَلَايَةُ، ويَكُونُ القُرْبُ مِن رَحْمةِ اللهِ، [إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ]الأعراف:56. [وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]البقرة:195. والإحْسَانُ كُلُّ تَطَوّعٍ زَادَ عَنِ الوَاجِبِ، وكُلُّ مَعْرُوفٍ وفَضْلٍ زَادَ عنِ العَدْلِ .. وفي الوَاجِبِ؛ يَكُونُ الإحْسَانُ بإتْقَانِه .. قال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحْسَانَ علَى كُلِّ شيءٍ "؛ في الوَاجِبَاتِ، والمنْدُوبَاتِ، والمبَاحَاتِ.

* * * * *

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ

568- [وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ]؛ هي دَارُ الإيمانِ والإسْلامِ، التي تُسَاسُ وتُحكَمُ بشرْعِ رَبِّ العَالمِين، [يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ]؛ تُعطِي عطَاءَها الجميل والعَظيم بإذنِ رَبِّها؛ فيَعُمُّ فيها الخَيرُ، والأمنُ، والأمَان، [وَالَّذِي خَبُثَ]؛ وهي دَارُ الكُفْرِ، والشِّرْكِ، والفُسُوقِ والعُصْيَانِ، التي تُساسُ وتُحكَمُ بشرائعِ الطَّاغُوت، [لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً]؛ فهي مهمَا تَزيَّنَت، وتزَخْرَفَت، وتلَوَّنَت، فهي دارَ عُسرٍ، وشَقاءٍ، وظُلمٍ، وكآبَةٍ، [كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ]؛ نضرِبُ الأمثَالَ، ونبيّن الآيَات العَديدةِ، وننوّعُ فِيها، لتَستَبِينَ الحقَائِقَ والمعَانِي، [لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ]الأعراف:58. يَشكرون نِعَم اللهِ عليهم .. وهذا المثَل وإن حُمِلَ على البلَدِ الطَّيبِ، والبلَدِ الخَبيث .. فإنَّه كذلك يُحْمَلُ على المؤمنِ الموحِّدِ، الذي يطيب عَطَاؤه، وتَطيبُ حيَاتُه .. والكافِرِ المشْرِك الذي كفَر وأعرَضَ، الذي خَبُثَ عَطَاؤه، وخَبُثَت حيَاتُه!

* * * * *

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ

569- [لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ]؛ المشركين؛ الذين صنَعُوا لأنفُسِهم أصناماً، عكَفُوا على عبادَتِها مِن دُونِ اللهِ، [فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ]؛ وحِّدُوه، وأفردُوه بالعبادَةِ، والطاعَةِ، والخضُوع، والتَّوجُّه، والدُّعاءِ، وكلِّ ما يَدخلُ في معنى ومُسمَّى العِبَادةِ من الأعمالِ، والأقوالِ الظاهِرةِ والباطِنَةِ، [مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ]؛ ليسَ لكم مِن مألُوه تتألَّهونَه، وتَعبدُونه إلَّا الله؛ فاللهُ تعالى هو الإله الحقُّ الذي يجبُ أن تُصرَفَ إليه العِبادَةُ .. وما سواه مخلوقٌ ومربُوب لا يَستحقُّ، ولا يجوزُ أن يُعبَد .. فإن لم تَستجيبوا لما أدعُوكم إليه، وآمرُكم به من التَّوحِيد، [إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ]الأعراف:59. يومَ القِيامَةِ؛ الذي يَشتَدُّ فيه العذَابُ على المشركين، وهو عذابٌ محقَّقٌ لا يتخلَّفُ؛ سيَطالُ كلَّ مُشركٍ يموتُ على الشِّركِ .. وهذا الذي أُرْسِلَ به نوحٌ عليه السلام إلى قومِه قد أُرسِل به جميعُ الأنبياءِ والرسلِ مِن بعدِه؛ فجميعُ الأنبياءِ والرسُلِ بُعِثُوا بهذِه الرسالةِ [اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ]، وهي القضيَّةُ الكُبرى بالنسبةِ لورثةِ الأنبياءِ من العُلماءِ والدُّعاةِ؛ فإنه يتعيَّن عليهم ـ حيثما كانُوا، وفي أي زمَانٍ كانُوا ـ أن يَرصدُوا الشِّركَ بكلِّ أنواعِه ـ على مدارِ الوقتِ ـ بشكلٍ دَقِيقٍ، ويقُومُوا بتعريتِه، وبتعريفِ النَّاسِ به، وتحذيرهم مِنه، ومِن الطوَاغِيت التي تُعبَد مِن دُونِ اللهِ، ويُشرَكُ بها معَ اللهِ!

* * * * *

وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ

570- [وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً]؛ ونحوه كُلُّ نبيٍّ مُرسَلٍ، [قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ]؛ وحِّدُوه، وأفرِدُوه بالعِبَادَةِ، ولا تُشرِكُوا به شَيئاً، [مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ]الأعراف:65. مَا لكم على الحقيقةِ من إله تُألِّهُونَه، وتَعبدُونه مِن دُونِ اللهِ .. والآلهةُ التي

تتخذوها وتَعبدُوها مِن دُونِ اللهِ، مخلوقَة، لا تملكُ شَيئاً من خصَائصِ وصِفاتِ الألوهيَّة، والربوبيَّةِ، وبالتَّالي لا يجوزُ أن تصرفُوا لها العِبادَةَ مِن دُونِ اللهِ عزَّ وجل.

* * * * *

قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ

571- [قَالُواْ]؛ قالَت عادٌ لنبيِّهم هُود .. وبنحو قولِهم قالَ جميعُ الكفَّار على مرِّ العُصُور لأنبيَائِهم:[أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ]؛ أكثر ما تَستثقلُه نفُوسُ الكفَّار والمشركين، ويُنكرونه على أنبيائِهم التَّوحِيد؛ دَعوتهم إلى أن يعبدُوا اللهَ ولا يُشركُوا به شيئاً .. قَد يَقبلُون مِنك كلَّ شيٍ .. أمَّا " لا إله إلا الله "، فَلَا!! [وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا]الأعراف:70. السببُ الرَّئيس الذي يحملُهم على رَدِّ دَعْوةِ التَّوحِيد؛ هو التعصب للآباء، وتَقليدهم في الشِّركِ، وعبادَةِ الأوثانِ والطَّواغيت .. فهم لم يردُّوا دَعوةَ التَّوحِيد لما يملكونَه من حججٍ وبرَاهين علميَّة وعقْليَّة .. لَا .. ليسَ شَيئاً مِن ذلك .. إنما فقَط تَقليدُ الآبَاءِ، والتَّعصُّب لهم، ولِمَا كانُوا يَعبدُون مِن دُونِ اللهِ!

* * * * *

أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم

572- [أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ]الأعراف:71. لم يَتوقَّف جدالُهم حولَ أسماء الأصنامِ التي كانوا يَعبدونها مِن قَبل .. كاللَّات، والعُزَّى، ومَنَاة، وهُبَل، وغيرها .. فالجدالُ مستمرٌّ إلى اللحظةِ ـ وما بعدَها ـ حول أسماءِ أصنَامٍ، وأوثانٍ، وآلهةٍ محدَثَةٍ جديدَةٍ تُعبَد مِن دُونِ اللهِ .. فشياطينُ الأنسِ والجنِّ لم يتوقَّفوا عن العمَلِ؛ فهم في تحديثٍ مستمرٍّ للأسماءِ التي تقرِّرُ وتُشَرعِنُ وتحسِّنُ عبادَةَ غَيرِ اللهِ .. وللأسماءِ التي تُحقُّ الباطِلَ، وتُزينُه، وتُبطلُ الحقَّ .. وتُحلَّ الحرامَ، وتحرم

الحلالَ .. وتحسّنُ القبيحَ، وتُقبّحُ الحسَن .. مِن هذه الأسماءِ، الأسماءُ التي شَغلُوا بها النَّاسَ دَهراً مِن الزَّمَن، وسَفكُوا في سبيلِها ولأجلِها أرواحَ عشَراتِ الملايين مِن الناسِ: الشيوعيَّةُ .. والاشتراكيَّةُ .. والديمقراطيَّةُ .. والليبراليَّةُ .. والحداثَةُ .. والقوميَّةُ .. والعلمانيَّةُ .. والإباحيَّةُ .. والمثليَّةُ .. والإلحادُ .. وغيرُها من الأسماءِ والمفاهِيم التي ما أنزَلَ اللهُ بها من سُلطان، فالجدالُ حول هذه الأسماءِ والمفَاهِيم المُحْدَثَةِ بين أهلِ الحقِّ، وبين أهلِ الباطِل مستمرٌّ، وبَاقٍ، لم يتوقَّف .. وسيَظلُّ مُستمراً إلى أن تقومَ السَّاعة .. فالصراعُ على المفاهِيم، والمصطلحَات، والأسماءِ، والقِيم، والمبادِئ الحاكمَةِ الكليَّة، التي تُشكّلُ عقائدَ، وتَصورات الناسِ .. أشَدُّ تَدافُعاً وأثَراً مِن الصِّراعات المسلَّحَةِ التي تكون بين الجنُود!

* * * * *

وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ

573- [وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ]الأعراف:79. هذهِ الصِّفَةُ هي في النِّساءِ أكثر مِنْها في الرِّجَالِ .. كَثيرٌ مِنَ النِّسَاءِ يَعْتَبِرْنَ النَّصيحَةَ ـ وبخاصَّة إذا جَاءَتْهُنَّ مِن الرِّجَالِ ـ قَوَامَةً ممقُوتَةً!

574- [وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ]الأعراف:79. كُلَما تمكَّنَت الأهواءُ مِن الناسِ، وتَمَلَّكَ العُجْبُ بالنَّفْسِ، والرَّأي .. كانُوا أشَدَّ نُفُوراً مِن النَّصيحةِ، والنَّاصِحين .. فحُبُّ النصيحةِ والنَّاصِحين مِيزَانٌ يُعرَفُ به أهلُ الأهواءِ مِن عَدَمِهم .. ونحنُ في زَمانٍ إذَا أرَدتَ أن تخسرَ النَّاسَ مِن حَولِك، فانهَجْ طريقَ النَّاصِحين!

575- [وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ]الأعراف:79. كُلَما تمكَّنَت الأهواءُ مِن الناسِ، وتَمَلَّكَ العُجْبُ بالنَّفْسِ، والرَّأي .. كانُوا أشَدَّ نُفُوراً مِن النَّصيحةِ،

والنَّاصِحين .. فحُبُّ النصيحةِ والنَّاصِحين مِيزَانٌ يُعرَفُ به أهلُ الأهواءِ مِن عَدَمِهم .. ونحنُ في زَمانٍ إذَا أرَدتَ أن تخسرَ النَّاسَ مِن حَولِك، فانهَجْ طريقَ النَّاصِحين!

576- [وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ]الأعراف:79. لكي يتمكَّن دُعاةُ الدَّجَلِ، والشَّعْوذَةِ، والفَسَادِ مِن الانفرَادِ بضحَايَاهُم، وتَفرِيغ سُمِّهم ودَجَلِهم في نفوسِهم وعقولِهم .. يُبَغِّضُونهم بالنَّصِيحَةِ والنَّاصِحين .. وأن لا يَسمعُوا للناصِحين المشْفقِين .. وأن يُغلِقُوا على الناصِحين منافِذَ النَّصيحَةِ ـ وبخاصَّة إن كان الناصحُون مِن محيطِهم الاجتمَاعِي القَريبِ مِنهم الأكثر تأثيراً ـ على اعتبارِ أنَّهم يملكُون المهارَات الذَّاتيَّةِ، والقوَّةِ، والقُدرَةِ، والطَّاقةِ الخارِقةِ على نُصح أنفُسِهم بأنفُسِهم .. وعلى تَحفِيزِ أنفُسِهم بأنفُسِهم .. فلا يحتَاجُون إلى غيرِهم .. ولا إلى نصائِحِهم وتحفيزاتِهم .. ومَشورَتِهم .. فيُلغون بذلك عملَ الأنبياءِ، وعمَلَ الصَّالحِين المصْلِحين ـ عبر التاريخ كلِّه، وعبر جميع الأزمنَةِ الماضيَةِ، والحاضِرَةِ، والمستقبلةِ ـ القَائِمِ على النصيحَةِ، والتَّناصُحِ، وعلى الأمْرِ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكَرِ .. وعلى الشُّورَةِ، والتَّشَاور .. كما أنَّهم يَضَعُون بذلك الحواجزَ النفسيَّة المدمِّرَة للبيوتِ، ولمحيطِهم الاجتماعِي، فيَقطَعُون ما يجبُ وصْلُه .. ويُدَمِّرون ما يجبُ بُنْيَانُه .. وهذا مِن الغُرُور، والكِبْرِ، والتَّعالِي على الحقِّ، والخلْقِ، ومِن تَلْبِيسِ إبْلِيس عليهم .. وأكثَرُ مَن يَقع في شِباك هؤلاءِ الدَّجَاجِلَةِ المفْسِدِين، ويُصغُون إليهم، هم مِن النِّساءِ، وللأسَف ...!!

* * * * *

أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ

577- [أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ]؛ اطردُوهُمْ من أرضِكُم ودولتِكُم .. لماذا .. وما هو السَّبب؟![إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ]الأعراف:82. هذه هي جريمتُهم الكُبْرَى؛ إنَّهم لا

يَقترِفُون الفَواحِشَ والمنْكَرَاتِ .. ولا يُشَاركونَنَا ممارسَةَ الفُجُور .. وعادَةَ قَومِ لُوطٍ .. فاعتزالُهم لفجُورِنا وفسُوقِنا، وعَدَمُ مشَاركتِهم لنَا في طَريقةِ حيَاتِنَا، وفِيمَا نحنُ فِيه مِن فُجُورٍ .. وتحرِيمُهم وتَأثيمُهم " للمِثْلِيَّةِ "، والتزَامُ نِسائِهم الطُّهرَ والحِجَابَ .. مَنْظَرٌ يُؤذِينَا .. يَتَناقَضُ معَ ثقافَتِنَا وطريقَةِ حياتِنَا .. ويُعَكِّرُ علينا مَزاجَنَا، وصَفْوَ حياتِنَا الماجِنَةِ .. لا طاقَةَ لنَا أن نَرَاهُم أو أن تجمَعنا بِهم أرضٌ واحِدَةٌ!

هذه كلمَاتٌ جرَت على لِسانِ قَومِ لوطٍ مِن قَبل .. إلَّا أنَّها تَتَكَرَّرُ في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ ـ بصيَغٍ وأساليب مختلِفَةٍ ـ يتَواجَد فيه مَن يَفْعَلُ فِعْلَ قَومِ لُوطٍ .. ويُحَسِّنُ ويُشَرْعِنُ صَنِيعَ قَومِ لُوطٍ!

* * * * *

وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً

578- [وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ]؛ في كلِّ طريقٍ يُفْضِي إلى الحقِّ .. إلى الإيمانِ .. والنورِ والهِدايَةِ .. ترَى الطغاةَ الظَّالمين وأَعْيُنَهم قابِعين جالِسين، يتربَّصُون، ويتجسَّسُون، ويُراقبون العابرين المؤمنين، السالكِين إلى اللهِ، [تُوعِدُونَ]؛ يتوعدونَهم بالقتْلِ أو السجْنِ، والتعذِيبِ، أو الطَّردِ، والنَّهبِ، ومُصادَرةِ الأموالِ والممتلكاتِ .. إن آمَنُوا، وسَلَكُوا طريقَ الأنبياءِ والرُّسُلِ، [وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ]؛ يَصدونَهم ـ بالتَّرهيبِ والتخويفِ تَارةً وتارةً بالترغِيبِ ـ عن الإسلامِ .. عن صراطِ اللهِ المستقِيمِ .. حتَّى باتَ المؤمنُ في كثيرٍ من الأمصَارِ لا يَأمَن على نفْسِه أن يُصَلِّي الجماعَةَ في المسَاجِدِ، خَشْيَةَ التَّصْنِيفِ،[وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً]الأعراف:86. يريدُون لو أنَّ دينَ اللهِ تعالى ينحرفُ عن الصراطِ المستقيمِ .. عن جادَّةِ الحقِّ .. ويُتابِعُهم على ما هُم فيه مِن العوَجِ، والانحرافِ، والضَّلالِ .. وأَنَّى!

* * * * *

قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ

579- [قَالَ الْمَلأُ]؛ الزُّعماءُ الذين يُرجَعُ إليهم في المُلِمَّات، وعند اتخاذِ القرَاراتِ الكبيرةِ والهامَّةِ، لتي تخصُّ القَرية وساكِنيها، [الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ]؛ تكبَّروا؛ فردُّوا الحقَّ؛ وهو الإيمان، واحتَقَروا الخلَقَ؛ وهم المؤمنُون، [مِن قَوْمِهِ]؛ هؤلاء المتكبرون الظَّالمون ليسُوا غُربَاء .. وإنما هم شُركاء في الوطَنِ، والانتماءِ للقريةِ وأهلِها، [لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا]؛ فوضَعُوا شُعيباً والذين آمنُوا معه بين خيارَين لا ثالِثَ لهما، لا بدَّ لهم من اختيارِ أحدِهما؛ إمَّا أن يَعُودوا إلى الكُفرِ، ويَدخلُوا في دِينِهم وملتِهم، ويتركُوا الإسلامَ، أو الطرد والإخراج من القريةِ، ومن مساكِنهم؛ فاستكبارُهم يمنَعهم من العيشِ في قريةٍ أو بلدةٍ واحدَةٍ تجمعُ بينهم وبين المؤمنِين .. وهذا الموقف من الملَأ تجاه شُعيب ومَن آمنَ معَه لم يكُنْ بدعةً، ونشَاذاً لم يتكرر في التَّاريخ .. لَا .. بل قد تكرَّر ـ بصورٍ، وطُرقٍ شَتَّى ـ في كلِّ زمانٍ قد تواجدَ فيه المستكبرُون الكافرُون، والمؤمنون في بلدةٍ واحِدةٍ، ووطَنٍ واحدٍ .. وكانَت الشوكَةُ والغَلَبَةُ للمسْتَكبِرين .. حتَّى في زماننَا المعَاصِر؛ فإنه لا يخلو من هذه المشاهِد العنصريَّة، والظالمةِ، والتهجِير القسرِي للمؤمنين مِن ديارِهم وأوطانِهم، لا لذنبٍ سوى أنَّهم مسلمون، يقُولون ربنا الله، [قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ]الأعراف:88. فأجابهم شُعيب في سؤالٍ يُفيد التَّعجُّب، والتَّقرِيع؛ كيفَ تقدمون على هذه الخُطوة، وهذا الإجراءِ الظَّالم، ونحنُ كارِهون له، لا نُريدُه .. ولنا في القريةِ نفس الحقِّ الذي لكم؟!

* * * * *

قَالُوْاْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ

580- [وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوْاْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ]الأعراف:113. هَذا هو هَمُّهُم .. وهذا هو شَرْطُهم مُقابِلَ خَدَمَاتِهم التي سَيُقَدِّمُونَها لفِرعَون .. الأجْرُ المادِّي .. ولا شيءَ غَيرَ الأجْر .. وهكذَا حَالُ كُل مَن يَشتَغِل عندَ الطُّغاةِ المجرِمين، ويُقَدِّمُ لهم خدَمَاته .. أوَّل وآخَر ما يَسألُ عنه، ويَهتَمُّ لَه .. مَا هو الأجْرُ المادِّي الذي سيَحْصَلُ عليه .. وكَم سَيرمِي له الطَّاغيةُ مِن الفُتَاتِ مُقَابِلَ خَدَمَاته .. بينَمَا لَمَّا انتقلَ السَّحَرةُ إلى ساحَةِ الإيمانِ، وآمَنُوا بربِّ هارُونَ ومُوسى .. جَادُوا بأنْفُسِهم في سَبيلِ اللهِ .. ولم يَعُدْ يهتمُّوا بالأجرِ الدنيوي، ولَمْ يَسألُوا عنه، وزَهِدُوا بالدُّنيا ومَا فِيها؛ لظُهُورِ الحَقِّ لهم، ولِعلمِهم أنَّ الأجرَ عِندَ اللهِ أعظَمُ، وخَيرٌ، وأبْقَى!

* * * * *

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ

581- [وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ]الأعراف:117. إذَا حَضَرَت عَصَا موسى بَطُلَت عُصِي السَّحَرَةِ .. وبَطُلَ كيدُهُم وتَلفيقُهم وغشُّهم .. وإذَا حَضرَت الآيَاتُ والمعْجِزَاتُ بَطُلَت الخرَافَات، والشَّعْوَذَات .. وإذا حَضَرَ الحقُّ بَطُلُ الباطلُ، وتَلعْثَمَ، وخَنَس، وبانَت عوراتُه، ونَوَاقِصُه .. وانقَضَّ الحقُّ عليه، وتَلَقَّفَهُ، وأصبحَ أثَرَاً بعدَ عَين!

* * * * *

وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ

582- [وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ

]الأعراف:127. هكَذا شَأنُ الطُّغاةِ الظَّالمِين مِن قَبل، واليوم، وفي كلِّ زمَانٍ، ومَكانٍ؛ عندما يَعجَزُون عن مواجَهَةِ الرجَالِ .. وعن مواجهةِ الحُجَّةِ بحجَّةٍ تُقابلُها .. وعن مواجَهةِ الفِكْرِ بفكرٍ يُقابِلُه .. يلجَأون للحلقَةِ الأضعَفِ في المجتمع؛ فيَستهدِفُون الأطفَالَ، والنِّساءَ، بالتَّقتيلِ، والتَّعذيبِ، والاغتصَابِ .. وهذا النوع من الاعتدَاءِ والتَّوحُّشِ قد يَروي ظَمأَ أحقادِهم بشكلٍّ مؤقَّت .. لكن لَا يحقِّقُ لهم نَصراً على المدَى البَعيدِ، وبالنظَرِ إلى الخواتِيم والمآلَات!

* * * * *

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

583- [وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ]الأعراف:128. في الطَّريقِ قَد تَواجُهك بَعضُ الصِّعَابِ، والعَقَبَات .. وقَد تُصيبُك بعضُ الآلامِ والجِرَاحَات .. لكن اعْلَمْ أنَّ المآلَاتِ والخَوَاتِيم ـ مهمَا طَالَ الطريقُ ـ للصَّابِرين المتَّقِين .. فلَا تَقْلَقْ على " العَاقِبَة "، وإنما يَكونُ قَلَقُك مُنْصَبٌّ في اتجاهِ تحقِيقِ الصَّبرِ والتَّقْوَى .. وهَل أنتَ مِن الصَّابِرين المتَّقِين؟!

* * * * *

عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ

584- [عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ]؛ بِسببِ كَوني، أو بأيدِيكم، أو بِكلَيهمَا معاً .. فدَولةُ الباطِلِ مهمَا انتفَشَت، وطَغَت، وطَالَت، فمآلُها إلى ضُمورٍ، وأفُولٍ .. وأيَّاً كان سَببُ الهَلاكِ، فالذي أهلَكَ العدوَّ، وكفَّ شرَّه وأذَاه عَنكم على الحقِيقَةِ هو اللهُ سُبحَانَه وتَعالى، [وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ]؛ ويجعَلَكُم خُلفاءَ في الأرضِ لمَن سَبقُوكُم، ويجعلُ لكم الكلمةَ العُليا، بعدَ ضَعفٍ، وخَوفٍ، وذُلٍّ، ويمكّنَ لكُم في الأرضِ، [فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ]الأعراف:129. ليختَبركم كيفَ ستَعمَلُون، وتَتصَرَّفُون؛ هل ستُصلِحُون أم

سَتُفسِدُون .. وهَل ستَشكرُون أم ستكفرُون الفَضلَ، والنِّعمةَ، وتَردُّون الفَضلَ لعزَماتِكم مِن دُونِ اللهِ .. وهَل ستأتمرُون بما أمرَ اللهُ، وتَنتهُون عمَّا نَهى عنه، وتحتكِمُون إلى شَرعِهِ المنزَّل أم ستُعرِضُون، وتُدبِرُون، وتَنسونَ فَضلَ اللهِ عليكم إذ نجَّاكُم مِن القَومِ الظَّالمِين؟!

* * * * *

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ

585- [سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ]؛ عن طَلَبِها، وفَهمِها، وتدبُّرِها، والعملِ بدلالاتها [الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ]الأعراف:146. الذين يَتَعالَون على الحقِّ، والخَلْق؛ فيردُّون الحَقَّ، ويحتقرون الخلْقَ، فيُعاقِبهم اللهُ ـ بالجَهل، وعدم الانتفاع ممّا يتعلمونَه ـ من جِنس فِعلِهم وذَنْبِهم .. فكم مِن رائدٍ للفضاء، يَرَى الآياتِ الباهِراتِ في السَّماءِ، ثم يَعُودُ إلى الأرضِ أشَدَّ كُفْراً وعنَاداً!

* * * * *

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ

586- [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ]الأعراف:156. الحمدُ للهِ ربِّ العَالمين حَمداً كَثيراً طيِّباً مُباركاً فيه، مِلْء السَّماواتِ والأرض أنَّ رحمةَ اللهِ وسعَت كلَّ شَيء .. أعجب للمؤمنِ العاصِي كيفَ يَقنطُ مِن رحمةِ الله .. وربُّه يقول له:[وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ]؛ تَسَعُكَ وتَسعُ كلَّ شَيء .. فعلَامَ القُنوط مِن رحمةِ الله .. ألستَ شَيئاً يا عبدَ الله .. فمن أنتَ حتَّى لا تَسَعُكَ رحمةُ اللهِ ..؟! خَابَ وخَسرَ مَن لم تَسعْهُ رحمةُ اللهِ .. ومَن ظنَّ أن رحمةَ اللهِ لَا تَسَعُه!!

* * * * *

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً

587- [قُلْ]؛ يا محمَّد، مُنادياً، [يَا أَيُّهَا النَّاسُ]؛ خطابٌ موجَّهٌ لجميعِ الناسِ من دُونِ استثناءٍ لأحَدٍ مِنهم؛ على اختلافِ ألوانِهم، وأجنَاسِهم، ولغَاتِهم، وأوطانِهم، ومِلَلِهم .. نداءٌ لا يخصُّ زَمَناً دُونَ زَمَنٍ .. ولَا مَكاناً دُون مَكانٍ .. وإلى يومِ القِيامَةِ، [إِنِّي رَسُولُ اللهِ]؛ أرسلني اللهُ برسالَةِ الإسلامِ، [إِلَيْكُمْ جَمِيعاً]الأعراف:158. وإني أدعوكُم جميعاً للإيمانِ بي، وبما جئتُ به من عندِ الله .. فلا يَصدنَّكُم عن الإيمانِ بي، وعن مُتابَعتي انتماءٌ لقومٍ، أو لغةٍ، أو لونٍ، أو وطَنٍ .. فأنا رسولُ اللهِ إليكم جميعاً .. ولَا يَسعُكم إلا طاعَتي ومتابَعتي.

وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

588- [وَاتَّبِعُوهُ]؛ أي اتَّبعُوا محمداً صلى الله عليه وسلم [لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] الأعراف:158. جَوابٌ لكُلِّ مَنْ ضَلَّ السَّبيلَ، وتَاهَت به الدُّرُوبُ، وأرَادَ النَّجَاةَ.

* * * * *

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ

589- [وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ]الأعراف:164. لَا ينبغي للداعيةِ إلى اللهِ تعالى أن ينصرفَ عن الدَّعوةِ إلى اللهِ، وعن الأمرِ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكَرِ، لقلَّةِ الأتباعِ، والمُقبِلين، وكَثرةِ المعرِضين .. فهو إذْ يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكَرِ يقومُ بما يجبُ عليه مِن اللهِ، طاعَةً وامتثالاً لأمرِ اللهِ، وحتَّى لا يُؤاخَذ بكتمانِ الحقِّ، والعِلم، وبالرِّضَى بالباطِلِ، والسكوتِ عليه .. ثم بعد ذلك يتركُ النتائجَ إلى اللهِ تعالى .. فكم مِن كلمةٍ مخلِصَةٍ لم تثمرْ في حِينِها ـ اختباراً لصاحِبها ـ أثمرَت، وآتَت أُكُلَها بعدَ سنِين، وعُقُودٍ، وكانت سَبباً في هداية كثيرٍ من الناسِ .. وكَمْ مِن قصَّةٍ ظنَّ أصحابُها أنَّها لن تتجاوزَ زمانَهم، وأيامَهُم،

فكتَبَ اللهُ لها القبُولَ، والذِّكرَ لعقُودٍ، وقرُونٍ مَديدَةٍ .. وإنَّ مِن الأنبياءِ ـ وهو نبيٌّ مُرسَل ـ مَن لَمْ يُؤمِنْ به من قومِه، وممَّن أُرسِل إليهم، إلَّا الرجلُ الواحِدُ .. والنَّفرُ القَليل .. لكن بعدَ موتِه، ورحيلِه .. آمنَت به أمَّةُ الإسلامِ كلها، وإلى قيامِ السَّاعَةِ .. فعليكَ ـ يا عبدَ الله ـ حُسن الدَّعوَةِ، والبيانِ، والتَّبليغ .. وعلى الله تعالى الهِدَاية والتَّوفِيق.

* * * * *

فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ

590- [فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ]الأعراف:165. لَا يكْفِي ـ لكي تنجُو مِن العذابِ الذي يَتنزَّل على الظَّالمين ـ أن تكونَ صَالحاً في نفْسِك .. إذْ لَا بدَّ مِن أن تكونَ أيضاً ممَّن يَنهونَ عن السُّوءِ، كُل السُّوء؛ السُّوءُ الاعتِقَادِي، والسُّوء السِّياسِي، والاجتماعِي، والأخْلاقِي، والاقتصادِي .. وتَأمرُ بما يَضَاده مِن المعروفِ .. وتَصْبرُ على الأذَى الذي يَتَسبَّبُه لكَ الأمرُ بالمعروفِ، والنَّهيُ عنِ المنكَرِ والسُّوء!

591- [أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ]الأعراف:165. خَصَّ [الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ] بالذِّكْرِ؛ لأنَّه الجانبُ الأشَدُّ والأصعَبُ في عمليَّةِ الإصْلاح، يترتَّبُ عليه مِن التَّبعاتِ مَا لَا يَترتَّبُ على الأمْرِ بالمعرُوفِ .. ولأنَّ الذي يَنهى عنِ السُّوءِ يَلزَمُه أن يَأمرَ بالصَّلاح، وبالمعرُوفِ، بخلافِ مَن تَقتصرُ دعوتُه على الأمرِ بالمعرُوفِ، فإنَّه لا يَلزمُ مِن الأمْرِ النَّهيُ عن المنكرِ والفَسَادِ .. لِذا فإنَّ المشركين قد يَقبلون مِنك أن تَأمُرَهم بعبادَةِ اللهِ .. فيعبدُون اللهَ معَ جملةِ معبُودَاتِهم .. لكن لا يَقبلون مِنكَ أن تَنهاهُم عَن عِبادَةِ غيرِ اللهِ!

592- [فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ]الأعراف:165. قَدْ كَثُر الخبَثُ، والفُسوقُ، والعُصيَانُ، وكثُرَت المنكرَات، والفَواحِشُ، والسّيئاتُ، في الأمصَارِ .. وفي المقَابلِ قَد كَثُرَت الآياتِ والقوَارعُ الربَّانيَّةُ الكونيَّةُ على الظالمين .. وقَليلٌ هم الذين يتَّعظُون ويَعتبرُون .. وعلى قَدْرِ ما يَعتزِلُ العَبدُ تِلكَ المنكرَاتِ، والفواحِش، والسَّيئاتِ، وينَهى عنها .. ويُظْهِر براءَتَه مِنها، وإنْكارَهُ لها، ولأهلِها الظالمين .. على قَدْرِ مَا يُسَلِّمُه اللهُ تعالى مِن تِلك القوَارِع والآياتِ الزَّاجِرَاتِ المهْلِكَات!

* * * * *

فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ

593- [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ]الأعراف:175. هو بَلْعَام كان مِن كبَارِ عُلماءِ بني إسرائيلِ، قَد آتاهُ اللهُ مِن العِلمِ الكثِير .. وقِيل أن دعاءَه كان لا يُرَد .. انسَلخَ من الآياتِ والكرَامَاتِ التي آتاهُ اللهُ إيَّاهَا، كما تنسلخُ الحيَّةُ مِن جِلْدِها .. بسَببِ نصرتِه للظَّالمين، والوقوفِ معهم، والجِدَالِ عنهم، والدُّعاءِ لهم على مَن نَاوَأهم .. وهو بذلك مثَلٌ سَيِّئٌ لعلمَاءِ السُّوءِ مِن بَعدِه ـ على مدَارِ الأزْمِنَةِ ـ الذين لا يَحفَظُون أمانَةَ العِلمِ، وأمانَةَ التَّبليغِ؛ فيَقفُون معَ الطُّغاةِ الظَّالمين، ويُكثِّرون سوادَهم، ويجادِلُون ويُنافِحون عنهم، وعن ظُلمِهم .. ويَعمَلُون على تَبييضِ جَرائمِهم .. وهؤلاء مَهمَا توَسَّعَت لهم المجالِسُ لا يَحسَبُون أنْفُسَهم أنَّهم على خَيرٍ .. وهم مِن حزبِ وجماعَةِ بَلْعَام!

* * * * *

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

594- اتّباعُ الهوَى منه مَا يكونُ كُفراً، كما في قولِه تعالى:[وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ]الأعراف:176. وقوله تعالى:[وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً]الكهف:28. وقوله تعالى:[أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً]الفرقان:43. وقوله تعالى:[فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ]القصص:50. ومِنهُ ما يكُونُ مَعصيةً دُونَ الكُفْرِ، كما في قَولِه تعالى:[فَلاَ تَتَّبِعُواْ الهَوَى أَن تَعْدِلُواْ]النساء:135. وقوله تعالى:[وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى]النازعات:40. وغيرها من الآيات.

595- [وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا]؛ بالآياتِ التي آتَاهُ اللهُ إيَّاهَا، ورفَعهُ بها إلى منزلةِ الأولياءِ الصَّالحين، والعُلماءِ العَامِلين، [وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ]، مَالِ إلى الأرضِ، وركَنَ وسَكَنَ إليها، وإلى متَاعِها، وزينَتِها، وإغراءاتِها، واطمَأنَّ بِها .. وهو معَ ذلِك، [وَاتَّبَعَ هَوَاهُ]الأعراف:176. أصبَحَ يحسِّنُ ويُقبِّحُ، مَا يرَاهُ هوَاهُ حَسَناً وقَبيحاً .. ويُحلُّ، ويحرِّمُ مَا يَراهُ هواهُ حَلالاً وحرَامَاً، مِن غيرِ سُلطانٍ مِن اللهِ .. فانسلَخَ ـ بسبَبِ ذلِك ـ مِن آيَاتِ اللهِ، ومِن ولايَتِه، وكرامَتِه.

596- [وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:176. لَا يُوجدُ عالمٌ ـ مهمَا أُوتِي مِن العِلمِ ـ له دَالَّةٌ على اللهِ، تجرِّئه أن يقولَ في دِينِ اللهِ ما يَشاءُ، ومَا ليسَ فِيه، ولَا مِنه، أو أن يَفعلَ مَا يَشاءُ .. ثم يظنُّ أنَّ مكانَتَهُ العلميَّة والمشيخيَّةُ تُؤهلُه لذلك، وتمنَعُ مِن مُساءلتِه، وتحفَظُه من سخطِ اللهِ .. أو له منزلَةٌ عند اللهِ تمكِّنُهُ أن يقولَ ويَفعلَ مَا يَشاءُ ..

لَا .. ثمَّ ألفُ لَا .. ليسَ لأحدٍ دَالَّةٌ ولا فضْلٌ على اللهِ .. لا يوجدُ كبيرٌ على اللهِ .. يُشَدَّدُ على العَالِمِ مَالَا يُشَدَّدُ على الجاهِلِ .. ومَا يؤخَذُ به العَالِمُ لَا يُؤخَذُ به الجاهِلُ .. يُعِزُّ اللهُ الذَّليلَ إذَا شَاءَ، ويُذلُّ العَزيزَ إذَا شَاءَ .. يَرفَعُ مَن يَشَاءُ، ويخفِضُ مَن يَشَاء .. والعَاقِلُ مَن يَسأل اللهَ السَّلامَةَ، وحُسنَ الخِتَام .. ولَا يُزَكِّي نفْسَهُ على اللهِ!

* * * * *

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث

597- [فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:176.

مِثَالُه كُلّ أَجيرٍ يُجَادِلُ عن الطُّغاةِ الظَّالمين .. فهَذَا مهْمَا حَمَلْتَ عليه .. وكَيْفَمَا حمَلْتَ عليه .. وسواءٌ أمسَكْتَ عنه وتركْتَه، أو أنكرْتَ عليه، وألقمتهُ حجَراً .. فنُبَاحُه عليك لا يَتوقَّف .. يُسَمُّونَه في زَمَانِنَا بـ " الشِّبِّيح "، و " البَلْطَجِي "!

598- مَثَلُ عُلماءِ السُّوءِ في كِتَابِ اللهِ، وهم فريقان: فَرِيقٌ رَكَنَ إلى الظَّالمين، يُجَادِلُ عنهم، وهذا مَثَلُه:[كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:176. وفَرِيقٌ لا يَعمَلُ بما يَعْلَمُ، وهذا مَثَلُه:[كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً]الجمعة:5.

* * * * *

أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

599- المؤمن تُقلِقه صغائرُ الذنوبِ، والكافرُ لا يحس بكبَائرِ الذّنوب؛ وذلك لأنه ميتُ القلبِ؛ فأنَّى له أن يحسّ بها، فضلاً عن أن تُقلِقَه .. صدق الله:[لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ]الأعراف:179. وفي الحديث:" مَن سرّته حسنتُه، وساءته

سيئتُه فهو مؤمن "، مفهوم المخالفة أنَّ من لم تُسرُّه الحسنَةُ، ولم تَسُئْهُ السيئةُ، لا يكونُ مؤمناً.

* * * * *

لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا

600- كثيرون الذين يَظنُّون أنَّ العَقلَ في الرأسِ، والصوابُ، أنَّه في القَلبِ، قال تعالى: [لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا]الأعراف:179. وقال تعالى:[أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا]الحج:46. فردّ الفقهَ والعقْلَ إلى القُلُوب .. ممَّا دلَّ أن العَقلَ موطِنُه في القَلْبِ .. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:" إنَّ العَقْلَ في القَلْبِ ".

* * * * *

وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا

601- [وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]الأعراف:180. كلُّ مَن يُسمّي اللهَ باسمٍ لم يَرِدْ في الكتابِ والسُّنَّةِ؛ فهو ممن يُلحدُون بأسماءِ اللهِ الحسْنَى، ويَقولُ على اللهِ تعالى بغيرِ علمٍ .. وكل مَن يُفسّر اسماً من أسماءِ الله الحسْنَى، بخلافِ التفسيرِ الثابتِ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأصحابِه، والتَّابعين لهم بإحسانٍ، وبما لا تحتملُه اللغةُ العربيَّةُ الصحيحةُ والسَّليمةُ، فهو ممن يُلحِدُون بأسماءِ اللهِ الحسْنَى، ينبغي اعتزالُه، واعتزالُ فَهمه وتَفسيره، ليبوءَ بوزرِه .. وعمليَّةُ الإلحادِ بأسماءِ اللهِ الحسنَى لم تَقتصِر على إلحادِ المشركين الأوائلِ في عَهدِ النبوَّةِ؛ حيثُ كانوا يُسمُّون بعضَ آلهتهم باللَّاتِ، اشتقاقاً من اسم " الله "، ويُسمون بعضها الآخر بالعُزَّى، اشتقاقاً من اسم اللهِ " العزيز " .. بل هي مستمرةٌ استمرارَ وسوسةِ إبليس اللَّعين لشياطِين الإنسِ والجنِّ .. ومِن آخرِ ما توصَّلَ إليه إلحادُ الكافِرين المشركين مِن دُعاة

وعبدَةِ الطَّاقة .. تَسميةُ الله تعالى بـ " الطَّاقَة .. والمصدَر .. والطَّاقَة الكونيَّة .. والقَانون الكُوني .. والطبيعَة "، ويتعاملون مع أسماءِ اللهِ تعالى الحسْنَى كأدَاوتٍ ومَصدَرٍ للطاقَةِ، يَستمدون مِنها الطَّاقة - كما يَزعمون!! - ويُفَعِّلُونها - كما يُفعِّلون أيَّ آلةٍ - وقتمَا يَشاؤُون وللأغراضِ التي يُريدُون، فمَثلاً إذا أرادَ أحَدُهم رِزْقَاً، فليسَ عليه سوى أن يُفعِّلَ طاقَةَ اسمِ " الرَّزَّاق "؛ فيأتيه الرزقُ مباشرَةً، وهكذا يتعامَلُون مع بقيَّةِ أسماءِ اللهِ الحسْنَى .. والاسم الذي يُفَعِّلُونه ويَستمدُّون مِنه الطَّاقَةَ لا بُدَّ مِن أن يَستجيبَ لهم، ويَتفَاعل مع مَا يُريدُون ويَشاؤون .. وكأن اللهَ أجيراً عندَهم .. تَعالى اللهُ علوَّاً كَبيراً عن إلحادِ وتحريفَاتِ هؤلاء الزَّنادقَة الكَفَرةِ الملْحِدين!

* * * * *

وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم

602- [وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم]؛ بالنِّعَمِ .. والإمْهَالِ .. وعدَمِ الاستعجَالِ بعذَابٍ، أو انتقَامٍ، [مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ]الأعراف:182. أنَّ هذا الاستدْراجَ هو بمثابة حَبلٍ يُقادُون به إلى الانتقَامِ الأكبَرِ، والعَذَابِ الأليمِ المُقيم!

603- [وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ]الأعراف:182. مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ أنَّه استدرَاجٌ .. فيطمئنُّون إلى طريقَةِ حياتِهم التي تجمعُ بينَ الرَّخَاءِ والنَّعمِ والمعَاصِي والفُسُوقِ .. ويَظنُّونَ أن النِّعَمَ معَ الإقامَةِ على المعَاصِي لَا يَضُرُّهم، وأنَّه خيرٌ لهم .. بَلْ هو شَرٌّ لهم .. لكِنَّهم لا يَعلمُون .. والآيةُ وإنْ نزَلَت في الكافِرين المكَذِّبين إلا أنَّ المترَفين المسْرفين مِن عُصَاةِ أهْلِ القِبْلَةِ لهم حَظٌّ وافِرٌ مِن الوَعيدِ الوارِدِ في هذه الآيةِ الكريمَةِ.

* * * * *

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ

604- [وَأُمْلِي لَهُمْ]؛ أُرْخِي لهمْ وأمدُّهم بأسْبَابِ وحِبَالِ الظُّهُورِ، والنِّعَم، والرَّخَاءِ، [إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ]الأعراف:183. أيما جَاهٍ، أو سُلطانٍ، أو ظُهُورٍ، أو شهرةٍ، أو رَخَاءٍ، أو نِعمَةٍ، أو استِعْلاءٍ .. فاعلمْ أنَّه إملاءٌ مِن اللهِ تعالى، واستدراجٌ، وبَلاءٌ؛ هل سيحملُكَ ذلك على الطاعةِ، والشُّكرِ، والتواضُعِ، أم على المعصيَةِ، والظُّلمِ، والطُّغيانِ .. فإن كانت الثانية فاعلَمْ أنَّكَ قد رَسِبتَ في الاخْتِبَارِ .. وأنَّ عذابَ اللهِ لك بالمرْصَادِ، وأنَّ أخذَه أليمٌ شَديد .. فالسَّلامَةُ معَ الإقامَةِ على المعصيَةِ استدْرَاجٌ مُخِيف!

* * * * *

أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ

605- [أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ]الأعراف:191. [أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ]النحل:17. مَن كان شريكاً للهِ تعالى في الألوهيَّةِ، لزمه بالضرورَةِ أن يكونَ شريكاً له في الربُوبيّة، فإن انتفَت عنه الشراكَةُ في الربوبيّةِ، وكان عاجزاً عن أن يخلقَ بعوضةً فما دُون، لزمه بالضَّرورةِ أن تنتفي عنه الشَّراكَةُ في الألوهيّةِ، ولا بُد.

606- [أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً]؛ أيَعْبدُون مَا لا يخلُقُ شَيئاً؟! فهذا ممَّا يأباهُ ذوو العُقُول والفطَر السَّليمةِ، [وَهُمْ يُخْلَقُونَ]الأعراف:191. قَد خَلَقَهم اللهُ .. فالمخلوقُ لا يَستحقُّ أن يُعبَدَ .. فخَدُّه ـ كمَخْلُوقٍ ـ الذي لا يجوزُ أن يتَجاوَزَه، ومَقامُه الذي لا يجوزُ أن يَتَعدَّاه، أن يكونَ عابِداً، لا مَعبُوداً!

* * * * *

خُذِ الْعَفْوَ

607- [خُذِ الْعَفْوَ]الأعراف:199. اقبَلْ مَا تيَسَّر مِن أخلَاقِ النَّاسِ، ومَا يُطيقُونه ـ فَلا تُلزِم كلَّ واحِدٍ مِنهم بأعْلَى الأخلاقِ وأحْسَنِها، وبما لَا طَاقةَ له بِه، ولا يُحسِنُه ـ مَا لَم يَكُنْ إثماً .. واقبَلَ ظَاهِرَ أعمَالِهم مِن غيرِ تجَسُّسٍ، ولَا تَحسُّسٍ، ولَا تُهمَةٍ أو سُوءِ ظَنٍّ .. مَا مِن خُلُقٍ حَسَنٍ إلَّا وله أدْنَى، ووَسَطٌ، وأَعْلَى، فَمَن لم يَقْدِرْ أن يَأتيَ مِنه الأَعْلَى، يُقبَلُ مِنه أن يَأتي بالوَسَطِ مِنه، أو الأَدْنَى.

* * * * *

وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ

608- [وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ]الأعراف:199. أي وأمر بالمعروفِ؛ وهو كل ما تعارف عليه الشرعُ، والعقلُ، والعُرْفُ على أنه معروفٌ .. بشرط أن لا يتعارض معروفُ العقلِ والعُرفِ، مع معروفِ الشَّرعِ .. فإن تعارضَ وتناكَر .. انقلبَ معروفُ العَقلِ، والعُرف إلى مُنكرٍ وهوى.

كذلك قوله تعالى:[إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ]النحل:90. والعدلُ الذي يأمرُ اللهُ به، هو كل ما تعارف عليه النقلُ، أو العقلُ، أو العرفُ على أنه عدل، فإن تعارضَ العدلُ الذي يقرره العقلُ أو العرفُ مع العدلِ الذي يقرره النقلُ الصّحيح، قُدّم العدلُ الذي يقرره النقلُ الصحيح، وحُكِم ـ حينئذٍ ـ على العَدلِ الذي يقرره العقلُ أو العُرفُ، بأنَّه هوى، وظُلم.

* * * * *

وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

609- [وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ]الأعراف:199. لا تُقَابِل السَّيئَةَ بِسَيِّئةٍ .. ولا سُوءَ الخلُقِ بمثْلِه .. ولا السَّفَهَ بِسَفَهٍ مِثْله .. فترَفَّع عن هَذا كُلِّه، وأعْرِضْ عَنْهُ .. وأكْرِمْ نَفْسَكَ مِن أن تَنْشَغِلَ بِهِ، وبأهْلِه!

* * * * *

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ

610- [وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ]الأعراف:200. خُبرَاتُ إبليس في الإضْلَالِ والإغْواءِ، ضَخمةٌ وكبيرةٌ؛ فهي متراكمةٌ مِن لَدُن آدم عليه السلام، وإلى يومِ القيامَةِ؛ وهذا يَعني أنك أمامَ عدوٍّ شرس، يحتاجُ مِنك لمراقبةٍ شديدَةٍ لشباكِه ومكائِدِه؛ الظاهِرةِ منها والخفيَّةِ، التي يَفترشُها في طَريقِ المؤمنِين .. كما يحتاجُ مِنك إلى أن تَلوذَ وتحتَمي بقدرَةِ الخالِقِ القَادرِ سُبحانَه وتَعالى، مِن شرِّ الشيطانِ الرَّجِيم، ومِن شرِّ نزَغاتِه، ومكَائِدِه، ووسَاوسِه .. فلَا سَبيلَ لإبليس وأعوانِه مِن الشَّياطين لمن يلُوذُ ويحتَمِي باللهِ رَبِّ العَالمين.

* * * * *

وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ

611- [وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ]الأنفال:7. مِن خصَائصِ القُرآنِ الكريم أنه نزَلَ ليُحِقَّ الحقَّ، والعدْلَ .. ويُبطلَ الباطلَ، والظلمَ، والجهْلَ .. لا يأبَهُ، ولا يَهابُ، ولَا يُحابي ـ حاشَاه! ـ جِهةً مِن الجهَاتِ، أو طرَفاً من الأطرَافِ؛ أيًّا كانَت قوَّتُه الماديَّةِ أو المعنويَّةِ، وفي أيِّ زَمانٍ أو مَكانٍ كان .. في كلِّ كلمَةٍ من كلماتِه، بَلْ في كلِّ حرفٍ مِن أَحرُفِه، تَلمسُ القوَّةَ .. والعِزَّةَ .. والحقَّ .. والعلوَّ .. يَعلُو ولَا يُعلَى عليه .. يَأمرُ ولَا يُؤمَر .. يَسألُ ولا يُسْأَل .. يَحكم ولا يُحاكَم .. ولِمَ لَا .. وهو كَلامُ اللهِ الملِكِ، العَزِيزِ، القويِّ، القَادِرِ، العلِيِّ، الذي له الأسماءُ الحُسنَى، والصِّفاتُ العُلْيَا .. سُبحانَه وتَعَالى.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ

612- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ]الأنفال:20. كُلُّ أمْرٍ أَمَرَ اللهُ به، قَد أَمَرَ رسُولُه بِه، وكُلُّ أمْرٍ أَمَرَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم به، قَد أَمَرَ اللهُ به .. وكُلُّ مَن أَطَاعَ اللهَ، فقَد أَطَاعَ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، وكُلُّ مَن أَطَاعَ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقَد أَطَاعَ اللهَ.

* * * * *

وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ

613- [وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا]؛ سَمِعُوا بآذَانِهم مَا يُقَالُ لهم، [وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ]الأنفال:21. لَا يَسمَعُون بقلُوبِهم؛ فلم يَفقَهُوا، ولم يتدبَّروا مَا سمعُوه بآذَانِهم .. وهؤلاءِ مَثَلٌ سيءٌ في الاستماعِ، والتَّعامُلِ معَ مهارَةِ الاستماعِ، فَلَا تَكُنْ مِثْلُهم.

* * * * *

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ

614- [إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ]الأنفال:22. هم المشركُون الذين يَعْبدُون آلهةً مَعَ اللهِ، أو مِن دُونِه .. وهم ليسُوا دوابَّاً وحَسْب؛ بلْ هُم شَرُّ الدَّوابِّ؛ لأنَّ اللهَ تعالى خَصَّهم بما لم يخصَّ الدُّوابَّ؛ خَصَّهم بالعقْلِ، وحريَّةِ الاختيارِ، وأرسَلَ إليهم الرُّسلَ، وأنزلَ الكتبَ .. فلم يَستفيدُوا مِن كُلِّ هَذا؛ فآثَرُوا الكفْرَ على الإيمانِ، والضَّلالةَ على الهُدَى .. وهم مع هذا الفَارِقِ بينهم وبينَ الدَّوابِّ .. فإنَّ الدَّوابَّ ـ كل الدوابِّ ـ يَعبدُون اللهَ تعالى، ويُسبِّحُون بحمدِه، ولكن لا نفقهُ تَسبيحَهم .. ممَّا وسَّعَ الفَارقَ بينَهم وبينَ الدَّوابِّ .. فكانُوا ـ عِندَ اللهِ، وفي ميزانِ اللهِ ـ شَرَّاً مِنَ الدَّوابِّ!

* * * * *

وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ

615- [وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ]الأنفال:23. لأفْهَمَهُم، وأسمَعَهُم السَّمَاعَ الذي يُؤدِّي بهم إلى الفَهْمِ، والاعتقَادِ، والانقيَادِ .. وإلَّا فهم يَسمعون السَّماعَ الآلِي الذِّهني؛ الذي يُمكِّنهم مِن مَعرِفَةِ مَعنَى الخِطَابِ، ودَلالاتِه اللُّغويَّةِ، ولكن لَمَّا لم يَنتَفعُوا بسَمْعِهم، ولَا بما سَمعُوا؛ فكانُوا هم والذين لا يَسمَعُون سَوَاء!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ

616- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ]الأنفال:24. هذه الآيةُ الكريمةُ لا تَقتَصِر على معنًى من معاني الشريعَةِ دُون معنًى، بل تُحمل على جميع ما دعَانا إليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم من الفرائضِ، والسّنَنِ، والشرائع، ومحامِد الأخْلاقِ، وجميع ما نهانَا عنه .. فمَا مِن أمْرٍ أمرَنا به النبيُّ صلى الله عليه وسلم، أو نهي نهانَا عنه، إلا ولنَا في طاعتِه فِيمَا دعانا إليه حياةٌ طيبةٌ، عزيزةٌ، وكريمة.

مما يدلُّ على هذا المعنى الحديثُ الصحيحُ الذي يرويه الصحابي أبو سَعيد بن المُعَلَّى، قال:" مَرَّ بيَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأَنَا أُصَلِّي، فَدَعَانِي، فَلَمْ آتِهِ حتَّى صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقالَ: ما مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟ فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَقالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: [يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ]؟ ثُمَّ قالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ، فَذَهَبَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِيَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ فَذَكَّرْتُهُ، فَقالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. هي السَّبْعُ المَثَانِي، والقُرْآنُ العَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ "البخاري. وقوله: [إِذَا دَعَاكُمْ]؛ فيه ردٌّ على القُرآنيين؛ الذين لا يأخُذُون إلَّا بالقُرآنِ ...!

* * * * *

وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ

617- [وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ]الأنفال:24. يَحُولُ بينَ المرْءِ، ومَا يُرِيدُه قَلْبُهُ؛ فالقَلبُ يُرِيدُ شَيئاً، واللهُ يُرِيدُ شَيئاً آخَر .. ولَا يَكُونُ إلَّا مَا يُرِيدُه اللهُ.

* * * * *

وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً

618- [وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً]الأنفال:25. أحياناً يُقَدِّرُ اللهُ تعالى بلاءً يُصيبُ به الظالمين المذنبين، ويُصيبُ به الصالحين لعدمِ قيامِهم بإنكارِ مُنكرِ الظالمين كما يَنبغي؛ فسكَتُوا عليهم، وساكنُوهم، وواكَلُوهم .. وهؤلاء يُصيبهم ما أصابَ الظالمين المذنبين مِن البلاءِ .. فكما شاركُوهم في المساكَنةِ والمؤاكَلةِ من غيرِ إنكارٍ لمنكرِهم، ولا مُباينةٍ لهم، فإنهم يُشاركونَهم في البَلاءِ والمصَاب .. بخلافِ الذين يَنصحون، ويَصدَعُون بالحقِّ، ويقومُون بواجبِ الأمْرِ بالمعرُوفِ، والنَّهي عن المنكرِ كما أمرَ اللهُ، ورسولُه صلى الله عليه وسلم .. فهؤلاء يُنجيهم اللهُ .. فلا يُصيبهم ما أصابَ الظالمين من بلاءٍ .. وفي الآيةِ ترهيبٌ للصالحين مِن أن يركنُوا على صلاحِهم في أنفُسِهم، مِن دُونِ أن يُبينُوا الحقَّ فِيما يَلتبسُ على الناسِ مِن أمرِ دِينِهم، ومِن دونِ أن يأمرُوا بالمعروفِ، وينَهوا عن المنكرِ!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ

619- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ]؛ لَا تَعصُوا اللهَ ورسولَه .. وكلمَا عَظُمَت المعصيةُ عظُمَت الخِيانَةُ، ومِن الخيانةِ للهِ ولرسولِه، التَّواطُؤ معَ أعداءِ اللهِ ورسولِه على الإسلامِ والمسلمين، والتَّجَسُّس على عوراتِ المسلمين لصالحِ الكافِرين والمنافِقين، [وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ]؛ وهو كلُّ ما استأمَنَكم اللهُ عليه من حقُوقٍ، وما استأمنَكم عليه العِبادُ مِن ودائع وأماناتٍ .. فحفظُ الدِّينِ أمانَةٌ .. والعهُودُ والعقُودُ أمانةٌ .. وحقُّ الوالِدَين أمانَةٌ .. وحقُّ الزوجِ على زوجتِه أمانَةٌ، وحَقُّ الزوجةِ على زوجِها أمانَةٌ .. وحَقُّ الأبناءِ أمانةٌ .. وحقُّ الجارِ على جارِه أمانةٌ .. وهكذا بقيَّةُ الحقوقِ .. وأيما تَفريط بحقٍّ من الحقوقِ التي أوجبَها اللهُ تعالى، أو تفريط بأماناتِ وحقُوقِ وودائع العِبادِ ـ حتى

لو كانوا من غيرِ المسلمين ـ فهو خيانةٌ، وغَدْرٌ بالأمانَةِ، [وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]الأنفال:27. أنَّ هذا الذي تفعلونَه من الخيانةِ للهِ، ولرسولِه، وللناسِ.

* * * * *

إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً

620- [إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً]الأنفال:29. يجعل لكم نُوراً تَفْرُقُون به بينَ الحقِّ والباطِلِ .. وفيه أنَّ كلَّ مَن خلَطَ بينَ الحقِّ والباطِلِ، ولم يُحسِن التمييزَ والتفريقَ بينَ الحقِّ والباطلِ، إنما هو لنقصٍ في التَّقْوَى .. مهمَا اتَّسعَ صِيتُه، وتَصَدَّرت به المجالسُ، وتَعدَّدَت رُتبهُ، وشهاداته الدراسيَّة!

621- [إِن تَتَّقُواْ اللّهَ]؛ بطاعَتِه، وطَاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، [يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً]الأنفال:29. يَجْعَل لَّكُمْ فَلَقاً وانفِرَاجاً من كل مُغلَقٍ، وضِيقٍ، وعُسْرٍ، لا يُرجَى له حَلٌّ ولا مخرَجٌ؛ فيَفْلُقُهُ اللهُ فَلْقاً، ويَفْرُقُه فَرْقاً، مِن حَيثُ لا تَحتَسِب .. ويَجعَل مِن أمْرِه يُسْرَاً، وفرَجاً، ومَخرَجاً.

مَفْهُوم المخَالفَةِ؛ إن لَمْ تَتَّقُوا اللهَ، ثمَّ عِشْتُم الاخْتِنَاقَاتِ كُلَّهَا .. فَلا تَلومُنَّ إلَّا أنْفُسكُم!

* * * * *

وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ

622- [وَيَمْكُرُونَ]؛ يُخطِّطُون .. ويُدَبِّرُون .. ويأتمِرُون .. ويتآمَرُون .. ويتَنَاجَون .. كيفَ يُحارِبُون الإسلامَ والمسلمين .. وكَيفَ يُنزِلُون الهزائمَ والضَّرَرَ بالمسلمين، [وَيَمْكُرُ اللّهُ]؛ فيُبْطِلُ مَكْرَهم .. وكَيدَهم .. ويجعلُ مكْرَهم يَرتَدُّ على نحُورِهم، [وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ]الأنفال:30. العالِمُ بمكرِهم، والقَادِرُ على إبطالِ مَكْرِهم، وإنزَالُ المكْرِ بِهم .. وتحويلُ مَكرِهم إلى نَصْرٍ للحقِّ وأهلِه .. وهزيمَةٍ للباطِلِ وأهلِه.

* * * * *

وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

623- [وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ]، فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول:" أَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي "مسلم. أي من أن ينزلَ بهم العذابُ وهو فيهم ومعهم، وهذا الأمان قد رُفِعَ بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وبقي الأمانُ الآخر، والدّائم: [وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ]الأنفال:33. [لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ]النمل:46. لا يجتمعُ عَذابٌ معَ تَوبةٍ واستِغْفارٍ.

624- [وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ]الأنفال:33. مَا دُمْتَ تُلَازِمُ الاستِغْفَارَ، فأَنتَ في أَمَانٍ ...!

* * * * *

إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ

625- [إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ]الأنفال:34. هذا هو المقيَاسُ، وهذا هو الميزَانُ الذي بهِ يُعرَفُ أولياءُ اللهِ مِن غَيرِهِم .. وهو مِيزانٌ لا يخضَعُ لمعَايِيرِ الأرضِ؛ مَعَايِيرُ النَّسَبِ، أو الجَاه، أو الجِنْسِ، أو اللّونِ، أو اللُّغَةِ .. لَا؛ ليسَ شَيئاً مِن ذلك .. إنما هو مِيزانُ التَّقْوَى فقَط .. فمن حقَّقَ في نفسِه التَّقْوى ـ بغضِّ النَّظرِ عن لونِه، أو جِنْسِه، أو قوميَّتِه، أو لُغَتِه ـ فهو الوَلِيُّ .. وهو مِن أولِيَاءِ اللهِ المقرَّبين، وفي الحَدِيثِ، فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إنَّ أولِيَائِي مِنكُم المتَّقُونَ، مَن كانُوا، وحَيثُ كَانُوا ".

* * * * *

فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ

626- تأمَّلوا كم معركةٍ خاضوها ضدَّ الإسلام، وكم هي المليارات التي أنفقوها في سبيلِ حروبهم على الإسلام .. ثم تنقلبُ عليهم حسرات، وانهيارات للميزانيات .. بينما الإسلام في تمدّد، وعلوّ، وظُهور، رَغماً عن أنوفهم، [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ]الأنفال:36.

627- [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ]؛ في كل زَمانٍ ومكانٍ تكونُ المعركة بين الحقّ والباطِلِ .. بينَ الإيمانِ والكُفرِ .. فإن الكافِرين على اختلافِ مللِهم وانتماءاتِهم، [يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ]؛ برغبةٍ جامحةٍ، وحِقدٍ دَفين .. وبسخاءٍ كبيرٍ للطرفِ الباطِلِ، والكافِرِ الذي يخوضُ المعركةَ بصورةٍ مباشرةٍ معَ الحقّ، وأهلِه .. والدافعُ لهم على هذا السَّخاءِ في الإنفاقِ، [لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ]؛ عن دينِ اللهِ .. وحتَّى لا تكون كلمةُ اللهِ هي العُليا .. وحتَّى لا يكون للإيمانِ وأهلِه شوكة وقوة يُدافعون بها عن أنفُسِهم، ودينِهم، وحقوقِهم، وحرماتِهم .. وهذا لا يتحقَّقُ لهم إلا بانتصارِ الباطلِ وأهلِه، على الحقّ وأهلِه، [فَسَيُنفِقُونَهَا]؛ فسينفقُون أموالَهم في نصرةِ الباطلِ وأهلِه، [ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ]؛ ثم تَرتدُّ عليهم هذه الأموالُ التي أنفقُوها، [حَسْرَةً]؛ في قلوبِهم، وندَامَةٍ؛ لأنها لم تحقّقْ لهم الغرَضَ الأساس الذي مِن أجلِه تمَّ الإنفاقُ؛ وهو علُو كلمةِ الكُفر على كلمةِ الإيمانِ، وانتصارُ الباطلِ وأهلِه، على الحقّ وأهلِه، [ثُمَّ يُغْلَبُونَ]؛ ومما يزيدُ من حسرتِهم أنهم يُغْلَبون، ويُدحَرون، وتكونُ الغلبَةُ في نهايةِ المعركة للإيمانِ وأهلِه، [وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ]الأنفال:36. ثم في الآخِرةِ يُساقُون إلى نارِ جهنم على ما كان مِنهم مِن باطلٍ، وعلى ما أنفقُوا من أموالٍ في سبيلِ الباطلِ ونصرتِه .. فيزدادون حسْرَةً، ونَدامَةً .. ولاتَ حِينَ مَنْدَم!

* * * * *

لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

628- [لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ]الأنفال:37. مِن غايَاتِ البَلاءِ، والتَّدافُعِ بين الحقِّ والباطلِ تمَايُزُ النُّفُوس، والصُّفُوف؛ فَلا يَلتَبِسُ حقٌّ بباطِلٍ، ولا مُحِقٌّ بمبطِلٍ، ولَا صَادقٌ بكاذِبٍ، ولا مجاهِدٌ بمرجِفٍ مُتَسَلِّقٍ .. والاصطِفَاءُ، والاجتِبَاءُ؛ فلا اصطِفَاءَ، ولا اجتِبَاءَ مِن غَيرِ بَلاءٍ، وصَبرٍ على البَلاءِ .. والاصطِفَافُ في جبهَتَين منفصلَتَين، متمَايزتين: الكافِرُون والمنافِقُون في جَبهةِ الخَبَثِ، والباطِلِ .. والمؤمنُون الصَّادقُون في جبهةِ الحقِّ؛ الجبهةُ المقَابِلة الطَّيبَة!

* * * * *

وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ

629- [وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ]الأنفال:37. الخبيثُ عكسُ الطَّيِّب، وهو كلُّ ما خَبُث وفَسُدَ، وبَطُلَ مِن الأقوَالِ، والأعمالِ، والأموَالِ، والنَّوَايا .. وكلُّ جَهْدٍ مَادِّيٍّ، أو فِكْرِي، أو مَعْنَوي، صَادِرٌ عن الكافرين والمنافقين يُبْذَلُ في نِصرَةِ الباطلِ .. وما أكثره .. يجمعُه اللّهُ بعضَه إلى بَعضٍ، ويجعلُ بعضَه فوقَ بعضٍ ككتلةٍ واحدةٍ .. تَبكِيتاً وتَحقيراً له، ولأهْلِه .. فيقذِفُه جميعاً في جهنَّم، وبِئسَ المصِير.

* * * * *

حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ

630- [حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ]الأنفال:39. حتى تكونَ الطاعةُ كُلها للهِ تعالى وحدَه؛ فهو المُطاعُ لِذَاتِه؛ لأنه هو هو سُبحانه، ومَا سواه يُطاعُ له ما

أطاعَ اللهَ، وفِيما ليسَ فيه مَعصية لله .. فالأُمراءُ، والعُلماءُ، وكلُّ مَن كانَ في موضعِ الأمرِ، والنَّهي، يُطاعُون للهِ، وفي المعرُوفِ، والحقِّ، وليسَ في الباطِلِ، ومَعصيةِ اللهِ، ومَعصيةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. فَلا طاعةَ لمخلوقٍ في مَعصيةِ الخالِقِ .. وهذا يَستدعي مِن النَّاسِ أن تكونَ طاعَتُهم للأمرَاءِ، والعُلماءِ، والمشايخ، وغيرِهم، على بصيرةٍ، وبينةٍ، ومَعْرفَةٍ؛ هل طاعتُهم في الحقِّ والمعرُوفِ، وفِيما يُرضي الله، أمْ أن طاعتَهم في الباطِلِ، وفِيما يُسخِطُ اللهَ .. فالفتنةُ ـ والتي هي الشِّركُ، والردَّةُ، والانتكاسُ ـ أن تطيعَ الأمراءَ، والعُلماءَ، وكُلَّ مَن كان في موضِعِ الأمرِ والنَّهي، كما تُطيعُ اللهَ، ورسولَه صلى الله عليه وسلم .. فتُحِلُّ حلالَهم، وتحرِّمُ حرامَهم .. وتجعلُ أمرَهُم ونهيَهم ـ مِن حيثُ وجُوبِ الطاعَةِ والمتَابعةِ ـ كَأمْرِ اللهِ تعَالى، وأمرِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. وتُسَلِّم لهم تَسلِيماً!

* * * * *

لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً

631- [لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً]الأنفال:44. إذا قَضَى اللهُ أمراً في خَلْقِه، كانَ مَقضيّاً، نافِذاً، محقَّقاً، وواقِعاً لا محالَةَ في زمَانِه ومكانِه المُقَدَّرين .. لا يمنعُه مَانِعٌ، ولا يَردُّه رَادٌّ .. ولو اجتمعَت الإنسُ والجنُّ، ومعَهم جميع المخلوقات على أن يمنَعُوه لما قَدرُوا على مَنْعِه!

632- [لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً]الأنفال:44. إذا قَضَى اللهُ أمراً في خَلْقِه، تَهيَّأت له الأسبابُ، واستشْرَفَت، وانتَظَمَت، وتَدَافَعت؛ كأنَّها جنُودٌ مجنَّدَةٌ .. كلُّ سَببٍ يُؤدِّي ما عليه تجاهَ أمرِ اللهِ .. ثمَّ يُسْلِمُه ويَدفَعُه إلى السَّببِ الآخَرِ ليقُومَ بدَورِه وواجِبِه .. فتَتَنَاقَلُه الأسبابُ ونتداوَلُه فِيمَا بينها إلى أن يتحقَّقَ مِيعَادُه، ومِيْلادُه المقدَّر؛

الذي لا يتقدَّمُ ولا يتأخَّر ولو لثانيةٍ واحِدَةٍ .. ويَصبحُ أمر اللهِ مَفْعُولاً، مَرْئِيًّا، وواقِعَاً مُشَاهَدَاً!

* * * * *

وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً

633- [وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً]؛ ذِكْر اللِّسَانِ؛ بالتَّسْبيح، والتَّهليلِ، والتَّحميدِ، والتَّكبيرِ، والدُّعَاءِ .. وذِكْر الجوارح الظَّاهِرةِ؛ بفِعلِ الطاعَاتِ، كالصَّلاةِ، والصُّومِ، والزَّكاةِ، والحجِّ، والعُمْرَةِ، والجهادِ، وطلَبِ العِلمِ، والأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عنِ المنكَرِ، وتلاوَةِ القُرآنِ، وغيرِها مِن الطَّاعاتِ .. وذِكْر البَاطِنِ بالخشْيَةِ، والإخْلاصِ، ومُراقَبَةِ النيَّةِ .. وذِكْر العَقْلِ؛ بالتدَبُّرِ، والتأمُّلِ، والتَّفكُّرِ بآيَاتِ اللهِ تَعالى الكونيَّةِ والسَّمْعِيَّةِ، [لَّعَلَّكُمْ]؛ إنْ فعلتُم الذِّكْرَ بهذا الوصْفِ، وهَذا الشمُول، وحافَظْتُم عليه، [تُفْلِحُونَ]الأنفال:45. تفُوزُون في الدُّنْيَا، والآخِرَة.

* * * * *

وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ

634- [وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ]الأنفال:46. لَا تَدَعُوا فُرجَةً للشيطانِ، ولوساوِسِه، وإملاءاتِه .. فتَخْتَلِفُوا .. وتتفرَّقُوا .. فتتفرَّقَ قلُوبُكم وصفُوفُكُم مَشارِبَ، ومذَاهِبَ شَتَّى .. فتَضْعفُون بعدَ أنْ كنتُم أقوياءَ، وتَجبنُون بعدَ أنْ كنتُم شُجعَاناً عن مواجَهَةِ الأعداءِ، والتَّحديَات .. وتَذْهبَ قوَّتُكم ضَعْفاً ووَهْنَاً .. وتجرِّئون الأعْدَاءَ عليكُم!

لَا يُذهِبُ قوَّةَ الدولِ والجماعَاتِ كالمنَازَعَاتِ، والاختِلافَاتِ، والصِّراعاتِ الدَّاخليَّةِ على المناصِب، والمكاسِبِ .. والحظُوظ، وحُبّ التَّسلُّطِ والرياسَةِ .. فالدولَةُ كالشجرةِ قد تَقْوَى على مواجَهةِ الرياحِ العَاتيَةِ .. لكِنْ لَا تَقْوَى على مواجهَةِ دُودَةٍ تَنخرُ فِيها مِن داخِلِها!

* * * * *

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ

635- [ذَلِكَ]؛ العَذَابُ في الآخِرَةِ، وفي الدُّنْيَا، [بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ]؛ مِن ذُنُوبٍ، [وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ]الأنفال: 51. لا يُعذِّبُ أحَدَاً مِن غَيرِ ذَنْبٍ .. ويَعفُو سُبحانَه عن كَثِير.

* * * * *

وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ

636- [وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ]الأنفال: 51. لم يقُلْ سُبحَانَه:" وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ للعِبَاد "؛ لأنَّ العِبَادَ هم الذين يَدخُلُون في عِبادَةِ اللهِ الشَّرعيَّةِ طواعيَةً، وعن حُبٍّ، ورِضَاً؛ وهؤلاء هم المؤمنُون .. وهؤلاء لهم العَفْوَ، والرحمَة، والنَّعيم الدائم في الجِنَان .. بينما العَبِيدُ هم الذين يَدخلُون في العبُوديَّةِ، والخضُوعِ، والانقيَادِ كَوْنَاً، وقَهْراً، ويأبون أن يَدخلُوا في العِبادَةِ الشرعيَّةِ عن حُبٍّ ورِضاً؛ وعلى هؤلاءِ - ومن جَارَاهم في المعَاصِي - يجري الوَعِيد.

* * * * *

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ

637- [ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ]؛ فيُزِيلُها عنهم، ويَستبدِلُها بنَقْمَةٍ، وعَذَابٍ [حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ]الأنفال:53. من الشُّكْرِ إلى الكُفْرِ، ومِنَ الطَّاعَةِ إلى المعْصِيَةِ، ومِنَ العَدْلِ إلى الظُّلْمِ ...!

* * * * *

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ

638- [إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ]الأنفال:55. الكُفْرُ يَحطُّ مِن قَدْرِ الإنسانِ، ويُفقِدُه كثيراً من خصَائصِ التَّحضُّرِ والرُّقِي .. فأيُّ تحضُّرٍ، وأيُّ رُقِيٍّ معَ اتِّصَافِ الكافِرِ بشَرِّ الدَّوَابِّ، وبالصُّمِّ البُكْمِ .. فهو على مَا آتاهُ اللهُ من نِعمَةِ العَقْلِ، ونعمَةِ السَّمعِ، والبصَرِ، ونعمةِ التَّفَكُّرِ، والاختيارِ، والإرادَةِ .. ومع ذلك لم ينتفعْ شيئاً مما يُتلَى عليه من الآيَاتِ السَّمعيَّةِ، ولا ممَّا يُشاهِدُه مِن الآيَاتِ الكونيَّةِ، والنَّفْسيَّةِ .. ولم يَرَ فِيها شَاهِداً على الإيمانِ باللهِ العَظِيمِ .. بينمَا الدَّوابُّ لم تُؤتَ ما أُوتِي الإنسانُ الكافِرُ مِن خصَائص ونِعَم، ومعَ ذلك فهي تُؤمنُ باللهِ العظيمِ، وتُوحِّدُه، وتُسَبِّحُ بحمْدِه؟!

* * * * *

إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ

639- [إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ]الأنفال:58. الذين يخونُون العهودَ والمواثِيقَ .. ويخونُون الدِّينَ؛ فيكتمونَ منه ما يجبُ أن يظهَرَ، ويُعلَن، ويُحرِّفُون معانيَه وأحكامَه عن مواضِعِها، ومُرادِ الشَّارِعِ منها .. ويخونُون المؤمنين؛ فيُظاهِرُون الكافرين عليهم .. ويَشتغلُون جواسِيسَ عليهم .. ويخونُون الأعْراضَ، وما أستُؤمنُوا عليه .. ويخونُون الأصدِقاءَ وما لهم مِن حَقِّ الوفَاءِ .. ويخونُون الودَّ القديم .. ويخونُون الشعوبَ؛ فيكتمونَ عنهم النَّصيحَةَ، ويجاملونَهم في الباطلِ .. ويخونُون وظِيفتَهم وعملَهم؛ فلا يَبذلُون الجهدَ المتوقَّع والمرجُو

منهم .. ويخونُون الأماناتِ ـ على اختلافِ تَنوعِها ـ وما استؤمِنُون عليه .. فهؤلاء لا يحبُّهم اللهُ .. ولا يمكن أن يكونُوا من أولياءِ الله!

* * * * *

وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ

640- [وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ]الأنفال:59. مَهمَا أُوتِي الكُفَّارُ مِن أسبَابِ القوَّةِ، والمنَعَةِ .. وعلَت بهم طَائِرَاتُهم .. وغَرَّتهم قوَّتُهم .. وحَسِبُوا أنَّ قوَّتَهم مَانِعَتُهم مِن اللهِ .. تحفَظُهم مِنه، وتَردُّ عنهم انتقامَه، وبأسَه .. فهم واهمُون، ومُخطِئون .. فإنَّهم لا يُعجِزُون اللهَ شَيئاً؛ فاللهُ قادِرٌ عليهم، وعلى أن يَأتي بهم جميعاً متَى شَاء .. لَا يُعجِزُه شَيءٌ في الوجُودِ، كُلّ الوجُود.

* * * * *

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ

641- [وَأَعِدُّواْ لَهُم]؛ لمواجَهةِ الأعْدَاءِ، [مَّا اسْتَطَعْتُم]؛ أقصَى درَجاتِ القدرَةِ والاستِطاعَةِ .. وليس بعدَ بَذْلِ المُسْتَطاع مُؤاخَذَة ولا مُسَاءَلَة .. إنّما المؤاخَذَةُ تكونُ في حالِ حصُولِ التَّقْصِير، وكان الإعدادُ دونَ حَدِّ الاستِطاعَةِ، وعلى قَدْرِ التَّقْصِيرِ عَن حَدِّ الاستِطَاعَةِ، [مِّن قُوَّةٍ]الأنفال:60. جميعُ ما يَدخُلُ في معنى القُوَّةِ؛ الماديَّة منها والمعنَوِيَّة؛ قُوَّةُ السِّلاحِ واستخدامَاتِه، وقُوَّةُ الجسَدِ، وقُوةُ المالِ، وقُوةُ العِلْمِ، وقُوةُ الإيمانِ، وقُوةُ الاتِّحادِ، ونَبْذِ الفُرْقَةِ ودواعِيها .. وغيرُها ممَّا يَدخلُ في معنى القُوَّةِ وأسبابِها .. والمؤمنُ القَوِيُّ خَيرٌ وأحَبُّ إلى اللهِ تعالى من المؤمنِ الضَّعيف.

642- [وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ]الأنفال:60. المسلمُون بينَ خِيَارَين، وموقعَين لا ثالِثَ لهما: مواقِعُ الجهادِ والرِّبَاطِ في سَبيلِ اللهِ، والدفاعِ عن الأوطَانِ،

والحقُوقِ، والحرمَاتِ .. ومَوقعُ وخَيارُ الإعدَادِ؛ إعدَاد القوَّةِ بكل مفرَدَاتِها، وما يَدخلُ في معَانِيها .. وليسَ وراءَ هذين الخيارَين سوَى الوِزْرِ، والذُّلِّ، والخزْي، والفرارِ من الواجِبِ؛ واجِب الجهادِ، والإعدَادِ .. أعجَبُ لأمَّةٍ، دِينُها يقول لها:[وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ]، تَستَوردُ أسلحتَها وقوَّتَها مِن أعدَائِها .. من أمَّةٍ يَقُولُ لها دِينُها:" مَن صَفَعَكَ على خَدِّكَ الأيمَن فأَدِرْ له خَدَّكَ الأيْسَر "؟!!

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

643- [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ]الأنفال:64. أي يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، حَسْبُكُم اللّهُ .. ومَن كان اللّهُ حَسْبه، فهو كافِيه، ولَا خَوفَ ولَا ضَيعَةَ عليه.

* * * * *

وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ

644- [وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ]؛ لم يخازُوا إلى دَارِ الإسلامِ، وبقوا في دارِ الكُفرِ، [مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ]؛ أي ولايَة التَّوارُثِ؛ ثم نُسِخَت بقولِه تعالى: [وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ]الأنفال:75. أي أُوْلُواْ الأَرْحَامِ أولَى بالتَّوارُثِ بعضُهم ببَعضٍ، سَواءٌ هاجَرُوا، أم لم يُهاجِرُوا .. وبَقيت ولايةُ النُّصْرَةِ في الدِّينِ لمن لم يُهَاجِرْ، [وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ]؛ فإن اعتُدِيَ عليهم؛ لتَدَيُّنِهم، ولأنَّهم مُسلمُون، وطَلبُوا مِنكُم النُّصْرَةَ، والنَّجْدَةَ، [فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ]؛ يجب عليكم أن تَنصرُوهم، وتُدافِعُوا عنهم، وتَردُّوا عنهم، وعن الدِّينِ العُدوان، [إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ]؛ مِن الكافِرين، [بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ]؛ عهدُ صُلْحٍ، وأَمَانٍ يمنعُكُم مِن قتَالِهم، كما يمنعُ عدوَّكم

مِن قتَالِكُم .. لا يجوزُ لكم حينئذٍ أن تنصرُوهُم عليهم، حِفَاظاً لحرمَةِ العَهْدِ، ودِرْءاً للوقُوعِ في شُبهةِ غَدْرٍ، وشُبهَةُ الغَدْرِ غَدْرٌ .. إلَّا في حَالَتَين: أن تَنبذُوا إليهم عَهدَهُم وميثَاقَهُم، وتَعُودُوا معَهم إلى ما كُنتم عليه قَبل عَهدِ الأمَانِ مِن الحربِ، وتُعلمُوهم بذلِك. والحالَةُ الثَّانيةُ: إذا هم بَدَأوا بالغَدْرِ، ونَقضِ العَهدِ، حينئذٍ يَكُونُ الطرَفُ المسلمُ في حِلٍّ مِن عَهدِهِ، ومِيثَاقِه، [وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]الأنفال:72. هل سَتَلتزِمُون بما تُوجِبُه عليكُم العُهُودُ والمواثيقُ مِن وَفَاءٍ، وعدَمِ الغَدْرِ، أم لَا ...؟!

* * * * *

وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ

645- [وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ]الأنفال:73. كما أنَّ الكافِرين بَعضُهم أولياءُ بَعْضٍ، يَنصُرُون بَعضَهم بَعضاً .. كذلك المؤمنُون، يجبُ أن يكونُوا بعضهم أولياءُ بَعْضٍ، يَنصرُون بعضَهم بَعضاً .. فإن لم يُحافِظُوا على هذه المفَاصَلَةِ، وهذا التمايُزِ في الوَلاءِ والبراءِ، والموالاةِ والمعَادَاةِ .. تَعلُو وتَقْوَى شوكَةُ الكُفْرِ والبَاطِلِ، وتَضعُفُ شَوكَةُ الإيمانِ، والحقِّ .. ويختَلِطُ الحقُّ بالباطِلِ، والبَاطِلُ بالحقِّ، فلا يُعرَفُ العدُو مِن غَيرِه، ويَنتجُ عن ذلك ضَيَاعٌ للحقُوقِ، والحُرُمَاتِ، وفَسَادٌ في الأرضِ كَثِير!

* * * * *

وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ

646- [وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ]الأنفال:75. وهذا ليس مقصُوراً على الإرث والتّوارُثِ وحسب، بل هو يشملُ بذلَ كلّ خيرٍ، بما في ذلك النّصرة،

والذَّود عن الحقوقِ والحُرمات؛ فالأقربون أولى بالمعروفِ والنُّصرة .. والجارُ الأقربُ؛ له من الحقُوقِ ما ليس للبعِيد.

647- إذا اشتعلت النّيرانُ في الدُّورِ؛ أطفئ نارَ بيتك أولاً، ثم نارَ جارِك، ثمَّ نارَ الأقرَبِ فالأقربِ إليك؛ هذا حكمُ النّقلِ، والعَقل.

* * * * *

648- ... يتبع إن شاء الله.

www.abubaseer.bizland.com

www.tartosi.blogspot.com

altartousi1@gmail.com